

# إِغْلَامُ النَّاسِ

بِمَا وَقَعَ لِلْبَرَامِكَةِ مَعَ بَنِي الْعَبَّاسِ



دار صادر  
بيروت

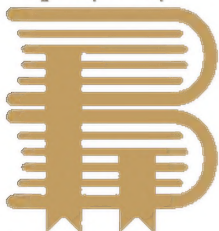
إعلامُ النَّاسِ



# إعلامُ النَّاسِ بِمَا وَقَعَ لِلْبَرَامِكَةِ مَعَ بَنِي الْعَبَّاسِ

تأليف  
محمد دياب الأتليدي

شبكة كتب الشيعة



دارصادر  
بيروت

shiabooks.net

رابطہ بدیل < mktba.net



جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م



## مقدمة

لم نعثر على ترجمة وافية لصاحب هذا الكتاب ، ولم نعرف ممّا كتبه عن نفسه في مقدّمة كتابه الموجزة ، وممّا كتب عنه في « دائرة معارف القرن العشرين » ، والقسم التاريخي من « المنجد » ، إلّا أنّه محمد أو محمود دياب الأنليدي مؤلف كتاب « إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العبّاس » . ولد في المنبة في مصر ، وسكن القاهرة ، وتوفي فيها سنة ١٦٨٨ م . ويدلّنا هذا على أنّه كان من كتّاب عصر الانحطاط ، ونرى أثر هذا العصر واضحاً في ما وضعه في كتابه من تعابير انحطاطية وألفاظ عامية .

وقد سمّاه هذا الاسم من باب تسمية الكل باسم الجزء ، لأن أخبار البرامكة لا تستغرق إلّا قسمًا يسيرًا منه ، في حين أن الأفاقيص والحكايات التي تناول ما كان في صدر الإسلام وأيام الأمويين ، وغيرها من الأفاقيص العباسيّة وغير العباسيّة تستغرق معظمه .

والأنليدي كان أمينًا في نقله عن غيره ، ينسب كل حكاية أو أقصصة إلى الكتاب الذي أخذت عنه ، أو إلى من رويت عنه ، وأكثر ما أخذه عن الأصمعي وعن كتاب « حلبة الكُميت » لشمس الدين التّواجي ، وكتاب « حياة الحيوان » للدميري ، و « الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني ، وفي كل القصص التي جمعها نرى من جبال السّرد وتراخي الخيال وحسن الاختراع ما يدلّ على تمكّن الروح القصصية عند العرب .

ولا غرّد فالقصّة قديمة عندهم ، نجد عناصرها في الشعر الجاهلي والشعر والنثر الأمويين ، على أنها لم تصبح فنًّا أدبيًّا ، وإن لم يبلغ حدّ

لكمال ، إلا في العصر العباسي ، بعد أن ترجمت أقاصيص الهند والفرس كقصص : كليلة ودمنة ، وحكايات ألف ليلة وليلة ، ووضعت القصص الدينية ، وقصص البطولة : كسيرة عنترة وغيرها ، والقصص الغرامية الغنائية .

وقصص الأنليدي في كتابه هذا ، منها ما هو ديني ، ومنها ما هو بطولي ، وجلّها غرامي ، وغرامي غنائي ، أو خمري . وكثيراً ما يشعر القارئ بما في بعضها من مخالفة للمعقول ، كالتّي تروي مثلاً : اجتماع إبراهيم الموصلي ، وابنه اسحق ، وأبي نواس ، إبليس ، وما دار بينهم من غناء وأحاديث ، وعلى ذلك فإنّه يُسرّ بقراءتها ويلتذّها لما فيها من حوادث شائعة تبث فيه الفضول وتروقه وتسليه .

وقد جعلنا لكل أقصوصة عنواناً مستمداً من موضوعها تسهيلاً لمن أراد البحث عن إحداها بغية قراءتها وحدها .

ورأينا من فروض الأمانة أن تترك كل ما في الكتاب على ما هو عليه ، حتى أبيات الشعر المنسوبة إلى غير أصحابها ، والقصص التي لا ثبت تاريخياً كقصّة ميمونة ، أو العباسة أخت الرشيد وزواجها جعفر البرمكي ، وقصة المأمون وزنبيل بوران بنت الحسن بن سهل ، وقد قدّهما ابن خلدون ، فيما قدّ ، في باب « مغالط المؤرخين وأوهامهم » من مقدّمته .

بيد أننا لم نتنكّب عمّا اقتضاه التحقيق من إصلاح خطّ ، أو أبيات شعر مختلّة أوزانها ، ومن تصحيح ما أمكن تصحيحه من تحريف شوّه المعنى ، أو جعله غامضاً يصعب إدراكه .

## مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي أنزل الكتاب المبين ، على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وقصص عليه أخبار المتقدمين والمتأخرين ، وعلمه ما كان وما يكون إلى يوم الدين ، نحمده إذ جعلنا من أمته ، ونشكره على عطائه ومنته ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إذ من علينا بمعرفة أحوال من مضى من الأمم ، ولم يكشف عنا ستره إذا زل بنا القدم ، وجعلنا أمة عدولاً وسطاً ، وشهد لنا بذلك في الكتاب المعظم المكرم ، فقال تعالى : ﴿ كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾<sup>١</sup> ، فظهر الفضل بما جاد به وتكرم ، ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الذي قال : « أدبني ربِّي فأحسن تأديبي » ، فساد على جميع الأنبياء وعليهم تقدم ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم .

وبعد ، فيقول العبد الفقير الضعيف ذو العجز والتفريط في أيامه ، وكثير التخليط وزيادة آثامه ، محمد يعرف بدياب الأتليدي من إقليم المنية الحصيرية<sup>٢</sup> ، سألتني بعض الإخوان الموفقين ممن لا يسعني مخالفتهم ، أن أجمع له شيئاً مما وقع في زمن الخلفاء المتقدمين من بني أمية ، والخلفاء العباسيين . فأجبتهم لذلك مع علمي أنني لست أهلاً لذلك ، فقد قالوا : الإمثال خير من الأدب ، وسميته : « إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس » . وابتدأت في ذلك بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، تبركاً به وبذكره .

١ سورة آل عمران ١١٠

٢ المنية الحصيرية : بلد في مصر بناها الحصب وكان أميراً على مصر من قبل العباسيين .



## عمر والعجوز المدينية

قيل : لَمَّا رجع عمر ، رضي الله عنه ، من الشام إلى المدينة ، انفرَدَ عن الناس لِيَتَعَرَّفَ أخبار رعيته ، فَرَّ بعجوز في خباء لها فقصدها .

فَقَالَتْ : ما فعل عمر رضي الله عنه ؟

قال : قد أقبل من الشام سالماً .

فَقَالَتْ : يا هذا ! لا جزاه الله خيراً عَنِّي !

وقال : ولم ؟

قالت : لأنه ما أنالني من عطائه منذ ولي أمر المسلمين ديناراً ولا درهماً .

فقال : وما يدري عمر بحالك وأنت في هذا الموضع ؟

فَقَالَتْ : سبحان الله ! والله ما ظننت أن أحداً يلي على الناس . ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها .

فبكى عمر رضي الله عنه ، وقال : واعمره ، كل أحد أفقه منك حتى العجائز يا عمر .

ثم قال لها : يا أمة الله ! بكم تبيعي ظلامتك من عمر ، فأني أرحمه من النار ؟

فَقَالَتْ : لا تهزأ بنا ، يرحمك الله .

فقال عمر : لست أهزأ بك .

ولم يزل حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين ديناراً .

فبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه :  
وعبد الله بن مسعود . رضي الله عنه ، فقالا : السلام عليك يا أمير  
المؤمنين ! فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت : واسوأناه ! شتمت  
أمير المؤمنين في وجهه ؟

فقال لها عمر رضي الله عنه : لا بأس عليك . يرحمك الله . ثم  
طلب قطعة جلد يكتب فيها فلم يجد . فقطع قطعة من مرقعته<sup>١</sup> وكتب فيها :  
« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ  
ولي الخلافة إلى يوم كذا . بخمسة وعشرين ديناراً . فما تدعي عليه عند وقوفه  
في المحشر بين يدي الله تعالى فعمر يريء منه . شهد على ذلك علي وابن  
مسعود » .

ثم دفعه إلى ولده وقال له : إذا أنا مت<sup>٢</sup> . فاجعلها في كفني أُنقى<sup>٣</sup>  
رئي .

---

١ المرقعة : الثوب المرقع . وكان عمر يلبسه تقشفاً .

## عمر والشاب القاتل وأبو ذر

قال شرف الدين حسين بن ريان : أغرب ما سمعته من الأخبار ، وأعجب ما نقلته عن الأخيار ، ممن كان يحضر مجلس عمر بن الخطاب . أمير المؤمنين ، ويسمع كلامه قال : بينا الإمام جالس في بعض الأيام ، وعنده أكابر الصحابة ، وأهل الرأي والإصابة ، وهو يقول في القضايا ، ويحكم بين الرعايا . إذ أقبل شاب نظيف الأثواب . يكتنفه شابان من أحسن الشبان . نظيفا الثياب ، قد جذباه وسحباه وأوقفاه بين يدي أمير المؤمنين . وليّاه . فلما وقفوا بين يديه ، نظر إليهما وإليه . فأمرهما بالكف عنه . فأدنيه منه وقال : يا أمير المؤمنين . نحن أخوان شقيقان ، جديران باتباع الحق حقيقان . كان لنا أب شيخ كبير . حسن التدبير ، معظّم في قبائله . مثرّه عن الرذائل . معروف بفضائله ، ربّانا صغاراً ، وأعزّنا كباراً . وأولانا نعماً غزيراً . كما قيل :

لنا والدٌ لو كان للناس مثله أبٌ آخرُ أغناهم بالمناقب

خرج اليوم إلى حديقة له ينتزه في أشجارها ، ويقطف يانع ثمارها ، فقتله هذا الشاب ، وعدل عن طريق الصواب . ونسألك القصاص بما جناه . والحكم فيه بما أراك الله .

قال الراوي : فنظر عمر إلى الشاب وقال له : قد سمعت ، فما

الجواب ؟

١ ليه : أخذ بتلييه ، أي طوق ثوبه وجزه .



والغلام مع ذلك ثابت الجأش ، خالٍ من الاستيحاش . قد خلع  
ثياب الملح . ونزع جلباب الجزع . فتبسّم عن مثل الجمان . وتكلّم بأفصح  
لسان . وحيّاه بكلّات حسان ثم قال : يا أمير المؤمنين ، والله لقد وعياً ما  
ادّعيّا . وصدقا فيما نطقا وخبراً بما جرى . وعبراً بما ترى ، وسألهي  
قصّتي بين يديك والأمر فيها إليك :

اعلم . يا أمير المؤمنين . أنّي من العرب العرباء . أبيت في منازل  
البادية . وأصبح على أسود السنين العادية . فأقبلت إلى ظاهر هذا البلد  
بالأهل والمال والولد . فأفضّت لي بعض طرائقها . إلى المسير بين  
حدائقها . بنياق حبيبات إليّ . عزيزات عليّ . بينهنّ فحل كريم الأصل ،  
كثير النسل . مليح الشكل . حسن التاج . يمشي بينهنّ كأنه ملك عليه  
تاج . فدنت بعض النوق إلى حديقة قد ظهر من الحائط شجرها ، فتناولته  
بمشفرها . فطردتها من تلك الحديقة . فإذا شيخ قد زجر . وزفر ،  
وتسوّر الحائط . وظهر وفي يده اليمنى حجر . ينهّدي كاللثيث إذا خطر ،  
فضرب الفحل بذلك الحجر . فقتله وأصاب مقدّ . فلما رأته الفحل قد  
سقط لحنيه وانقلب . توقّدت فيّ جمرات الغضب . فتناولت ذلك الحجر  
بعينه . فضربته به . فكان سبب خيئه . ولقي سوء منقلبه . والمرء مقتول  
بما قتل به بعد أن صاح صيحة عظيمة . وصرخ صرخة أليمة . فأسرعت  
من مكاني . فلم يكن بأسرع من هذين الشابين . فأمسكاني . وأحضرائني  
كما تراني .

فقال عمر : قد اعترفت بما اقترفت ، وتعدّرت الخلاص . ووجب  
القصاص ، ولات حين مناص .

فقال الشاب : سمعاً لما حكم به الإمام ، ورضيتُ بما اقتضته شريعة  
الإسلام . لكن لي أخ صغير ، كان له أب كبير ، خصّه قبل وفاته بمالٍ  
جزيل . وذَهَبٍ جليل . وأحضره بين يدي . وأسلم أمره إليّ ، وأشهد

الله عليّ . وقال : هذا لأخيك عندك . فاحفظه جهديك . فأنذرت لذلك مدفنًا . ووضعت فيه . ولا يعلم به إلا أنا . ومن حكمت الآن بقولي . ذَهَبَ الذهبُ . وكنتَ أنتَ السببُ ، وطالبك الصغير بحقه . يوم يقضي الله بين خلقه . وإن أنظرتي ثلاثة أيام . أقت من يتولّى أمر الغلام . وعدتُ وافيًا بالذّمام . ولي من يضمنني على هذا الكلام .

فأطرق عمر . ثم نظر إلى من حضر . وقال : من يقوم على ضمانه والعود إلى مكانه ؟

قال : فنظر الغلام إلى وجوه أهل المجلس الناظرين . وأشار إلى أبي ذرٍّ دون الحاضرين . وقال : هذا يكفلني ويضمنني .

قال عمر : يا أبا ذرٍّ . تضمنه على هذا الكلام ؟

قال : نعم . أضمنه إلى ثلاثة أيام .

فرضي الشابان بضمانة أبي ذرٍّ وأنظراه ذلك القدر . فلمّا انقضت مدة الإمهال وكاد وقتها يزول أو قد زال ، حضر الشابان إلى مجلس عمر والصحابة حوله كالنجوم حول القمر . وأبو ذرٍّ قد حضر والحصم يُتَظَر . فقالا : أين الغريم يا أبا ذرٍّ ؟ كيف يرجع من قرٍّ ، لا نبرح من مكاننا حتى تقي بضماننا . فقال أبو ذرٍّ : وحق الملك العَلَّام . إن انقضى تمام الأيام . ولم يحضر الغلام ، وفيت بالضمان وأسلمت نفسي . وبالله المستعان .

فقال عمر : والله ، إن تأخر الغلام ، لأمضينّ في أبي ذرٍّ ، ما اقتضته شريعة الإسلام .

فَهَمَّتْ عَثَرَاتُ الناظرين إليه ، وعلّت زفرات الحاضرين عليه ، وعظم الضجيج وتزايد النشيج . فعرض كبار الصحابة على الشاين أخذ

الدبة واغتنام الأثنيّة ، فأصرّاً على عدم القبول ، وأياً إلّا الأخذ بثأر  
المقتول .

فبينما الناس يمجون تلهفاً لما مرّ ، ويضجون تأسفاً على أبي ذرّ إذ أقبل  
الغلام ووقف بين يدي الإمام وسلّم عليه أتمّ السلام ووجهه يتهلّل مشرقاً  
ويتكلّل عرقاً وقال : قد أسلمت الصبي إلى أخواله ، وعرفتهم بخفيّ أمواله  
وأطلعهم على مكان ماله . ثم اقتحمت هاجرات الحرّ ، ووفيت وفاء الحرّ .

فعجب الناس من صدقه ووفائه ، وإقدامه على الموت واجترائه .  
فقال : من غدرّ لم يعفُ عنه من قدرّ ، ومن وفى . رحمه الطالب  
وعفا ، وتحقّقت أنّ الموتَ إذا حضر ، لم ينبُجْ منه احتراس . كيلا يقال :  
ذهب الوفاء من الناس .

فقال أبو ذرّ : والله ، يا أمير المؤمنين . لقد ضمنت هذا الغلام . ولم  
أعرفه من أي قوم . ولا رأيته قبل ذلك اليوم . ولكن نظر إليّ دون من  
حضر فقصدني وقال : هذا يضمّني ، فلم أستحسن ردّه . وأبّت المروءة  
أن تحبّ قصده ، إذ ليس في إجابة القاصد من بأس . كيلا يقال :  
ذهب الفضل من الناس .

فقال الشابان عند ذلك : يا أمير المؤمنين ، قد وهبنا هذا الغلام دم  
أبينا . فبدّل وحشته بإبناس . كيلا يقال : ذهب المعروف من الناس .  
فاستبشر الإمام بالخير عن الغلام وصدقه ووفائه . واستفرز مروءة أبي  
ذرّ دون جلسائه . واستحسن اعتماد الشابين في اصطناع المعروف . وأثنى  
عليهما أحسن ثنائه . وتمثّل بهذا البيت :

من يصنع الخير لم يعدم جوارره لا يذهب العرف بين الله والناس

ثم عرض عليهما أن يصرف من بيت المال دية أيهما . فقالا : إنما عفوا  
 ابتغاء وجه ربنا الكريم . ومن نيته هكذا لا يتبع إحسانه مثلاً ولا أذى .  
 قال الراوي : فأثبتها في ديوان الغرائب . وسطرتها في عنوان  
 المعجائب .

## عمر والهَرْمَزَان<sup>١</sup>

وأحضر الهرمزان بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . رضي الله  
 عنه ، مأسوراً ، فدعاه إلى الإسلام ، فأبى ، فأمر بضرب عنقه ،  
 فقال : يا أمير المؤمنين ، قبل أن تقتلني اسقني شربة من الماء ، ولا تقتلني  
 ظمآن .

فأمر له عمر بقدر مملوء ماء ، فلما صار القدر في يد الهرمزان ،  
 قال : أنا آمن حتى أشربه ؟

قال : نعم لك الأمان .

فالتقى الهرمزان الإناء من يده فأراقه . ثم قال : الوفاء يا أمير  
 المؤمنين .

فقال عمر رضي الله عنه : دعوه حتى أنظر في أمره .

فلما رفع السيف عنه ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً  
 رسول الله .

قال عمر . رضي الله عنه : لقد أسلمت خير الإسلام فما أخرك ؟

١ الهرمزان : الكبير من ملوك المعجم .

قال : خشيتُ أن يقال إني أسلمتُ خوفاً من السيف .  
فقال عمر : إنك لفارس حكيم ، استحققتَ ما كنت فيه من الملك .  
ثم إن عمر ، رضي الله عنه ، بعد ذلك كان يشاوره في إخراج  
الجيوش إلى أرض فارس ويعمل برأيه .  
وسياتي نظير ذلك في أخذ الأمان بالحيلة .

خبر جبلة بن الأيهم لما هرب من عمر إلى هرقل وتنصره

### جبلة بن الأيهم وتنصره

ومما ذكره عبد الملك بن بدرون ، شارح قصيدة عبد المجيد بن عبدون ، عما وقع لجبلة بن الأيهم حين لطم الفزاري على وجهه لما داس على ردايه ، وقال له عمر ، رضي الله عنه : دعه يقتصر منك . أو ما هنا معناه . فقال لعمر : وهل استوي أنا وهو في ذلك ؟ فقال له : نعم ، الإسلام ساوى بينكما . فقال : أجلي إلى غد . فلما أصبح مضى إلى قيصر ملك الروم . وارتد . ثم ندم وقال أبياتاً . وهي هذه :

تنصرت الأشراف من أجل لطفة	وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفي منها لجاج ونخوة	فبت بها العين الصحيحة بالعود
فيا ليت أُمِّي لم تلدني وليتي	رجعت إلى الأمر الذي قاله عمر
ويا ليتني أرعى الخاض بفترة	وكنت أسيراً في ربيعة أو مضراً
ويا ليت لي بالشاء أدنى معيشة	أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

ولما تنصر جبلة بن الأيهم ولحق بهرقل ، صاحب القسطنطينية . أقطعه هرقل الأموال والضياع . وبقي ما شاء الله .

ثم أن عمر ، رضي الله عنه . بعث إلى قبصر رسولا يدعو إلى الإسلام أو إلى الجزية . فلما أراد الانصراف ، قال هرقل للرسول : أَلْقَيْتَ ابن عمك هذا الذي عندنا ؟ يعني جبلة الذي أتانا راعباً في ديننا .

قال : لا !

قال : فآلَقَهُ ثُمَّ أَتْنِي أُعْطِكَ جواب كتابك .

قال الرسول : فذهبتُ إلى دار جبلة فإذا عليه من القهارة<sup>١</sup> والحُجاب والبَهجة وكثرة الجمع مثل ما على باب هرقل . فلم أزل أَتَلَطَّفُ بالإذن حتى أذن لي . فدخلتُ عليه . فرأيتُه أصهب اللحية ، ذا سيال ، وكان عهدي به أسود اللحية والرأس ، فأنكرته ، فإذا هو قد دعا بسحالة<sup>٢</sup> الذهب ، فذَرَّها على لحية حتى أَصْهَبَتْ ، وهو قاعد على سرير من قوارير<sup>٣</sup> على قوائم أربعة أسود من ذهب . فلما عرفني رفعتني معه على السرير ، فجعل يسألني عن المسلمين . فذكرت له خيراً وقلتُ له : قد أَضْعِفُوا أَضْعَافاً على ما تعرف . فقال : وكيف عمر بن الخطاب ؟ قلت : بخير . قال : فرأيت الغمَّ في وجهه لِمَا ذَكَرْتُ له منه سلامة عمر . ثم انحدرتُ عن السرير فقال : لِمَ تَأْبَى الكرامة التي أَكْرَمْنَاكَ بها ؟ فقلتُ : إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا . فقال : نعم ! نهى ﷺ ولكن نقَّ قلبك ولا نبال على ما قعدت .

فلَمَّا سمعته يقول ما قاله ﷺ . طمعت فيه فقلت له : ويعك يا جبلة ، ألا تُسَلِّمُ ، وقد عرفت الإسلام وفضله ؟ فقال : أبعد ما كان مني ؟ قلت : نعم ، قد فعل رجل من فزارة أكثر ممَّا فعلت . ارتدَّ عن الإسلام

١ القهارة ، الواحد قهرمان : الوكيل أو أمين الدخَل والخرج .

٢ السحالة : برادة الذهب .

٣ القوارير ، الواحدة قارورة : إناء يوضع فيه الشراب .

وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع إلى الإسلام وقبل منه وخلفته بالمدينة مسلماً .

وإنما ذكرت له أن الذي فعل هذه الفعلة من فزارة ، وأنه ضرب وجوه المسلمين بالسيف وارتدّ ورجع إلى الإسلام لأن الرجل الذي كان تنصّر جبلة من أجله لما لطمه وأراد عمر أن يقتصرّ منه كان فزارياً أيضاً . فقلت له : أمرك أخفّ من أمره إن رجعت إلى الإسلام ، فإنك لم تضرب وجوه المسلمين بالسيف كما فعل . فقال : ذرني من هذا إن كنت تضمن لي أن يزوّجني عمر ابنته ويوليّني الأمر من بعده ، رجعت إلى الإسلام . فضمنت له التزويج ولم أضمن له تولية الأمر .

قال : ثم أوماً إلى خادم كان على رأسه واقفاً فذهب مسرعاً ، فإذا خدم قد جاؤوا يحملون الصناديق فيها طعام . فوُضِعَتْ ونُصِبَتْ موائد الذهب وصحاف الفضة . وقال لي : كُلْ ؛ فقبضتُ يدي ، وقلت : رسول الله ﷺ نهى عن الأكل في آنية الذهب والفضة .

قال : نعم ! نهى ﷺ ولكن نقّ قلبك وكلّ فيما أحببت .

قال : فأكل في الذهب ، وأكلتُ أنا في الحَلَنج ، ثم دعا بطسوت الذهب وأباريق الفضة ، فغسل يديه في الذهب ، وغسلتُ في الصُّفْر . ثم أوماً إلى خادم بين يديه فمرّ مسرعاً . فسمعتُ حسّاً ، فإذا خدم معهم كراسي مرصّعة بالجواهر ، فوُضِعَتْ عشرةٌ عن يمينه وعشرة عن شماله ، ثم جاءت الجوّاري وعليهن تيجان الذهب ، فقعدن عن يمينه وعن يساره على تلك الكراسي . ثم جاءت جارية أيضاً كأنها الشمس حسناً على رأسها تاج ، وعلى ذلك التاج طائر لم أر أحسن منه ، وفي يدها جامّة فيها مسك قيت ، وفي يدها الأخرى جامّة فيها ماء وردٍ . فأومات تلك الجارية



وصفرت بالطائر الذي على تاجها فوق في جامة المسك ، فاضطرب فيها ،  
ثم صفرت به ثانياً فوق في جامة ماء الورد فاضطرب فيها ، ثم أومأت إليه  
فطار ، ثم نزل على صليب في تاج على جبلة ، فلم يزل يرفرف حتى نفص  
ما في ريشه عليه . فضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت أنياه ، ثم  
التفت إلى الجواري اللواتي عن يمينه . فقال لهن : أضحكننا ، فاندفعن  
يغنين فجعلن يحققن عيدانهن ويقلن :

لله درّ عصابة نادمتهم يوماً بجلّق في الزمان الأول<sup>١</sup>  
إلى قوله :

أولاد جفنة حول قبر أيهم قبر ابن مارية الكرم المفضل<sup>٢</sup>  
يسقون من وّرَدَ البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل<sup>٣</sup>

قال : فضحك جبلة حتى بدت أنياه . ثم قال : أندري من يقول  
هذا؟ قلت : لا ، قال : حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ . ثم أشار إلى  
الجواري اللواتي عن يساره ، وقال : أبكيننا . فاندفعنا يغنين وتحقق عيدانهن  
ويقلن :

لِمَن الدار أوحشت بمعانٍ بين أعلى اليرموك فالجنان<sup>٤</sup>

إلى قوله :

ذاك مغنى من آل جفنة في الدهر برٍ وحقّ تعاقب الأزمان<sup>٥</sup>

١ جلّق : مدينة قرب دمشق كانت إحدى عواصم الفساسة . وهذه الأبيات لحسان بن ثابت .

٢ جفنة : أبو ملوك غسان .

٣ البريص : نهر في دمشق . بردى : أي ماء بردى وهو نهر آخر في دمشق .

٤ معان واليرموك والجنان : مواضع بأكناف دمشق كانت مقر الفساسة .

٥ المغنى : المنزل .

قال : فبكى جبلة حتى سالت دموعه على لحيته . ثم قال : أتدري من يقول هذا ؟ قلت : لا ، قال : حسن . ثم أنشد الأبيات التي أولها : تنصرت الأشراف إلى آخرها . ثم سألتني عن حسن : أحي هو ؟ قلت : هم ! فأمر له بكسوة ولي أيضاً كذلك . ثم أمر لحسان بمال ونوق موقرة<sup>١</sup> رأ ، ثم قال لي : إن وجدته حياً فادفع إليه الهدية واقربه مني السلام ، إن وجدته ميتاً فادفعها إلى أهله وانحر النوق على قبره .

قال : فلما أخبرت عمر ، رضي الله عنه ، بخبره وما اشترطه علي وما ضمنت له . قال : فهلاً ضمنت له الأمر ؟ فإذا أفاء<sup>٢</sup> الله بحكمه وقضى علينا بحكمته ما كان إلّا ما أراد .

ثم جهزني عمر ثانياً إلى هرقل وأمرني أن أضمن له ، أي لجبلة ، ما اشترط . فلما دخلت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته فعلمت أن الشقاء غلب عليه في أم الكتاب .

### القوي الفاجر

وقيل : إنه قدم أهل الكوفة على عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يشكون سعد بن أبي وقاص ، فقال : من يعذرني من أهل الكوفة ؟ إن وليتهم التقي ضعفوه ، وإن وليتهم القوي فجروه . فقال له المغيرة بن شعبة : يا أمير المؤمنين ، إن التقي الضعيف له نقاه ولك ضعفه . وإن القوي الفاجر لك قوته وعليه نصيبه . قال : صدقت أنت القوي الفاجر فاخرج إليهم .

فلم يزل عليهم أيام عمر وعثمان رضي الله عنهما ، وأيام معاوية حتى مات المغيرة ، انتهى .

١ موقرة برا : عملة فحاً .

٢ أفاء : أرجع .

## أَجِبْنِ وَأَحْبِلِ وَأَشْجِعْ مِنْ لَقِي

وقيل : دخل عمرو بن معد يكرب الزبيديّ على عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه . فقال عمر : أخبرني عن أجبن من لقيت وأحبل من لقيت وأشجع من لقيت . قال : نعم يا أمير المؤمنين .

خرجتُ مرّةً أريد الغارة ، فبينما أنا سائر إذا بفرسٍ مشدودٍ ورمحٍ مركوز ، وإذا رجل جالس كأعظم ما يكون من الرجال خلّقاً ، وهو محبٌ بمحائل سيفه ، فقلت له : خذ حذرَكَ فلاني قاتلك . فقال : ومن أنت ؟ قلت : أنا عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، فشهِقَ شهقةً فمات . فهذا يا أمير المؤمنين أجبنُ من رأيت .

وخرجتُ مرّةً حتى انتهيت إلى حيٍّ فإذا أنا بفرسٍ مشدودٍ ورمحٍ مركوز ، وإذا صاحبه في وَهْدَةٍ يقضي حاجته ، فقلت : خذ حذرَكَ فلاني قاتلك . فقال : ومن أنت ؟ فأعلمته بي . فقال : يا أبا ثور ما أنصفتني أنت على ظهر فرسك وأنا على الأرض . فأعطني عهداً أنك لا تقتلني حتى أركبَ فرسي . فأعطيته عهداً فخرج من الموضع الذي كان فيه واحتسبى بمحائل سيفه . وجلس . فقلت : ما هذا ؟ فقال : ما أنا براكب فرسي ولا بمقاتلك فإن نكثتُ عهدك فأنت أعلم بناكث العهد . فتركه ومضيت . فهذا يا أمير المؤمنين أحبلُ من رأيت .

وخرجتُ مرّةً حتى انتهيت إلى موضع كنت أقطع فيه الطريق فلم أرَ أحداً . فأجريت فرسي يميناً وشمالاً وإذا أنا بفارس ، فلَمَّا دنا مني ، فإذا

١ محب : جامع بين ظهره وساقيه بمحائل سيفه . والمحائل واحدة الحيلة : علاقة السيف .

٢ نكثت : خنت .

هو غلام حسن . نبتُ عذاره<sup>١</sup> من أجمل من رأيتُ من الفتيان .  
أحسبهم . وإذا هو قد أقبل من نحو اليمامة . فلما قرب مني سلم عليّ .  
رددت عليه السلام وقلت : من الفتى ؟

قال : الحرث بن سعد فارس الشهيد ؟

قلت له : خذ حذرَكَ فإني قاتلك !

فقال : الويل لك . فمن أنت ؟

قلت : عمرو بن معد يكرب الريدي .

قال : الدليل الحقيق . والله ما يمنعني من قتلِكَ إلا استصغاركَ .

فتصاغرت نفسي . يا أمير المؤمنين . وعظم عندي ما استقبلني به .  
قلت له : دَعْ هذا وخذ حذرَكَ فإني قاتلك . والله لا ينصرف إلا أحدنا .  
فقال : اذهب . تُكَلِّتُكَ أمُّكَ . فأنا من أهل بيتٍ ما أُنكَلْنَا فارسُ  
بط .

قلت : هو الذي تسمعه .

قال : اختر لنفسك فإمّا أن تطردَ لي ، وإمّا أن أطرِدَ لك .

فاغتنمْتُها منه فقلتُ له : أطرِدَ لي<sup>٢</sup> .

فأطرِدَ وحملت عليه فظننتُ أني وضعت الرمح بين كتفيه فإذا هو صار  
حزاماً لفرسه ثم عطفَ عليّ ففَنَعَ بالقناة رأسي وقال : يا عمرو خُذْها إليك<sup>٣</sup>  
واحدة . ونولاً أني أكره قتلَ مثلك لقتلتكَ .

قال : فتصاغرت نفسي عندي . وكان الموتُ . يا أمير المؤمنين .

١ عذاره : جانب لحية .

٢ أطرِدَ لي : من المطاردة في القتال . وهي أن يطرد الفرسان بعضهم بعضاً .  
والفارس يستطرد ليحمل عليه قرنه ثم يكرّ عليه .

أَحَبُّ إِلَيَّ مَا رَأَيْتَ . فَقُلْتُ لَهُ : وَاللَّهِ لَا يَنْصَرِفُ إِلَّا أَحَدُنَا . فَعَرَضَ عَلَيَّ  
مِثْلَهُ الْأَوَّلَى فَقُلْتُ لَهُ : أَطْرُدُ لِي . فَأَطْرَدَ . فَظَنَنْتُ أَنِّي تَمَكَّنْتُ مِنْهُ  
فَوَعَّعْتُهُ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنِّي وَضَعْتُ الرَّمْحَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ . فَلِذَا هُوَ صَارَ لِي  
لِغْرَسَةٍ . ثُمَّ عَصَفَ عَلَيَّ فَفَقَعَ بِالْفَنَاقَةِ رَأْسِي وَقَالَ : خُذْهَا إِلَيْكَ يَا عَمْرُو  
ثَانِيَةً .

فَتَصَاغَرْتُ عَلَيَّ نَفْسِي جَدًّا . وَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا يَنْصَرِفُ إِلَّا أَحَدُنَا  
فَأَطْرَدَ لِي . فَأَطْرَدَ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنِّي وَضَعْتُ الرَّمْحَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ فَوَثَبَ عَن  
فَرْسِهِ . فَلِذَا هُوَ عَلَى الْأَرْضِ فَأَخْطَأَتْهُ فَاسْتَوَى عَلَى فَرْسِهِ وَابْعَثَنِي حَتَّى قَعَّ  
بِالْفَنَاقَةِ رَأْسِي ! وَقَالَ : خُذْهَا إِلَيْكَ يَا عَمْرُو ثَالِثَةً . وَلَوْلَا كِرَاهِي لِقَتْلِي  
مِثْلِكَ لَقَتَلْتُكَ .

فَقُلْتُ : اقْتُلْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ وَلَا تَسْمَعْ فَرَسَانُ الْعَرَبِ بِهَذَا .  
فَقَالَ : يَا عَمْرُو . إِنَّمَا الْعَفْوُ عَنْ ثَلَاثٍ . وَإِذَا اسْتَمَكَنْتَ مِنْكَ فِي  
الرَّابِعَةِ قَتَلْتُكَ وَأَنْشَدَ يَقُولُ :

وَكِدْتُ إِغْلَاظًا مِنَ الْإِيمَانِ      إِنَّ عُذَّتْ يَا عَمْرُو إِلَى الطَّعَانِ<sup>١</sup>  
لَتَجِدَنَّ هَبَّ السَّيَّانِ .      أَوَلَا . فَلَسْتُ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ

فَهَبَتْ هَيْبَةً شَدِيدَةً . وَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً .

قَالَ : وَمَا هِيَ ؟

قُلْتُ : أَكُونُ صَاحِبًا لَكَ .

قَالَ : لَسْتُ مِنْ أَصْحَابِي .

فَكَانَ ذَلِكَ أَشَدَّ عَلَيَّ وَأَعْظَمَ مِمَّا صَنَعَ . فَلَمْ أَزَلْ أَطْلُبُ صَحْبَهُ حَتَّى  
قَالَ : وَيْحَكَ أَتَدْرِي أَيْنَ أُرِيدُ ؟

١ كَدْتُ إِغْلَاظًا مِنَ الْإِيمَانِ : تَعْبِيرٌ عَزَلِيٌّ مَعْنَاهُ أَنِّي أَشَدُّدُ فِي إِيْمَانِي أَيْ قَسَمِي .

قلت : لا والله .

قال : أريد الموت الأحمر عيبر .

قلت : أريد الموت معك .

قال : امضي بنا .

فسرنا يومنا أجمع حتى أتانا الليل ومضى شطره . فوردنا على حيٍّ من أحياء العرب . فقال لي : يا عمرو في هذا الحي الموت الأحمر فإم أن تُمسك عليّ فرسي فأنزله وآتي بحاجتي . وإما أن تنزل وأمسك فرسك فتأبني بحاجتي .

فقلت : بل انزل أنت . فأنت أخبر بحاجتك مني .

فرمى إليّ بعنان فرسه ورضيت والله . يا أمير المؤمنين . بأن أكون له سائساً . ثم مضى إلى قبة . فأخرج منها جارية لم تر عياني أحسن منها حسناً وجالاً . فحملها على ناقة ثم قال : يا عمرو . فقلت : لييك ! قال : إما أن تحميني وأقود الناقة أو أحميك وتقودها أنت ؟

قلت : لا . بل أقودها وتحميني أنت .

فرمى إليّ بزمام الناقة ثم سرنا حتى أصبحنا . قال : يا عمرو . قلت : ما تشاء ؟ قال : التفت فانظر هل ترى أحداً ؟

فالتفت فرأيت رجالاً قلت : اغدذ السير . ثم قال : يا عمرو انظر إن كانوا قليلاً فالجلد والقوة وهو الموت الأحمر . وإن كانوا كثيراً فليسوا بشيء .

فالتفت وقلت : هم أربعة أو خمسة .

قال : اغدذ السير .

ففعلت . .وقف وسمع وقع حوافر الخيل عن قرب فقال : يا عمرو .

كن عن يمين الطريق وقِفْ وحول وجه دوابنا إلى الطريق .

فعلت ووقفت عن يمين الراحلة ووقف عن يسارها ودنا القوم منا  
وإذا هم ثلاثة أنفار : شابان وشيخ كبير ، وهو أبو الجارية والشابان  
أخواها . فسلموا فرددنا السلام . فقال الشيخ : خلُ عن الجارية يا ابن  
أخي .

فقال : ما كنت لأخْلِيا ولا لهذا أخذتها .

فقال لأحد ابنه : اخرج إليه . فخرج وهو يجرّ دمه فحمل عليه  
الحرث وهو يقول :

من دون ما ترجوه خَضْبُ الذَّابِلِ . من فارسٍ ملثمٍ مُقاتِلٍ  
يُنمي إلى شيبانٍ خيرٍ واثِلٍ ما كان يسري نحوها بباطِلٍ

ثم شدَّ على ابن الشيخ بطعنة قدَّ منها صُلْبُه . فسقط ميتاً . فقل  
الشيخ لابنه الآخر : اخرج إليه فلا خير في الحياة على الذلِّ . فأقبل الحرث  
وهو يقول :

لقد رأيت كيف كانت طعنتي . والظعنُ المَرمُ الشديدُ الهَمَّةِ  
والموتُ خيرٌ من فراق خلتي . فقتلني اليومَ ولا مَدَّتْني

ثم شدَّ على ابن الشيخ بطعنة سقطَ منها ميتاً ، فقال له الشيخ : خلُ  
عن الظعينة يا ابن أخي . فإني لست كمن رأيت . فقال : ما كنت  
لأخْلِيا ، ولا لهذا قصدتُ .

فقال الشيخ : يا ابن أخي ، اختر نفسك فإن شئت نازلْتُك . وإن  
شئت طاردْتُك .

فاغتنمها الفتى ونزل فتزل الشيخ وهو يقول :

١ الذابِل : من صفات الرمح - وخضبه : تلويحه بالدم

ما أرتجي عند فناء عمري      سأجعل التسعين مثل شهر  
تخافي الشجعان طول دهرى      إن استباح البيض قصص الظهور

فأقبل الحرث وهو ينشد ويقول :

بعد ارتحالي ومطال سَفْرى      وقد ظفرتُ وشفيت صدري<sup>١</sup>  
فالموت خير من لباس الغدير      والعارُ أهديه لحى بكر

ثم دنا فقال له الشيخ : يا ابن أخي إن شئت ضرتك . فإن أبقيتُ  
فيك بقية فاضربي . وإن شئت فاضربي . فإن أبقيتُ في بقية ضرتك .  
فاغتنمها الفتى وقال : أنا أبدأ

فقال الشيخ : هات .

فرفع الحرث يده بالسيف فلما نظر الشيخ أنه قد أهوى به إلى رأسه  
ضرب بطنه بطعنة قد منها أمعاه ووقعت ضربة الفتى على رأس الشيخ  
فسقطا ميتين . فأخذت يا أمير المؤمنين أربعة أفراس وأربعة أسياف ثم أقبلت  
إلى الناقة فقالت الجارية : يا عمرو : إلى أين ولست بصاحبتك ولست لي  
بصاحب ولست كمن رأيت . فقلت : اسكتي .

قالت : إن كنت لي صاحباً فاعطني سيفاً أو رمحاً فإن علبتي فأنا لك  
وإن غلبتك قتلتك .

فقلت : ما أنا بمُعطي ذلك . وقد عرفت أهلك وحرارة قيمت  
وشجاعهم .

فرمت نفسها عن الجعير ثم أقبلت تقول :

أبعد شيخى ثم بعد أخوتي      يطيب عيشي بعدهم ولذتي

١ قوله : سَفْرى : سكن الفاء من سَفَر مراعاة للقافية .



وأصبح من لم يكن ذا همّة هلاً نكول قبل ذا منبّي

ثم أهوت إلى الرمح وكادت تنزعه من يدي . فلما رأيت ذلك منها  
حفت إن ضمرت في قنّتي . فقتلتها . فهذا يا أمير المؤمنين أشجع من  
أرأيت .

### يقنع ذنب البعير

قيل : أتى رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه .  
يستحمّله . فقال له : خذ لك بعيراً من إبل الصدقة . فتناول ذنب بعير  
فجذبه فاقتلعه . فتعجّب عمر رضي الله عنه . من شدّته وقوّته . فقال  
له : هل رأيت أقوى منك من أحد ؟

قال : نعم . خرجت امرأة من أهلي أريد بها زوجها فترت على  
حوض . فأقبل رجل معه دوداً . فضرب دوده إلى الحوض فسورها .  
بغني المرأة . فنادتني فالتفت إليها حتى خالطها . فجئت لأدفعه عنها .  
فأخذ رأسي بين عضديه وحنه . فما استطعت التحرك حتى قضى وطره  
مها . فقالت : أيّ فعل هذا لو كنت منيحة . فأملهته حتى امتلاً نوماً .  
فقمّت له بالسيف فضربت ساقه . فأنته . فتناول رجله فرماني بها  
واخطاني . أي وتي . وأصاب رأس بعير فقتله .

فقال عمر رضي الله عنه : ما فعلت بالمرأة ؟

قلت : هذا حديث الرجل .

فكرّر عليه السؤال فلم يزد على هذا ففضن أنه قتله . انتهى .

١ الفود : النياق .

٢ المبيحة : الناقة .

## عبد الله بن رواحة وجاريته

ويحكى أن عبد الله بن رواحة . رضي الله تعالى عنه . كان عنده جارية جميلة . وكان يُحبُّها محبةً شديدةً . ولم يتمكن منها خوفاً من زوجته . فمضت يوماً زوجته لحاجة . ثم عادت فوجدته هو والجارية معتنقين نائمين . فقالت : أفعلتها ؟ قال : لم أكن فاعلها . قالت : فاقروا ! فقال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . ثم قال :

علمت بأن وعد الله حقّ وأن النار مشوى الكافرين  
وأن العرش فوق الماء طاف و فوق العرش ربُّ العالمين  
ونعمله ملائكة كرام ملائكة الإله مسؤولين

قالت : صدقت وكذبت عياني . قل فذهبت وأخبرت النبي  
ﷺ . فضحك حتى بدت نواجذه . وصار يكرّره ويقول كيف  
قلت . انتهى .

## أول دولة بني أمية

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

جلس يوماً في مجلس كان له بدمشق ، وكان الموضع مفتوحاً للجوانب الأربعة يدخل فيه النسيم من كل جانب . قال : فينما هو جالس ينظر إلى بعض الجهات وكان يوماً شديداً الحرُّ لا نسيماً فيه . قال : وكان وسط النهار . وقد لفحت المواجرُ ، إذ نظر إلى رجل يمشي نحوه . وهو يتلطف من حرِّ الترابِ : ويحجلُ في مشيته حافياً . فتأمله ، وقالَ لجلسائه : هل خلقَ الله سبحانه وتعالى أشقى ممن يحتاجُ إلى الحركةِ في هذا الوقت ، وفي مثل هذه الساعة ؟

فقال بعضهم : لعله يقصد أمير المؤمنين .

فقال : والله لئن كان قاصدي لأجل شيءٍ لأعطيته وأستجلب الأجرَ به أو مظلوماً لأنصرته . يا غلام ! قفْ بالباب . فإن طلبني هذا الأعرابي . فلا تمنعه من الدخول عليّ .

فخرج فوافاه . فقال : ما تريد ؟

قال : أمير المؤمنين .

قال : ادخل .

فدخل . فسلم فقال له معاوية : ممن الرجل ؟

قال : من تعجب .

قال : فما الذي جاء بك في هذا الوقت ؟

قال : جئتك مشتكياً وبك مستجيراً .

قال : ممن ؟

قال : من مروان بن الحكم عاملك ، وأنشد يقول :

معاوي ! يا ذا الجود والحلم والبذل	ويا ذا الندى والعلم والرشد والثلل
أتيتك لما ضاق في الأرض مذهبي	فيا غوث ! لا تقطع رجائي من العدل
وجُد لي بإنصاف من الجائر الذي	بلائي بشيء كان أيسره قتلي
سباني سعاداً وانبرى لخصومتي	وجار ولم يعدل وأغصيني أهلي
وهمٌ يقتلي غير أن منيتي	ثأنت ، ولم أستكمل الرزق من أجلي

قال : فلما سمع معاوية كلامه ، والنار تتوقد من فيه ، قال له : مهلاً يا أبا العرب ! اذكر قصتك وأين لي عن أمرك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، كانت لي زوجة وكنت لها محبباً وبها كلفاً ، وكنت بها قرير العين طيب النفس ، وكانت لي جذعة<sup>٣</sup> من الإبل كنت أستعين بها على قوام حالي وكفاية أودي ، فأصابتنا سنة أذهبت الخف والحافر ، فبقيت لا أملك شيئاً ، فلما قل ما بيدي وذهب ما لي وفسد حالي بقيت مهانئاً ثقيلاً على الذي يألُفني . وأبعدني من كان يشتهي قربى وأزور من لا يرغب في

---

١ قوله : أغصيني هكنا في الأصل ويريد غصيني ، ولا يوجد فعل أغصيني في المعاجم .

٢ قوله : من أجلي : هكنا في الأصل والمعنى غامض . ولعله يريد من أجلي ففتح الجيم . وسكنها لضرورة القافية فيكون المعنى لم أستكمل رزقي أي حظي من مدة حياتي .

٣ الجذعة : الناقة الصغيرة السن .

زيارتي ، فلما علم أبوها ما بي من سوء الحال وشرّ المال أخذها مني  
 وجحدني وطردني وأغلظ عليّ . فأتيت إلى عاملك مروان بن الحكم راجياً  
 لنصرتي . فلما أحضر أباهاً وسأله عن حالي قال : ما أعرفه قط . فقلت :  
 أصلح الله الأمير إن رأى أن يُحضِرَها ويسألها عن قول أبيها ففعل . وبعث  
 خلفها . فلما حضرت بين يديه وقعت منه موقع الإعجاب . فصار لي  
 خصماً وعليّ مُكبراً ، وأظهر لي الغضبَ وبعثَ بي إلى السجن ، فبقيت  
 كأنما خررت من السماء ، أو استهوت بي الريحُ في مكانٍ سحيق . ثم قال  
 لأبيها : هل لك أن تزوجنيها على ألف دينار وعشرة آلاف درهم . وأنا  
 ضامنٌ خلاصها من هذا الأعراي ؟ فرغب أبوها في البذل وأجابه إلى  
 ذلك . فلما كان من الغد بعثَ إليّ وأحضرنِي ونظر إليّ كالأسد الغضبان ،  
 وقال : طلق سعاد ! فقلت : لا ، فسلبَ عليّ جماعةً من غلمانِهِ فأخذوا  
 يعذبوني بأنواع العذاب فلم أجد لي بدءاً من طلاقها ففعلت . فأعادني إلى  
 السجن ، فكثت فيه إلى أن انقضت عدتها فترّجها وأطلقني . وقد أتيتك  
 راجياً وبك مستجيراً وإليك ملتجئاً ، وأنشد يقول :

في القلب مَنِي غرامٍ للثَّارِ فيه استعار والجسمُ مُرمَى بسهمٍ  
 فيه الطيب يحارُ وفي فؤادي جمرٌ والجرمُ فيه شرارُ  
 والعينُ تهطلُ دمعاً فدمعُها مدرارُ  
 وليس إلّا برّتي وبالأمرِ انتصارُ

قال : ثم اضطرب واصطكت لهاؤه وصار مغشياً عليه . وأخذ يتلوّى  
 كالحية . قال : فلما سمع معاوية كلامه وإنشاده ، قال : تعدّى ابن الحكم  
 في حدود الدين وظلم واجترأ على حُرْمِ المسلمين . ثم قال : لقد أتيتني يا  
 أعراي بحديث لم أسمع بمثله قط . ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب إلى مروان  
 ابن الحكم كتاباً يقول فيه : أنه قد بلغني أنك تعدّيت على رعيتك في حدود  
 الدين . وينبغي لمن كان والياً أن يكفّ بصره عن شهواتِهِ ويزجرَ نفسه عن

لذاته ، ثم كتب بعده كلاماً طويلاً اختصرته ، وأنشد يقول :

وَلَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا لَسْتُ تُدْرِكُهُ	فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ مِنْ فَعْلِي أَمْرِي زَانِي
وَقَدْ أَنَا الْفَتَى الْمُسْكِينُ مُتَجَبِّأً	يَشْكُو إِلَيْنَا بَيْتٌ ثُمَّ أَحْزَانِ
أَعْطَى الْإِلَٰهَ يَمِينًا لَا يَكْفُرُهَا	شَيْءٌ ، وَأَبْرَأُ مِنْ دِينِي وَإِيمَانِي
إِنْ أَنْتَ خَالَفْتَنِي فِيمَا كُتِبَ بِهِ	لَأَجْعَلَنَّكَ لِحْمًا بَيْنَ عِقْبَانِ
طَلَّقْ سَعَادَ وَعَجَّلْهَا مُجَهَّزَةً	مَعَ الْكُمَيْتِ وَمَعَ نَصْرِ بْنِ ذِيانِ

ثم طوى الكتاب وطبعه واستدعى بالكُميت ونصر بن ذيان ، وكان يستنهضهما في المهمات لأمانتهما ، فأخذ الكتاب وسارا حتى قدما المدينة ، فدخلوا على مروان بن الحكم ، وسلموا عليه ، وسلموا إليه الكتاب ، وأعلماه بصورة الحال ، فصار مروان يقرأ ويكي ، ثم قام إلى سعاد وأعلمها ، ولم يسعه مخالفة معاوية ، فطلقها بمحضر الكُميت ونصر بن ذيان ، وجهزهما وصحبتهما سعاد . ثم كتب مروان كتاباً يقول فيه هذه الأبيات :

لَا تَعْجَلَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ	أَوْفَى بِتَدْرِكِي فِي سِرٍّ وَإِعْلَانِ
وَمَا أَنْتُ حَرَامًا حِينَ أَعْجَبَنِي	فَكَيْفَ أَدْعَى بِاسْمِ الْخَائِنِ الزَّانِي ؟
أَعْنُرْ ، فَإِنَّكَ لَوْ أَبْصَرْتَهَا لَجَرَّتْ	فِيكَ الْأَمَانِي عَلَى تَمَثُّلِ إِنْسَانِ
فَسَوْفَ يَأْتِيكَ شَمْسٌ لَيْسَ يَدْرِكُهَا	عِنْدَ الْخَلِيفَةِ مِنْ إِنْسٍ وَمِنْ جَانِ

ثم ختم الكتاب ودفعه إلى الرسولين ، وسارا حتى وصلا إلى معاوية وسلموا إليه الكتاب فقرأه وقال : لقد أحسن في الطاعة وأطرب في ذكر الجارية . ثم أمر بإحضارها فلما رآها رأى صورة حسنة لم ير أحسن منها ولا مثلها في الحسن والجمال والقدر والاعتدال ، فخطبها فوجدها فصيحة اللسان حسنة البيان ، فقال : عليّ بالأعرابي . فأُتِيَ به وهو في غاية من تغيير الحال ، فقال : يا أعرابي ! هل لك عنها من سلوة وأعوّضك عنها ثلاث جوارٍ نهْدٍ أبكار ، كأنهنّ الأقمار ، مع كل جارية ألف دينار ، وأقسم

لك في بيت المال كلّ سنة ما يكفيك وما يغنيك .

قال : فلما سمع الأعرابي كلام معاوية شهق شهقةً ظنّ معاوية أنه مات بها فقال له معاوية : ما بالكَ بشرُّ بالٍ ، وسوء حال ؟

فقال الأعرابي : استجرت بعدلك من جور ابن الحكم ، فبمن أستجير من جوركَ وأنشد يقول :

لا تجعلني . فذاك الله من ملك      كالمستجير من الرمضاء بالنار  
أردد سعاد على حيران مكتئب      يُمسي ويُصبح في همٍّ وتذكارٍ  
أطلق وثاقى ، ولا تبخل عليّ بها      فإن فعلتْ فلاي غير كفّارٍ

ثم قال : يا أمير المؤمنين ، لو أعطيتني الخلافة ما أخذتها دون سعاد . وأنشد يقول :

أبى القلبُ إلا حُبُّ سَعْدَى ، وبَغِضَتْ      إليّ نساءٌ ، ما لهنّ ذنوبُ

فقال له معاوية : إنك مُعَرِّبٌ بأنك طَلَّقْتَهَا . ومروانُ مُعَرِّبٌ بأنّه طَلَّقَهَا . ونحنُ نُخَيِّرُهَا ، فإن اختارتْ سواكَ تزوّجناها ، وإن اختارتْكَ حوّلناها إليك . قال : افعل .

فقال : ما تقولين يا سَعْدَى ، أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ . أميرُ المؤمنينَ في عزّه وشرفه وقصوره وسلطانِه وأمواله وما أبصرته عنده . أو مروانُ بنُ الحكمِ في تَعَسُّفه وجوره . أو هذا الأعرابي في جُوعه وفقره . فأنشدت تقول :

هذا ، وإن كان في جوعٍ وأضرارٍ      أعزُّ عندي من قومي ومن جاري  
وصاحبِ التاجِ . أو مروانَ عامِلَه      وكلُّ ذي درهمٍ عندي ودينارٍ

ثم قالت : والله يا أمير المؤمنين ، ما أنا بخاذلة لحادثة الزمان ، ولا لغدّراتِ الأيام ، وإنّ له صحبةً قديمةً لا تُنسى ، وحبّةً لا تبلى ، وأنا

أحقُّ من يصبر معه في الضراء كما تنقمتُ معه في السراء .  
فتعجب معاوية من عقلها ومودتها له ، وموافاتها ، فدفع لها عشرة  
آلاف درهم ، ودفع مثلها للأعرابي وأخذها وانصرف .

### الأجوبة الهاشمية

ومن ثمرات الأوراق عن الأجوبة الهاشمية وبلاغتها في المحل الرفيع ،  
فن أجل ذلك أنه اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص ، رضي الله عنه ،  
والوليد بن عُقبة ، وعُتْبة بن أبي سفيان ، والمغيرة بن شُعبة ، فقالوا : يا  
أمير المؤمنين ، ابعث إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما ، يحضر لدينا ،  
قال لهم : ولم ؟ قالوا : كي نوبِّخه ونُعرفه أن أباه قتل عثمان . فقال لهم  
معاوية : إنكم لن تطيقوه ولن تنتصفوا منه<sup>١</sup> ، ولا تقولوا له شيئاً إلا  
كذبكم ، ولا يقول لكم ببلاغته شيئاً إلا صدقه الناس . فقالوا : أرسل  
إليه فإننا نكفيه .

فأرسل له معاوية ، فلما حضر قال : يا حسن ! إني لم أرسل  
إليك ، ولكن هؤلاء أرسلوا إليك ، فاسمع مقالتهم .

فقال الحسن رضي الله عنه : فليتكلموا ونحن نسمع .

فقام عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه . فحمد الله وأثنى عليه .  
ثم قال : يا حسن ، هل تعلم أن أباك أولُ من أثار الفتنة وطلب المُلْك .  
فكيف رأيتَ صنعَ الله تعالى به ؟

ثم قام الوليد بن عُقبة فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا بني  
هاشم ! كنتم أصهارَ عثمان بن عفان ، فنعم الصهرُ كان لكم لقربه من

١ انتصف منه : انتقم منه .



رسول الله ﷺ ، يقرّبكم ويُفَضِّلُكم . ثم بغيتم عليه وقتلتموه ، وقد أردنا قتلَ أبيك فأنقذنا الله منه . ولو قتلناه ما كان علينا ذنب .

ثم قام عتبة بن أبي سفيان فقال : يا حسن . إن أباك قد تعدّى على عثمانَ فقتله حسداً على المُلْكِ والدنيا . فسلبها الله منه . ولقد أردنا قتلَ أبيك ، حتى قتله الله تعالى .

ثم قام المغيرة بنُ شعبة . وقال كلاماً سباً لعليٍّ وتعظيمًا لعثمان .

فقام الحسن ، رضي الله عنه . فحمد الله وأثنى عليه . وقال : بك أبدأ يا معاوية ! لم يشتمني هؤلاء ولكن أنت تشتمني بغضاً وعداوةً وخلافاً لجذتي رسول الله ﷺ . ثم التفت إلى الناس . وقال : أنشدكم الله إن الذي شتمه هؤلاء أما كان أبي ، وهو أولُ من آمن بالله وصلى إلى القيلتين ، وأنت يا معاوية كافرٌ تُشرك بالله ؟ وكان مع أبي لواء النبي ﷺ يوم بدر . ولواء المُشركين مع معاوية ؛ ثم قال : أنشدكم الله تعالى ، أما كان معاوية يكتب لجذتي ﷺ . فأرسل إليه يوماً فرجع الرسولُ . وقال : هو يأكل . فردَّ إليه الرسولُ ثلاثَ مراتٍ ، كل ذلك يقولُ هو يأكلُ فقال النبي ﷺ : لا أشبع الله بطنه . يا معاوية ! أما تعرفُ ذلك من بطنك ؟ ثم قال : وأنشدكم الله أما تعلمون أن معاوية كان يقودُ بأبيه . وهو على جمل . وأخوه هذا يسوقه ؟ فقال رسول الله ﷺ ما قال . وأنت تعلم ذلك . هذا كله لك يا معاوية .

وأما أنت يا عمرو . فقد تنازعك خمسةٌ من قريش . فغلب عليك شبه الأهم . وهو أقلُّهم حسباً وأسوأهم منصباً . ثم قت وسط قريش فقلت : إي شانيء محمدٌ بثلاثين بيتاً من الشعر . فقال النبي ﷺ : اللهم اني لا أحسن الشعر . اللهم العن عمرو بن العاص بكل بيتٍ لعنة . ثم انطلقت إلى النجاشي ساء عملت وعلمت . فكذبك وردك خائباً . فأنت عدوُّ بني هاشم في الجاهلية والإسلام . فلا نلومك على بُغضك الآن .

وأما أنت يا ابنَ أبي مُعَيْطٍ فكيفَ نلومُكَ على سُبُكَ لابي ، وقد  
جلدكَ أبي في الحمرِ ثمانينَ جلدةً ، وقتلَ أباك صبراً بأمرِ جدِّي ، وقتله  
جدِّي بأمرِ ربي ، ولمّا قدّمه للقتل قال : مَنْ للصَّبيّةِ بعدي يا محمد ؟ فقال  
جدِّي : لهم النار . فلم يكن لهم عند جدِّي غيرُ النار ، ولم يكن لهم عند  
أبي غيرُ السَّوطِ والسيف .

وأما أنت يا عُبّة فكيفَ تُعيبُ أحداً بالقتل ولا تُعيبُ نفسَكَ . فلم لا  
قتلتَ الذي وَجدته على فراشِكَ مضاجعاً لزوجتك ؟ ثم أمسكها بعد أن  
بغت .

وأما أنت يا أعورُ ثقيف ، ففي أي شيءٍ تسبُّ عليّاً ؟ أبي بُعْدِهِ من  
رسول الله ﷺ . أم لحكمٍ جائِرٍ في رعيّته في الدنيا ؟ فإن قلتَ في شيءٍ  
من ذلك كذبتَ وكذبتُكَ الناس ، وإن زعمتَ أنَّ عليّاً قتلَ عثمانَ فقد  
كذبتَ وكذبتُكَ الناسُ ، وإنّما مثْلُكَ كمثْلُ بعوضةٍ وقعت على نخلةٍ فقالت  
لها : استمسكي فإني أريد أن أطير . فقالت لها النخلة : ما علمتُ  
بوقوعِكَ فكيفَ يَشْتُقُّ عليّ طيرائِكَ ؟ فكيف يا أعور ثقيف يشقُّ علينا  
سُبُكَ ؟ .

ثم نَفَضَ ثيابه وقام . فقال لهم معاوية : ألم أقل لكم : لا تنتصفوا  
منه . فوالله لقد أظلمَ عليّ البيت حتى قام .

### معاوية والحسن

وروي أن معاوية رضي الله عنه ، خرج عاماً حاجّاً . فَرَّ بالمدينة ففرَّق  
على أهلها أموالاً جزيلة . ولم يحضر الحسن بن عليّ رضي الله تعالى عنها .  
فلَمَّا حضَرَ قال له معاوية : مرحباً . مرحباً برجلٍ تركنا حتى نَقَدَ ما عندنا  
وتعرَّضَ لنا لبيحلتنا ؟

فقال الحسن رضي الله عنه : كيف بنفد ما عندك ، وخراج الدنيا  
يجمي إليك ؟

فقال له معاوية : قد أمرت لك ببئس ما أمرت به لأهل المدينة ، وأنا  
ابن هند .

فقال الحسن : قد ردّدته عليك ، وأنا ابن فاطمة الزهراء رضي الله  
عنها .

قيل : إن معاوية رضي الله عنه ، جلس يوماً بين أصحابه ، إذ  
أقبلت قافلتان من البرية ، فقال لبعض من كان بين يديه : انظروا هؤلاء  
القوم واتنوني بأخبارهم . فوضوا وعادوا وقالوا : يا أمير المؤمنين . إحداها  
من اليمن والأخرى من قريش . فقال : ارجعوا إليهم وادعوا قريشاً  
يأتونا ، وأما أهل اليمن فيزولون في أماكنهم إلى أن نأذن لهم في الدخول .

### معاوية والطرماح بن الحكم

فلما دخلت قريش سلم عليهم وقربهم وقال : أتدرون يا أهل قريش  
لِمَ أخّرت أهل اليمن وقربنكم ؟ قالوا : لا والله يا أمير المؤمنين . قال :  
لأنهم لم يزلوا يتطاولون علينا بالفخار ويقولون ما ليس فيهم ، وإني أريد  
إذا دخلوا غداً وأخذوا أماكنهم من الجلوس أن أقوم فيهم نذيراً وألقي عليهم  
من المسائل ما أقلُّ به إكرامهم وأرخص به مقامهم ، فإذا دخلوا وأخذوا  
أماكنهم من الجلوس وسألوا عن شيء فلا يُجيبهم أحدٌ غيري .

قال الراوي : وكان المقدّم عليهم رجلاً يقال له الطرماح بن الحكم  
الباهلي ، فأقبل على أصحابه ، وقال : أتدرون يا أهل اليمن لِمَ أخّركم  
ابن هند وقدم قريشاً ؟ قالوا : لا . قال : لأنه في غداة غدٍ يقوم فيكم  
نذيراً ويلقي عليكم من المسائل ما يقلُّ به إكرامكم ويُرخص به مقامكم ،



قال الطَّرْمَاح : نحن يا معاوية .

قال : ولمَ ذلك ؟

قال : لأن امرأ القيس بن حُجر الكندي مَنّا قال في بعض قصائده :

يُطعمون الناس غِبًّا في السَّنينِ المُمَحِّلَاتِ  
في جِفافٍ كالخَوَاصِي وقُدُورٍ راسِيَاتِ

وقد تكلمم بالفاظٍ جاء مثلها في القرآن ، وشهد له رسول الله ﷺ بذلك .

قال : فسكت معاوية زماناً وقال : أيها الناس ، من أقوى العرب شجاعةً وذكرًا ومن شُهد له بذلك ؟

قال الطَّرْمَاح : نحن يا معاوية .

قال : ولمَ ذلك ؟

قال : لأن مَنّا عمرو بن معديكرب الزبيدي ، كان فارساً في الجاهلية وفارساً في الإسلام وشهد له بذلك النبي ﷺ .

فقال له معاوية : وأين أنت وقد أُنيّ به مصفداً بالحديد ؟

فقال له الطَّرْمَاح : ومن أنى به ؟

قال معاوية : أنى به عليّ .

قال الطَّرْمَاح : والله لو عرفت مقداره لسلمتُ إليه الخلافةَ ولا طمعتُ فيها أبداً .

فقال له معاوية : أتحنّني يا عجوزَ البسنِ ؟

قال : نعم أحبُّك يا عجوزَ مُصَرٍّ لأن عجوزَ اليَمَنِ بلفيسُ آمنتُ بالله ، وتزوجت بنِيّه سليمان بن داود ، عليها السلام ، وعجوزَ مُصَرٍّ

جَدُّكَ الَّتِي قَالَ اللَّهُ فِي حَقِّهَا : ﴿وَأَمَّا رَأْتُهُ حَمَلَةَ الْحَطَبِ فِي جَيْدِهَا حَبْلٌ  
مِنْ مَسَدٍ﴾<sup>١</sup> .

قال : فسكت معاوية زماناً ثم رفع رأسه وقال : جزاك الله خيراً من  
صاحبٍ ووفَّرَ عقلَكَ وَرَجَمَ سَلَفَكَ وأعطاه وأحسن إليه ، انتهى .

### معاوية والأحنف بن قيس

قال الراوي : وخطب معاوية يوماً فقال : أيها الناس إن الله تعالى  
قال : ﴿وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾<sup>٢</sup> ،  
فعلام تلوموني إذا قصرت عنكم في عطاياكم ؟

فقال له الأحنف بن قيس : إِنَّا وَاللَّهِ مَا نُلْوِمُكَ فِيمَا فِي خَزَائِنِ اللَّهِ ،  
ولكن وضعتَ يدك على ما أنزل الله من خزائنه فجعلته في خزائنيك وحلَّتْ  
بيتنا وبينه .

### معاوية وسودة الأسدية

ومما يروى عن الشعبي قال : استأذنت سودة بنت عُمارَةَ بن الأسد  
على معاوية بن أبي سفيان ، فأذن لها . فلما دخلت عليه قال لها : يا بنتَ  
الأسد أَلَسْتَ القَائِلَةَ :

شَمَّرْ كَفْعَلْ أَيْبِكَ يَا ابْنَ عُمارَةَ	يَوْمَ الطِّعَانِ وَمَلَّتْنِي الْأَقْرَانِ
وَانْصَرَّ عَلَيَّا وَالْحُسَيْنَ وَرَهْطَهُ	وَأَقْعُدْ لِهِنْدٍ وَابْنِهَا بَهْوَانِ
إِنَّ الْإِمَامَ أَخَا النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ	عَلَّمَ الْهُدَى وَمَنَارَةَ الْإِيمَانِ

١ سورة الذهب ٤ .

٢ سورة الحجر ٢١ .

وقد الجيوش وسرَّ أمامَ لوائه وارم بأبيض صارمٍ وسنانٍ

قالت : بلى يا معاوية . وما مثلي من رَغِبَ عن الحقِّ واعتذر .

قال : فما حملك على ذلك ؟

قالت : حبُّ عليٍّ واتباعُ الحقِّ .

قال : والله ما أرى عليك من أثر عليٍّ شيئاً .

قالت : أنشدك الله يا معاوية ! لا تذكر ما مضى .

قال : هيهات ! وما مثلك . ومقامُ أخيك يُسيئني . وما لقيت من

أخيك .

قالت : صدقت يا معاوية . لم يكن أخِي ذميمَ المقام . ولا خبيئاً .

وهو والله كقول الحسناء :

وإنَّ صخراً لتأتمَّ الهداةُ به كأنه علمٌ في رأسه نائرٌ

وأنا أسألك يا معاوية إعفائك مما استغفبت به .

قال : قد فعلتُ ، فما حاجتك ؟

قالت : يا معاوية . إنك أصبحت للناس سيِّداً ولأموارهم والياً .

والله سائلُك عن أمرنا . وما افترضَ عليك من حقٍّ . ولا تراك تُقدِّم عيب

من يَمُرُّك ويبطشُ بسُلطانك . ويخصدنا حصد السُّبُل . ويدرسنا درس

العُصْفُر . ويسومنا الخسف . وبسلبنا الحيل . هذا ابن أوطاة قدم علينا

فقتل رجالنا وأخذ مالي . ولولا الطاعة لكان فينا عزٌّ ومَنعة . فإما عزائمه .

فشكرناك ، وإما أقرَّره ففرَّناك .

فقال لها : أيقولُك تهذِّبيني ؟ هممت أن أحملك على قُب جمل

١ ولا خبيئاً : أي أنه غير معروف .

أشرسَ وأسيرك إليه لينفذَ فيك أمره .

فأصْرقت وبكت وأنشدت تقول :

صَلَّى الإلهُ على روحِ نَضْمَتِهَا      قَبِرُ فَأَصْبَحَ فِيهِ الْحَقُّ مَدْفُونَا  
قد حالف الحقُّ لا يبغي به بدلاً      فصار بالحقِّ والإيمانِ مقرونا

قال : ومن ذاك ؟

قالت : أميرُ المؤمنين عليُّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وجهه .

قال : ولم ؟

قالت : أتيتُه في رجلٍ ولأه علينا . ولم يكن بيننا وبينه إلَّا كما بين  
الغثِّ والسمين . فوجدته قائماً يصلي . فلَمَّا نظر إليَّ انفلت من صلاته .  
ثم قال برأفةٍ ورحمةٍ : أَلَيْكَ حاجةٌ ؟ فأخبرتهُ فبكى . ثم قال : اللَّهُمَّ اشهد  
عليَّ وعليهم أَنِّي لم أولِهِم وآمرهم بظلمٍ خلَقِكَ ولا بتركِ حقِّكَ . ثم أخرج  
من جيبه قطعةً من جلدٍ كهيفةٍ طَرَفَ الجواب فكتب فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم . قد جاءكم بينةٌ من ربِّكم . فأوفوا الكيلَ  
والميزانَ ولا تبخسوا الناسَ أشياءَهم . ولا تَغْتَووا في الأرضِ مُفْسِدِينَ بَقِيَّتُ  
الله خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بخفيظ . إذا قرأت كتابي هذا  
فاحتفظ بما في يديك حتى يقدم عليك من يقبضه منك . والسلام .

فأخذته منه وأوصلته إليه فامتثل ورجع عما كان فيه .

فقال معاوية : أكتبوا لها بردَ ما لها والعدل في حالها .

فقالت : ألي خاصةٌ أم لي ولقومي ؟

قال : بل لك .

قالت : إذا الفحشاء واللؤم . هي والله إما عدلاً شاملاً . وإلا فأنا

كسائر قومي . قال : اكتبوا لها بخاجتها هي وقومها .



## معاوية وميسون الكلية

ولمّا اتصلت ميسون بنت بحدل بمعاوية رضي الله عنه . ونقلها من البدو إلى الشام كانت تُكثّر الحنينَ على ناسيها والتذكر لمسقطِ رأسها . فاستمع عليها ذات يومٍ فسمعها تُنشد وتقول :

لَيْتُ نَخْفُقُ الأرواحُ فيه	أحبُّ إليَّ من قصرٍ مُنيفٍ
وأكلُ كُسيرةٍ في كسرِ بيتي	أحبُّ إليَّ من أكلِ الرغيفِ
وأصواتُ الرياحِ بكلِّ فجٍ	أحبُّ إليَّ من نقرِ الدفوفِ
ولبسُ عباءةٍ وتقرُّ عيني	أحبُّ إليَّ من لبسِ الشُفوفِ
وكلبُ ينبعِ الطَّرَاقِ حولي	أحبُّ إليَّ من قطِّ ألوفِ
وبكرُ يتبعُ الأظعانَ صعبٌ	أحبُّ إليَّ من بغلِ زُفوفِ
وخرقٌ من بني عمي نحيفٌ	أحبُّ إليَّ من عِلجٍ عَنيفِ

قال الراوي : فلما سمع معاوية الأبيات قال : ما رضيت ابنةً بحدلٍ حتى جعلتني عِلجاً عَنيفاً .

## ملك فارس واليوم الواعظ له

حكاية أجنبية عن المقام . يُحكى أن بهراماً لما ولي المُلْك بعد أبيه .

- ١ أرادت بالبيت : خيمة البدو . الأرواح : جمع ربح ، الرياح . المنيف : العالي .
- ٢ الشفوف : الثياب الرقيقة الواحد شف .
- ٣ البكر : الفتى من الإبل . الأظعان ، الواحدة ظعنة : المرأة ما دامت في المودج . الزفوف : المسرع .
- ٤ المحرق : الكريم . الطلج : الصلب الشديد من حُمُر الوحش . العنيف : الذي يُعامل بشدة .

أقبل على اللهو واللذات والتترّه والصيد . لا يفكر في ملكه ولا في رعيته حتى خرجت البلاد عن يده وخربت في أيامه وقلت العمارة وخلت بيوت الأموال . فلما كان في بعض الأيام ركب إلى بعض منازلهم وصيده . وهو يسير نحو المدائن . وكانت ليلة مقلّمة ، فدعا بالمؤبدان . وهو عند الخوص كحماخام عند اليهود والقسيس عند النصارى ، لأمر خطر بياله فجعل يخادته فتوسط في سيرهما بين خرابات كانت من أمهات الضياع قد خربت في مدة ملكه لا أنيس فيها إلا البوم . وإذا بيوم يصبح وصاحبته تجاوبه من تلك الخرابات ، فقال بهرام : أترى أن أحداً من الناس أعطي فهم لغة هذا الطائر المصوت في الليل البهيم ؟

فقال المؤبدان : أيها الملك ، أنا ممن خصّه الله بذلك .

قال : فما يقول هذا الطائر وما يقول الطائر الآخر ؟

فقال المؤبدان : هذا يوم ذكر يخطب بومة ويقول لها : متعيني بنفسك حتى يخرج من بيتنا أولاد يسبحون الله ويبقى لنا في هذا العالم عقب يُكثرون الترحم علينا . فأجابت : أن الذي تدعوتني إليه لي فيه الخط الأكبر والنصيب الأوفر في العاجل والآجل إلا أنني أشرط عليك خيصالاً إن أعطيتها اجبتك إلى ذلك .

فقال لها الذكر : وما تطلبينه مني ؟

قالت : أن تعطيني من خرابات أمهات الضياع عشرين قرية مما خربت في أيام هذا الملك السعيد .

فقال له الملك : فما الذي قال لها الذكر ؟

قال المؤبدان : كان من قوله لها إن دامت أيام هذا الملك السعيد قطعك منها ألف قرية خراب . فما تصنعين بها ؟

قالت : في اجتماعنا يحصل ظهور النسل وكثرة الذكر . فنقطع لكل

ولدٍ من أولادنا ضيعةً من هذه الخرابات .

فقال لها الذكر : هذا أسهل أمر سألتني . وأنا مليء بذلك ما حيي هذا الملك .

فلما سمع الكلام من الموبدان تأثر في نفسه واستيقظ من نومه وفكر فيما خُوطب به فترل من ساعته ونزل بنزوله الناسُ وخلا بالموبدان ، فقال : أيها القائم بأمر الدين الناصح للملك والمنبّه له عما أغفله من أمور ملكه وإضاعة بلاده ورعيته . ما هذا الكلام الذي خاطبني به فقد حركت مني ما كان ساكناً .

فقال الموبدان : صادفتُ من الملك السعيد وقتَ سعدِ العبادِ والبلادِ فجعلت الكلامَ مثلاً وموعظةً على لسان الطائر عند سؤال الملكِ إياي عما سأل .

فقال له الملك : أيها الناصح . اكشف لي عن هذا الغرض . ما المراد منه ؟

فقال : أيها الملك . إن الأمر لا يتم إلا بالشرعة والقيامِ لله بطاعته ولا قوامٌ للشرعة إلا بالملك ولا عزٌّ للملك إلا بالرجال . ولا قوام للرجال إلا بالمال ، ولا سبيل للمال إلا بالتجارة . ولا سبيل للتجارة إلا بالعدل . وهو الميزان المنصوب بين الخليفة . نصبه الرب ، جلّ وعلا . وجعل له قَبْلاً ، وهو الملك .

فقال الملك : أمّا ما وصفت فحقّ فأبين لي عما إله تقصد وأوضح لي في البيان .

قال : نعم أيها الملك ، إنك عمدت إلى الضياع فأقطعها الخدمَ وأهل البطالة فعدوا إلى ما تعجل من غلاتها فاستعجلوا المنفعة وتركوا التجارة والنظر في العواقب وما يصلح الضياع . وسومحوا في الخراج لقربهم من

الملك . ووقع الحَيف على الرعية وعجز الضياع . فأنجلوا عن ضياعهم .  
وقلت الأموال وهلك الجنود والرعية وطمع في ملك فارس من أطاف بها  
من الملوك والأمم لعلمهم بانقطاع المواد التي بسببها تستقيم دعائم الملك .  
فلما سمع الملك ذلك أقام في موضعه ثلاثة أيام وأحضر الوزراء  
والكتاب وأرباب الدواوين فانتزعت الضياع من أيدي الخاصة والحاشية  
ورُدَّتْ إلى أربابها وحُمِلوا على رسومهم السالفة وأخذوا في العزاة وقوي  
من ضَعُفَ منهم فقُمِرَت البلاد بذلك وأخصبت وكثرت الأموال عند الجباة  
وقويت الجنود وانقطعت مواد الأعداء وأقبل الملك يباشر الأمور بنفسه  
فحَسُنَتْ سيرته وانتظم مُلكه حتى كانت أيامه بعده تُدعى بالأعياد مما عمَّ  
الناس من الخصبِ وشملهم من العدل .

### العاشق ذو المروءة

حكاية أخرى أجنبية . حكى عن الأصمعي أنه قال : دخلت البصرة  
أريد بادية بني سعد . وكان على البصرة يومئذ خالد بن عبد الله القسري .  
فدخلت عليه يوماً فوجدت قوماً متعلقين بشاب ذي جلال وكمال وأدب  
ظاهر . بوجه زاهر حسن الصورة طبيبِ الرَّاحَةِ جميلِ البَرَةِ . عليه سَكِينَةٌ  
ووقارٌ . فقدموه إلى خالد فسألهم عن قَدِّهِ فقالوا : هذا لَصْرٌ أصبناه  
البارحة في منازلنا . فنظر إليه فأعجبه حسنُ هيئته ونظافته . فقال : خلّوا  
عنه . ثم أدناه منه وسأله عن قصته . فقال : إن القول ما قالوه والأمر  
على ما ذكروه .

فقال له : ما حملك على ذلك وأنت في هيئة جميلة وصورة حسنة ؟  
قال : حملني الشرُّ في الدنيا . وبذا قضى الله سبحانه وتعالى .  
فقال له خالد : ثكلتك أمك . أما كان لك في جلال وجهك وكمال

عقلك وحسن أدبك زاجرٌ لك عن السرقة .

قال : دُع عنك هذا أيها الأمير . وانفذ ما أمرك الله تعالى به .  
فذلك بما كسبت يداي . وما الله بظلامٍ للعبيد .

فسكت خالد ساعة يفكر في أمر الفتى ثم أدناه منه وقال له : إن  
اعترافك على رؤوس الأشهاد قد رابني وأنا ما أظنك سارقاً . وإن لك  
قصةً غير السرقة فاحبرني بها .

فقال : أيها الأمير . لا يقع في نفسك سوى ما اعترفت به عندك .  
وليس لي قصة أشرحها لك إلا أنني دخلت دار هؤلاء فسرقت منها مالا  
فأدركوني وأخذوه مني وحملوني إليك .

فأمر خالد بحبسه وأمر منادياً ينادي في البصرة : ألا من أحب أن ينظر  
إلى عقوبة فلان اللص وقطع يده فليحضر من الغد .

فلما استقرّ الفتى في الحبس ووضِعَ في رجليه الحديدُ نفَسَ  
الصُّعْداء . ثم أنشأ يقول :

هَدَدَنِي خَالِدٌ بِقَطْعِ يَدِي      إِنَّ لَمْ أُبْعِ عَنْدهُ بِقَصَّتِهَا  
فَقُلْتُ : هِيَاتِ أَنْ أَبُوحَ بِمَا      نَضَمَنْ الْقَلْبُ مِنْ مَحَبَّتِهَا  
قَطَعُ يَدِي بِالَّذِي اعْتَرَفْتُ بِهِ      أَهْوُنُ لِلْقَلْبِ مِنْ فَضِيحَتِهَا

فسمعه الموكلون به فأتوا خالداً وأخبروه بذلك . فلما جنَّ الليلُ أمر  
بإحضاره عنده . فلما حضر استنطقه فراه أديباً عاقلاً ليلاً طريفاً فُعِجِبَ به  
فأمر له بطعام فأكلا وتحادثا ساعة . ثم قال له خالد : قد علمتُ أن لك  
قصةً غير السرقة . فإذا كان عدا وحضر الناس والقضاة وسألتك عن  
السرقة فانكرها واذكر فيها شبهات تدرأ عنك المقطع . فقد قال رسول الله  
ﷺ : « ادعوا الحدود بالشبهات » .

ثم أمر به إلى السجن . فلما أصبح الناس لم يبق بالبصرة رجلٌ ولا امرأةٌ إلا حضر ليرى عقوبة ذلك الفتى . وركب خالدٌ ومعه وجوهُ أهلِ البصرة وغيرهم . ثم دعا بالقضاة وأمر بإحضار الفتى . فأقبل يجلسُ في قيوده . ولم يبقَ أحدٌ من النساء إلا بكى عليه وارتفعت أصواتُ النساء بالبكاء والنحيب . فأمر بتسكين الناس . ثم قال له خالد : إن هؤلاء القوم يزعمون أنك دخلت دارهم وسرقت ما لهم فما تقول ؟

قال : صدقوا أيها الأمير ، دخلت دارهم وسرقت ما لهم .

قال خالد : لعلك سرقت دون النصاب .

قال : بل سرقت نصاباً كاملاً .

قال : فلعلك سرقت من غير حرزٍ ؟ مثله ؟

قال : بل من حرزٍ مثله .

قال : فلعلك شريكُ القوم في شيء منه ؟

قال : بل هو جميعه لهم لا حقَّ لي فيه .

فغضب خالد وقام إليه بنفسه وضربه على وجهه بالسوط . وقال متملاً بهذا البيت :

يريدُ المرءُ أن يُعطيَ مناهُ ويأبى الله إلا ما أرادا

ثم دعا بالجلاد ليقطع يده . فحضر وأخرج السكين . ومدَّ يده ووضع عليها السكين . فبرزت جارية من صفِّ النساء عليها آثار وسخ . فصرخت ورمت بنفسها عليه . ثم أسفرت عن وجهه كأنه البدر وارتفع للناس ضجة عظيمة كد أن تقع منها فتنة . ثم نادى بأعلى صوتها :

١ يجلس : يقف على الرجلين معاً .

٢ الحرز : كل ما يحرز أي يحفظ ويجمع .

إليه رقعةً فَنَشَأُهَا خَالِدٌ فَإِذَا هِيَ مَكْتُوبٌ فِيهَا :

أَخَالِدُ هَذَا مَسْتَهَامٌ مَتِينٌ رَمْتَهُ لِحَاطِي مِنْ قُسِيِّ الْحَمَالِقِ  
فَأَصَاهُ سَهْمٌ اللَّحْظِ مِنْ قَلْبِهِ حَلِيفُ الْجَوَى مِنْ دَائِهِ غَيْرُ فَاتِقٍ  
أَقْرَبُ بِنَا لَمْ يَقْتَرِفْهُ لِأَنَّهُ رَأَى ذَاكَ خَيْرًا مِنْ هُنَيْكَةِ عَاشِقٍ  
فَهَلَّا عَلَى الصَّبِّ الْكَثِيبِ لِأَنَّهُ كَرِيمُ السَّجَايَا فِي الْهَوَى غَيْرُ سَارِقٍ

فَلَمَّا قَرَأَ الْآيَاتِ تَنَحَّى وَانْعَزَلَ عَنِ النَّاسِ وَأَحْضَرَ الْمَرْأَةَ . ثُمَّ سَأَلَهَا عَنِ الْقِصَّةِ ، فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّ هَذَا الْفَتَى عَاشَقَ لَهَا وَهِيَ لَهُ كَذَلِكَ ، وَأَنَّهُ أَرَادَ زِيَارَتَهَا وَأَنْ يَعْلَمَهَا بِمَكَانِهِ ، فَرَمَى بِحَجَرٍ إِلَى الدَّارِ ، فَسَمِعَ أَبُوهَا وَاخْوَتَهَا صَوْتَ الْحَجَرِ ، فَصَعِدُوا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِمْ جَمَعَ قِمَاشَ الْبَيْتِ كُلِّهِ وَجَعَلَهُ صَرَّةً ، فَأَخَذُوهُ وَقَالُوا : هَذَا سَارِقٌ وَأَتَا بِهِ إِلَيْكَ فَاعْتَرَفَ بِالسَّرْقَةِ وَأَصْرَّ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى لَا يَفْضُخَنِي بَيْنَ اخْوَتِي ، وَهَانَ عَلَيْهِ قَطْعُ يَدِهِ لَكِي يَسْتَرِ عَلَيَّ وَلَا يَفْضُخَنِي . كُلُّ ذَلِكَ لَغَزَارَةِ مَرْوَةِهُ وَكِرَمِ نَفْسِهِ .

فَقَالَ خَالِدٌ : إِنَّهُ خَلِيقٌ بِذَلِكَ .

ثُمَّ اسْتَدْعَى الْفَتَى إِلَيْهِ وَقَبَّلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ أَبِي الْجَارِيَةِ وَقَالَ لَهُ : يَا شَيْخُ إِنَّا كُنَّا عَزَمْنَا عَلَى إِنْغَازِ الْحُكْمِ فِي هَذَا الْفَتَى بِالْقَطْعِ . وَإِنْ اللَّهُ عَصَمَهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ لِبَذْلِهِ بَدَهُ وَحِفْظِهِ لِعَرْضِكَ وَعَرْضِ ابْنَتِكَ وَصِيَانَتِهِ لَكُمَا مِنَ الْعَارِ . وَقَدْ أَمَرْتُ لِابْنَتِكَ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَأَنَا أَسْأَلُكَ أَنْ تَأْذَنَ لِي فِي تَزْوِيجِهَا مِنْهُ .

فَقَالَ الشَّيْخُ : قَدْ أَذْنَتُ أَبُوهَا لِامِيرٍ بِذَلِكَ .

قَالَ : فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَخَطَبَ خُطْبَةً حَسَنَةً وَقَالَ لِلْفَتَى : قَدْ

١ الحمالق ، الواحد حملاق : باطن جفن العين .

٢ أحماه : رماه فقتله . غير فائق : أرادت غير مُفِيقٍ ، وَلَا تَوَدِّي فائق هذا المعنى .

وقلّره عشرة آلاف درهم .

فقال الفتى : قبلتُ منك هذا التزويج .

وأمرُ بعمل المال إلى دار الفتى مزفوفاً في الصواني . وانصرف الناس مسرورين ولم يبقَ أحد في سوق البصرة إلا ثر عليها اللوز والسكر حتى دخلوا منزلها مسرورين مزفوفين .

قال الأصمعي : فما رأيت يوماً أعجب منه أوله بكاء ونرح وآخره سرور وفرح .

### جعفر بن سليمان والعاشقان

وهذه حكاية تشابه ما تقدّم . قال حمّاد الراوية : كنت عند جعفر بن سليمان بالبصرة إذ أتني بشاب حسن الوجه ، ومعه جارية كأنها قضيب بان . فقال صاحب الشرطة : أصلح الله الأمير ، إني وجدت هذا وهذه مجتمعين في خلوة وليس لها بمحرم .

فقال جعفر للفتى : ما تقول ؟

فقال : صدق ولقد طال والله غرامي بها منذ ثلاث سنين والله ما أمكنني الخلوة بها إلا في هذا الوقت ، وأنشد يقول :

تَمَتَّيتُ من ربي أفوز بقربها      فلَمَّا تَبَيَّأ لي المُنَى عاقَهُ العُسرُ  
فوالله بل والله ما كان ربيّةً      وما كان إلّا اللفظُ والصِّحْكُ والبُشرُ  
فلونكم جَلْدِي ولا تُجلِّسوها      فكم من حَرَامٍ كان من دونه سِرُّ

قال : فجعلت الجارية تبكي بكاءً شديداً فقال لها : وأنتِ لِمَ

تبكين ؟



فقلت : والله شفقة مما حلَّ بنا وكيف احتلتُ حتى خرجتُ وكيف  
بُلينا بهذه البلية ؟

قال : أُنحِيتِه ؟

قلت : فلمَ عَرَّرتُ بنفسِي ؟

قال لها : أنتِ حرّةٌ أم مملوكة ؟

قلت : بل مملوكة .

فأمرها فدخلت الدار وأحضر مولاهما فاشتراها منه بمائتي دينار وأعتقها  
وزوّجها الفتى ووهب له مائة دينار وكساها . فأنشد الفتى يقول :

لقد جُدتَ يا ابن الأكرمين بنعمةٍ      جمعتَ بها بين المُجِيبين في سِرِّ  
فلا زلتَ بالإحسانِ كهفًا وملجأً      وقد جُلَّ ما قد كان منك عن الشكرِ

قال : فضحك وأمر لها بجائزة وانصرفا مسرورين .

## في أيام دولة عبد الملك بن مروان

وهو أول من تسمّى عبد الملك في الإسلام . وكان يُلقَّب برَشع الحجر<sup>١</sup> . ذكره في حياة الحيوان .

وذكر محمد بن واسع الهيثمي أن عبد الملك بن مروان بعث كتاباً إلى الحجاج بن يوسف يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . إلى الحجاج بن يوسف . إذا ورد عليك كتابي هذا وقرأته فسير لي ثلاث جوار مولدات نَهْدٍ أبكارٍ يكون إليهنّ المنتهى في الجمال . واكتب لي بصفة كل واحدة منهنّ ومبلغ ثمنها في المال .

فلَمَّا ورد الكتاب على الحجاج دعا بالثَّخَّاسين<sup>٢</sup> . ثم أمرهم بما أمر به أمير المؤمنين . وأمرهم أن يغوصوا في البلاد حتى يفتقروا على الغرض . فلم يزالوا من بلد إلى بلد ومن إقليم إلى إقليم حتى وقعوا على الغرض . ورجعوا إلى الحجاج بثلاث جوارٍ نهد أبكارٍ مولدات ليس لهنّ مثيل .

وكان الحجاج فصيحاً . فجعل ينظر إلى كل واحدة منهنّ وثمنها من المال . فوجدهنّ لا يُعَوْن بقيمة . وأنّ ثمنهنّ ثمن واحدةٍ منهنّ . ثم كتب كتاباً

١ لُقَّب عبد الملك برشح الحجارة لئلا يخله ( ابن الأثير ) .

٢ النهد : الواحدة ناهد : وهي المرأة التي انتهر ثديها . المولدات : المولودات بين العرب .

٣ الثخاسون . الواحدة نخاس : تاجر الرقيق .

إلى عبد الملك بن مروان يقول فيه : بعد الثناء الجميل وصلني كتاب أمير المؤمنين ، متعني الله تعالى ببقائه ، يأمر فيه أن أشتري له ثلاثَ جوار مولدات نهد أبكار ، وأن أكتب له بصفة كل واحدة منهنّ وثمنها . أمّا الجارية الأولى ، أطال الله بقاء أمير المؤمنين ، فإنها لطيفة السوالف ، عظيمة الروادف<sup>١</sup> ، كحلاء العينين ، حمراء الوجنتين ، قد نهّد نهذاها والتف فخذها ، كأنها ذهب شيب<sup>٢</sup> بفضّة ، وهي كما قيل :

بيضاء في طرفها دَعَجٌ يزَيُّبها كأنها فضّة قد شابها ذهب<sup>٣</sup>

وثمنها يا أمير المؤمنين ، ثلاثون ألفَ درهم .

وأما الجارية الثانية فإنها فائقة في الجمال معتدلة القدّ والكمال يشني السقيم كلامها الرخيم ، وثمنها يا أمير المؤمنين ، ثلاثون ألفَ درهم .

وأما الجارية الثالثة ، فإنها فاترة الطرف لطيفة الكاف عظيمة الردف شاكرة للقليل مساعدة للخليل ، بديعة الجمال ، كأنها خشف<sup>٤</sup> غزال ، وثمنها يا أمير المؤمنين ، ثمانون ألفَ درهم .

ثم أطب في الشكر والثناء على أمير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا بالنخاسين وقال : تجهزوا للسفر بهؤلاء الجوّاري لأمير المؤمنين هـ .

فقال أحد النخاسين : أيّد الله الأمير : إني رجل كبير وضعيف عن السفر ولي ولد ينوب عني فتأذن لي أن أجهزه ؟

قال : نعم .

فتجهزوا وخرجوا فقي بعض مسيرهم نزلوا ليستريحوا في بعض الأماكن

١ السوالف ، الواحدة سالفة : صفحة العتق . الروادف : الاعجاز .

٢ شيب ، مجهول شاب : خطط .

٣ الدّعج ، بفتح العين ، وسكّن مراعاة لوزن الشعر : شدة سواد العين مع سعتها .

٤ الخشف : ولد الغزال أول ما يولد .

فنامت الجوّاري فهبت ريح فانكشفت إحداهن . وهي الكوفيّة فظهر نور  
ساطع وكان اسمها مكتوم . فنظر إليها ابن النخاس . وكان شاباً جميلاً  
ففتن بها لساعته . فأناها على غفلة من أصحابه وجعل يقول :

أمكنوم عيني لا تَمَلّ من البكا      وقلبي بأسهام الأسى يترشّق  
مكنوم ! كم من عاشق قتل الهوى      وقلبي رهين كيف لا أتعشّق ؟

فأجابته تقول :

لو كان حقاً ما تقول لزرتنا      ليلاً ، إذا هجعت عيون الحسد

فلما جنّ الليل . انقضّ ابن النخاس بسيفه وأتى نحو الجارية فوجدها  
قائمة تنتظر قدومه ، فأخذها وأراد الهرب بها ففطن به أصحابه فأخذوه  
وكفّفوه وأوثقوه بالحديد ولم يزل مأسوراً معهم إلى أن قدموا على عبد  
الملك .

فلما قدموا بالجوّاري بين يديه ، أخذ الكتاب وفتح وقرأه فوجد الصفة  
موافقة في اثنتين ولم توافق في الثالثة . ورأى بوجهها صفرة ، وهي الجارية  
الكوفيّة ، فقال للنخاسين : ما بال هذه الجارية لم توافق الصفة التي ذكرها  
الحجاج في كتابه ، وما هذا الإصرار الذي بها ، وهذا النحول ؟

فقالوا : يا أمير المؤمنين . نقول وعلينا الأمان .

قال : إن صدقتم أمتم ، وإن كذبتهم هلكتم .

فخرج أحد النخاسين وأتى بالفتى . وهو مصفّد بالحديد ، فلما قدّمه  
بين يدي أمير المؤمنين وأخبروه بما فعل بكى بكاء شديداً وأيقن بالعذاب ثم  
أنشأ يقول :

أمير المؤمنين أتيتُ رغماً      وقد شدّت إلى عُنِّي يدَيّ  
مُقيراً بالقبيحِ وسوء فعلي      ولست بما رُميتُ به برياً

فإن تقتل فوق القتل ذنبي وإن تغف فمن جود علياً

فقال له عبد الملك : يا فتى ما حملك على ما فعلت ؟ أستخفاً بنا أم هوى للجارية ؟

فقال : وحقك يا أمير المؤمنين . وعظيم قدرك . ما هو إلا هوى للجارية .

فقال : هي لك بما أعدت لها .

فأخذ الغلام الجارية بكل ما أعدت لها أمير المؤمنين من الحلى والجواهر وسار بها فرحاً مسروراً حتى إذا كانا ببعض الطريق نزلا منزلاً ليلاً فتعانقا . فلما أصبح الصباح وأراد الناس الرحيل ، نهوهما فوجدتا ميتين . فبكو عليهما ودفنوهما في الطريق . ومضى خبرهما إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فبكى عليهما وتعجب من ذلك .

### شجرة العروسين

وهذه حكاية تشابهها في العشق . حكى عن عبد الله بن معمر القيسي أنه قال : حججت سنة إلى بيت الله الحرام ، فلما قضيتُ حجتى عدت لزيارة قبر النبي ﷺ ، فبينما أنا ذات ليلة جالس بين القبر والروضة إذ سمعت أنيناً عالياً وحيناً بادياً . فأنصتُ إليه . فإذا هو يقول هذه الأبيات :

أشجاك نوحُ حائمٍ السدرِ      فأهجنُ منك بلابلَ الصدرِ  
أم عزَّ نومك ذكرُ غانيةٍ      أهدت إليك وساوسَ الفكرِ

١ الجان ، الواحدة جانة : اللؤلؤ .

٢ شجاك : أحزنك . السدر : شجر النبق . البلابل : شدة الغموم . الواحد بلبل .

٣ عز نومك : غلبه .

يا ليلة طالت على دَنَفٍ يشكو الغَرامَ وقَلَّةَ الصبرِ  
 أسلمت من بهوى الحرِّ جَوَى متوقِّدٍ كتنوِّدِ الجمرِ  
 فالبدْر يشهدُ أنني كَلِفْتُ مغرى نحب شبيهةِ البدرِ  
 ما كنتُ أحسبُني بها شَجِنًا حتى يُليتُ وكنتُ لا أدري

قال : ثم انقطع الصوت ولم أدرِ من أين جاءني فبقيت حائرًا . وإذا به قد أعاد البكاء والحنين وأنشأ يقول هذه الأبيات :

أشجأك من رُبَّا خيالٍ زائرٍ والليلُ مسودُّ النوائبِ عاكِرُ  
 واقتادَ مقلَّتكَ الهوى برسيسهٍ واحتاجَ مقلَّتكَ الخيالُ الزاهرُ  
 ناديتُ ليلي . والظلامُ كأنه يَمُّ تلاطمٍ فيه موجُ زاهرُ  
 والبدْرُ يسري في السماء كأنه ملك ترحل . والنجومُ عساكرُ  
 يا ليل ! طُلْتَ على محبٍّ ما لهُ إلَّا الصباحُ مساعدُ وموازِرُ  
 فأجابني : مت حَتَفَ أنفِكَ واعلَمَنُ أن الهوى هو الهوانُ الحاضرُ

قال : فتهضت عند ابتدائه الأبيات أوُمُ الصوتَ فما انتهى لآخر الأبياتِ إلَّا وأنا عنده ، فرأيتُ غلاماً ما سال عذاره . وقد خرقَ الدمعُ وجنتيه خرقين . فقلت : نَعِمْتَ غلاماً !

فقال : وأنت . فمن الرجل ؟

قلت : عبدالله بن معمر القيسي .

قال : أفلك حاجة ؟

قلت له : كنت جالساً في الروضة ، فما راعني في هذه الليلة إلَّا صوتُك فبنفسي أفديك ، ما الذي نجدُه ؟

١ العاكر : ضد الصافي .

٢ رسيس الحب : أوله .

قال : اجلس ! فجلست . قال : أنا عتبة بن الحُجَّاب بن المنذر بن  
 الجموح الأنصاري . غلوت إلى مسجد الأخراب فبقيت راجعاً وساجداً  
 ثم اعتزلت غير بعيد ، فإذا بنسوة يتهادين كالأقمار . وفي وسطهنَّ جاريةٌ  
 بديعة الجمال كاملة الملاحه فوقَّت عليّ . وقالت : يا عتبة . ما تقول في  
 وصل من يضربُ وصلك ؟ ثم تركني وذهبت فلم أسمع لها خبراً ولا وقَّت  
 لها على أثر . فأنا حيران أتقلُّ من مكان إلى مكان .

ثم صرخ وانكبُّ على الأرض مغشياً عليه . ثم أفاق كأنما صُبَّت  
 ديباجتنا خديه بورسٍ ثم أنشد يقول هذه الأبيات :

أراكم بقلبي من بلاد بعيدة      تُراكم تُروني بالقلوب على بُعد  
 فؤادي وطرفي بأسفانٍ عليكم      وعندكم روحي وذكركم عندي  
 ولستُ ألدُّ العيشَ حتى أراكم      ولو كنت في الفردوس أوجتُ الخلد

قال . فقلت له : يا ابن أخي ثبَّ إلى ربِّك واستقلَّ من ذنبك .  
 فإن بين يديك هولَ المُطلَّع .<sup>١</sup>

فقال : هيهات ما أنا بسائرٍ حتى يثوبَ القارطان .<sup>٢</sup>

ولم أزل به حتى طلع الفجر . فقلت : قم بنا إلى مسجد الأخراب ،  
 فقمنا إليه فجلسنا حتى صلينا الظهر . وإذا بنسوة قد أقبلن وأما الجارية  
 فليست فيهنَّ . فقلن : يا عتبة ما ظنَّك بطالبة وصلك وكاشفة ما بك ؟  
 قال : وما بالها قلن : أخذها أبوها وارتحل إلى السماوة . فسألتهنَّ على  
 الجارية فقلن : هي ربنا بنت الخطريف السلمي . فرفع رأسه وأنشأ يقول :

١ الورس : نبات كالسمسم يصيغ به صباغاً أصفر .

٢ هولَ المُطلَّع : خوف الموقف يوم القيامة .

٣ من أمثال العرب في الغائب لا يُرجى إيايه . والقارطان رجلان من غزاة ذهابا يمينان  
 القرظ . وهو شجر بديع ويصيح بورقه ونثره . فقفاً ، يقول هنا إنه لا يسلو حتى  
 يعود القارطان . أي أنه لن يسلو أبداً .

خليلي ! ربيأ قد أجدُّ بكورها      وسار إلى أرض السماوة غيرها  
خليلي ! إني قد عيّت عن البكا      فهل عند غيري عبرة أستعيرها ؟

قلت له : يا عتبة إني وردت بمال جزيل أريد به أهل السَّتر .  
ووالله لأبذلته أمامك حتى تبلغ رضاك وفوق الرضا . قم بنا إلى مسجد  
الأنصار . فقمنا حتى أشرفنا على مائهم فسلمت فأحسنوا الردَّ ثم قلت :  
أيها الملأ ، ما تقولون في عتبة وأبيه ؟ قالوا : من سادات العرب . قلت :  
فإنه رُمي بداهية من الهوى فأريد منكم المساعدة إلى السماوة . قالوا : سمعاً  
وطاعة .

وركبنا وركب القوم معنا حتى أشرفنا على منازل بني سُليم فأعلم  
الغطريف بمكاننا فخرج مبادراً واستقبلنا وقال : حَيِّتُم يا كرام ! قلنا :  
وأنت حَيِّت ، إِنَّا لك أضيافُ ، فقال : نزلتم بأكرم منزل .

ثم نادى : يا معشرَ العبيد انزلوا . فترلتِ العبيدُ فُرشَتِ الأنطاع  
والتَّمارقُ<sup>١</sup> ودُجِحتِ الثَّعمُ والغنم . فقلنا : لسنَّا بذائقين طعامك حتى تقضي  
حاجتنا . قال : وما حاجتُكم ؟ قلنا : نخطب ابنتك الكريمة لعتبة بن  
الحَبَّاب بن المنذر العالي الفخر الطَّيِّب العنصر . فقال : يا أخي إن التي  
تخطبونها أمرها إلى نفسها ، وأنا أدخلُ وأخبرها .

ثم نهض مغضباً ودخل إلى ربيأ فقالت : يا أبتى ! ما لي أرى الغضب  
بين عينيكَ ؟ فقال : ورد عليَّ قوم من الأنصار يخطبونك مني . فقالت :  
سادات كرام استغفر لهم النبي ﷺ فلمن الخطبة فيهم ؟ قال : لفنى يُعرف  
بعتبة بن الحَبَّاب . قالت : سمعت عن عتبة هذا أنه بني بما وعد ويدرك ما  
طلب . قال : أقسمت لا أزواجك به أبداً فقد نَمَى إليَّ بعضُ حديثك

١ الأنطاع . الواحد نطع : بساط من جلد . التمارق . الواحدة تمرقة : الوسادة  
الصغيرة يتكأ عليها .



معه . قالت : ما كان ذلك ؟ قال : ولكن أقسمت أني ما أزوجه .  
قالت : أحسن إليهم فإن الأنصار لا يردون ردًا قبيحاً ، فأحسن الرد .  
قال : بأي شيء ؟ قالت : أغلظ عليهم المهر فإنهم يرجعون . قال : ما  
أحسن ما قلت .

ثم خرج مبادراً . فقال : إن فتاة الحي قد أجابت ولكن أريد لها مهر  
مثلها . فمن القائم به ؟

قال عبد الله فقلت : أنا !

فقال : أريد لها ألف سوار من ذهب أحمر . وخمسة آلاف درهم  
من ضرب هجر . ومائة ثوب من الأبراد والحجر . وخمسة أكرشة من  
لعبير .

قال قلت : لك ذلك . فهل أجبت ؟

قال : أجل .

فأنفذ عبد الله نفرًا من الأنصار إلى المدينة المنورة فأتوا بجميع ما ضمنه  
وذهبت الثعم والغنم . واجتمع الناس لأكل الطعام . قال : فأقنا على هذا  
الحال أربعين يوماً . ثم قال : خذوا فتاتكم فحملناها على هودج وجهزها  
بثلاثين راحلة من التحف ثم ودّعنا وانصرف . وسرنا حتى إذا بقي بيننا وبين  
المدينة المنورة مرحلة خرجت علينا خيل تريد الغارة . وأحسب أنها من بني  
سليم . فحمل عليها عتبة بن الحباب فقتل عدة رجال وانخرف راجعاً وبه  
طعنة . ثم سقط إلى الأرض . وأتتنا الثصرة من سكّان تلك الأرض  
فطردوا عنا الخيل . وقد قضى عتبة نحبه . فقلنا : واعتباه ! فسمعتنا  
الجارية نقول واعتباه . فألقت نفسها من فوق البعير وانكّت عليه وجعلت  
تصيح وتقول بحرقه :

١ الأكرشة . الواحد كرش : الوعاء من الطيب .

تَصَيَّرْتُ لَا أَنِّي صَبَرْتُ . وَإِنَّمَا أُعْلَلْتُ نَفْسِي أَنَّهَا بَكَ لَاحِقَةً  
 وَلَوْ أَنْصَفْتُ رُوحِي لَكَانَتْ . إِلَى الرَّدَى أَمَامَكَ مِنْ دُونِ الْبَرِيَّةِ . سَابِقَةً  
 فَمَا أَحَدٌ بَعْدِي وَبَعْدَكَ مَنْصَفٌ خَلِيلًا . وَلَا نَفْسٌ لِنَفْسٍ مُوَافِقَةً

ثُمَّ شَهَقَتْ شَهَقَةً قَضَتْ نَحْبَهَا . وَاحْتَضَرْنَا لَهَا قَبْرًا وَاحِدًا وَوَارَيْنَاهُمَا فِي  
 التُّرَابِ . وَرَجَعْتُ إِلَى دِيَارِ قَوْمِي وَأَقَمْتُ سَبْعَ سِنِينَ . ثُمَّ عُدْتُ إِلَى الْحِجَازِ  
 وَوَرَدْتُ الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ لِلزِّيَارَةِ فَقُلْتُ : لِأَعُودَنَّ إِلَى قَبْرِ عَتَبَةَ . فَأَتَيْتُ إِلَى  
 الْقَبْرِ . فَإِذَا شَجَرَةٌ عَلَيْهَا عَصَائِبُ حُمْرٍ وَصَفَرٍ وَخَضَرٍ . فَقُلْتُ لِأَرْبَابِ  
 الْمَنْزِلِ : مَا يَقَالُ لِهَذِهِ الشَّجَرَةِ ؟ فَقَالُوا : شَجَرَةُ الْعُرُوسِينَ . فَأَقَمْتُ عِنْدَ  
 الْقَبْرِ يَوْمًا وَلَيْلَةً وَانْصَرَفْتُ وَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ .

### العاشق الكئوم

وَمِثْلُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْعَشْقِ وَمَا وَرَدَ فِي كِتَابِ الْهَوَى مَعَ تَحَقُّقِ النَّظَرِ عِنْدَ  
 إِعْلَانِهِ . مَا حُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْمَعْرُومِينَ مِنْ ذَوِي الْيَتِيمِ قَالَ : بَيْنَمَا أَنَا فِي  
 مَتَرِي إِذْ دَخَلَ عَلَيَّ خَادِمٌ لِي وَمَعَهُ كِتَابٌ . فَقَالَ : رَجُلٌ بِالْبَابِ دَفَعَ إِلَيَّ هَذَا  
 الْكِتَابَ فَفَتَحْتُهُ فَإِذَا فِيهِ :

تَجَنَّبِكَ الْبَلَاءُ . وَنَلْتَ خَيْرًا وَنَجَاكَ الْمَلِكُ مِنَ الْغُمُومِ  
 فَعِنْدَكَ . لَوْ مَنَنْتَ . شَفَاءُ نَفْسِي وَأَعْضَاءُ ضَمِيرِي مِنَ الْكُلُومِ

فَقُلْتُ : عَاشِقٌ وَاللَّهِ . وَقُلْتُ لِلْخَادِمِ : أَخْرِجْ وَائْتَنِي بِهِ . فَخَرَجَ فَلَمْ  
 يَرِ أَحَدًا فَمَجِيتُ مِنْ أَمْرِهِ وَأَحْضَرْتُ الْجَوَارِي كُلَّهُنَّ مِنْ يَخْرُجُ مِنْهُنَّ وَمَنْ لَمْ  
 يَخْرُجْ مِنْهُنَّ وَسَأَلْتُهُنَّ عَنْ ذَلِكَ فَحَلَفْنَ أَنَّهُنَّ لَا يَعْرِفْنَ مِنْ حَدِيثِ هَذَا  
 الْكِتَابِ شَيْئًا . فَقُلْتُ : إِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ بِخَلَاءِ بَنِي يَهُوَى مِنْكُمْ . فَمَنْ  
 عَرَفَ بِخَالِ هَذَا الْفَتَى . فَهِيَ هَبَّةٌ مِنِّي لَهُ بِسَالِحِهَا وَمِائَةِ دِينَارٍ .

وكسبت جوابه أشكره على ذلك وأسأله قبولها ووضعت الكتاب في جنب البيت ومائة دينار . وقلت : من عرف شيئاً فليأخذه . فكث الكتاب والذهب أياماً لا يأخذه أحد ، فغمّني ذلك ، وقلت : هذا قنعٌ ممن يحبه بالنظر . فنتعت من يخرج من جوارِي من الخروج . فما كان إلّا يوماً أو بعض يوم إذ دخل عليّ الخادم ومعه كتاب . وقال هذا من بعض أصدقائك بعث به إليك . فقلت : اخرج واثنني به . فخرج فلم يجدّه ففتحت الكتاب فإذا فيه :

ماذا أتيت إلى روحٍ معلقةٍ	عند التراقي . وحادي الموت حاديا
حسنتَ حاديا ظلماً . فجداً بها	في السير حتى تخلت عن تراقيا
والله لو قيل لي : تأتي بفاحشةٍ	وإن عقباك دُنيانا وما فيها
لقلتُ : لا والذي أخشى عقوبته	ولا بأضعافها ما كنتُ آتيا
لولا الحياءُ لبحتنا بالذي سكنت	بيت الفؤاد وأبدينا أمانيا

قال : فغمّني أمره فقلت للخادم : لا يأتيتك أحدٌ بكتابٍ إلّا قبضت عليه . قال : وقرب موسم الحج . قال : فينما أنا قد أفضت من عرفة ، وإذا فتى إلى جانبي على ناقةٍ لم يبقَ منه إلّا الخيال ، فسلم عليّ فرددت عليه السلام ورحبت به . فقال : أنعرفني ؟ فقلت : وما أنكرُك بسوء . فقال : أنا صاحب الكتانين . فانكبت عليه فقلت له : يا أخي لقد غمّني أمرُك وأقلقني كتمانك لنفسك ووهبت لك طلبك ومائة دينار . فقال : بارك الله لك إنما أتيتك مستحلاً من نظرك كنتُ أنظره على غير حكم الكتاب والسنة . فقلت : غفر الله لك وللجارية فسر معي إلى منزلي لأسلمها إليك ومائة دينار مثلها في كل سنة . فقال : لا حاجة لي بذلك . فألححتُ عليه فلم يعمل . فقلت له : أما إذا أتيت فعرّفتني من هي من جوارِي لأكرمها من أجلك ما حييت . فقال : ما كنت لأسميها لأحد . وودّعني وانصرف وكان آخر العهد به . انتهى .

## تولية الحجاج للعراق

ونعود إلى الكلام على ما وقع في زمان عبد الملك بن مروان . روي أنه لما ولي الحجاج الحرمين الشريفين حظي عنده إبراهيم بن محمد بن طلحة فلما أراد الحجاج الرجوع إلى الشام إلى عبد الملك بن مروان . وفد معه إبراهيم بن محمد بن طلحة وقال : أتيتك برجل الحجاز في الشرف والأبوة والفضل والمروءة يا أمير المؤمنين ، مع ما هو عليه من حسن الطاعة وجميل المناصحة . والله لم يكن في الحجاز له نظير . فبالله عليك يا أمير المؤمنين . إلا فعلت معه من الخير ما هو مستحقه ؟

فقال عبد الملك : من هو يا أبا محمد ؟

قال له : إبراهيم بن محمد بن طلحة .

قال : يا أبا محمد لقد ذكرتنا بحق واجب ائذن له في الدخول .

فلما دخل على عبد الملك أمر بجلوسه في صدر المجلس ثم قال : إن أبا محمد الحجاج ذكر لنا ما نعرفه من كمال مروءتك وحسن نصيحتك . فلا تدع في صدرك حاجة إلا أعلمتنا بها حتى نقضيها لك ولا نضيع شكر أبي محمد الحجاج فيك .

قال إبراهيم : إن الحاجة التي ينبغي بها وجه الله تعالى والتقرب إلى النبي ﷺ في القيامة نصيحة أمير المؤمنين . قال : قل !

قال : لا أقولها وبينك ثالث .

قال : ولا صديقك الحجاج ؟

قال : لا .

قال : قم .

فقام خجلاً وهو لا يعرف أين تطأ رجله . فلما مضى قال له : هات نصيحتك .

فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين . وليت الحجاج الحرمين الشريفين وفيهما من تعرف من أولاد المهاجرين والأنصار وصحابة رسول الله ﷺ مع ما تعلمه من ظلمه وفسقه وجوره وبُعده من الحق وقربه إلى الباطل . يسومهم الخسف ويطوهم بالعسف . فليت شعري أيُّ جواب أعدته لرسول الله ﷺ . إذا سألك الله في عرصات القيامة عن ذلك ؟ فبالله عليك يا أمير المؤمنين . إلا عزلته وأدّخرتها قربةً إلى الله تعالى .

فقال عبد الملك : لقد ظنَّ الحجاج الخير بغير أهله . ثم قال : يا إبراهيم ! قم .

فقامت على أنحس حال وخرجت من المجلس . وقد اسودَّت الدنيا في وجهي فتبعني حاجبه وقبض على زندي وجلس بي في الدهليز . ثم دعا عبد الملك بالحجاج . فدخل فكث طويلاً فما شككت إلا أنها يتشاوران في قتلي . ثم دعاني فقامت ودخلت فوافاني الحجاج خارجاً معانقي ، وقال : جزاك الله عني خيراً في هذه النصيحة . أما والله لئن عشتُ لأرفعنَّ قدرك .

وتركني وخرج ودخلت وأنا أقول : بهزأ بي ، وهو معذور . فدخلت على عبد الملك فأجلسنني مجلسي الأول ثم قال لي : قد علمت صدقت وقد عزَّله عن الحرمين ووليته العراق وأعلمته أنك استقلت له الحجاز

واستدعيتُ له العراقَ . وأنتك تطلبُ له الزيادةَ في الأعمالِ وهو يظنُ أنك  
السببُ في توليته العراقَ . وقد تهلَّلَ وجهه فرحاً لذلك ، فسُرَّ معه أينما  
توجَّهَ يُؤلِّكُ خيراً . ولا تقطعْ نصيحتك عَنَّا والله أعلم .

### كيف ولد الحجاج

وفي مروج الذهب للمسعودي وشرح البسيرة وغيرهما . أن أم الحجاج  
ابن يوسف وهي الفارعة بنت همام . ولدته مشوهاً لا دبرَ له فَتَقَبَّ دبرُهُ .  
وأبى أن يقبلَ ثدي أمه وغيرها فأعياهم أمره . فيقال : إن الشيطانَ تصوَّرَ  
لهم في صورة الحرث بن كلدة ، فقال : ما خبركم ؟ فقالوا : ولد ليوسف  
الثقفي من الفارعة ولد وقد أبى أن يقبلَ ثدي أمه فقال : اذبحوا له نيساً  
أسود والعقوه دمه ثم اذبحوا له أسوداً سالخاً ، وأولغوه من دمه واطلوا به  
وجهه ثلاثة أيام ففعلوا فقبلَ الثدي في اليوم الرابع فكان لا يصبر عن سفك  
الدم وارتكاب أمور لا يقدر عليها غيره . انتهى .

---

١ أسود سالخاً حية ذكرأ سلخت جلدتها .

## الحجاج والأعرابي

وحكي أن الحجاج انفرد يوماً من عسكره فلقى أعرابياً فقال له : يا وجه العرب ، كيف الحجاج ؟ فقال : ظالم غاشم . قال : هلاً شكوتهُ إلى عبد الملك بن مروان ؟ قال : أظلم وأغشم عليها لعنة الله .

فبينما هو كذلك إذ تلاحقت به عساكره فعلم الأعرابي أنه الحجاج فقال الأعرابي : أيها الأمير السرّ الذي بيني وبينك لا يطلع عليه أحد إلا الله .

فتبسّم الحجاج وأحسن إليه وانصرف .

## الحجاج والفتى المحدث

وذكر أهل التواريخ أن الحجاج بن يوسف الثقفي سهر ليلة وعنده جماعة منهم خالد بن عرفطة فقال : يا خالد اتني بمُحدّث من المسجد . والناس إذ ذاك يطلبون المقام في المسجد . فأنتهى إلى شاب قائم يصلي فجلس حتى سلّم ثم قال : أجب الأمير . قال : أبعثك الأمير إليّ قاصداً .

قال : نعم فضى معه حتى انتهى إلى الباب فقال له خالد : كيف أنت ومحادثة الأمير .

قال : سيجلني كما يحب إن شاء الله تعالى .

فلما دخل عليه قال له الحجاج : هل قرأت القرآن ؟ .

قال : نعم وقد حفظته .

قال : فهل زروي شيئاً من الشعر .

قال : وما من شاعر إلا وأروي عنه ؟

قال : فهل تعرف من أنساب العرب ووقائعها ؟

قال : لا يذهب عني شيء من ذلك .

فلم يزل يحدثه بكل ما أحب حتى إذا همَّ بالانصراف ، قال : يا خالد ، مرَّ للفتى يبرفون وغلّام ووصيفةٍ وأربعة آلاف درهم .

فقال الفتى : أصلح الله الأمير بقي من حديثي أطرفه وأعجبه فأعاده الحجاج إلى مجلسه وقال : حدثني .

فقال : أصلح الله الأمير هلك والدي وأنا طفل صغير فنشأت في حجر عمي وله ابنة بستي ، وكان في التصابي من الصبا وما كُنّا فيه أعجوبة ، حتى إذا بلغت وبلغتُ تنافس الخطّاب فيها ويدلّوا فيها أموالاً لجمالها وكمالها . فلما رأيت ذلك خامرني السقم . وضئيت ورُميت على الفراش ثم عمدت إلى خابية عظيمة فلأتها رملأً وصخرأً وقُبرت رأسها ودفنتها تحت فراشي ، فلما تمَّ على ذلك أيام بعثت إلى عمّي فقلت : يا عمي ، إني كنت أريد السفر فوقعت على مال عظيم وخفت أن أموتَ ولا يعلمه أحد فإن حدث بي أمر فأخرجه وأعتق عني عشرَ نسائمٍ واحجج عني عشر حجج ، وجهز عني عشر رجالاً بخيولهم وأسلحتهم ، وتصدّق عني بألف دينار ، ولا تبالِ يا عم ! فإن المال كثيرُ .

فلما سمع عمّي مقالتي أتى امرأته فأخبرها بقولي فما كان بأسرع من أن أقبلت بجواربها حتى دخلت عليّ فوضعت يدها على رأسي ثم قالت : والله



يا ابن أخي ما علمت بسقمك وما حلّ بك حتى أخبرني أبو فلان الساعة .  
وأقبلت تلاطفي وتعالجني بالأدوية وحملت لي لطائف . وردّت الخطاب  
عن ابنتها ، فلما رأيت ذلك تحملت ثم بعثت إلى عمي أن الله عزّ وجلّ قد  
أحسن إليّ وعافاني فابتغى لي جارية من خصالها وكملها كبت وكبت . ولا  
يسألونك شيئاً إلا أعطيتّه . فقال : يا ابن أخي ما يمنعك من ابنة عمك ؟  
فقلتُ : هي من أعزّ خلق الله تعالى عليّ غير أبيّ قد خطبتها قبل ذلك  
فامتنعت .

قال : كلا ، إن الامتناع كان من قبل أمها . وهي الآن قد سمحت  
ورضيت بذلك .

فقلت : شأنك .

فرجع إلى امرأته فأخبرها بقولي ، فجمعت عشرينها فزوجوني إياها  
فقلت : عجل عليّ بابنة عمي كيف شئت ثم أريك الحايبة . فأهديت  
إليّ ، ولم تدع شيئاً يُصنع بأشرف النساء إلا فعلته . ثم زفّت ابنتها عليّ  
وأحضرتها بكل ما وجدت إليه سبيلاً ، وأخذ عمّي متاعاً من التجار بعشرة  
آلاف درهم ، وكان يأتينا في كل صباح من قبل أبويها لطائف ونحف  
مدة . فلما كان بعد ذلك بأيام أتاني عمّي وقال : يا ابن أخي ، إنّنا قد  
أخذنا من التجار متاعاً بعشرة آلاف درهم ، وليسوا صابرين على حبس  
الثلثين .

قلت : شأنك والحايبة .

فرّ مسرعاً حتى جاء بالرجال والحبال فاستخرجها وحملها ، ومَرَّ  
مسرعاً بها إلى منزله ، فلمّا فتحها كان فيها ما علمت ، فما كان بأسرع من  
أن جاءت أمّها بجواربها فلم تدع في منزلي كثيراً ولا قليلاً إلا حملته ، فبقيت  
مهاناً على الأرض وجفّتنا كلّ الجفء ، فهذا حالي ، أصلح الله الأمير . فأنّا

من خجلي وضيق صدري آوي إلى المساجد .

فقال الحجاج : يا خالد . مرّ للفتى بباب ديباج وفرس أرمنية وجارية وبرذون و غلام وعشرة آلاف درهم . وقال : يا فتى اغدُ إلى خالد غداً حتى تستوفي منه المال .

فخرج الفتى من عند الحجاج ، قال : فلما انتهيت إلى باب دارى سمعت ابنة عمى تقول : ليت شعري ما أبطأ بابن عمى ، أقتل أم مات أم عرض له سبع ؟

قال . فدخلت عليها وقلت : يا ابنة عمى أبشري وقرى عيناً فإني أدخلت على الحجاج فكان من القصة كيت وكيت . وحكى لها ما كان من أمرى . فلما سمعت الفتاة مقالتي لطمت وجهها وصاحت ، فسمع أبوها وأمها وأخواتها صراخها فدخلوا عليها وقالوا لها : ما شأنك ؟ فقالت لأبيها : لا وصل الله رحمك ولا جزاك عني وعن ابن أخيك خيراً جفونه وضيعته حتى أصابته الحقة وذهب عقله اسمع مقالته .

فقال العم : يا ابن أخي ما حالك ؟

فقلت : والله ما بي من بأس إلا أتي دخلت على الحجاج وذكر له من أمره ما كان وأنه أمر له بمال جزيل .

فقال العم لما سمع مقالته : هذه مرة صفراء نائرة فباتوا يحرسونه تلك الليلة فلما أصبحوا بعثوا إلى المعالج فجعل يعالجه ويُسعِطه مرة ويسهله أخرى ، فيقول انفسى : والله ما بي من بأس وإنما أدخلت على الحجاج فكان كيت وكيت . فلما رأى الفتى أن ذكر الحجاج لا يزيده إلا بلاء كفت عنه وعن ذكره ثم قال له : ما تقول في الحجاج ؟ قال : ما رأيته . ثم خرج المعالج فقال لهم قد ذهب عنه الأذى ولكن لا تعجلوا بخلع قبده فبقي الفتى مقيداً مغلولاً .

فلَمَّا كان بعد أيام ذكره الحجاج فقال : يا خالد ما فعل الفتى ؟  
 فقال : أصلح الله الأمير ما رأيته منذ خرج من حضيرة الأمير .  
 قال : فابعث إليه أحداً .  
 قال ، فبعث إليه خالد حرسياً . فَرَّ الحرسى على عم الفتى فقال له :  
 ما فعل ابن أخيك ؟ فإن الحجاج يطلبه .  
 قال : إن ابن أخى لنى شغل عن الحجاج قد ابتلى ببلاء في عقله .  
 قال : لا أدري ما تقول . لا بدّ من الذهاب به الساعة .  
 فدخل عليه العم فقال : يا ابن أخى . إن الحجاج قد بعث في طلبك  
 أفأحلك ؟ قال : لا ، إلا بين يديه .  
 فحمل في قيوده وغلّه على ظهور الرجال حتى أدخل على الحجاج .  
 فلما نظره من بعد جعل يرحّب به حتى انتهى إليه فكشف قيده وغلّه  
 وقال : أصلح الله الأمير ، إن آخر أمرى أعجب من أوله . وحدّثه بحديثه  
 فعجب الحجاج وقال : يا خالد . أضعف للفتى ما كنّا قد أمرنا له .  
 فقبض المال أجمع وحسن حاله ولم يزل مسامراً للحجاج حتى مات .

### الأعرابي وحلوى الحجاج

وحضر أعرابى عند الحجاج فقَدَّم الطعام فأكل الناس منه ثم قُدِّمَت  
 الحلوى فترك الحجاج الأعرابي حتى أكل منها لقمة ثم قال : من أكل من  
 الحلوى ضربت عنقه ، فامتنع الناس من أكلها وبقي الأعرابي ينظر إلى  
 الحجاج مرة وإلى الحلوى مرة ثم قال : أيها الأمير أوصيك بأولادي خيراً .  
 ثم اندفع يأكل فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه وأمر له بصلة .

## عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ الْآدَبَ

وحكى أن الحجاج أمر صاحب حراسته أن يطوف بالليل فمن وجده بعد العشاء ضرب عنقه . فطاف ليلة فوجد ثلاثة صبيان يتمايلون وعليهم أثر الشراب . فأحاط بهم وقال لهم : من أنتم حتى خالفتم الأمير ؟ فقال الأول :

أنا ابنُ من دانت الرقابُ له      ما بين مخزومها وهاشميها  
نأتي إليه الرقابُ صاغرةً      يأخذ من مالها ومن دمها

فأمسك عن قتله . وقال : نعله من أقارب أمير المؤمنين . وقال الثاني :

أنا ابن الذي لا يترك الدهر قدره      وإن نزلت يوماً فسوف نعود  
تري الناس أفواجا إلى ضوء ناره      فهم قيامٌ حولها وقعودٌ

فأمسك عن قتله وقال : لعله من أشرف العرب . وقال الثالث :

أنا ابن الذي خاض الصفوف بعزمه      وقومها بالسيف حتى استقامت  
ركاباه لا تفك رجلاه منها      إذا الخيلُ في يوم الكربة ولّت

فأمسك عن قتله وقال : لعله من شجعان العرب . فلما أصبح رفع أمرهم إلى الحجاج فأحضرهم وكشف عن حالهم . فإذا الأول ابن حجاج ، والثاني ابن قوال ، والثالث ابن حائك . فتعجب الحجاج من فصاحتهم وقال جلسائه : علِّموا أولادكم الأدب ، فوالله لولا الفصاحة

الضربت أعناقهم . ثم أطلقهم وأنشد :

كن ابن من شئت واكتسب أدباً  
يُغنيك محموده عن النسب  
إن الفتى من يقول : ها أنا ذا !  
ليس الفتى من يقول : كان أبي

## الحجاج والأسرى

وقيل : أمر الحجاج بقتل أسرى . فقتل منهم جماعة . فقال رجل منهم  
وقد عرض للقتل : يا حجاج . إن كنا أسانا في الذنب فما أحسنت في  
العفو . والله تعالى يقول : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ  
إِذَا أَنتَحَسَمُوهُمْ فَشُدُّوا الرِّبَاطَ ثُمَّ مَتًا نَعْدُ وَإِنَّمَا فَدَاؤُهُ ﴾ . فهذا قول الله  
تعالى في الكفار فكيف بالمسلمين . وقد قال الشاعر :

وما نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

فقال الحاجاج : أف هؤلاء الجبف والله لو قال هؤلاء مثل ما قال هذا الرجل ما قتل منهم أحداً ولكن أطلقوا بقيتهم .

## الحجاج والمرأة الحرة

قال الراوي : ولما ولي الحجاج العراق قال : عليّ بالمرأة الحرورية .  
فلما حضرت قال لها : كنت بالأمر في وقعة ابن الزبير تحرضين الناس على  
قتل رجالي ونهب أموالي ؟

١ سورة محمد ٤ .

٢ المغارم ، الواحد مغرم : ما يلزم إداؤه من المال - واليـت للفردق .

قالت . نعم . قد كان ذلك يا حجاج .

فالتفت الحجاج إلى وزرائه وقال : ما ترون في أمرها ؟

فقالوا : عجل بقتلها .

فضحكت المرأة . فاغتاظ الحجاج وقال : ما أضحكك ؟

قالت : وزراء أخيك فرعون خير من وزرائك هؤلاء .

قال : وكيف ذلك ؟

قالت : لأنه استشارهم في موسى فقالوا : « أرحه وأخاه » . أي

أنظره إلى وقت آخر . وهؤلاء يسألونك تعجيل قتل<sup>ها</sup> . فضحك الحجاج وأمر لها بعتاء وأطلقها .

### الحجاج وهند بنت النعمان

وحكي أن هند بنت النعمان كانت أحسن نساء زمانها . فوصف للحجاج حسنها فخطبها وبذل لها مالا جزيلاً وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي ألف درهم ودخل بها .

ثم أنها انحدرت معه إلى بلد أبيها المعرة . وكانت هند فصيحة أديبة ، فأقام بها الحجاج بالمعرة مدة طويلة . ثم إن الحجاج رحل بها إلى العراق فأقامت معه ما شاء الله . ثم دخل عليها في بعض الأيام وهي تنظر في المرأة . وتقول :

وما هند إلا ماهرة عربية سلالة أفراس تحللها بغل  
فإن ولدت فحلاً فله درها وإن ولدت بغلاً فجاء به البغل

فلما سمع الحجاج كلامها انصرف راجعاً ولم يدخل عليها . ولم تكن

علمت به . فأراد الحجاج طلاقها ، فأنفذ إليها عبد الله بن طاهر وأنفذ لها معه مائتي ألف درهم . وهي التي كانت لها عليه ، وقال : يا ابن طاهر ، طلقها بكلمتين . ولا تزد عليها . فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها : يقول لك أبو محمد الحجاج كُنتِ فِنتِ . وهذه المائتا ألف درهم التي كانت لك قِبله .

فقلت : اعلم يا ابن طاهر ، إنا والله كُنا فما حمدنا ، ثم يئاً فما ندينا وهذه المائتا ألف هي لك بشارتك بخلاصي من كلبٍ ثقيف .

ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ، ووصف له جمالها ، فأرسل إليها بخطبها لنفسه ، فأرسلت إليه كتاباً تقول فيه بعد الثناء عليه : اعلم يا أمير المؤمنين ، أن الكلب ولغ في الإناء . فلما قرأ عبد الملك بن مروان الكتاب ضحك من قولها . وكسب إليها يقول : إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليفسله سبعا ، إحداهن بالتراب ، ففعل الإناء يُجلُّ الاستعمال .

فلما قرأت كتاب أمير المؤمنين . لم يمكنها المخالفة فكتبت إليه تقول : بعد الثناء عليه . اعلم يا أمير المؤمنين أنني لا أجري العقد إلا بشرط . فإن قلت : ما الشرط ؟ أقول : أن يقود الحجاج منحملي من المعرة إلى بلدتك التي أنت فيها ويكون ماشياً حافياً بحليته التي كان فيها أولاً .

فلما قرأ ذلك الكتاب عبد الملك ضحك ضحكاً شديداً . وأرسل إلى الحجاج يأمره بذلك . فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب ولم يخالف وامتنل الأمر .

وأرسل الحجاج إلى هند يأمرها بالتجهز فتجهزت وسار الحجاج في موكبه حتى وصل إلى المعرة بلد هند . فركبت في محمل وركب حولها جواربها وخدمها قترجل الحجاج . وهو حاف . وأخذ يزمام البعير يقوده

ويسير بها ، فأخذت تهرأ منه وتضحك مع الهيفاء دأيتها ، ثم إنها قالت  
لدأيتها : يا دأيتي اكشني لي ستارة المحمل لنشم رائحة النسيم ! فكشفته  
فوقع وجهها في وجهه فضحكت عليه ، فأنشد يقول :

فإن تضحكي يا هند يا ربّ ليلةٍ تركتك فيها كالقبياء المفرّجِ

فأجابه تقول :

وما نبالي إذا أرواحنا سلمت بما فقدناه من مالٍ ومن نسبٍ  
فالمالُ مكتسبٌ والعزّ مرثجٌ إذا النفوسُ وقاها الله من عطبٍ

ولم تزل تلعب وتضحك إلى أن قربت من بلد الخليفة فلما قربت من  
البلد رمت من يدها ديناراً على الأرض . وقالت : يا جمال ! إنه سقط  
مئاً درهم فادفعه إلينا . فنظر الحجاج إلى الأرض فلم يرَ إلا ديناراً فقال :  
إنما هو دينار . فقالت : بل درهم . قال : بل دينار . فقالت : الحمد  
لله سقط مئاً درهم فعوّضنا الله ديناراً . فخجل الحجاج وسكت ولم يردّ  
جواباً . ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج بها وكان من أمرها ما  
كان .

### الحجاج وقتله لسعيد بن جبير

قال عون بن أبي شدّاد العبدي ، بلغني أن الحجاج بن يوسف لما ذكر  
له سعيد بن جبير أرسل قائداً من الشام يُسمّى المُتلمّس بن الأحوص ومعه  
عشرون رجلاً ، فبينما هم يطلبونه إذا هم براهب في صومعةٍ له فسألوه عنه  
فقال الراهب : صفوه ؟ فوصفوه ، فدلّهم عليه ، فانطلقوا فوجدوه  
ساجداً يناجي ربّه بأعلى صوته ، فدنوا منه وسلّموا عليه ، فرفع رأسه فأتمّ



بقية صلاته ثم ردّ عليهم السلام . فقالوا له : أرسل الحجاج إليك فأجبه .

فقال : لا بدّ من الإجابة ؟

قالوا : لا بدّ .

فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ثم قام فشى معهم حتى انتهى إلى دير الراهب . فقال الراهب : يا معشر الفرسان أصبتم صاحبكم ؟

قالوا : نعم ! قال : اصعدوا إلى الدير فإن الأسد واللوة يأويان إلى الدير . فعمّلوا الدخول قبل المساء .

ففعّلوا ذلك وأبى سعيد أن يدخل الدير . فقالوا : ما نراك ألا تريد الهرب ؟

قال : لا . ولكن لا أدخل منزل مشرك أبداً .

قالوا : فإنّا لا ندعك فإن السباع تقتلك ؟

قال سعيد : إن معي ربي يصرفها عني ويجعلها حرساً لي من كل سوء إن شاء الله تعالى .

قالوا : أفأنت نبي من الأنبياء ؟

قال : ما أنا من الأنبياء ولكن عبد من عبيد الله خاطئ مذنب .

قالوا : احلف لنا أنك لا تهرح ؟

فحلف لهم . فقال لهم الراهب : اصعدوا الدير وأوتروا "نيسي" لتنفروا السباع عن هذا العبد الصالح فإنه كره الدخول عليّ في الصومعة . فدخلوا وأوتروا القسيّ فإذا هم بلبوة أقبلت ودنت من سعيد وتحككت وتمسّحت به . ثم ربطت قريباً منه . ثم أقبل الأسد فصنع مثل ذلك . فلما رأى الراهب ذلك . وأصبحوا . نزل إليه وسأله عن شرائع الإسلام وسنن

رسول الله ﷺ ففسّر سعيد ذلك كله . فأسلم الراهب وحسن إسلامه . وأقبل القوم على سعيد يعتذرون إليه ويقبلون يديه ورجليه يأخذون التراب الذي وطئه بالليل وصلى عليه وقالوا : يا سعيد ، حلفنا للحجاج بالطلاق إن نحن رأيناك لا ندعك حتى نُشخصك إليه فمرنا بما شئت ؟ قال : امضوا لشأنكم . فإنه لا بدّ من الرجوع لحالتي ولا رادّ لقضائه .

فساروا حتى وصلوا واسط فلما انتهوا قال لهم سعيد : يا معشر القوم قد تحرّمت بكم وصحبكم ولست أشك أن أجلي قد حضر وأن المدة قد انقضت . فدعوني الليلة آخذاً أهبة الموت واستعدّ لمنكر ونكير وأذكر عذاب القبر وما يُحى عليّ من التراب . فإذا أصبحت فالميادُ بيني وبينكم المكان الذي تريدون .

فقالوا لبعضهم : لا نريد أثراً بعد عين . وقال بعضهم : قد بلغتم أمّيتكم واستوجبتم جوائزكم من الأمير فلا تعجزوا عنه . فقال بعضهم : هو عليّ أدفعه إليكم إن شاء الله .

فنظروا إلى سعيد فدمعت عيناه واغبرّ لونه ولم يأكل ولم يشرب ولم يضحك مذلقوه . فقالوا بأجمعهم : يا خير أهل الأرض . ليتنا لم نعرفك ولم تُرسل إليك . الويل لنا كيف ابتلينا . عذرنا عند خالقنا يوم المحشر الأكبر والمجاوبة له ؟ وقال كفيّله : أسألك يا سعيد بالله ألا ما زودتنا من دعائك وكلامك . فأنا لا ألقى مثلك أبداً ؟

فدعا لهم سعيد ثم خلّوا سبيله . ففصل رأسه ومبدّرعته وكساءه وهم محتفون في الليل كله . فلما انكشف عمود الصبح جاءهم سعيد ابن جبير ففرع الباب فقالوا : صاحبكم وربّ الكعبة . فترّلوا إليه وبكوا معه طويلاً . ثم ذهبوا به إلى الحجاج فدخل عليه المتلمّس فسلم عليه وبشره

بقلوم سعيد بن جبیر . فلما مثل بين يديه قال : ما اسمك ؟

قال : سعيد بن جبیر .

قال : أنت شقيّ بن كسير ؟

قال : بل أُمي كانت أعلم باسمي منك ؟

قال : شقيت أنت وشقيت أمك .

قال : الغيب يعلمه غيرك .

قال : لأبدلنك بالدنيا ناراً .

قال : لو علمتُ أن ذلك بيدك لانتخذتك إلهاً .

قال : فما قولك في محمد ؟

قال : نبيّ الرحمة ؟

قال : فما قولك في عليّ . أفي الجنة أم في النار ؟

قال : لو دخلتها وعرفت أهلها عرفت من فيها .

قال : فما قولك في الخلفاء ؟

قال : لست عليهم بوكيل .

قال : فأئيهم أحبُّ إليك ؟

قال : أرضاهم لخالقي .

قال : فأئيهم أرضى للمخالق ؟

قال : علمُ ذلك عند الذي يعلم سرّهم ونجواهم .

قال : فما بالك لا تضحك ؟

قال : أضحك مخلوقٌ خُلِقَ من الطين ، والطين تأكله النار .

قال : فما بالنا نضحك ؟

قال : لم تستر القلوب

قال : ثم أمر الحجاج بالملوك والزباج والياقوت فوضعه بين يديه .  
فقال سعيد : إن كنت جمعت هذا لتفتدي به من فزع يوم القيامة فصالح  
والأفزع واحدة تذهل كل مربية عما أرضعت . ولا خير في شيء  
جمع للدنيا إلا ما طاب وزكا .

ثم دعا الحجاج بآلات اللهو . فبكى سعيد . فقال الحجاج : ويلك  
يا سعيد اختر أي قتلة تريد ؟

قال : اختر لنفسك يا حجاج فوالله لا تقتلي قتلة إلا قتلك الله مثلها  
في الآخرة .

قال : أفتريد أن أعفو عنك ؟

قال : إن كان العفو من الله بلي . وأما أنت فلا .

قال : اذهبوا به فاقتلوه .

فلما خرج من الباب ضحك فأخبر الحجاج بذلك فأمر برده وقال : ما  
أضحكت ؟

قال : عجبت من جراءة على الله . حلم الله عليك .

فأمر بالنطح فبسط بين يديه وقال : اقتلوه !

قال : وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا  
من المشركين .

قال : وجهه لغير القبلة .

قال سعيد : « فأينما تولوا فثم وجه الله » .

قال : كَبُوه لوجهه ، فقال سعيد : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم  
ومنها نخرجكم تآزراً آخرى » .

فقال الحجاج : اذبحوه .

فقال سعيد : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده  
ورسوله : اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي .

فذُبح على النطع ، رحمه الله تعالى . فكان رأسه بعد قطعه يقول لا  
إله إلا الله . وغاش الحجاج بعدها خمسة عشر يوماً . وذلك في سنة  
خمس وتسعين وكان عمر سعيد رضي الله عنه ، تسعاً وأربعين سنة ، والله  
سبحانه وتعالى أعلم .

## خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان

كان يختم القرآن في ثلاث وكان يختم في رمضان سبع عشرة ختمة .  
قال إبراهيم بن عُلَيْة : كان يعطيني أكياس الدنانير أقسمها في الصالحين .  
وكان يقول : لولا أن الله عزَّ وجلَّ ذكر اللُّواط في كتابه العزيز ، ما ظننت  
أن أحداً يفعله .

قال الحافظ ابن عساكر : كان الوليد عند أهل الشام من أفضل  
خلفائهم . بنى المسجد بدمشق وفرض للمجذومين ما يكفيهم وقال : لا  
تسألوا الناس ، وأعطى كل مقعد خادماً وكل أعمى قائداً .

وذكر أن جملة ما أنفق على المسجد الأمويّ أربعمئة صندوق ، في  
كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار . وكان فيه ستمائة سلسلة ذهب  
للقناديل ، وما كمل بناءه إلا أخوه سليمان لمّا ولي الخلافة وفعل خيرات  
كثيرة وآثاراً حسنة . وبعد هذا كله فقد رُوي أن عمر بن عبد العزيز رضي  
الله عنه . قال : لمّا أُدرِجَ لي أكفانيه وعلّت يداه إلى عنقه ، نسألُ الله  
العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، ونسأله حسن الخاتمة .

## خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان

فما يذكر من محاسنه : أن رجلاً دخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين أنشدك الله والأذان ، فقال سليمان : أما أنشدك الله فقد عرفناه ، فما الأذان ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ : أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾<sup>١</sup> .

فقال سليمان : ما ظلامتك ؟

قال : ضيعتي الفلاية غلبي عليها عاملك فلان .

فتزل سليمان عن سريرته ورفع البساط ووضع خده على الأرض وقال : والله لا رفعتُ خدي من الأرض حتى يكتب له بردٌ ضيعته . فكتب الكتاب وهو واضع خده على الأرض ولما سمع كلام ربّه الذي خلقه وخوله في نعمه خشي من لعن الله وطرده ، رحمه الله .

## صفات سليمان بن عبد الملك

قيل : أنه أطلق من سجن الحجاج ثلاثمائة ألف نفس ما بين رجل وامرأة ، وصادر آل الحجاج واتخذ ابن عمّه عمر بن عبد العزيز وزيراً ومشيراً ، وكان شهماً في الأكل ، نكاحاً .

---

١ سورة الأعراف ٤٤

قال ابن خُلُكَّان في ترجمته : أنه كان يأكل كل يوم نحو مائة رطل شامي .

قال محمد بن سيرين رحمه الله : سليمان افتتح خلافته بخير وختمها بخير ، افتتحها بإقامة الصلاة لمواقبتها الأولى وختمها باستخلافه لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

### سليمان والدلفاء

وقال أبو سويد : حدَّثني أبو زيد الأسدي قال : دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو جالس في إيوان مبلَّط بالرخام الأحمر مفروش بالديباج الأخضر في وسط بستان ملتف قد أثمرَ وأنعج ، على رأسه وصائف كل واحدة منهنَّ أحسن من صاحبها ، وقد غابت الشمس وغنَّت الأطيَّار فتجاوبت وصفقت الرياح على الأشجار فتمايلت فقلتُ : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته .

وكان مطرقاً فرفع رأسه وقال : يا أبا زيد ! في مثل هذا الحين تصالحنا .

فقلت : أصلح الله الأمير أو قامت القيامة ؟

قال : نعم على أهل المحبة .

ثم أطرق ملياً ورفع رأسه وقال : يا أبا زيد : ما يطيب في يومنا هذا ؟

قلت : أعزَّ الله الأمير قهوة حمراء في زجاجة بيضاء تناولها عادةً هيفاء ملفوفة لفاءً أشربها من كفِّها وأمسح في بخدِّها .

فأطرق سليمان ملياً لا يردُّ جواباً تتحدَّر من عينيه عبرات بلا شهيق .



افلما رأيت الوصائف ذلك تنحين عنه . ثم رفع رأسه فقال : يا أبا زيد  
حضرت في يوم انقضاء أجلك ومنتهى مدتك وتصرم عمرك والله لأضربن  
عنقك أو لتخبرني ما أثار هذه الصفة من قلبك ؟

قلت : نعم أيها الأمير . كنت جالساً على باب أخيك سعد بن عبد  
الملك ، فإذا أنا بجارية قد خرجت من باب القصر كأنها غزال انفلتت من شبكة  
صياد عليها قيصر سكب اشكندراني يبين منها بياض ثديها وتدوير سرتها  
ونقش نكحها . وفي رجليها نعلان صراران قد أشرق بياض قدميها على حمرة  
نعلها بذؤابتين تضربان حقويها . ولها صدغان كأنهما نونان وحاجبان قد  
قوسا على محاجر عينيها . وعينان مملوءتان سحراً . وأنف كأنه قصبه بلور .  
وفم كأنه جرح يقطر دماً . وهي تقول : عباد الله من لي بدواء من لا يسلو  
وعلاج من لا يسمو ؟ طال الحجاب . وأبطأ الجواب . فالقلب طائر .  
والعقل عازب . والنفس والهة . والفؤاد مختلس . والنوم محبس . رحمة  
الله على قوم عاشوا تجلداً وماتوا كمداً . ولو كان إلى الصبر حيلة . وإلى  
الغناء سبيل . لكان أمراً جميلاً .

ثم أطرقت ملياً ورفعت رأسها فقلت : أيتها الجارية إنسي أم جنية  
سماوية أم أرضية ؟ فقد أعجبنى ذكاء عقلك وأذهلني حسن منطقتك .

فسترت وجهها بكفها كأنها لم ترفي ثم قالت : اعذر أيها المتكلم فما  
أوحش الساعِد بلا مساعد والمقاساة لصب معاند .

ثم انصرفت فوالله أصلح الله الأمير ما أكلت طيباً إلا غصصت به  
لذكرها وما رأيت حسناً إلا سمح في عيني لحسنها .

فقال سليمان : يا أبا زيد . كاد الجهل يستفزني . والعصا يعاودني .  
والحلم يعزب عني لشجور ما سمعت . اعلم يا أبا زيد أن تلك الجارية التي  
رأيتها هي الذلفاء التي قيل فيها :

كأنما الذلفاء ياقوتة قد أخرجت من كيس ذهقان

شراؤها على أخي بألف ألف درهم . وهي عاشقة لمن باعها والله إن مات إنما يموت بجبها . ولا يدخل القبر إلا بغصتها . وفي الصبر سلوة وفي توقع الموت هبة . قم يا أبا زيد في دعة الله . يا غلام ! ثقله ببذرة .

فأخذتها وانصرفت . قال : فلما أفضت الخلافة له صارت إليه الذلفاء فأمر : فسقاط فأنخرج على ذهنا الغوطة وضرب في روضة خضراء موفقة زهراء ذات حدائق بهجة تحتها أنواع الزهر من أصفر فاقع وأحمر ساطع وأبيض ناصع . وكان سليمان مغن<sup>١</sup> يقال له سينان . كان به يأنس وإليه يسكن فأمره أن يضرب فسقاطه بالقرب منه . فكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان إلى ذلك المنتزه فلم يزل في أكل وشرب وسرور وأتم جوار إلى أن انصرف شيء من الليل فذهب إلى فسقاطه ، وذهب سينان أيضاً فترل به جاعة من إخوانه فقالوا له : تزيد قرى أصلحك الله ؟

قال : وما قراكم ؟

قالوا : أكل وشرب وسماع .

قال : أما الأكل والشرب فمباحان لكم . وأما السماع فقد عرقت غيرة أمير المؤمنين ونهيه إلا ما كان في مجلسه .

قالوا : لا حاجة لنا بطعامك وشرابك إن لم تسمعنا .

قال : فاخثاروا صوتاً واحداً أغنيكموه .

قالوا : غننا بصوت كذا وكذا .

قال . فشرح بتغنى بهذه الأبيات :

محجوبة سمعت صوتي فأرقها	من آخر الليل لما تبَّه السحر
في ليلة البدر ما يدري مضاجعها	أوجُّها عنده أم عنده القمر
لم يحجب الصوت حراساً ولا غلق	فدمعها لطروق الصوت ينحدر

١ الفسقاط : البيت من الشعر . الذهنا : الغلاة ، ولعله مكان في غوطة الشام .

لو مُكُنْتُ لمُشتٍ نحوِي على قَدَم      نَكَادُ من لِينِها في المَشْيِ تنفطر

قال : فسمعت الذلفاء صوت سنان . فخرجت إلى صحن  
الفسطاط ، فجعلت لا تسمع شيئاً من حسن خُلُقٍ ولطافة إلاً رأت ذلك  
كله في نفسها وهيتها فحرَّكَ ذلك ساكناً من قلبها ، فهملت عيناها وعلا  
نحيبها ، فانتبه سليمان . فلم يجدها معه فخرج إلى صحن الفسطاط فراها  
على تلك الحالة ، فقال : ما هذا يا ذلفاء ؟ فقالت :

ألا ربَّ شخصٍ رائعٍ ومشوِّهٍ      قبيح المُحيّا واضع الأبِّ والجَدِّ  
بروعك منه صوته ولعلَّه      إلى أمةٍ يُغزى معاً وإلى عبدٍ

فقال سليمان : دعيني من هذا المحال ، فوالله لقد خامر قلبك منه . يا  
غلام : علمي بسنان .

فدعت الذلفاء خادماً لها وقالت له : إن سبقت رسولَ أمير المؤمنين  
إلى سنان فحذرتي ، فلك عشرة آلاف درهم ، وأنت حرٌّ لوجه الله تعالى .  
فخرج الرسولان فسبق رسول أمير المؤمنين فلماً أتى به قال : يا  
سنان ، ألم أنهك عن مثل هذا ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، حملني الشمول<sup>١</sup> ، وأنا عبد أمير المؤمنين  
وغرس نعمته ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعفو عني فليفعل .

قال : قد عفوت عنك ، ولكن أما علمت أن الفرس إذا صهل  
ودقَّت له الحِجرة<sup>٢</sup> ، وأن الفحل إذا هدر ضبعت له الناقة<sup>٣</sup> ، وأن الرجل  
إذا تغنى صعَّت إليه المرأة ، وإياك والعودة إلى ما كان منك فيطول غمك ،  
اتهي .

١ الشمول : الحمرة أو الباردة منها .

٢ ودقت له : اشتبهت . الحجرة : الفرس الأنثى .

٣ ضبعت له : لشتته .

## جابر عثرات الكرام

قيل : كان في أيام سليمان رجل يقال له خزيمة بن بشر من بني أسد ، كان له مروة ظاهرة ونعمة حسنة وفضل وبرّ بالإخوان ، فلم يزل على تلك الحالة حتى قعدَ به الدهر فاحتاج إلى إخوانه الذين كان يتفصل عليهم وكان يؤاسيهم ، فواسوه حيناً ثم ملّوه ، فلما لاح له تغييرهم أتى امرأته وكانت ابنة عمه . فقال لها : يا ابنة عمي ، قد رأيتُ من إخواني تغيراً ، وقد عزمت على أن ألزم بيتي إلى أن يأتيني الموت ، فأغلق بابي وأقام يتقوّت بما عنده حتى نفدَ وبقي حائراً وكان يعرفه عكرمة الفيّاض الرُّبعي متولي الجزيرة . وإنما سمّي بذلك لأجل كرمه . فبينما هو في مجلسه إذ ذكر خزيمة بن بشر فقال عكرمة الفيّاض : ما حاله ؟

فقالوا : قد صار إلى أمر لا يوصف وإنه أغلق بابَه ولزم بيته .

قال : أفما وجد خزيمة بن بشر مواسياً ولا مكافئاً ؟

فقالوا : لا .

فأمسك عن الكلام ثم لما كان الليل عمد إلى أربعة آلاف دينار فجعلها في كيس واحد ثم أمر بإسراج دابته وخرج سرّاً من أهله . فركب ومعه غلامٌ من غلمانه يحمل المال . ثم سار حتى وقف بباب خزيمة فأخذ الكيس من الغلام ، ثم أبعده عنه وتقدم إلى الباب فدفعه بنفسه فخرج إليه خزيمة فتناوله الكيس ، وقال : أصلح بهذا شأنك . فتناوله فرآه ثقيلاً فوضعه عن يده ثم أمسك بلجام الدابة . وقال له : من أنت ؟ جعلت فداك .

فقال له عكرمة : يا هذا ما جئتك في هذا الوقت والساعة أريد أن  
تعرفني ؟

قال : فما أقبله إلا أن عرَّفَني من أنت ؟

فقال : أنا جابر عثرات الكرام .

قال : زدني .

قال : لا . ثم مضى ودخل خزيمة بالكيس إلى ابنة عمه . فقال  
لها : أبشري فقد أتى الله بالفرج والخير ولو كانت فلوساً فهي كثيرة . قومي  
فاسرجي .

قالت : لا سبيل إلى السراج .

فبات يلمسها بيده فيجد خشونة الدنانير ولا يصدّق . وأما عكرمة  
فإنه رجع إلى منزله فوجد امرأته قد فقدته وسألت عنه فأخبرت بركوبه  
فأنكرت ذلك وارتابت . وقالت له : والي الجزيرة يخرج بعد هدوء من  
الليل منفرداً من غِلمانه في سرّ من أهله إلّا إلى زوجة أو سرية . . .

فقال : اعلمي أيّ ما خرجت في واحدة منها .

قالت : فعخّرني فيما خرجت ؟

قال : يا هذه ما خرجت في هذا الوقت وأنا أريد أن يعلم بي أحد .

قالت : لا بدّ أن تخبرني ؟

قال : تكتمينه إذاً .

قالت : فلاني أفعل .

فأخبرها بالقصة على وجهها وما كان من قوله وردّه عليه . ثم قال  
أنحَيْنِ أن أحلف لك أيضاً ؟

قالت : لا فإن قلبي قد سكن وركن إلى ما ذكرت .

وأما خزيمة فلما أصبح صالح الغرماء وأصلح ما كان من حاله ثم إنه تجهّز يريد سليمان بن عبد الملك ، وكان نازلاً يومئذ بفلسطين ، فلما وقف ببابه واستأذن دخل الحاجب فأخبره بمكانه . وكان مشهوراً بمروءته وكرمه . وكان سليمان عارفاً به فأذن له . فلما دخل سلّم عليه بالخلقة فقال له سليمان بن عبد الملك : يا خزيمة . ما أبطأك عنا ؟

قال : سوء الحال .

قال : فما منعك من النهضة إلينا ؟

قال : ضعفي يا أمير المؤمنين .

قال : فبم نهضت إلينا الآن ؟

قال : لم أعلم يا أمير المؤمنين إلا أنني بعد هدوء من الليل لم أشعر إلا ورجل يطرق الباب وكان من أمره كبت وكبت . وأخبره بقصته من أولها إلى آخرها .

فقال سليمان : هل تعرف هذا الرجل ؟

فقال خزيمة : ما عرفته يا أمير المؤمنين لأنه كان متنكراً وم سمعت من لفظه إلا إني جابر عثرات الكرام .

قال : فقله وتلف سليمان بن عبد الملك على معرفته وقال : لو عرفناه لكافأناه على مروءته . ثم قال : عليّ بقناة .

فأتى بها فعقد لخزيمة بن بشر المذكور على الجزيرة عاملاً عوضاً عن عكرمة الفياض . فخرج خزيمة طالباً الجزيرة ، فلما قرب منها خرج عكرمة وأهل البلد للقاءه . فسلموا على بعضها ثم سارا جميعاً إلى أن دخلا البلد . فنزل خزيمة في دار الإمارة وأمر أن يؤخذ لعكرمة كفيل وأن يحاسب ،

مَحْسُوبٌ فُوجِدَ عَلَيْهِ فَضُولُ أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ فَطَالِبُهُ بِأَدَائِهَا قَالَ : مَا لِي إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ سَبِيلٌ .

قَالَ : لَا بَدَّ مِنْهَا .

قَالَ : لَيْسَتْ عِنْدِي فَاصِنَعْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ .

فَأَمَرَ بِهِ إِلَى الْحَبْسِ ثُمَّ أَنْفَذَ إِلَيْهِ مِنْ بَطَالِبِهِ فَأَرْسَلَ يَقُولُ : إِنِّي لَسْتُ مِمَّنْ يَصُونُ مَالَهُ بِعَرْضِهِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ .

فَأَمَرَ أَنْ يَكْبَلَ بِالْحَدِيدِ فَأَقَامَ شَهْرًا كَذَلِكَ أَوْ أَكْثَرَ فَأَضْنَاهُ ذَلِكَ وَأَضْرَّ بِهِ ، وَبَلَغَ ابْنَةُ عَمِّهِ خَبِيرُهُ فَجَذَعَتْ وَاعْتَمَتْ لَذَلِكَ ثُمَّ دَعَتْ مَوْلَاةً لَهَا ، وَكَانَتْ ذَاتَ عَقْلِ وَمَعْرِفَةٍ ، وَقَالَتْ لَهَا : امْضِي السَّاعَةَ إِلَى بَابِ هَذَا الْأَمِيرِ خَزِيمَةَ بْنِ بَشَرَ وَقُولِي : عِنْدِي نَصِيحَةٌ ، فَإِذَا طَلَبْتَ مِنْكَ فَقُولِي : لَا أَقُولُهَا إِلَّا لِلْأَمِيرِ خَزِيمَةَ بْنِ بَشَرَ ، فَإِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِ فَسَلِّهِ أَنْ يَخْلِيكَ ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَقُولِي : مَا كَانَ هَذَا جَزَاءَ جَابِرِ عَثْرَاتِ الْكِرَامِ مِنْكَ . كَافَأْتَهُ بِالْحَبْسِ وَالضِّيقِ وَالْحَدِيدِ .

فَفَعَلَتْ الْجَارِيَةُ ذَلِكَ . فَلَمَّا سَمِعَ خَزِيمَةُ كَلَامَهَا نَادَى بِرَفِيعِ صَوْتِهِ وَاسْأَلَهَا ، وَإِنَّهُ لَهْوٌ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، فَأَمَرَ لَوْقَتَهُ بِدَابَّتِهِ فَأَسْرَجَتْ وَبَعَثَتْ إِلَى وَجْهِ أَهْلِ الْبَلَدِ فَجَمَعَهُمْ إِلَيْهِ وَأَتَى بِهِمْ إِلَى بَابِ الْحَبْسِ فَفَتَحَ وَدَخَلَ خَزِيمَةُ وَمِنْ مَعِهِ فَرَّاهُ قَاعِدًا فِي قَاعَةِ الْحَبْسِ مُتَغَيِّرًا أَضْنَاهُ الضَّرَّ وَالْأَلَمَ وَثَقَلَ الْقَبُودُ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ عِكْرَمَةُ وَإِلَى النَّاسِ أَحْشَمَهُ ذَلِكَ فَتَكَسَّرَ رَأْسُهُ فَأَقْبَلَ خَزِيمَةَ حَتَّى أَكْبَى عَلَى رَأْسِهِ فَقَبَّلَهُ فَرَفَعَ عِكْرَمَةَ إِلَيْهِ رَأْسُهُ وَقَالَ : مَا أَعَقَبَ هَذَا مِنْكَ ؟

قَالَ : كَرِيمٌ فَعَالِكٌ وَسَوْءٌ مَكَا فَاتِي .

قَالَ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكَ .

ثم أتى بالحداد ففك القيود عنه وأمر خزيمة أن توضع القيود في رجل نفسه .

فقال عكرمة : ماذا تريد ؟

فقال : أريد أن ينالني من الضَّرَّ مثل ما نالك .

فقال : أقسم عليك بالله لا تفعل .

فخرجوا جميعاً حتى وصلا إلى دار خزيمة فودَّعه عكرمة وأراد الانصراف عنه . فقال : ما أنت ببارح .

قال : وما تريد ؟

قال : أغبر حالك وإن حيائي من بنت عمك أشدَّ من حيائي منك .  
ثم أمر بالحمام فأخلى ودخله معاً فقام خزيمة وتولى أمره وخدمه  
بنفسه ثم خرجا فخلع عليه وحمله وحمل معه مالا كثيراً ثم سار معه إلى  
داره واستأذنه في الاعتذار إلى ابنة عمه ، فاعتذر إليها وتذمَّم من ذلك .

قال : ثم سأله بعد ذلك أن يسير معه إلى سليمان بن عبد الملك ،  
وهو يومئذ مقيم بالرملة ، فأنعم له بذلك وسارا جميعاً حتى قدما على  
سليمان بن عبد الملك فدخل الحاجب فأعلمه بقدوم خزيمة بن بشر فراعه  
ذلك وقال : والي الجزيرة يقدم بغير أمرنا ؟ ما هذا إلا لحادث عظيم ! .  
فلما دخل قال له قبل أن يسلم : ما وراءك يا خزيمة ؟

قال : الخير يا أمير المؤمنين .

قال : فما الذي أقدمك ؟

قال : ظفرت بجابر عثرات الكرام ، فأحببت أن أسرك به لما رأيت  
من تلهفك وتشوقك إلى رؤيته .

قال : ومن هو ؟



قال : عكرمة الفياض ؟

قال : فأذن له بالدخول .

فدخل وسلم عليه بالخلافة فرحب به وأدناه من مجلسه وقال : يا عكرمة ما كان خيرُك له إلّا وبالأُ عليك . ثم قال سليمان : اكتب حوائجك كلّها وما تحتاج إليه في رقعة . ففعل ذلك . فأمر بقضائها من ساعته . وأمر له بعشرة آلاف دينار وسفطيناً ثياباً . ثم دعا بقناة وعقد له على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان وقال له : أمر خزينة إليك إن شئت أبقيته وإن شئت عزلته .

قال : بل ارده إلى عمله يا أمير المؤمنين . ثم انصرفا من عنده جميعاً ولم يزالا عاملين لسليمان مدة خلافته . والله أعلم .

## خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

### عمر والشعراء

أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فهو تابعي جليل . قال الإمام أحمد بن حنبل : ليس أحد من التابعين قوله حجة إلا عمر بن عبد العزيز . كان . رضي الله عنه . عفيفاً زاهداً ناسكاً عابداً مؤمناً تقياً صادقاً . أزال ما كانت بنو أمية تذكر به علياً رضي الله عنه . على المنابر . وجعل مكان ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ الآية . ولما ولي الخلافة رضي الله عنه . وفد الشعراء إليه وأقاموا بيابه أياماً لا يؤذن لهم فيها هم كذلك إذ مر بهم رجاء بن حيوة وكان جليساً لعمر فلما رآه جريراً داخلأ قام إليه وأنشد يقول أبياتاً منها :

يا أيها الرجلُ المرُخي عمامته      هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا

فدخل ولم يذكر شيئاً من أمرهم ثم مر بهم عدي بن أرطاة فقال جرير أبياتاً آخرها قوله :

لا تنسَ حاجتنا لُقَيْتَ مَغْفِرَةٍ      قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني

قال : فدخل عدي على عمر . وقال : يا أمير المؤمنين . الشعراء

ببابك وسهامهم مسمومة وأقوالهم نافذة .

فقال : ويحك يا عدي ما لي وللشعراء ؟

قال : أعز الله أمير المؤمنين ، إن رسول الله ﷺ قد امتدح وأعطى  
ولك في رسول الله ﷺ أسوة .

قال : كيف ؟

قال : امتدحه العباس بن مرداس السلمي فأعطاه جئة قطع بها  
لسانه .

قال : أو تُروى من قوله .

قال : نعم ، وأنشد :

رأيتك يا خير البرية كلها	نشرت كتاباً جاء بالحق معلماً
شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا	عن الحق لما أصبح الحق مظلماً
ونورت بالبرهان أمراً مدنساً	وأطفأت بالإسلام ناراً تضرماً
فمن مبلغ عني النبي محمداً	وكل أمرى يُجزى بما كان قدماً
أفت سبيل الحق بعد اعوجاجه	وقد كان قدماً رُكَّنه قد نهذاً

فقال : ويليك يا عدي ، من بالباب منهم ؟

قال : عمر بن أبي ربيعة .

قال : أوليس هو الذي يقول :

ثم تبهتها فددت كعاباً      طفلة ما تُبين رجع الكلام<sup>١</sup>  
ساعة ، ثم إنها لي قالت :      ويلي قد عجلت يا ابن الكرام

---

١ مدّت كعاباً : أي بسطت من نفسها كعاباً . والكعاب : التي تُهد نديهاها .  
الطفلة : الناعمة .

فلو كان عدو الله إذ فَجَرَ كَتَمَ على نفسه لكان أَسْرَ له : لا يدخل  
عليَّ والله أبدًا . فن بالباب سواء ؟

قال : الفرزدق .

قال : أوليس هو الذي يقول :

هما دُلَّتَا في من ثمانين قامَةً كما انقَضَ بازٌ أَقْتَمُ الریش كاسرُهُ  
فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا : أحيٌّ فُرجى أم قَتيلٌ نخاذره ؟

لا يدخل عليَّ والله أبدًا . فن سواء منهم .

قال : الأخطل .

قال : يا عدي . أوليس هو الذي قال :

ولستُ بصائمٍ رمضانَ يوماً      ولستُ بآكلٍ لحمِ الأضاحي<sup>١</sup>  
ولستُ بزاجرٍ غَسًّا بُكُوراً      إلى بطحاءِ مكةَ للنجاح<sup>٢</sup>  
ولستُ بقائمٍ كالغيَرِ أدعو      قُبيلَ الصبحِ حيَّ على الفلاحِ  
ولكنِّي سَأشربُها شَمولاً      وأسجدُ عندَ منبجِ الصباحِ

والله لا يدخل عليَّ أبدًا وهو كافر . فن بالباب سوى من ذكرت ؟

قال : الأحوص .

قال : أوليس هو الذي يقول :

اللهُ بيني وبين سيديها      يفرُّ مِنِّي بها وأتبعه

١ لحم الأضاحي : ما ينبع الحجاج من الشاة في عيد الأضحي .

٢ الضرس : الناقة الصلبة . بكوراً : غنوة .

فن بالباب دون من ذكرت أيضاً ؟

قال : جميل بن معمر .

قال : أوليس هو الذي يقول :

فيا ليتنا نحيا جميعاً . وإن أمت      بوافقُ موتي موتها . وضريحها

فلو كان عدو الله تَمَّتْ لقاءها في الدنيا ليعمل بعدُ صالحاً لكان  
أصلح . والله لا يدخل عليّ أبداً . فهل أحد سوى من ذكرت ؟

قال : جرير :

قال : أوليس هو الذي يقول :

طَرَقَتْ صائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا      وَقْتُ الزَّيَارَةِ . فَارْجِعِي بِسَلَامٍ

فإن كان ولا بدّ فهو الذي يدخل . فلما مثل بين يديه قال : يا جرير .  
اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَقُلْ إِلَّا حَقًّا .

فأنشد قصيدته الرائية المشهورة التي منها :

إِنَّا لَنَرْجُو إِذَا مَا الْغَيْثُ أَخْلَفْنَا      مِنْ الْخَلِيفَةِ مَا تَرْجُو مِنَ الْمَطَرِ  
جَاءَ الْخِلَافَةَ . أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدْرًا      كَمَا أَتَى رَبُّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ  
هَذَا الْأَرَامِلُ قَدْ قَضَيْتَ حَاجَتَهَا      فَمِنْ لِحَاجَةٍ هَذَا الْأَرَامِلِ الذِّكْرُ  
الْحَيْرُ مَا دُمْتَ حَيًّا لَا يَفَارِقُنَا      بَوْرَكَتَ يَا عَمَرَ الْخَيْرَاتِ مِنْ عُمْرِ

فقال : يا جرير لا أرى لك فيما ههنا حقاً .

قال : بلى يا أمير المؤمنين ! أنا ابنُ سبيلٍ منقطعٌ .

فأعطاه من طيّبِ ماله مائة درهم وقال : ويحك ، يا جرير ، لقد  
وَلَّيْنَا هَذَا الْأَمْرَ وَلَمْ نَمْلِكْ إِلَّا ثَلَاثُمِائَةَ دَرَاهِمَ ، فَاتَّاهُ عَبْدُ اللَّهِ . وَمِائَةُ

أَخَذَهَا أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ . يَا غَلَامُ : أَعْطِهِ الْمِائَةَ الْآخَرَى .  
فَأَخَذَهَا جَرِيرٌ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَمِ أَحَبُّ مَالٍ اكْتَسَبْتَهُ فِي عَمْرِي . ثُمَّ  
خَرَجَ فَقَالَ لَهُ الشُّعْرَاءُ : مَا وَرَاءَكَ يَا جَرِيرُ ؟  
فَقَالَ : مَا بِسُوءِكُمْ . خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ خَلِيفَةٍ يُعْطِي الْفُقَرَاءَ وَيَمْنَعُ  
الشُّعْرَاءَ . وَإِنِّي عَنْهُ لِرَاضٍ وَأَنْشُدُ يَقُولُ :  
رَأَيْتُ رُقِي الشَّيْطَانَ لَا تَسْتَفْزُهُ      وَقَدْ كَانَ شَيْطَانِي مِنَ الْجِنِّ رَاقِبًا

## خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان

### الولد بن هشام ويونس الكاتب والحارية

قال أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني : قال يونس الكاتب :  
خرجت إلى الشام في خلافة هشام بن عبد الملك ومعي جارية غانية وكنت  
علّمْتُها جميعَ ما تحتاجُ إليه ، وأنا أقدرُ فيها أنها تساوي مائة ألف درهم .  
قال : فلما قربنا من الشام نزلتِ القافلة على غدير من الماء ونزلتُ ناحيةً  
منه ، وأصبْتُ من طعامٍ كان معي وأخرجتُ ركوةً كان فيها نبيذ . فبينما  
أنا كذلك ، وإذا بفتى حسن الوجه والهيئة على فرس أشقرٍ ومعه خادمانِ  
فسلمَ عليّ وقال : أتقبلُ ضيفاً ؟

قلتُ : نَعَمْ .

فأخذتُ بركابه ونزل وقال : اسقنا من شرابك فسقيته . فقال : إن  
شئتُ أن تغني صوتاً فغنيته :

حازتُ من الحسنِ ما لا حازه البشرُ      فلذَّ لي في هواها الدمعُ والسهرُ

لفطرب طرباً شديداً واستعاده مراراً ثم قال : قل لجاريتك فلتغنِ ،  
فأمرتها فغنتُ :

خورية حار قلبي في محاسنها      فلا قضيب ولا شمس ولا قر

فطرب طرباً شديداً واستعاده مراراً . ولم يزل مقيماً إلى أن صلينا

العشاء ، ثم قال : ما أقدمك علينا في هذا البلد ؟

قلت : أردت بيعَ جاريتي هذه .

قال : فكُم أُمَلَّتَ فيها من الثَّمَنِ ؟

قلتُ : ما أقضي به ديني وأصلح به حالي .

قال : ثلاثون ألفاً .

قلت : ما أحوجني إلى فضل الله والمزيد فيه .

قال : أَيْقَنَكَ أربعون ألفاً ؟

قلت : فيها قضاء ديني وأبقى صِفر اليد .

قال : قد أخذناها بخمسين ألفاً من الدراهم ولك بعد ذلك كُسوةٌ ونفقةٌ طريقك وأشركك في حالي أبداً ما بقيت .

فقلت : قد بعْتُكها .

قال : أفتتقُني أن أوصلَ ذلك غداً وأحملها معي ، أو تكونَ عندك إلى أن أحملَ ذلك إليك غداً ؟

فحملني السكر والحياء مع الخشية منه على أن قلت : نعم قد وثقت بك ، فخذها بارك الله لك فيها .

فقال لأحد غلاميه : احملها على دابتك وارْتَدِف وراءها وامضِ بها .

ثم ركب فرسه وودَّعني وانصرف ، فما هو إلا أن غاب عني ساعة فعرفت موضع خطيبي وغلطي . فقلت : ماذا صنعت بنفسي ؟ أسيَّلمَ جاريتي إلى رجل لا أعرفه ولا أدري من هو ، وهبَ أني عرفته فمن أين الصلة إليه . فجلست متفكراً إلى أن صُلِّيتُ الصبح . ودخل أصحابي دمشق وجلست حائراً لا أدري ما أصنع وقرعتني الشمس . وكرهت المقام . فهملت بالدخول إلى دمشق ثم قلت : لم آمن أن الرسول يأتي فلا يجدني



فأكون قد جنيت على نفسي جناية ثانية . فجلست في ظل جدار هناك فلمّا أضحى النهار . وإذا أحدُ الغَلامين اللّذين كانا معه قد أقبل عليّ فأذكر أنّي سرُرت بشيء أعظم من سروري ذلك الوقت بالنظر إليه فقال لي : يا سيدي . أبطأنا عليك .

فلم أذكر له شيئاً مما كان بي ثم قال لي : أتعرف الرجل ؟  
قلت : لا .

قال : هو الوليد بن هشام وليّ العهد .  
فسكّنت عند ذلك ثم قال : قم فاركب .  
وإذا معه دابة فركبها وسرنا إلى أن وصلنا إلى داره فدخلتُ إليه .  
وإذا بالجارية قد وثبت وسلّمت عليّ فقلت : ما كان من أمرك ؟  
قالت : أنزلني هذه الحجرة وأمر لي بما أحتاج إليه .

فجلست عندها ساعة وإذا أنا قد أتاني خادم له فقال لي : قُمْ .  
فقممت فأدخلني على سيّده . فإذا هو صاحبي بالأمس . وهو جالس على سريره فقال : من تكون ؟  
فقلت : يونس الكاتب .

قال : مرحباً بك قد كنت والله إليك بضنين وكنت أسمع بخبرك فكيف كان مبيتك في ليلتك ؟  
قلت : بخير أعزّك الله .

قال : فلعلك ندمت على ما كان منك البارحة وقت : دفعت جاريّتي إلى رجل لا أعرفه ولا أعرف اسمه ولا من أيّ انبلاذ هو ؟  
فقلت : معاذ الله أيها الأمير أن أندم ولو أهديتها إلى الأمير كانت أقلّ وأخسّ ، وما قدرُ هذه الجارية ؟

فقال : والله لكُنِّي ندمت على أخذها منك ، وقلت : رجل غريب لا يعرفني وقد دهمته وسَفِهت عليه في استعجالي لأخذ الجارية . أَتذكر ما كان بيننا ؟ قلت : نعم .

قال : بعثني هذه الجارية بخمسين ألف درهم . قلت : نعم .  
قال : هات يا غلامُ المال . فوضعه بين يديه فقال : هات يا غلام ألف دينار . فأُتي بها ثم قال : يا غلامُ هاتِ خمسمائة دينار أخرى ، فجاء بها ثم قال : هذا ثَمَنُ جاريتك فَضَّمَّهُ إِلَيْكَ ، وهذه ألف دينار لحسن ظَنِّكَ بنا . وهذه الخمسمائة دينار لنفقة طريقك ، وما تبتاعه لأهلك ، رضيت ؟

قلت : رضيت ، وقبلت يديه وقلت : والله قد ملأت عيني ويدي .  
ثم قال : والله إني لم أدخل بها ولا شبع من غنائها ، عليَّ بها فجاءت فأمرها بالجلوس فجلست فقال لها غني ، فأنشدت تقول :

أيا من حازَ كلَّ الحسن طراً	ويا حلَّو الشمائل والدلالِ
جميعُ الحسن في عَجَمٍ وعربٍ	وما في الكل مثلك يا غزالي
تُعْطِفُ يا مليح على محبٍ	بوعذك أو بطيف من خيالِ
حلا لي فيك ذلِّي وافتضاحي	وطاب لمقلتي سهرُ الليالي
وما أنا فيك أوَّلُ مستهامٍ	فكم قبلي قتلتَ من الرجالِ
رضيتُك لي من الدنيا نصيباً	وأنت أعزُّ من روعي ومالي

فطرب طرباً شديداً وشكر حُسْنَ تاديبِها وتعلیمی إياها ثم قال : يا غلام قدَّم له دابةً بسرَّجها وآلتها لركوبه وبغلاً لحمل حوائجِه وثقله . ثم قال : يا يونس . إذا بلغك أن هذا الأمر أفضى إليَّ فألحق بي ، فوالله لأملأنَّ لك يدك ولأعلينَ قدرَكَ ولأغنيَنَّك ما بقيت .

قال : فأخذت المال وانصرفت . فلما أفضت الخلافة إليه سرَّت إليه

فوفى والله بوعده وزاد في إكرامي وكنت معه على أسرّ حال وأسنى منزلة  
وقد اتسعت أحوالي وكثرت أموالي وصار لي من الضياع والأملك ما يكفيني  
إلى مماتي ويكفي من بعدي ولم أزل معه حتى قُتِل ، عفا الله عنه .

### هشام وزين العابدين والفرزدق

وقيل : إنه لما حجّ هشام في أيام أبيه طاف بالبيت وجهد أن يصل  
إلى الحجر الأسود ليستلمه . فلم يقدر عليه لكثرة الزحام ، فُصِب له منبر  
وجلس عليه ينظر إلى الناس ومعه جماعة من أهل الشام . فبينما هو كذلك  
إذ أقبل زين العابدين عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم  
أجمعين ، وكان من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم أرجاً فطاف بالبيت ،  
فلما انتهى إلى الحجر الأسود تنحّى له الناس حتى استلمه ، فقال رجل من  
أهل الشام : من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهبة ؟

فقال هشام : لا أعرفه ! مخافة أن يرغب فيه أهل الشام . وكان أبو  
فراس الفرزدق حاضراً فقال : أنا والله أعرفه ، فقال الشامي : من هذا يا  
أبا فراس ، فقال :

هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأته	والبيتُ يعرفهُ والحلُّ والحرمُ <sup>١</sup>
هذا ابنُ خيرٍ عبادِ الله كلُّهم	هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ
إذا رأيته فُرش قال قائلها :	إلى مكارمِ هذا ينتهي الكرمُ
يُنمى إلى ذُرْوَةِ العزِّ التي قَصَّرت	عن نيلها عربُ الإسلامِ والعجمُ
يكادُ يُسيكُهُ عرفانُ راحته	رُكنُ الخطيمِ إذا ما جاء يستلِمُ <sup>٢</sup>
في كَفِّهِ خَيْرَانُ رِيحُهُ عَبَقُ	من كَفِّ أروغٍ في عرينيه شَمُ <sup>٣</sup>

١ البطحاء : الأرض المنبثحة في وسطها مكة . وطأته : موضع قدمه .

٢ الخطيم : حجر الكعبة أو جداره .

٣ عرينه : الأنف . الشمس : الارتفاع .

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ  
يَنْشُقُّ نُورَ الْهُدَى مِنْ نُورِ غُرَّتِهِ  
مَشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَبْعُهُ  
هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلُهُ  
اللَّهُ شَرَّفَهُ قَدَمًا وَعَظَمَهُ  
وَلَيْسَ قَوْلُكَ مِنْ هَذَا بَضَائِرِهِ  
كَلْنَا يَدَيْهِ غِيَاثُ عَمِّ نَفْعُهَا  
سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ  
حَمَلٌ أَثْقَالُ أَقْوَامٍ إِذَا فُدِحُوا  
مَا قَالَ لَا قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهُدِهِ  
عَمُّ الْبَرِيَّةِ بِالْإِحْسَانِ فَانْقَشَعَتْ  
مِنْ مَعَشَرِ حُبِّهِمْ دِينٌ وَبَغْضُهُمْ  
إِنْ عُدَّ أَهْلُ النَّهْيِ كَانُوا أَيْمَتَهُمْ  
لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادُ بُعْدِ غَايَتِهِمْ  
هُمُ الْغِيُوثُ إِذَا مَا أَزَمَتْ  
لَا يَنْقُصُ الْعُسْرُ بَسْطًا مِنْ أَكْفَهُمْ  
مَقْدَمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ

فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَتَسَمُّ  
كَالشمس يَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الْقَتَمُ  
طَابَتْ مَفَارِزُهُ وَالْحَيْمُ وَالشَّيْمُ  
بِحَدِّهِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خُتِمُوا  
جَرَى بِذَاكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ  
الْعَرَبُ تَعْرِفُ مِنْ أَنْكَرَتِ وَالْعَجَمُ  
يُسْتَوْكِفَانِ وَلَا يَعْرِوْهَا عَدَمُ  
يَزِينُهُ اثْنَانِ : حَسَنُ الْخُلُقِ وَالشَّيْمُ  
حَلُّو الشَّمَائِلِ تَحْلُو عَنْده نَعَمُ  
لَوْلَا التَّشْهُدُ كَانَتْ لَاءَهُ نَعَمُ  
عَنْهَا الْغِيَاظُ وَالْإِمْلَاقُ وَالْعَدَمُ  
كُفْرُ وَقُرْبُهُمْ مَنَجَّى وَمَعْتَصَمُ  
أَوْ قِلَ مِنْ خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ قَبْلَ هُمُ  
وَلَا يَدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا  
وَالْأَسَدُ أَسَدُ الشَّرِّ وَالْبَاسُ مُحْتَدَمُ  
سَيَانَ ذَلِكَ إِنْ أَثَرُوا وَإِنْ عَدِمُوا  
فِي كُلِّ بَدْوٍ وَمَحْتَمٌ بِهِ الْكَلِمُ

- ١ ينجاب : ينكشف . القتم : الغبار الأسود .
- ٢ الحيم : الطبيعة والسجية .
- ٣ اللوح : الكتاب الذي يسطره القضاء والقدر لكل إنسان ويؤجله إلى حدٍّ معلوم .
- القلم : أي قلم القصاص والقدر .
- ٤ يستوكفان : يستقطان . العدم : الفقر وفقدان الشيء .
- ٥ بواده ، الواحدة بادرة : ما يبلى من الإنسان عند الغضب .
- ٦ فدحوا : نزلت بهم فادحة أي مصيبة . تحلو عنده نعم : أي يلذ له أن يجب بالإيجاب من يسأله المعونة .
- ٧ الغياض : الظلمات : الإملاق : الفقر .

يَأْبَى لَهُمْ أَنْ يَحُلَّ الدَّمُ سَاحَتَهُمْ      خُلِقَ كَرِيمٌ وَأَيْدٍ بِالتَّدَى مُضْمٌ  
أَيَّ الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ      لِأَوْلِيَّةٍ هَذَا أَوَّلُهُ نِعَمٌ  
مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوْلِيَّةَ ذَا      فَالْدِّينُ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمَمُ

فلما سمع هشام ذلك غضب وجلس الفرزدق ، فأنفذ له زينُ العابدين رضي الله عنه ، اثني عشر ألف درهم ، فردّها وقال : مدحّتهُ الله لا للعطاء والصلوات . فقال زين العابدين : إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ إِذَا وَهَبْنَا شَيْئًا لَا نَعُودُ فِيهِ . فقبلها الفرزدق ، انتهى .

### هشام والغلام الفصيح

مِمَّا يَحْكِي أَنَّ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي صَيْدِهِ وَقَتَصَهُ إِذْ نَظَرَ إِلَى ظَمِيرٍ تَبِعَهُ الْكَلَابُ فَتَبِعَتْهُ وَأَحَالَتْهُ إِلَى خَبَاءٍ أَعْرَابِيٍّ يَرْعَى غَنَمًا ، فَقَالَ هِشَامُ : يَا صَبِيَّ دُونَكَ هَذَا الظَّمِيرُ فَأَتَيْتَنِي بِهِ .

فَرَفَعَ الصَّبِيُّ رَأْسَهُ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : يَا جَاهِلُ بِقَدْرِ الْأَخْيَارِ لَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيَّ بِاسْتِصْغَارٍ وَكَلِمَتَيْنِي بِاحْتِقَارٍ فَكَلَامُكَ كَلَامُ جَبَّارٍ وَفَعْلُكَ فَعْلُ حِمَارٍ .

فَقَالَ هِشَامُ : يَا صَبِيَّ ، وَبَيْلَكَ مَا تَعْرِفُنِي ؟

فَقَالَ : قَدْ عَرَفْنِي بِكَ سَوْءَ أَدَبِكَ إِذْ بَدَأْتَنِي بِكَلَامِكَ قَبْلَ سَلَامِكَ .

فَقَالَ : وَبَيْلَكَ أَنَا هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ .

فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ : لَا قَرَبَ دَارِكَ وَلَا حَيٍّ مَزَارِكَ ، مَا أَكْثَرَ كَلَامَكَ وَأَقَلَّ إِكْرَامَكَ .

فما استتم حتى أهدت به الجيوش من كل جانب . كل منهم يقول :  
السلام عليك يا أمير المؤمنين . فقال هشام : أقصروا الكلام واحفظوا  
الغلام .

فقبضوا عليه ورجع هشام إلى قصره وجلس في مجلسه وقال : عليّ  
بالغلام البلوي . فأُتي به .

فلما رأى الغلام كثرة الغلمان والحجّاب والوزراء والكتّاب وأبناء الدولة  
وأرباب الصولة لم يكثر بهم ولم يسأل عنهم بل جعل ذقته على صدره  
وجعل ينظر حيث تقع قدماء إلى أن وصل إلى هشام فوقف بين يديه .  
ونكس رأسه إلى الأرض ، وسكت وامتنع من الكلام .

فقال بعض الخدام : يا كلب العرب ! ما منعك أن تسلّم على أمير  
المؤمنين ؟

فالتفت إليه مغضباً وقال : يا برّذعة الحمار . منعي من ذلك طول  
الطريق ونهز الدرجة والتعويق .

فقال هشام وقد تزايد به الغضب : يا صبي قد حضرت في يوم حضر  
فيه أجلك وخاب فيه أملك وانصرم فيه عمرك .

فقال له الصبي : والله يا هشام لئن كان في المدة تأخير ما ضرّني من  
كلامك لا قليل ولا كثير .

فقال له الحاجب : بلغ من أمرك ومحلّك يا أخسّ العرب أن تخاطب  
أمير المؤمنين كلمة بكلمة .

فقال له مسرعاً : لقيك الخذل ولأمك الويل والهبل : أما سمعت ما  
قال الله تعالى : « يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها » . فإذا كان الله  
يُجادل جدالاً فمن هشام حتى لا يُخاطب خطاباً ؟

فعند ذلك قام هشام واغتاض غيظاً شديداً . وقال : يا سيّاف عليّ

برأس هذا الغلام فقد أكثر الكلام فيما لا يخطر على الأوهام .

فقام السياف وأخذ الغلام وأبركه في نطح الدم . وسل سيف النعمة على رأسه . وقال : يا أمير المؤمنين . عبدك المذل بنفسه المتقلب في رمسه . أضرب عنقه . وأنا بريء من دمه ؟

قال : نعم .

فاستأذنه ثانية فأذن له ثم استأذنه ثالثة فهم أن يأذن له فضحك الصبي حتى بدت نواجذه . فازداد منه تعجباً وقال : يا صبي أظنك معتوها . ترى أنك مفارق الدنيا ومزائل الحياة وأنت تضحك هزاً بنفسك ؟

فقال : يا أمير المؤمنين لئن كان في المدة تأخير ولم يكن في الأجل تقصير ما ضرني منك قليل ولا كثير . ولكن آيات حضرت الساعة فاسمعهما . فقتلي لا يفوت فأكثر الصموت .

فقال هشام : هات وأوجز . فهذا أول أوقاتك من الآخرة وآخر أوقاتك من الدنيا .

فأنشد يقول :

نُبِّئْتُ أَنَّ الْبَارَ عَلَّقَ مَرَّةً      عَصْفُورَ بَرٍّ سَافَهُ الْمَدُورَ  
فَتَعَلَّقَ الْعَصْفُورُ فِي إِظْفَارِهِ      وَالْبَارُ مِنْهُكَ عَلَيْهِ بَطِيرُ  
فَأَنَى لِسَانَ الْحَالِ يُخْبِرُ قَائِلًا :      هَا قَدْ ظَهَرْتُ وَإِنِّي مَأْسُورُ  
مَثَلِي هَا يَغْنِي لِمَثَلِكَ جُوعَةٌ      وَلَئِنْ أَكُتَ فَرَنْتِي مَحْقُورُ  
فَتَبَسَّمَ الْبَارُ الْمَذِلُّ بِنَفْسِهِ      طَرِبًا وَأُطْلِقَ ذَلِكَ الْعَصْفُورُ

قال : فتبسّم هشام وقال : وقراني من رسول الله ﷺ لو تَلَفَّظَ بهذا من أول وقت من أوقاته وطلب . ما دون الخلافة . لأعطينه . يا خادم : احشُ فاهه ذراً وجوهراً وأحسن جائزته ودعّه يَمْضِي إلى حال سبيله .

## عروة بن أذينة وهشام بن عبد الملك

قيل : وفد عروة بن أذينة على هشام بن عبد الملك فشكا إليه فقره  
فقال : ألسن القائل :

لقد علمتُ وما الإسرافُ من خلَّتني      أن الذي هو رزقي سوف يأتيني  
أسمى إليه يُعِينني      تطلبهُ وإن قعدتُ أتاني لبس يُعِينني

وخرجت الآن من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، وعظمت فأبلغت .

وخرج وركب ناقته وكرَّ إلى الحجاز راجعاً . فلما كان الليل نام هشام  
على فراشه فذكر عروة وقال : رجل من قريش قال حكمة ووفد عليّ  
فرددته خائباً . فلما أصبح وجَّه إليه بألف دينار فقرع عليه الرسول باب  
داره بالمدينة فأعطاه المال فقال : أبلغ عني أمير المؤمنين السلام ، وقل  
له : كيف رأيتَ قولي ، سمعتُ فأكذبتُ ، فرجعتُ خائباً ، فجلست في  
داري فأتاني رزقي في منزلي ، انتهى .



## ابتداء الدولة العباسية

كان القائم بهذه الدولة أبو مسلم الخراساني ، وكان اسمه عبد الرحمن ابن مسلم ، فمن قوله :

أدركت بالحزم والكيمان ما عجزت عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا  
ما زلت أسمى بجهد في دمارهم والقوم في غفلة والناس قد رقدوا  
حتى ضربتهمو بالسيف فانتبها من نومة لم ينمها قبلهم أحد  
ومن رعى غنماً في أرض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الأسد

أولهم أبو عبد الله السفاح . ذكر ابن الجوزي في كتاب الأذكياء عن خالد بن صفوان أنه دخل يوماً على أبي العباس السفاح وليس عنده أحد ، فقال : يا أمير المؤمنين إني والله ما زلت منذ قلّدتك الله خلافته أطلب أن أصيرَ معك بمثل هذا الموقف في الخلوة ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمرَ بإمساك الباب فعل حتى نفرغ .

فأمر الحاجب بذلك ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إني فكّرت في أمرك واستجلبت الفكرَ فيك ، فلم أرَ أحداً له قدرة واتساع في الاستمتاع بالنساء ولا أضيّق فيهن عيشاً منك . إنك ملّكت نفسك امرأة من نساء العالمين فاقتصرتَ عليها . فإن مرضتَ مرضتَ وإن غابت غبتَ ، وإن عزلتَ عزلتَ وحرمتَ ، يا أمير المؤمنين ، على نفسك التلذذ بما يُشتهي منهن ، فإنّ منهن الطويلة التي تُشهى لحسها ، والبيضاء التي تُحبُّ لرؤيتها . والسمراء اللعساء ، والصفراء الذهبية ، ومولدات المدينة والطائف

واليمامة ذوات الألسنة العذبة والجواب الحاضر . وبنات سائر الملوك وما يُشبههن من نضارتهن ونظافتهن .

وتخلَّل خالدٌ لسانه فأظنب في صفاتِ ضروبِ الجوارى وشَوْقه إليهن . فلما فرغ من كلامه قال له السفّاح : ويحك ملأتَ مسامعي . ما شغلَ خاطري والله ما سلكَ مسامعي كلامُ أحسنَ من هذا فأعِدْ عليّ كلامك فقد وقع مني موقعاً .

فأعاد عليه خالدُ كلامه بأحسن مما ابتدأ به . ثم قال له : انصرف ! فانصرفَ وبقي أبو العباس مفكراً . فدخلتُ عليه أمُّ سلمةَ زوجته . وكان قد حلفَ لها أنه لا يتزوَّج عليها ولا يتخذُ عليها سِرِيَّةً ووفى لها . فلما رآته على تلك الحالة قالت له : إني لأنكرُك يا أمير المؤمنين . فهل حدث شيءٌ تكرهه أو أتاك خير ارتعت له ؟

قال : لا .

فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد فقالت له : وما قلت لابن الفاعلة ؟

فقال لها : أينصحنى وتشتميه ؟

فخرجت إلى موالِها وأمرتهم بضرب خالد .

قال خالد : فخرجت من الدار مسروراً بما أُلقيت إلى أمير المؤمنين . ولم أشك في الصلة . فبينما أنا واقف إذ أقبل موالى أم سلمة يسألون عني فحققت الجائزة فقلت لهم : ها أنا واقف . فاستبق إليّ أحدهم بخشبة فغمزت برذوني فلحقني وضرب كفلي البرذون . وركضت ففررت منهم واستخفيت في منزلي أياماً ووقع في قلبي أني أمنت من أم سلمة . فبينما أنا ذات يوم جالس في المنزل فلم أشعر إلا بقوم قد هجموا عليّ فقالوا : أجب أمير المؤمنين . فسبق إلى قلبي أنه الموت فقلت : إنا لله وإنا إليه

راجعون ، لم أرَ دَمَ شيخٍ أضيع من دمي . فركبت إلى دار أمير المؤمنين نأصبته جالساً ولحظت في المجلس بيتاً عليه ستورٌ رقاقٌ وسمعت حساً خفياً خلف الستر فأجلستني . ثم قال : يا خالد أنت وصفت لأمر المؤمنين صفة نأعدها .

قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، أعلمتك أن العرب ما اشتقت اسم الضَّرتين إلّا من الضَّر وإن أحداً لم يكثر من النساء أكثر من واحدة إلّا كان في ضرٍّ وتنغيص .

فقال السفّاح : لم يكن هذا من كلامك أولاً ؟

قلت : بلى يا أمير المؤمنين ، وأخبرتكَ أن الثلاث من النساء يُدخلن على الرجل البؤسَ وتشيبُ الرأس .

فقال : برئت من رسولِ الله ﷺ إن كنتُ سمعتُ هذا منك أولاً أو مرّ في حديثك .

قلت : بلى يا أمير المؤمنين ، وأخبرتكَ أن الأربع من النساء شرٌّ مجتمع لصاحبهن يشيبنه ويهرمنه .

قال : والله ما سمعت منك هذا أولاً ؟

قلت : بلى يا أمير المؤمنين ، وأخبرتكَ أن أبكارَ الإمام رجالٌ إلّا أنه يست لهنّ خصاء .

قال أمير المؤمنين : أفتكذبني ؟

قلت : أفقتلني ؟

قال خالد ، فسمعت ضحكاً خلف الستر ، ثم قلتُ وأخبرتكَ أن عندك ربحانة قريش وأنت تطمعُ بعينيك إلى النساء والجواري .

فقبل لي من وراء الستر : صدقت يا عمّاه هذا حديثك ولكنه غير حديثك ونطق بما في خاطره عن لسانك .

فقال السفّاح : ما بك قاتلك الله ؟

قال خالد . فانبسلتُ وخرجتُ فبعثتُ إليّ أم سلمة بعشرة آلاف درهم وبرذوناً وتحت ثياب ، انتهى .

### أبو دلامة والسفّاح

وروي أن أبو دلامة الشاعر كان واقفاً بين يدي السفّاح في بعض الأيام فقال : سلمي حاجتك ؟

فقال له أبو دلامة : أريد كلبَ صيدٍ .

فقال : اعطوه إياه .

فقال : ودابةً أنصيدَ عليها .

فقال : اعطوه دابة .

فقال : وغلماً يقودُ الكلبَ والصيدَ .

فقال : أعطوه غلاماً .

فقال : وجارية تُصلحُ لنا الصيدَ وتُطعمنا منه .

فقال : أعطوه جارية .

فقال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عيالٌ ولا بدّ لهم من دار يسكنونها .

فقال : أعطوه داراً تجمعهم .

ثم قال : وإن تكن لهم الدار فمن أين يعيشون ؟

قال : قد أقطعتك عشرة ضياعٍ عامرةٍ وعشرة غامرةٍ من فباني بني إسرائيل .

قال : وما معنى الغامرة يا أمير المؤمنين ؟

قال : ما لا نبات فيها .

قال : قد أقطعتك يا أمير المؤمنين مائة ضيعة غامرة من فيافي بني سعد .

فضحك منه وقال : أعطوه كلَّها عامرة .

قال الحافظ : فانظر إلى جذقه بالمسألة ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب عييد فسَهِّل القضية وجعل يأتي بمسألة مسألة على ترتيب وفكاهة حتى نال ما سأل . ولو سأل ذلك بديهة لما وصل إليها . بارك الله فيه ، انتهى .

### راعي الذمم

وروي عن الحسن بن الحسين . قال : لما أفضت الخلافة إلى بني العباس كان من جملة من اختفى إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك فلم يزل مخْتَفِياً إلى أن أضناه وأضرجه الاختفاء ، فأخذ له أماناً من السفّاح . وكان إبراهيم رجلاً أديباً بليغاً حسن المحاضرة ، فعظمي عند السفّاح . فقال له : لقد مكثت زمناً طويلاً مخْتَفِياً فحدثني بأعجب ما رأيت في اختفائك ، فإنها كانت أيام تكدير .

فقال : يا أمير المؤمنين . وهل سَمِعَ بأعجب من حديثي ؟ لقد كنت مخْتَفِياً في منزل أنظر منه إلى البطحاء فبينما أنا على مثل ذلك ، وإذا بأعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فوقع في ذهني أنها خرجت تطلّبي . فخرجت متنكراً حتى أتيت الكوفة من غير الطريق ، وأنا والله متحير . ولا أعرف بها أحداً . وإذا أنا بباب كبير في رَحْبة منيعة . فدخلت في تلك الرحبة فوقفت قريباً من الدار ، وإذا برجل حسن الهيئة . وهو راكب فرساً ومعه جماعة من أصحابه وغلمانة ، فدخل الرحبة فرآني واقفاً مرتاباً فقال لي : ألك حاجة ؟

قلت : غريب خائف من القتل .

قال : ادخل فدخلت إلى حُجرة في داره . فقال : هذه لك . وهياً لي ما أحتاج إليه من فرش وآنية ولباس وطعام وشراب . وأقمت عنده ووالله ما سألتني قط من أنا . ولا ممن أخاف ؟ وهو في أثناء ذلك يركب في كل يوم ويعود تبعياً متأسفاً كأنه يطلب شيئاً فائته ولم يجده . فقلت له يوماً : أراك تركب في كل يوم وتعود تبعياً متأسفاً كأنك تطلب شيئاً فاتك ؟

فقال لي : إن إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك قتل أبي وقد بلغني أنه عتف من السفاح . وأنا أطلبه لعلّي أجده وأخذ بثأري منه .

فتمجبت والله يا أمير المؤمنين من هربي وشؤم بختي الذي سقني إلى منزل رجل يريد قتلي ويطلب ثأره مني . فكرهت الحياة واستعجلت الموت لما نالني من الشدة ، فسألت الرجل عن اسم أبيه وعن سبب قتله ، فعرفني الخبر فوجدته صحيحاً . فقلت : يا هذا قد وجب عليّ حقك . وأن من حقك أن أدلك على قاتل أبيك وأقرب إليك الخطوة وأسهل عليك ما بعد .

فقال : أتعلم أين هو ؟

قلت : نعم .

فقال : أين هو ؟

فقلت : والله هو أنا فخذ بثأرك مني .

فقال لي : أظن أن الاختفاء أضناك فكرهت الحياة .

قلت : نعم والله أنا قتلته يوم كذا وكذا .

فلما علم صدقي تغير لونه واحمرت عيناه وأطرق رأسه ساعة ثم رفع رأسه إليّ وقال لي : أما أبي فسيلقاك غداً يوم القيامة فيحاكمك عند من لا تخفى عليه خافية . وأما أنا فليست مُخفراً ذمّي ولا مُصيّعاً نزلي . اخرج

عَتِي فَإِنِّي لَا أَمْنُ مِنْ نَفْسِي عَلَيْكَ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ .  
 ثُمَّ وَثَبَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى صَنْدُوقٍ فَأَخْرَجَ مِنْهُ صَرَّةً فِيهَا خَمْسَمِائَةٌ  
 دِينَارٍ وَقَالَ : خُذْ هَذِهِ وَاسْتَعْنِ بِهَا عَلَى اخْتِفَائِكَ .  
 فَكَرِهَتْ أَخَذَهَا وَخَرَجَتْ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ أَكْرَمَ رَجُلٍ رَأَيْتُ . فَبَقِيَ  
 السَّفَاحُ يَهْتَزُّ طَرَباً وَيَتَعَجَّبُ .

### مَفَاخِرَةُ الْيَمَنِ وَمُضَرِّ

وَعَنْ الْمُهَيْمَنِ بْنِ عَدِي . قَالَ كَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَاحُ تَعَجَّبَهُ الْمَسَامِرَةُ  
 وَمَنَازَعَةُ الرِّجَالِ فَحَضَرَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي مَسَامِرَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَجْزَةَ الْكَنْدِيِّ  
 وَنَاسٍ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ وَهُمْ أَخْوَالُهُ وَخَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ  
 التَّمِيمِيِّ . فَخَاضُوا فِي الْحَدِيثِ وَتَذَاكُرُوا مُضَرَ وَالْيَمَنَ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : يَا أَمِيرَ  
 الْمُؤْمِنِينَ . إِنْ الْيَمَنَ هُمُ الْعَرَبُ الَّذِينَ دَانَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا وَكَانَتْ لَهُمُ الْقُرَى وَلَمْ  
 يَزَالُوا مُلُوكاً أَرْبَاباً وَوَرِثُوا ذَلِكَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ أَوَّلًا عَنْ آخِرٍ مِنْهُمْ الثَّعْنَانِيَّاتُ  
 وَالْمُنْدَرِيَّاتُ وَالْقَابُوسِيَّاتُ وَالتَّبَاعَةُ<sup>١</sup> ، وَمِنْهُمْ مَنْ مَدَحَتْهُ الزُّبُرُ<sup>٢</sup> ، وَمِنْهُمْ غَسِيلُ  
 الْمَلَانِكَةِ<sup>٣</sup> ، وَمِنْهُمْ مَنْ اهْتَزَلَمُوهُ الْعَرْشَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَهُ الذُّنْبُ ، وَمِنْهُمْ  
 الَّذِي كَانَ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضَباً . وَلَيْسَ شَيْءٌ لَهُ خَطَرٌ إِلَّا وَإِلَيْهِمْ يَنْسَبُ  
 مِنْ فَرَسٍ رَافِعٍ أَوْ سَيْفٍ قَاطِعٍ أَوْ دَرْعٍ حَصِينَةٍ أَوْ حَلَّةٍ مَصُونَةٍ أَوْ دَرَّةٍ  
 مَكُونَةٍ ، إِنْ سُلِّتُوا أَعْطَوْا وَإِنْ سَيِّمُوا<sup>٤</sup> أَبَوْا ، وَإِنْ نَزَلَ بِهِمْ ضَيْفٌ قَرَوْا لَا  
 يُلْفِئُهُمْ مَكَابِرُ . وَلَا يَنَالُهُمْ مَفَاخِرُ : هُمُ الْعَرَبُ الْغُرَبَاءُ ، وَغَيْرُهُمُ الْمُتَعَرِّبَةُ .

١ الثَّعْنَانِيَّاتُ وَالْمُنْدَرِيَّاتُ وَالْقَابُوسِيَّاتُ : إِشَارَةٌ إِلَى اللَّخْمِيِّينَ مُلُوكِ الْحِيرَةِ . التَّبَاعَةُ :  
 مُلُوكُ الْيَمَنِ .

٢ الزُّبُرُ . الْوَاحِدُ زُبُورٌ : الْكِتَابُ ، وَغَلَبَ عَلَى صَحْفِ دَاوُدَ .

٣ غَسِيلُ الْمَلَانِكَةِ : هُوَ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ الْأَنْصَارِيُّ .

٤ سَيِّمُوا : لَعَلَهُ يَرِيدُ سَيِّمُوا الذَّلَّ أَيَّ كَلْفُوهُ .

قال أبو العباس السفاح : ما أظن التميمي يرضى بقولك . ثم قال :  
ما تقول يا خالد ؟

قال : إن أذنت في الكلام تكلمت .

قال : أذنت لك في الكلام فتكلم ولا تهب أحد .

فقال : أخطأ يا أمير المؤمنين المفتحيم بغير علم والناطق بغير صواب .  
فكيف يكون ما قال . وإن القوم ليست لهم السنُ فصيحةٌ ولا حجة  
رجيحة . نزل به كتاب ولا جاءت بها سئة ، وهم ممّا على منزلتين : إن  
حادوا عن قصدنا أكلوا ، وإن جازوا حكمنا قتلوا ، يفخرون علينا  
بالتعمائيات والمندریات وغير ذلك مما سنأتي عليه . ونفخر عليهم بخير الأنام  
وأكرم الكرام سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام . والله المنة علينا  
وعليهم لقد كانوا أتباعه فيه عزّوا وله أكرموا ، فتأ النبي ﷺ ومنا الخليفة  
المرتضى ، ولنا البيت المعمور والمسعى وزمزم والمقام والمينر والركن والحطيم  
والمشاعر والحجابه والبطحاء مع ما لا يخفى من المآثر ولا يدرك من المفاخر .  
فليس يعدل بنا عادل ولا يبلغ فضلنا قول قائل ومنا الصديق والفاروق  
والوصي وأسد الله وسيد الشهداء ذو الجناحين وسيف الله . عرفوا الله  
وأثامهم اليقين ، فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه<sup>٢</sup> .

ثم التفت إلى إبراهيم فقال : أعالم أنت بلغة قومك ؟

قال : نعم .

قال : فما اسم العين ؟

- 
- ١ الصديق : أبو بكر أول الخلفاء الراشدين . الفاروق : عمر بن الخطاب . الوصي :  
علي بن أبي طالب . أسد الله : حمزة بن عبد المطلب . سيد الشهداء ذو  
الجناحين : جعفر الملقب أيضاً بالطيار . سيف الله : خالد بن الوليد .  
٢ اصطلمناه : استأصلناه .



قال : الجمجمة .

قال : فما اسم السن ؟

قال : الميذن .

قال : فما اسم الأذن ؟

قال : الصنارة .

قال : فما اسم الأصابع ؟

قال : المشاتير .

قال : فما اسم اللحية ؟

قال : الذئب .

قال : فما اسم الذئب ؟

قال : الكنع .

قال : أفممن أنت بكتاب الله ؟

قال : نعم .

قال : فإن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾<sup>١</sup> ، وقال تعالى : ﴿ يَلِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾<sup>٢</sup> . وقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا يَلِسَانٌ قَوْمِهِ ﴾<sup>٣</sup> . فنحن العرب والقرآن بلساننا نزل ، ألم تر أن الله تعالى قال : العين بالعين ، ولم يقل : الجمجمة بالجمجمة ، وقال : السن بالسن ، ولم يقل الميذن بالميذن ، وقال : الأذن بالأذن ، ولم يقل الصنارة

١ سورة يوسف ٢ .

٢ سورة الشعراء ١٩٥ .

٣ سورة إبراهيم ٤ .

بالصَّارَةَ . وقال : ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ ، ولم يقل شناترهم .  
وقال : لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ، ولم يقل بذنبي . وقال تعالى : فأكله  
الذئب . ولم يقل فأكله الكنع . ثم قال أسألك عن أربع إن أقررت بهنَّ  
قُهِتَ وإن جحدتهنَّ كَفَرْتَ .

قال : وما هنَّ ؟

قال : الرسول منا أو منكم ؟

قال : منكم .

قال : فالقرآن نزل علينا أو عليكم ؟

قال : عليكم .

قال : فالبيت الحرام لنا أو لكم ؟

قال : لكم .

قال : فالخلافة فينا أو فيكم ؟

قال : فيكم .

قال خالد : فما كان بعد هذه الأربع فهو لكم .

## خلاقة أبي جعفر المنصور

قيل : إنه كان يحفظ الشعر من مرة . وله مملوك يحفظه من مرتين ، وكان له جارية تحفظه من ثلاث مرّات . وكان بخيلاً جداً حتى إنه كان يلقب بالدوانيقي لأنه كان يحاسب على الدوانيقي<sup>١</sup> ، فكان إذا جاء شاعر بقصيدة قال له : إن كانت مطروقة بأن يكون أحد يحفظها أو أحد أنشأها : أي بأن كان أتى بها أحد قبلك ، فلا نعطيك لها جائزة . وإن لم يكن أحد يحفظها نعطيك زنة ما هي مكتوبة فيه . فيقرأ الشاعر القصيدة فيحفظها الخليفة من أول مرّة ، ولو كانت ألف بيت ، ويقول للشاعر اسمعها مني وينشدها بكاملها ، ثم يقول له : وهذا المملوك يحفظها . وقد سمعها المملوك مرتين ، مرّة من الشاعر ومرّة من الخليفة فيقرؤها ، ثم يقول الخليفة : وهذه الجارية التي خلف الستارة تحفظها أيضاً وقد سمعتها الجارية ثلاث مرات فتقرؤها بحروفهم فيذهب الشاعر بغير شيء .

قال الراوي : وكان الأصمعي من جلسائه وندمائه فنظم أبياتاً صعبة وكتبها على قطعة عمود من رخام ولفّها في عباءة وجعلها على ظهر بعير وغير جليته في صفة أعرابي غريب وضرب له لثاماً ولم يبيّن منه غير عينيه ، وجاء إلى الخليفة وقال : إني امتدحت أمير المؤمنين بقصيدة . فقال : يا أخا

---

١ الدوانيقي ، الواحد دانق : سدس الدرهم .

العرب إن كانت لغيرك لا نعطيك عليها جائزة وإلا نعطيك زنة ما هي مكتوبة عليه : فأنشد الأصمعي هذه القصيدة :

صوتُ صغيرِ الليلِ هبَّجَ قلبي الثَّملِ الماءَ والزَّهرُ معا  
 مع زهرٍ لحظِ المُقلِّ وأنت يا سيد دلي وسيددي ومولي  
 وكم وكم تيمني غزِيلُ عُقَني قطفُ من وجنته  
 بالثَّم وردَ الخجلِ وقلت بس بسبسي فلم يُجد بالقلِّ  
 وقال لا لا للَّلا وقد غدا مهرولي والحدودُ مالت طربا  
 من فعل هذا الرجلِ وولولت ولولتُ ولي ولي يا ويلي  
 فقلت لا تولولي وبني اللؤلؤي لما رآته أشطا  
 يريد غير القبلِ وبعده ما يكتني إلَّا بطيب الوصلِ  
 قالت له حين كذا انهض وجد بالقلِّ وفتية سقوني  
 قهْبوة كالعسلِ شمعها في أنفي أزكى من القرنفلِ  
 في وسط بستان حُلِّي بالزَّهر والسرولي والعودُ دندن دنلي  
 والطبلُ طبطبلي والرقص قد طبطبي والسقفُ قد سقسقلي  
 شوا شوا وشاهشوا على ورق سفرجلي وغرَّد القمرُ يصبحُ  
 من ملل في مللي فلو تراني راكبًا على حمار أهزلي  
 يمشي على ثلاثة كمشية العرنجلِ والناسُ ترجمجملي  
 في السوق بالقللي والكل كعكع كعكع خلني ومن حولي  
 لكن مشيت هاربا من خشية العقنلي إلى لقاء ملك  
 معظمٍ مبيَّلٍ يأمر لي بخلة حمراء كالدمدملي  
 أجر فيها ماشيا مبغدا للذيلِ أنا الأديب الألمي  
 من حي أرض الموصل نظمت قطعًا زخرفت ثمعجز الادبلي  
 أقول في مطلعها صوتُ صغيرِ الليلِ

قال الراوي : فلم يخطها الملك لصعوبتها ، ونظر إلى المملوك وإلى الجارية فلم يخطها أحد منها فقال : يا أبا العرب هات الذي هي مكتوبة فيه نعظك زنته .

فقال : يا مولاي إني لم أجد ورقاً أكتب فيه وكان عندي قطعة عمود رخام من عهد أبي . وهي ملقاة ليس لي بها حاجة . فنقشها فيها . فلم يسع الخليفة إلا أنه أعطاه وزنها ذهباً فنقد ما في خزينته من المال . فأخذه وانصرف . فلما ولّى قال الخليفة : يُغلبُ على ظنّي أن هذا الأصمعي . فأحضره وكشف عن وجهه . فإذا هو الأصمعي فتعجب منه ومن صنيعه وأجازه على عادته . قال : يا أمير المؤمنين ، إن الشعراء فقراء وأصحاب عيال وأنت تمنعهم العطاء بشدة حفظك وحفظ هذا المملوك وهذه الجارية . فإذا أعطيتهم ما تيسر ليستعينوا به على عيالهم لم يضرّك . انتهى .

### حاج يعظ المنصور

وذكر الغزالي وابن بليان وغيرهما . أن أبا جعفر المنصور حجّ ونزل في دار الندوة . وكان يخرج سحراً فيطوف بالبيت . فخرج ذات ليلة سحراً . فبينما هو يطوف إذ سمع قائلاً يقول : اللهم أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض . وما يحول بين الحق وأهله من الطمع . فهول المنصور في مشيته حتى ملأ سمعه ثم رجع إلى دار الندوة . وقال لصاحب شرطته : إن بالبيت رجلاً يطوف فأنتي به . فخرج صاحب الشرطة فوجد رجلاً عند الركن اليماني . فقال : أجب أمير المؤمنين . فلما دخل عليه . قال : أنا الذي سمعتك آنفاً تشكو إلى الله من ظهور البغي والفساد في

الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع . فوالله لقد حشوت مسامي ما أمرضني .

فقال له : يا أمير المؤمنين . إن الذي داخله الطمعُ حتى حال بين الحق وأهله وامتلاّت بلاد الله بذلك بغياً وفساداً أنت هو .

فقال له المنصور : ويحك كيف بداخلكي الطمع . والصفراء والبيضاء بياني ومُلْك الأرض في قبضي .

فقال الرجل : سبحان الله يا أمير المؤمنين ، وهل دأخل أحداً من الطمع ما داخلك ؟ استرعاك الله أمور المؤمنين وأموالهم فأهملتْ أمورهم واهتممتَ بجمع أموالهم ، واتخذتَ بينك وبين رعيتك حجاباً من الجبسِ والآجر وحجة معهم السلاحُ وأمرتَ أن لا يدخل عليك إلا فلان وفلان ، نفرُ استخلصتهم لنفسك وأمرتهم على رعيتك ، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الجائع ولا العاري . ولا أحدٌ إلا وله في هذا المال حقٌ . فلما رآك هؤلاء الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك تجمعُ الأموالَ وتقسّمها ، قالوا : هذا خان الله ورسوله فما لنا لا نخونه ؟ . فأجمعوا على أن لا يصل إليك من أموال الناس إلا ما أرادوا . فصار هؤلاء شركاءك في سلطانك ، وأنت غافل عنهم ، فإذا جاء المظلومُ إلى بابك وجدك وقفتَ رجلاً ينظر في مظالم الناس ، فإن كان الظالمُ من بطانتك علَّلَ صاحبُ المظالم بالمظلوم وسوّفَ من وقت إلى وقت . فإذا اجتهد وظهرتَ أنت صرخ بين يديك . فضره أعوانك ضرباً شديداً ليكونَ نكالا لغيره ، وأنت ترى ذلك ولا تُنكر . لقد كانت الخلفاء قبلك من بني أمية إذا أتت إليهم الظلّامة أزيلت في الحال ، ولقد كنتُ أسافر إلى الصين يا أمير المؤمنين ، فقدمت مرة فوجدتُ الملك الذي به قد فقد سمعه . فبكى ، فقال له وزراؤه : ما يُبكيك أيها الملك ؟ لا أبكى الله لك عبداً إلا من خشيته .

فقال : والله ما بكيت لمصيبة نزلت بي وإنما أبكي لمظلوم يصرخ

باباب فلا اسمعه . ثم قال . إن كان سمعي ذهب فإن بصري لم يذهب . نادوا في الناس لا يلبس أحدٌ ثوباً أحمرَ إلَّا مظلومٌ . وكان يركبُ الفيل طرفي النهار ويدور في البلد لعله يجد أحداً لابساً ثوباً أحمرَ فيعلم أنه مظلوم فينصفه . وهذا الأمير رجلٌ مُشرك غلبت عليه رافته على شح نفسه بالمشركين ، وأنت مؤمن بالله ورسوله وابنُ عمِّ رسول الله ﷺ .

يا أمير المؤمنين ! لا تجعلَ الأموالَ إلَّا لإحدى ثلاثٍ : فإن قلتَ إنما أجمعُ الأموالَ لصالحِ الملوك فقد أراك الله عبرةً في الملوك والقرون من قبلك ما أغنى عنهم ما أعدوا من الأموال والرجال والكراع . حين أراد الله بهم ما أراد ، وإن قلتَ إنما أجمع للولد ، فقد أراك الله عبرةً فيمن تقدّم ممن جمع المال للولد فلم يُغن ذلك عنهم شيئاً بل ربما مات فقيراً ذليلاً حقيراً ، وإن قلتَ إنما أجمعه لغاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها . فواقه ما فوق منزلتك إلَّا منزلة لا تدرك إلَّا بالعمل الصالح .

فبكى المنصور بكاءً شديداً ثم قال : وكيف أعمل وقد فُوت مني العبادُ ولم تقرّبني . والصالحون لم يدخلوا عليّ ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، افتح الباب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم وخذ المالَ مما حلّ وطاب . واقسمه بالحق والعدل ، وأنا ضامن من هربَ أن يعودَ إليك .

فقال المنصور : تفعل إن شاء الله تعالى .

وجاء المؤذنُ فأذن للصلاة فقام وصلى فلما قضى صلاته طلب الرجل فلم يجده ، فقال لصاحب الشرطة : عليّ بالرجل الساعة .

فخرج يتطلبه فوجده عند الركن اليماني فقال له : أجب أمير المؤمنين .

فقال : ليس إلى ذلك من سبيل .

فقال : إذن يضرب عني .

فقال : ولا إلى ضرب رقبتك من سبيل . ثم أخرج من مزود كان معه رقاً مكتوباً فقال له : خذه فإن فيه دعاء الفرج من دعا به صباحاً ومات من يومه مات شهيداً ، ومن دعا به مساءً ومات من ليلته مات شهيداً . وذكر له فضلاً عظيماً وثواباً جزيلاً . فأخذه صاحب الشرطة وأتى به المنصور فلما رآه قال له : ويلك أو تحسن السحر ؟

قال : لا والله يا أمير المؤمنين . ثم قصَّ عليه القصة . فأمر المنصور بنقله وأمر له بألف دينار ، وهو هذا .

« اللهم كما لطفتَ في عَظَمَتِكَ دون اللُّطفاء وعلوتَ بعَظَمَتِكَ على العُظماء ، وعلمتَ بما تحت أرضك كعلمِكَ بما فوق عرشك . وكانت وساوسُ الصدور كالعلانية عندك . وعلانيةُ القول كالسرِّ في علمك . وانقادَ كلُّ شيءٍ لعَظَمَتِكَ ، وخضعَ كلُّ ذي سلطان لسلطانِكَ . وصارَ أمرُ الدنيا والآخرة كُلِّهِ بيدِكَ ، اجعل لي من كلِّ همٍّ وغمٍّ أصبحتُ أو أمسيتُ فيه فرجاً ومخرجاً . اللهم ، إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسَرَكَ على قبيحِ عملي أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبُه مما قصَّرتُ فيه ، أدعوك آمناً وأسألك مستأنساً ، فإنك أنت المُحسن إليَّ وأنا المُسيءُ إلى نفسي فيما بيني وبينك ، تتودَّدُ إليَّ بالنعَمِ وأنقبضُ إليك بالمعاصي ، ولكنَّ النعمةَ بك حملتني على الجرأةِ عليك ، فجد بفضلِكَ وإحسانك عليَّ ، إنك أنت الرؤوف الرحيمُ » .

### القاضي ابن أبي ليلى والمنصور

وحدَّث عبد الله البلتاجي ، قال : دخل ابن أبي ليلى على أبي جعفر المنصور ، وكان ابن أبي ليلى قاضياً فقال أبو جعفر : إن القاضي يردُّ عليه



من ظرائف الناس ونواذرهم أمورٌ . فإن كان ورد عليك شيء فحدثني به .  
فقد طال عليّ يومي .

قال : والله يا أمير المؤمنين ، قد ورد عليّ منذ ثلاثة أيام أمرٌ ما ورد  
عليّ مثله . أنتني عجوز تكاد تنال الأرضَ بوجهها أو تسقط من انحناؤها  
فقلت : أنا بالله وبالقاضي أن يأخذ لي بخفي وأن يعينني على خصمي .

قلت : ومن خصمك ؟

قلت : ابنة أخ لي .

فدعوت بها فجاءت امرأةً ضخمةً ممثلة شحماً فجلست منبهةً .  
فذهبت العجوز تنظّم . فقالت الشابة : أصلح الله القاضي ، مرّها  
فلتسكتُ حتى أتكلّم بحجتي وحجتها فإن لحتُ بشيء فلتردّ عليّ ، فإن  
أذنت لي أسفرتُ .

فقلت العجوز : إن أسفرت قضيت لها .

فقلت لها : أسفري . فأسفرت عن وجه والله ما ظننتُ أنه يكون  
مثله إلا في الجنة . فقالت : أصلح الله القاضي ، هذه عمّتي مات والدي  
وتركني يتيمه في حجرها فربّنتي فأحسنّت التربية ، حتى إذا بلغت مبلغ  
النساء قالت لي : يا بنت أخي . هل لك في التزويج ؟ قلت : ما أكره  
ذلك يا عمّة .

قلت العجوز : نعم .

قلت : فخطبني وجوه أهل الكوفة فلم ترضَ إلا رجلاً صيرفيّاً ،  
فترّوجني ، فكنا كأننا ربحانان ما أظن أن الله خلق غيره يغدو إلى سوقه  
ويروح عليّ بما رزقه الله تعالى . فلما رأَت العمّة موقعه مِنّي وموقعي منه

١ منبهة : منقطعة النفس من السعي الشديد .

حسدتنا على ذلك . وكانت لها ابنة فشوقتها<sup>١</sup> وهيأتها لدخول زوجي .  
فوقعت عينه عليها . فقال : يا عمّة هل لك أن تزوّجيني ابنتك ؟

قالت : نعم بشرط .

فقال لها : وما الشرط ؟

قالت : تُصَبِّرُ أَمْرَ ابْنَةِ أَخِي إِلَيَّ .

قال : قد صيرتُ أمرها إليك .

قالت : فإني قد طلقْتُها ثلاثاً ابنة .

وزوّجتُ ابنتها زوجي . فكان يغدو عليها ويروح . فقلت لها : يا  
عمتي أأأذن لي أن أنتقل عنك ؟

قالت : نعم .

فأنتقلت عنها وكان لعمتي زوج غائب فقدم فلما توسّط مترها قال : ما  
لي لا أرى ريبتنا ؟

قالت : طلقها زوجُها فانتقلت عني .

فقال : إن لها من الحقّ علينا أن نعرّيها بمصيّبتها .

فلما بلغني جليله إليّ تهيأت له ونشوّفتُ . فلما دخل عليّ عزّائي  
بُصِّصَني ، ثم قال : إن فيك بقيةً من الداء ؛ فهل لك أن أتزوّج  
بك ؟

قلت : ما أكره ذلك ولكن على شرط .

قال لي : وما الشرط ؟

قلت : تُصَبِّرُ أَمْرَ عمّتي بيدي .

١ شوقها : ربيتها .

قال : فلاني قد فعلت وصيرتُ أمرها بيدك .

قلت : فلاني قد طَلَّقْتُهَا ثلاثاً بنتُ .

قالت : فقدم عليّ بثقله من الغد ومعه ستة آلاف درهم فأقام عندي ما أقام ، ثم إنه اعتلّ وتوفي فلما انقضت عدتي جاء زوجي الأول الصيرفي يعزّيني بمُصِيبتي فلما بلغني بحبّه تهيأت وتشوّفتُ له . فلما دخل عليّ قال لي : يا فلانة إنك تعلمين أنك كنت أعزّ الناس عليّ وأحبّهم إليّ ، وقد حلّتِ المراجعةُ ، فهل لك في ذلك ؟

قلت : ما أكره ذلك ، ولكن اجعل أمر ابنة عمّتي بيدي .

قال : فلاني قد فعلت .

قلت : فلاني قد طَلَّقْتُهَا ثلاثاً بنتُ ، أصلح الله القاضي . فرجعت إلى زوجي فاعتدالي عليها .

فقالت العجوز : أنا فعلت مرّةً ، وفعلتُ مرّةً بعد أخرى .

فقلت : إن الله لم يُؤَقِّتْ في هذا وقتاً ، وقد قال تعالى : ﴿ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيُنْصَرَّهُ إِلَهُ ﴾ . فواحدة بواحدة والبادي أظلم .

فقال القاضي : إن زوج العمّة لم يكن له أن يتزوَّج ابنة أخيها وهي في عدّته ؛ فأرادت العجوز أن تتولّى التفريق بينه وبينها استيفاء لها وبجازاة لها على فعلها . فقلت لها : قد قرّرت بينكما . قومي إلى منزلك . انتهى .

## الأمير الأموي وملك الثوبة

وذكر المنصور يوماً في مجلسه زوالَ مُلكِ بني أمية وما جرى عليهم .  
وأنهم عاشوا سعداء وماتوا فقراء ، فقال له إسماعيل بن عليّ الهاشمي :  
إن عبد الله بن مروان بن محمد في حبسك ، وله قصة مع ملكِ الثوبة .  
فاحضره واسأله عنها . فأحضره . فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين  
ورحمة الله وبركاته .

فقال المنصور : ردّ السلام آمنٌ ولم نسمع نفسي بذلك ، ولكن  
اقعد ! فقم ، فقال : ما قصّتك مع ملكِ الثوبة ؟

فقال : يا أمير المؤمنين . كنت وليّ عهد أبي فلما طلبتنا دعوتُ عشرة  
من غلاماني ودفعْتُ لكلّ واحدٍ ألفَ دينارٍ وأوسقتُ خمسَ بغالٍ وشدّدت في  
وسطي جوهرًا له قيمة عظيمةٌ وخرجتُ هاربًا إلى بلادِ الثوبة . فلما قربنا  
بعثتُ غلامًا لي ، قلتُ له : امضِ إلى هذا الملك وأقرئه السلام واخذ لنا  
من الأمان وابغِ لنا ميرةً . فمضى وأبطأ حتى أسأت به الظن . ثم أقبل  
ومعه رجلٌ فدخل وسلّم وقال : الملكُ يقرئك السلام ويقول لك : من  
أنت وما جاء بك إلى بلادِي ؟ محاربٌ . أم راغبٌ في ديني . أم  
مستجير بي ؟

قلتُ له : ردّ على الملك . ما أنا بمُحارب ولا راغب في دينك ولا  
ممن يتفني بدينه بدلاً بل مستجيرٌ به .

فذهب الرسول ورجع إليّ وقال : الملكُ يقول لك إني أجيء إليك  
غداً فلا تُحدّث نفسك حدثاً ولا شيئاً من الميرة .

فقلت لأصحابي : افرشوا الفراش . ففرش لي وجلست من الغد  
أرقبه . وإذا هو قد أقبل وعليه بُردان قد ائثر بأحدهما وارتدى بالآخر .  
حافي الرجلين . ومعه عشرةٌ معهم الجراب : ثلاثةٌ يقدّمونه وسبعةٌ خلفه .  
فاستصغرتُ أمره وسوّلت لي نفسي قتله . فلما قرب إذا سوادٌ عظيم .  
قلت : ما هذا ؟ قالوا : الخيل . فوافي بها عشرةٌ آلاف عنان . ووافت  
الخيلُ عند دخوله فأحدقوا بنا . فلما دخل جلس على الأرض . قال :  
فقلت لترجائنه : لِمَ لم يقعد على الموضع الذي وطئ له ؟

فسأله . فقال : قل له إنه ملكٌ وكلُّ ملكٍ حقّه أن يكون متواضعاً لله  
وعظمته إذ رفعه الله على عباده .

ثم نكت بإصبعه الأرض طويلاً ورفع رأسه وقال : قل له كيف  
سُليتم هذا الملك . فأخذ منكم وأنتم أقربُ الناس إلى نبيكم ؟

فقلت : جاء من هو أقربُ منا قرابةً إليه . فسلبنا وغلبنا وطرّدنا  
فخرجتُ إليك مستجيراً بالله . ثم بك .

قال : فلمَ كنتم تشربون الخمر وهو محرّم عليكم ؟

قلت : فعل ذلك عبيد وأعاجم دخلوا في ديننا وفي ملكنا من غير  
رأينا .

قال : فلمَ تركبون على الدباج وعلى خيولكم سروج الذهب والفضة  
وهي محرّمة عليكم ؟

قلت : فعل ذلك عبيد وأعاجم دخلوا في ديننا وفي ملكنا بغير رأينا .

قال : فلمَ كنتم إذا خرجتم إلى الصيد مررتهم على القرى وكلتم أهلها  
ما لا طاقة لهم به بالضرب والإهانة ولا يقنعكم ذلك حتى تحطموا زرعهم

في طلب درّاج<sup>١</sup> قيمته نصف درهم ، والتكليف والعناء محرم عليكم ؟  
قلت : فعل ذلك عبيد وغلّان وأتباع .

قال : لا ! ولكنكم استحلّتم ما حرّم الله عليكم وأنتم ما نهاكم الله  
عنه فسلبكم العزّ وألبسكم الذلّ ونصر أعداءكم عليكم . والله فيكم نقمة  
لم تبلغ غايتها بعد . وإني أخاف أن تنزل بك النقمة إذ كنت من الظلمة  
فتشملني معك . فإن النقمة إذا نزلت شملت . فخرج بعد ثلاث . فإن  
وجدتك بعدها أخذت ما معك وقتلتك ومن معك .

ثم وثب قائماً وخرج وأقمت ثلاثاً ورجعت إلى مصر فأخذني عاملك  
وبعثني إليك . وما أنا ذا والموت أحب إليّ من الحياة .

فرّق له المنصور وهم بإطلاقه . فقال له إسماعيل بن عليّ : في عتني  
بيعة هذا .

قال : فما ترى ؟

قال : ينزل في دار من دورنا ويُجرى عليه ما يُجرى على مثله .  
ففعل به ذلك . انتهى .

### بليّتان . المنصور والطاعون

وخطب المنصور يوماً بالشام ، فقال : أيها الناس ينبغي لكم أن  
تحمّدوا الله تعالى على ما وهبكم فيّ فلاني منذ وليتكم صرف الله عنكم  
الطاعون الذي كان يبيّثكم .

فقال أعرابي : إن الله أكرم من أن يجمعك أنت والطاعون علينا .

١ الدّراج : طائر شبيه بالحجل وأكبر منه . أرفط بسواد وبياض . قصير المنقار .

## ابن هرمة والخمر

ودخل ابن هرمة على المنصور وامتدحه . فقال له المنصور : سل حاجتك ؟

قال : تكتب إلى عاملك بالمدينة إذا وجدني سكران لا يحدني .

فقال له المنصور : هذا حدّ لا سبيل إلى تركه .

فقال : ما لي حاجة غيرها .

فقال لكتابه : اكتب إلى عاملنا بالمدينة من أتاك بابن هرمة وهو سكران فاجلده ثمانين . واجلد الذي جاء به مائة .

فكان الشرطة يَمْرُون عليه وهو سكران ويقولون : من يشتري ثمانين بمائة ، فيمْرُون عليه ويتركونه . انتهى .

## الرجل الثبت الجنان

وحدث أحمد بن موسى قال : ما رأيت رجلاً أثبت جناناً ولا أحسن معرفة ولا أظهر حجة من رجل رُفِع فيه عند المنصور بأن عنده أموالاً لبني أمية ، فأمر المنصور حاجبه الربيع أن يحضره . فلما حضر بين يديه . قال المنصور : رُفِعَ إلينا أن عندك ودائع وأموالاً وسلاحاً لبني أمية فاخرجها لنا لنجمع ذلك إلى بيت المال .

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين . أنت وارث لبني أمية ؟

قال : لا .

قال : فلمَ تسأل إذن عما في يدي من أموال بني أمية ولست بوارث لهم ولا وصي .

فأطرق المنصور ساعة . ثم قال : إن بني أمية ظلموا الناس وغصبوا أموال المسلمين .

فقال الرجل : يحتاج أمير المؤمنين إلى بيّنة يقبلها الحاكم تشهد أن المال الذي لبني أمية هو الذي في يدي وأنه هو الذي غصبوه من الناس . وأن أمير المؤمنين يعلم أن بني أمية كانت لهم أموال لأنفسهم غير أموال المسلمين التي اغتصبوها على ما يتهم أمير المؤمنين ؟

قال : فسكت المنصور ساعة . ثم قال : يا ربيع ، صدق الرجل ما يجب لنا على الرجل شيء . ثم قال للرجل : ألك حاجة ؟

قال : نعم .

قال : ما هي ؟

قال : أن تجمع بيني وبين من سعى في إليك فوالله يا أمير المؤمنين ما لبني أمية عندي مال ولا سلاح . وإنما أحضرت بين يديك وعلمت ما أنت فيه من العدل والإنصاف واتباع الحق واجتناب المظالم . فأيقنت أن الكلام الذي صدر مني هو أنجح وأصلح لِمَا سألتني عنه .

فقال المنصور : يا ربيع . اجمع بينه وبين الذي سعى به فجمع بينها . فقال : يا أمير المؤمنين . هذا أخذ لي خمسمائة دينار وهرب . ولي عليه مسطور شرعي .

فسأل المنصور الرجل فأقرّ بالمال . قال : فما حملك على السعي كاذباً ؟



قال : أردت قتله ليخلص لي المال .

فقال الرجل : قد وهبتها له يا أمير المؤمنين . لأجل وقوفي بين يديك وحضوري مجلسك ووهبته خمسمائة دينار أخرى لكلامك لي .

فاستحسن المنصور فعله وأكرمه وردّه إلى بلده مكرّماً .

وكان المنصور كل وقت يقول : ما رأيت مثل هذا الشيخ قط . ولا

أثبت من جثائه ولا من حجّني مثله ولا رأيت مثل حمله ومروءته . انتهى .

## · خلافة المهدي ·

### الرؤيا الصالحة

اسمه محمد بن المنصور . حدثنا داود بن رشيد . قال : قلت للمهدي بن عليّ بأي شيء استحق سعيد بن عبد الرحمن أن ولّاه المهدي القضاء وأنزله منه تلك المنزلة الرفيعة ؟ . فقال : إن خبره باتصاله بالمهدي ظريف . فإن أحببت شرحته لك . قلت والله قد أحببت .

قال : اعلم أنه وافى الربيع الحاجب حين أفضت الخلافة إلى المهدي وقال له : استأذن لي على أمير المؤمنين . فقال له : من أنت وما حاجتك ؟ قال : أنا رجل قد رأيت لأمر المؤمنين أعزّه الله رؤيا صالحة . وقد أحببت أن تذكرني له . فقال الربيع : يا هذا . إن القوم لا يصدقون فيما يروونه لأنفسهم فكيف بما يراه لهم غيرهم . فاحتل بخيلة غير هذه . فقال : إن لم تخبره بمكاني سألت من يوصلني إليه وأخبره أنني سألتك الإذن لي عليه فلم تفعل ؟

فدخل الربيع على المهدي . فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنكم قد أضعتم الناس في أنفسكم فقد احتالوا عليكم بكل ضرب .

فقال له المهدي : هكذا تصنع الملوك فماذا ؟

قال : رجل بالباب يزعم أنه رأى لأمر المؤمنين أيده الله رؤيا حسنة ، وقد أحب أن يقصّها عليك .

فقال المهدي : يا ربيع . إني والله أرى الرؤيا لنفسِي فلا تصح لي فكيف يُمكن ادّعاؤها من لعله قد افتعلها ؟

قال : والله قلت له مثل هذا فلم يقبل .

قال : هات الرجل .

قال : فأدخل عليه سعيدٌ وكان له رؤية وجمال ومروءة ظاهرة ولحية عظيمة ولسان طلق . فقال له : ما رأيت بارك الله فيك ؟

قال : رأيت يا أمير المؤمنين آتياً أتاني في منامي فقال : أخبر أمير المؤمنين أنه يعيش ثلاثين سنة في الخلافة ، وآية ذلك أنه يرى في ليلته الآتية في منامه كأنه يقلب يواقيت ثم يعدّها فيجد ثلاثين ياقوتة كأنها قد وهبت له .

فقال المهدي : ما أحسن ما رأيت ، ونحن نمتحن رؤياك في ليلتنا المقبلة على ما أخبرتنا : فإن كان الأمر على ما ذكرت أعطيناك فوق ما تريد ، وإن كان الأمر بخلاف ذلك لم نعاقبك لعلنا أن الرؤيا الصالحة ربما صدقت وربما اختلفت .

قال : يا أمير المؤمنين ، فما أصنع أنا الساعة إذا صرتُ إلى منزلي وعيالي وأخبرتهم أنني كنت عند أمير المؤمنين . أكرمه الله . ثم رجعت صفر اليد ؟

فقال له المهدي : فكيف نعمل ؟

فقال : يجعل لي أمير المؤمنين أعزّه الله تعالى ما أحب وما أحلف له بالطلاق إني قد صدقت .

فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمر بأن يؤخذ له كفيل ليحضر من غد ذلك اليوم قبض المال وقال له : من يكفلك ؟ قدّ عينه إلى خادِم حسن الوجه والزيّ وقال : هذا بكفلي .

فقال له المهدي : أتكفله يا غلام ؟

فاحمرّ وخجل . وقال : نعم يا أمير المؤمنين . فكفله وانصرف سعيد بن عبد الرحمن بالعشرة آلاف درهم . فلما كانت تلك الليلة رأى المهدي ما ذكره له سعيد حرفاً بحرف وأصبح سعيد فوافى الباب واستأذن . فأذن له . فلما وقعت عين المهدي عليه قال له : أين مصداق ما قلت لنا عليه ؟ فقلت له : وما رأى أمير المؤمنين . فضحك في جوابه . فقال له : امرأتي طالق إن لم تكن رأيت شيئاً ؟

قال له المهدي : ما أجراك على هذا الحلف بالطلاق .

فقال : لأنني أحلف على صدق .

قال له المهدي : فقد والله رأيت ذلك مبيناً .

فقال سعيد : الله أكبر . فأنجز لي يا أمير المؤمنين ما وعدتني .

قال : حباً وكرامة .

ثم أمر له بثلاثة آلاف دينار وعشر نخوت ثياب من كل صنف وثلاثة مراكب من أنفس دوابه محلاة . فأخذ ذلك وانصرف فلحق به الخادم الذي كان كفله . وقال : سألتك بالله هل لهذه الرؤيا من أصل ؟

فقال سعيد : لا والله .

فقال الخادم : كيف وقد رأى أمير المؤمنين ما ذكرته ؟

قال : هذا من المخاريق التي لا أب لها . وذلك أنني لما ألقيت هذا الكلام خطر بباله وحديث به نفسه وأسرى به قلبه واشتغل به فكره فني ساعة نام خيّل له ما حلّ في قلبه واشتغل به فكره فنام فراه .

فقال له الخادم : قد حلفت بالطلاق .

قال : طليقة واحدة وبقيت معي على اثنتين وأزيد مهرها عشرة

دراهم . وأُتَحَصِّلَ على عشرة آلاف درهم وثلاثة آلاف دينار وعشرة نخوت  
 من أصناف الثياب . وثلاثة مراكب فارغة<sup>١</sup>  
 فهت الخادم وتعجَّب من ذلك . فقال له سعيد : قد صدقتك  
 وجعلت ذلك مكافأتك على كفالتك فأستر عليّ .  
 ثم طلبه المهديّ لمُنادمته فتادمه وحظي عنده وقنَّده القضاء على  
 العسكر . فلم يزل كذلك حتى مات . انتهى .

### المهدي والأعرابي

يحكى أن المهدي خرج يتصيّد . فسار به فرسه حتى دخل إلى خباء  
 أعرابي . فقال : يا أعرابي . هل من قرى ؟ قال : نعم . فأخرج له قرص  
 شعير فأكله . ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه . ثم أتاه بنبيل في ركوة  
 فسقاه قعباً . فلما شرب قال : يا أخا العرب أتدري من أنا ؟  
 قال : لا والله .

قال : أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة .  
 قال : بارك الله في موضعك .  
 ثم سقاه قعباً آخر فشربه فقال : يا أعرابي . أتدري من أنا ؟  
 قال : زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة .  
 قال : لا . بل أنا من قواد أمير المؤمنين .  
 قال : رحبت بلادك وطاب مُرادك .  
 ثم سقاه ثالثاً فلما فرغ منه قال : يا أعرابي . أتدري من أنا ؟

١ الفارغة : الشبطة . الواحد فاره .

قال : زعمت أنك من قَوَاد أمير المؤمنين .

قال : لا . ولكني أمير المؤمنين .

فأخذ الأعرابي الركوة وأوكأها وقال : والله لو شربت الرابع لادّعت  
أنك رسول الله .

فضحك المهدي حتى غشي عليه وأحاطت به الخيل ونزلت إليه الملوك  
والأشراف فطار قلب الأعرابي فقال له : لا بأس عليك ولا خوف ثم أمر  
له بكسوة ومال .

### أبو نواس وجارية بنت المهدي

وقيل : كان لأسماء بنت المهدي جارية يقال لها : كاعب . وكانت  
بكرًا ناهدًا ذات حسن وجمال وقد واعتدال . وكانت بنت ست عشرة  
سنة . قال : فتلاعب عليها أبو نواس لينالها . فتمتعت منه مراراً . فظفر  
بها ليلة من الليالي في ناحية من نواحي القصر فسكها فبكت وقالت :  
الموت دون ذلك . فقال أبو نواس في نفسه : هذا جزع الأبيكار ، فتركها  
مدة . فاتفق أنه خرج من القصر ليلة وقد رقرق الدجى . فوجدها نائمة  
سكرى فتقرب منها وجلّ السراويل من وسطها . ودهمها . فإذا هي خالية  
من البكارة . فارتاع وظنّ أنه يكون أتاها دم ، فلم يجد وقام عنها وندم  
على ما كان منه وأخذ يقول :

وناهدة الثديين من خذم القصر	مرفقة الخدين ليلّة الشعر
كلّفتُ بها دهرًا على حسن وجهها	طويلاً وما حب الكواعب من أمري
فما زلت بالأشعار حتى خدعتها	وروّضتها . والشعر من خدع السحر
أطالبها شيئاً . فقالت بعبرة :	أموتُ به داء . ودمعتها نجري

فلما تعانقنا نوسطت لجة      غرقت بها يا قوم في ألحج البحر  
فصحت أغثني يا غلام . فجاءني      وقد زلقت رجلي ورحت إلى الصد  
ولولا صياحي بالغلام وأنه      تداركني بالحبل رحت إلى القمر  
فأقسمت عمري لا ركبت سفينة      ولا سرت طول الدهر إلا على الظهر

### الشاعر المجنون

قال المبرد : صعدت من البصرة إلى بغداد . فررت بدير العاقول  
فرايت مجنوناً فيه . فلم أر قط أظرف منه ولا أحسن ثياباً . ويده الواحدة  
على صدره . فلما دنوت منه أنشأ يقول :

الله يعلم أنني كمد      لا أستطيع أبث ما أجد  
روحاني لي : روح تملكها      بلد . وأخرى حازها بلد  
وأرى الصباة ليس ينفعها      صبر . وليس لثليها جلد  
وأظن ظاعتي كشاهدني      بمكانها تجد الذي أجد

فقلت : أحسنت والله . لله درك يا مجنون . فأهوى لشيء يرميني به  
فبعدت عنه . فقال لي : أنشدتك ما تحب واستحسنته . ونقول لي : يا  
مجنون ، وتكون مع الزمان علي .  
فقلت له : أخطأت .

فقال : إذن اعترفت بخطئك . ثم قال : أنشدك شعراً أيضاً ؟  
قلت : نعم .  
فأنشأ يقول :

ما أقتل البين للمحب . وما أوجع قلب المحب بالكمد

عرضتُ نفسي على البلاء لقد      أسرع في مهجتي وفي كبدي  
يا حسرة ! إذ أبيتُ معتقلاً      بين اختلاجِ العمومِ والسُّهدِ

قلت : أحسنت والله زدنا . فقال :

إن فتشوني فحرقُ الكبدِ      أو كشفوني فناحلُ الجسدِ  
أضعفُ ما بي وزادني المأ      أن لستُ أشكو النوى إلى أحد

قلت : أحسنت والله زدنا .

فقال : يا فتى . أراك كلما أنشدتك بيتاً قلت زدنا . وما ذاك إلا  
للمفارقة حبيبٍ أو خلٍّ أريب . ثم قال : أحسبك أبا العباس المبرّد . بالله ما  
هو أنت ؟

قلت : أنا ذلك فمن أين عرفني ؟

فقال : وهل يخفى القمر ؟ ثم قال : يا أبا العباس . أنشدني من  
شعرك شيئاً تنتعش به روحي . فأنشدته قولي :

بكيتُ حتى بكى من رحمتي الطلل	ومن بكائي بكّت أعدائي إذ رحلوا
بامتزلّ الحبي ! أين الحبي قد نزلوا ؟	نفسي تُساق إذا ما سبيقت الإبلُ
أنعم صباحاً . سفاك الله من طلل	غيثاً وجاد عليك الوابلُ المطلُ
سقياً لهدهم والدارُ جامعة	والشمل ملتئمٌ والحبلُ متّصلُ
فطالما قد نعمنا والحبيبُ بها .	والدهرُ يُسعِدُ والواشونُ قد غفلوا
قد غير الدهرُ ما قد كنتُ أعرفه	والدهرُ ذو دولٍ بالناس يستقلُ
بانوا فبان الذي قد كنتُ آملُه	والبينُ أعظمُ ما يُبيلُ به الرجلُ
فالشملُ مفترق . والقلبُ محترق .	والدمعُ منسكبُ . والركبُ مرتجلُ
كأنّ قلبي لمّا سار عيسهم	صبّاً به دنفٌ أو شاربٌ قُبلُ
لمّا أناخوا قُبيل الضبحِ عيسهم	وثوّروها وسارت بالهوى الإبلُ



وقأبت من خلال السُّجف ناظرها      ترنو إليّ . ودمع العين منهمل  
يا حادي العيس ! عرج في أودغهم      يا حادي العيس في ترحالك الأجل  
إني وحقك لا أنسى مودتهم      ليت شعري القول العهد ما فعلوا ؟

قال أبو العباس المبرد : فلما أتممت شعري . قال لي : ما فعلوا ؟  
قلت : ماتوا . فصاح صيحة عظيمة وخرّ مغشياً عليه . فحركته . فوجدته  
قد مات . رحمة الله عليه . انتهى .

## خلافة موسى الهادي بن محمد

لم أر فيه شيئاً ومن رأى فيه شيئاً فليضعه .

قال بعض الفضلاء : من حيث أن المؤلف أمر بأن من رأى فيه شيئاً فليضعه . فرأيت هذا النذر اليسير مذكوراً في تاريخ الإسحاق فأحببت ذكره امتثالاً لأمره . فقلت :

### الهادي والخارجي

ذكر صاحب الكُرْدان : أن الهادي كان يوماً في بستان يبتزّه على حمار ، ولا سلاح معه ويخضّره جماعة من خواصّه وأهل بيته . فدخل عليه حاجبه وأخبره أن بالباب بعض الخوارج له بأس ومكايد . وقد ظفّره بعض القوّاد فأمر الهادي بإدخاله فدخل عليه بين رجلين قد قبضا على يديه . فلمّا أبصر الخارجي الهادي جذب يديه من الرجلين واختطف سيف أحدهما وقصد الهادي ففرّ كل من كان حوله وبقي وحده . وهو ثابت على حماره . حتى إذا دنا منه الخارجي وهمّ أن يعلوه بالسيف أوماً إلى وراء الخارجي وأومّه أن غلاماً وراءه وقال : يا غلام اضرب عنقه . فظن الخارجي أن غلاماً وراءه والتفت الخارجي . فترّل الهادي مسرعاً عن حماره فقبض على عنق الخارجي وذبحه بالسيف الذي كان معه . ثم عاد إلى ظهر حماره من فورّه . وأتباع الهادي ينظرون إليه ويتسلّلون عليه وقد مُنّوا منه حياة ورعباً . فاعتابهم ولا خاطبهم في ذلك بكلمة . ولم يفارق السلاح

بعد ذلك اليوم . ولم يركب إلا جواداً من الخيل . فانظر إلى هذا المقدار في ثبات جأش الملوك . فإنه قلّ من يفعل ذلك . وهذه مرتبة لم يصل إليها أحد إلا نادراً .

### الهادي وجهه لغادرة

حكى عبد الحق أنه قال ممّا ابتلي به الهادي من المحبة أنّه كان مغرمًا تجارية تسمّى غادراً ، وكانت من أحسن النساء وجهاً وأطيبهم غناء ، اشتراها بعشرة آلاف دينار ، فبينما هو يشرب مع ندمائه إذ فكّر ساعة وتغيّر لونه وقطع الشراب ، فقيل له : ما بال أمير المؤمنين؟

قال : وقع في قلبي أنني أموت وأن أخي هارون يلي الخلافة ويتزوّج غادراً فامضوا وأتوني برأسه .

ثم رجع عن ذلك وأمر بإحضاره ، وحكى له ما خطر بباله فجعل هارون يترقّق به ، فقال : لا أرضى حتى تحلف عليّ بكل ما أحلفك به أنني إذا متُّ لا تتزوّج بها . فرضي بذلك وحلف إيماناً عظيماً ، ودخل إلى الجارية وحلفها أيضاً على مثل ذلك ، فلم يلبث بعد ذلك سوى شهر ومات وولي الخلافة هارون الرشيد فطلب الجارية فقالت : يا أمير المؤمنين كيف تصنع بالإيمان؟

فقال : قد كفّرت عنك وعني .

ثم تزوّج بها ووقعت في قلبه موقعاً عظيماً وافتن بها أعظم من أخيه الهادي حتى كانت تسكر وتنام في حجره فلا يتحرّك ولا يتقلب . فبينما هو في بعض الليالي وهي في حجره نائمة إذا بها انتهت فرعة مرعوبة . فقال لها : ما بالك فديتك؟

قالت : رأيت أخاك الهادي الساعة في النوم فأنشدني هذه الأبيات :

أخلفت عهدي بعدما جاورتُ سكَّانَ المقابرِ  
ونسيتني ، وحنثت في إيمانك الزورِ الفواجرِ  
ونكحت غادرةً أخي ، صدقَ الذي سمَّكَ غادرَ  
لا يهتك الإلفُ الجديدُ ولا تُدزَّ عنك الدوائرُ  
ولحقني قبل الصبا ح . وصرت حيثُ غدوتُ صائرَ

قالت : ثم ولَّى عني وكأن الأبيات مكتوبة في قلبي ما نسبت منها  
كلمة .

فقال لها : هذه أحلام الشيطان .

فقالت : كلا ، والله يا أمير المؤمنين . ثم اضطربت بين يديه وماتت  
في تلك الساعة ، ولا تسأل عن هارون الرشيد وما لقي بعدها .

## خلافة هارون الرشيد بن محمد المهدي

هو أخو موسى الهادي . وهو الخامس من بني العباس .  
قال إبراهيم الموصلي في تهنته الخلافة عندما ولي الرشيد بعد أخيه موسى  
الهادي :

ألم تر أن الشمس كانت مريضة      فلما أتى هارونُ أشرق نورُها  
تلبّست الدنيا جلالاً بملكه      فهارون واليها ونحى وزيرُها

## هارون والأعرابي

قدم أعرابي حين ولي هارون الخلافة فقيل له : فيمَ جئت ؟  
قال : أتيت برسالة .  
قال : انت بها .  
قال : أتاني آت في منامي فقال : انت أمير المؤمنين فابلغه هذه  
الآيات :

توارثت الخلافة من قُرَيشٍ      تزفُ إليكما أبدأ . عروسا  
إلى هارون تُهدى بعد موسى      تميمُ ، وما لها أن لا تميمسا

فأعطاه الرشيد عطاءً جزيلاً وصرفه .

## ليلة عظيمة

بويج له بالخلافة في الليلة التي توفي فيها أخوه وولد في تلك الليلة المأمون . وكانت ليلة عظيمة لم يُرَ مثلها في بني العباس مات فيها خليفة ، وولي فيها خليفة ، وولد فيها خليفة .

ولمّا بويج الرشيد قلّد جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك وزارته . وسيأتي إيقاع الرشيد بالبرامكة وسبب ذلك .

## الرشيد والمستقية

ومحكي أن هارون الرشيد مرّ في بعض الأيام وبصحبه جعفر البرمكي وإذا هو بعدة بنات يستقون الماء فعرج عليهن يريد الشرب وإذا بإحداهن تقول :

قولي لطيفك ينثني	عن مضجعي وقت المنام
كهي أستريح وتنظني	نارٌ تأججُ في العظام
دَيْفُ ثقله الأكفُ	على بساط من سقام
أما أنا فكما علمت	فهل لوصولك من دوام ؟

فأعجب أمير المؤمنين ملاحظها وفصاحتها . فقال لها : يا بنت الكرام هذا من قولك أم من منقولك ؟

قالت : من قولي .

قال : إن كان كلامك صحيحاً فأمسكي المعنى وغيري القافية .  
فأنشدت تقول :

قولي لطيفك ينثني	عن مضجعي وقت الوسن
كي أستريح وتنظني	نار تاجج في البدن
دنف تقلبه الأكف	على بساط من شجن
أما أنا فكما علم	ت . فهل لوصلك من ثمن ؟

فقال لها : والآخر مسروق .

قالت : بل كلامي .

فقال : إن كان كلامك أيضاً فأمسكي المعنى وغيري القافية .  
فقالت :

قولي لطيفك ينثني	عن مضجعي وقت الرقاد
كي أستريح وتنظني	نار تاجج في الفؤاد
دنف تقلبه الأكف	على بساط من جداد
أما أنا فكما علم	ت . فهل لوصلك من سداد ؟

فقال لها : والآخر مسروق .

فقالت : بل كلامي .

فقال لها : إن كان كلامك فأمسكي المعنى وغيري القافية . فقالت :

قولي لطيفك ينثني	عن مضجعي وقت الهجوع
كي أستريح وتنظني	نار تاجج في الضلوع
دنف تقلبه الأكف	على بساط من دموع
أما أنا فكما علم	ت . فهل لوصلك من رجوع ؟

فقال لها أمير المؤمنين : أنت من أيّ هذا الحيّ ؟

قالت : من أوسطه بيتاً . وأعلاه عموداً .

فعلم أمير المؤمنين أنها بنت كبير الحيّ . ثم قالت : وأنت من أيّ راعي الحبل ؟

فقال : من أعلاها شجرة وأينعها ثمرة .

فقبلت الأرض وقالت : أيّد الله أمير المؤمنين ودعت له ثم انصرفت مع بنات العرب .

فقال الخليفة لجعفر : لا بدّ من أخذها . فتوجّه جعفر إلى أبيها . وقال له : أمير المؤمنين يريد بنتك .

فقال : حبّاً وكرامة . تُهدى جارية إلى أمير المؤمنين مولانا .

ثم جهّزها وحملها إليه فترّوجها ودخل بها فكانت عنده من أعزّ نسائه وأعطى والدها ما يستره بين العرب من الأنعام . ثم بعد مدّة انتقل والدها بالوفاة إلى رحمة الله تعالى . فورد على الخليفة خبر وفاته فدخل عليها وهو كئيب . فلمّا شاهدته وعليه الكآبة . نهضت ودخلت إلى حُجرتها وقلعت كل ما عليها من الثياب الفاخرة ولبست ثياب الحزن وأقامت النعي له . فقيل لها : ما سبب هذا ؟ فقالت : مات والدي . فمضوا إلى الخليفة فأخبروه فقام وأتى إليها وسألها من أعلمها بهذا الخبر ؟

قالت : وجهك يا أمير المؤمنين .

قال : كيف ذلك ؟

قالت : منذ أنا عندك ما رأيته هكذا ولم يكن لي من أخاف عليه إلا والدي لكبره . ويعيش رأسك أنت يا أمير المؤمنين . فترغرت عيناه

١ ترغرت : ترّدّ الدمع فيها ولم يخرج .



بالدموع وعزّاهَا فيه . وأقامت مدّة . وهي حزينة على والدها ثم لحقت به  
رحمة الله عليهم أجمعين .

### الضيف الطارق

ويحكى أن أمير المؤمنين هارون الرشيد أرق ذات ليلة فقام يتمشّي في  
قصره بين المقاصير . فرأى جارية من جواريه نائمة فأعجبته . فداس على  
رجليها فانتبهت فرأت أمير المؤمنين . فاستحيّت منه وقالت :  
يا أمين الله ما هذا الخبر .

فأجابها بقوله :

قلتُ : ضيف طارق في أرضكم هل تضيفوه إلى وقت السحر

فأجابته تقول :

بسرورٍ وهناء سيدي أخدمُ الضيف بسمعي والبصر

فبات عندها إلى الصباح . فسأل أمير المؤمنين من بالباب من  
الشعراء ؟ قبل له : أبو نواس . فأمر به فدخل عليه . فقال : هات علي .  
يا أمين الله ما هذا الخبر . فأنشأ يقول :

طال ليلى حين واغاني السهر	فتفكرت فأحسنت الفكر
قت أمشي في المجالي ساعة	ثم أجري في مقاصير الحجر
فإذا وجهٌ جميلٌ مشرقٌ	زانه الرحمن من بين البشر
فلمست الرجلَ منها موطناً	فدنت مني ومدت للبصر
وأشارت لي بقول مُفصحٍ	يا أمين الله ما هذا الخبر ؟
قلتُ : ضيف طارق في أرضكم	هل تضيفوه إلى وقت السحر

فأجابت بسرور سيدي أخدم الضيف بسمعي والبصر

قال : فتعجب أمير المؤمنين من ذلك وأمر له بصلة .

### هارون والحارية السكرى

يحكى أن هارون الرشيد هجر جارية له ثم لقبها في بعض الليالي في القصر سكرى تدور في جوانب القصر وعليها مطرف خز ، وهي تسحب أذيالها من التيه والعُجب . وسقط رداؤها عن منكيها . والريح أبان نهديها كأنها رمانتان . ولها ردفان ثقلان . فراودها عن نفسها . فقالت : يا أمير المؤمنين ! هجرتي هذه المدة وليس لي علم بملاقاتك فأنظرنى إلى غد حتى أتيت وأتيتك .

فلما أصبح قال للحاجب : لا تدع أحداً يدخل عليّ إلا فلانة ، وانتظرها فلم تجيء فقام ودخل عليها وسألها إنجاز الموعد فقالت : يا أمير المؤمنين . كلام الليل يمحوه النهار . فقام واستدعى من الباب من الشعراء فدخل عليه أبو نواس والرقاشي وأبو مصعب فقال لهم : هاتوا عليّ ، كلام الليل يمحوه النهار . فقال الرقاشي : أنا قاتل في ذلك ثلاثة أبيات . وأنشأ يقول :

أُتسَلِّوها . وقلبك مستطارٌ      وقد مُنِعَ القَرَّارُ فلا قَرَّارُ  
وقد نَزَكْتَ حُبًّا مُسْتَهَاماً      فتاةٌ لا تزورُ ولا تُزَارُ  
فَوُتِّتْ وانتثتَ نِيهاً . وقالت :      كلامُ الليل يمحوه النهارُ

وقال أبو مصعب : وأنا قاتل في ذلك ثلاثة أبيات . وأنشأ يقول :

أما والله لو تجددين وجدي      لما وسعتك في بغداد دارُ

أما يكفيك أنَّ العينَ عَبْرَى      ومن ذِكرَاك في الأحشاءِ نَارُ  
تَبَسَّتِ الفتاةُ بغيرِ ضحكٍ      كلامَ الليلِ يَمْحوهُ النهارُ

وقال أبو نواس : أنا قائل في ذلك أربعة أبيات ، وأنشأ يقول :

وخَوْدِ أَقْبَلت في القصرِ سكرى      ولكن زَيْنَ السكرِ الوقارُ  
وهَزَّ الرِّيحُ أَرْدافاً ثَقَالاً      وغَصْنَا فيه رُمانُ صِغارُ  
وقد سقط الردا عن منكبِها      من التخميشِ وانحلَّ الإزارُ  
فقلتُ : الوعدُ سيدتي ، فقالت :      كلامُ الليلِ يَمْحوهُ النهارُ

فقال الرشيد : قائلُك الله كأنك كنتَ معنا أو مطلعاً علينا .

وأمر لكلِّ بخلعة سنية وخمسة آلاف درهم . ولأبي نواس بعشرة آلاف درهم ، انتهى .

### الرشيد وجارية الحيزران

وذكر الخطيب في بعض مصنفاته أن الرشيد دخل يوماً قبل وقت الظهر ، في مقصورة جارية تُسمى الحيزران على غفلةٍ منها ، فوجدها تغتسلُ ، فلَمَّا رآته تجلَّلت بشعرها حتى لم يَر من جسديها شيئاً ، فأعجبه ذلك الفعلُ واستحسنه ، ثم عاد إلى مجلسه وقال : من بالبابِ من الشعراء ؟

قالوا له : أبو نواس وبشار .

فقال : ليحضرا جميعاً .

فأحضرا ، فقال الرشيد ليقُل كل منكما أبياتاً توافق ما في نفسي ، فأنشأ بشار يقول :

تَحْيَيْتُكُمْ ، وَالْقَلْبُ صَارَ إِلَيْكُمْ      بِنَفْسِي ذَاكَ الْمَتَرْلُ الْمُتَحَبُّ  
إِذَا ذَكَّرُوا الْهَجْرَانَ ، لَا عَنْ مِلَالَةٍ      وَذِكْرَاهُمْ ، يَنْمِي إِلَيَّ ، مُحَبُّ  
وَقَالُوا تَجَبُّنَا ، وَلَا قَرَبَ بَيْنَنَا      فَكَيْفَ وَأَنْتُمْ حَاجَتِي تَتَجَبَّوْا  
عَلَى أَنْهُمْ أَحْلَى مِنَ الشَّهَدِ عِنْدَنَا      وَأَعَذِبَ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ وَأَطْيَبُ

فَقَالَ : أَحْسَنْتَ ، وَلَكِنْ مَا أَصَبْتَ مَا فِي نَفْسِي ، فَقُلْ أَنْتَ يَا أَبِ  
نَوَاسَ ، فَجَعَلَ يَقُولُ :

نَفَسْتُ عَنْهَا الْقَمِيصَ لَصَبِ مَاءٍ      فَوَرَّدَ خَدَّهَا فَرَطُ الْحَيَاءِ  
وَقَابَلَتْ الْهَوَاءَ ، وَقَدْ تَعَرَّتْ      بِمُعْتَدِلٍ أَرْقَ مِنَ الْهَوَاءِ  
وَمَدَّتْ رَاحَةَ ، كَالْمَاءِ مِنْهَا      إِلَى مَاءٍ مَعْدُ فِي إِثَاءِ  
فَلَمَّا أَنْ قَفَسَتْ وَطَرَأَ وَهَمَّتْ      عَلَى عَجَلٍ إِلَى أَخْذِ الرِّدَاءِ  
رَأَتْ شَخْصَ الرَّقِيبِ عَلَى التَّدَانِي      فَأَسْبَلَتْ الظَّلَامَ عَلَى الضِّيَاءِ  
فَغَابَ الصَّبْحُ مِنْهَا تَحْتَ لَيْلٍ      وَظَلَّ الْمَاءُ بِقَطَرٍ فَوْقَ مَاءِ  
فَسَبَّحَانَ الْإِلَهَ وَقَدْ بَرَاهَا      كَأَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ النِّسَاءِ

فَقَالَ الرَّشِيدُ : سَيْفًا وَنَطْعًا .

فَقَالَ لَهُ : وَلَيْمَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟

قَالَ : أَمَعْنَا كُنْتَ ؟

قَالَ : لَا وَاللَّهِ وَلَكِنْ شَيْءٌ خَطَرَ بِيَالِي .

فَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَصَرَفَهُ .

## أجود أخبار النساء

ويحكى أن أمير المؤمنين الرشيد أرق ذات ليلة أرقاً شديداً ، فقام من فراشه وتمشّى من مقصورة إلى مقصورة ، وقلقه زائدٌ ونفسه محصورةٌ ، فلما أصبح قال : عليّ بالأصمعي ، فخرج الطواشي إلى البوّابين ، فقال لهم : يقول لكم أمير المؤمنين أرسلوا أحداً خلف الأصمعي . فلما حضر أعلم الخليفة فأجلسه ورخّب به وقال : يا أصمعي أريد منك أن تحدّثني بأجود ما سمعت من أخبار النساء وأشعارهنّ ؟

فقال : سمعاً وطاعة : لقد سمعت كثيراً ولم يعجبني سوى ثلاثة أبيات أنشدهنّ ثلاثُ بنات .

فقال له : حدّثني حديثهنّ .

فقال : اعلم يا أمير المؤمنين ، أنّي توجّهت سنة إلى البصرة فاشتدّ عليّ الحرّ فطلبتُ مقيلاً أقيل فيه فلم أجِد ، فبينما أنا أتلفتُ يميناً وشمالاً ، إذا أنا بساباطٍ مكنوسٍ مرشوشٍ ، وفيه دِكَّةٌ من خشبٍ ، وعليها شَبَّاكٌ مفتوحٌ تفوح منه رائحةُ المسك ، فدخلتُ الساباطَ وجلستُ على الدِّكَّةِ وأردتُ الاضطجاعَ ، فسمعتُ كلاماً عذباً من فمٍ جاريةٍ حسناء ، وهي تقول : يا أختي ! إنّنا جلسنا يوماً هذا على وجه الصُّبوح ، تعالين نطرح ثلاثمائة دينار وكلُّ منا تقول بيتاً من الشعر ، فكل من قالت البيتَ الأعذبُ الأملحُ كانت الثلاثمائة دينارٍ لها ، فقلن : حبّاً وكرامةً ، فقالت الكبرى :

عجبتُ له أن زارَ في النوم مضجعي      ولو زارني مستيقظاً كان أعجبا

فَقالتِ الوسطى :

وما زارني في النوم إلّا خيالُه      فقلت له : أهلاً وسهلاً ومرحباً

فَقالتِ الصغرى :

بنفسي وأهلي من أرى كلَّ ليلةٍ      ضجيجي ، ورأياه من المسك أطيباً

فقلت : إن كان لهذا المقال جمالٌ ، فقد تمَّ الأمرُ على كل حال .  
فترلت عن الدُّكَّة وأردت الانصراف ، وإذا بالباب قد فُتِحَ وخرجتُ منه  
جاريةٌ ، وهي تقول : اجلس يا شيخُ . فطلعت على الدُّكَّة ثانياً  
وجلست ، فدفعت إليَّ ورقة فنظرت خطأ في نهاية الحسن مستقيم الألفاتِ  
بحوِّفَ الهآتِ مدوَّرَ الواواتِ مضمونهُ : نُعلِّمُ الشيخَ ، أطالَ الله بقاءه ،  
أنا ثلاثُ بناتٍ أخواتٍ جلسنا على وجه الصُّبوح وطرحنا ثلاثمائة دينار ،  
وشرطنا أن كل من قالت البيتَ الأعذبَ الأملحَ كان لها الثلاثمائة دينار ،  
وقد جعلناك الحكمَ في ذلك ، فاحكم بما تراه والسلام .

فقلت للجارية : عليَّ بدواةٍ وقرطاس .

فغابت قليلاً وخرجت إليَّ بدواة مفضضة وأقلام مذهَّبة ، فأنشأت

أقول :

أُحَدِّثُ عن خُودٍ تحدَّثن مرَّةً      حديثَ امرئٍ ساسَ الأمورِ وجرباً  
ثلاثَ كِبْكِرَاتِ الصحاري جحافل      حلَّلنَ بقلبٍ للمشوقِ معذباً

---

١ الجحافل : العظيماة القدر ، يقال : رجل جحفل أي عظيم القدر ، وهو في الأصل صفة للمذكر استعارها هنا للمؤنث .

خلون وقد نامت عيونٌ كثيرةٌ  
فُبحنَ بما يُخفينَ من داخلِ الحشا  
فقلت عَرُوبٌ ذات عرْ غريرة  
عجبت له أن زارني النوم مضجعي  
فلما انقضى ما زخرفت وتضاحكت  
وما زارني في النوم إلا خياله  
وأحسن الصُغرى ، وقالت بحية  
بنفسى وأهلي من أرى كل ليلة  
فلما تَدَبَّرْتُ الذي قلنَ وانبرى  
حكمتُ لصُغراهنَّ في الشعر أنتي  
من الراقدين المشتهين التغيبا  
نعم ، وأخذن الشعر لهواً وملعبا  
وتَبَسُّمٌ عن عَذْبِ المقالة أنسابا  
ولو زارني مستيقظاً كان أعجبا  
تنفست الوُسطى ، وقالت تطربا  
فقلت له : أهلاً وسهلاً ومرحباً  
بلفظ لها قد كان أشهى وأعذبا  
ضجيجي ، ورياه من المسك أطيبا  
لي الحكمُ لم أترك لذي اللبُ مَعْتَباً  
رأيتُ الذي قالت جميلاً وأصوباً

قال الأصمعي : ثم دفعت الرقعة إلى الجارية ، فلما صعدت إلى  
القصر ، فإذا برقص وتصفيق ودُنْيا دانية وقيامة قائمة ، فقلت : ما بقي لي  
إقامة ، فزلت عن الدُّكَّة وأردت الانصراف ، وإذا بالجارية تنادي  
وتقول : اجلس يا أصمعي .

فقلت : ومن أعلمك أنتي الأصمعي ؟

ف قالت : يا شيخُ إن خفي علينا اسمُك فما خفي علينا نظمك .

فجلست ، وإذا بالبواب قد فتح وخرجت منه الجارية الأولى وعلى  
يدها طبقٌ من فاكهة وطبقٌ من حلوى ، فتفكَّهت وتحلَّيتُ وشكرتُ  
صُنْعها ، وأردت الانصراف ، وإذا بالجارية تنادي وتقول : اجلس يا  
أصمعي . فرفعت بصري إليها فنظرت كفاً أحمرَ في كُمٍ أصفر فخلته البدرُ  
يُشْرِف من تحتِ العَمام ، ورمت لي صرَّةً فيها ثلاثمائة دينار . وقالت :

١ العروب : الضحَّاکة . الغريرة : الشاة لا تجر بها .

هذا صار لي وهو مني لك هبة في نظير حكومتك .  
فقال لي أمير المؤمنين : لأي شيء حكمت للصغرى ولم تحكم للكبرى  
ولا للوسطى ؟

فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن بيتَ الكبرى قالت :

• عجبت له أن زار في النوم مضجعي •

وهو محمول معلق على شرط قد يقع ولا يقع ، وأما الوسطى ، فربها  
طيف خيال في النوم فسلمت عليه ، وبيت الصغرى ذكرت أنها ضاجعته  
مضاجعةً حقيقيّةً وشمّت منه أنفاساً أطيبَ من المسك وفدّته بنفسها وأهلها  
ولا يُفدى بالنفس إلا مَنْ هو أعزُّ من النفس .

فقال الخليفة : أحسنت يا أصمعي .

ثم دفع إليّ ثلاثمائة دينار فأخذتها وانصرفتُ فكنتُ أقول لله درك من  
شعر أخذتُ في حكومتي منه ثلاثمائة دينار . وفي حكايته مثلها . والله  
أعلم .

### الأصمعيّ والحارية

ومما حكى عن الأصمعيّ في نوادره . قال : سهرت ليلة عند  
الرشيد في الرقة ، فقال لي : من معك يا عبدالله يؤنسك ؟

فقلتُ : يا أمير المؤمنين . ما لي أنيس غير الوحدة .

فأمسك وأقبل في حديثه ما شاء الله . ثم نهض ونهض من بحضرته  
فلما صرت إلى منزلي . وإذا بخادم الأمير يقرع الباب فخرجت . فإذا ضوء  
شمع وضجّة وغوغاء ومعهم حارية فلما رأيي الخادم دنا مني وقبل يدي  
وقال لي : يقول لك أمير المؤمنين قد أمرنا لك بمن يؤنسك . وهي حارية



من خواصه وشيء من المال . فشكرت أمير المؤمنين ودعوت له وتقدم الخادم بإدخال الجارية ومعها من الآلات والخدم والجواري والفرش ما لم أر مثله إلا عند أمير المؤمنين . ثم ودعني الخادم وانصرف . فلما نظرت إلى الجارية رأيته أحسن الناس وجهاً وأكملهم قدراً وشكلاً وظرفاً وأكثرهم مجوناً فداخطني لها هية وانقباض .

فقلت : ما هذا الحياء البارد السمج الذي لا وجه له ؟ أين ملحك ونوادرك ؟ ثم قالت لجارية من الجواري : هات ما عندك ، فجاءت بأحسن ما يكون من ألوان الطعام فأكلنا وهي مع ذلك تباسطني وتؤانسني بالحديث والملاعبة ، ثم دعت بالشراب فشربت وسقني ، ثم قالت : ما بقي بعد الأكل والشرب إلا النوم والخلوة . فقامت ولبست من الثياب ما أرادت وألبستني ثياباً فاخرة مبيضة وتفرق من كان عندنا . ثم اضطجعت إلى جانبي . فلما جمعنا الفراش أصابني من الحصر وانقطاع الانعاط ورخاوة الأير ما لم أكن أعهده قبل ذلك فجعلت تقلبه بيدها وتغمزه فلا يزداد إلا انكماشاً وموتاً فلما أعيبتها الحيلة فيه وثبتت من قيامه ومضى من الليل أكثره قالت : عظم الله أجرك في أيرك . ثم نهضت ولبست ثياب الحداد ودعت بسفط فأخرجت منه مناديل صفراء وحنوطاً وقالت : نَم على ظهرك يا بطل ، فاستولى عليّ الخجل حتى إنني لم أقدر أخالفها في شيء مما تأمرني به في جميع ما فعلته فيّ ففسلته وحطّته وكفّته بتلك المناديل فلما فرغت همت بجواريتها وقامت معهنّ في بكاء ونحيب ونوحٍ وندبٍ وصراخٍ بأشدّ ما يكون وما زلن على ذلك إلى وقت السحر . ثم قالت : ما بقي إلا ما يتولاه الرجال من الصلاة والدفن ووكت عتي . فقمت وأنا أخزى خلق الله حالاً فلبست ثيابي وصليت الفجر وسرت من وقتي وساعتي إلى الرشيد . فأنكر الحاجب حضوري في ذلك الوقت وأعلم الرشيد بي . فأذن لي

فدخلت . وهو قاعد في مصلاه . فقال لي : وبحك ما دهاك في هذا الوقت ؟

فقلت : يا أمير المؤمنين ، خبري عجيب وأمري غريب . فبالله عليك يا أمير المؤمنين . ألا ما رحمتني وأرحمتني من هذه الجارية التي أنقذتها إليّ فلا حاجة لي بها .

فقال لي أمير المؤمنين : وما السبب لذلك وما الخير الذي دهاك وليس لها عندك حين من الزمان .

فشرحت له القصة من أولها إلى آخرها حتى بلغت إلى إقامة الصلاة فاشتدّ ضحكك حتى أنه كاد يستلقي على قفاه وسمعت الضحك من كل ناحية في الدار من الجوارى وغيرهن . ثم قال : نحن إلى هذه أحوج منك إليها وقد كنا غافلين عنها . ثم إنه أمر بحملها إلى داره وعوّضني عنها خمسين ألف درهم وترك جميع ما حمل معها في منزلي وخرجت بمجرّدة فحفظت بعد ذلك عند الرشيد حتى إنه لم يتقدّم عليها أحد من نظائرها . وسُميت من وقتها هذا بالأصمعيّة إلى أن توفيت رحمة الله عليهم أجمعين .

### إبراهيم الموصلي وإبليس

وعن أبي إسحاق إبراهيم الموصلي قال : استأذنت الرشيد أن يهب لي يوماً من الأيام للانفراد بجوارئ وإخواني . فأذن لي في يوم السبت ، فأتيت منزلي وأخذت في إصلاح طعامي وشرابي وما احتجت إليه وأمرت البوابين بإغلاق الأبواب وأن لا يأذنوا لأحد بالدخول عليّ .

فبينما أنا في مجلسي والحريم قد حَفَفْنَ بي . وإذا بشيخ ذي هية وجمال وعليه جَبَّان قصيرتان وقبص ناعم وعلى رأسه قلنسوة وبيده عكازة

مقمعة بفضة وروائح الطيب تفوح منه حتى ملأت الدار والرواق ،  
فداخني غيظ عظيم لدخوله عليّ وهممت بطرد البواين فسلم عليّ أحسن  
سلام ، فرددت عليه وأمرته بالجلوس ، فجلس وأخذ يحدثني بأحداث  
العرب وأشعارها حتى ذهب ما بي من الغضب وظننت أن غلماي تحروا  
مسرتي لإدخال مثله عليّ لأدبه وظرفه ، فقلت : هل لك في الطعام ؟  
قال : لا حاجة لي فيه .

قلت : فالشراب ؟

قال : ذلك إليك .

فشرت رطلاً وسقيته مثله ، ثم قال : يا أبا إسحاق . هل لك أن  
تغنيا شيئاً فنسمع من صنعتك ما قد فقت به العام والخاص .  
فغاطني قوله ، ثم سهلت الأمر علي نفسي ، فأخذت العود وضربت  
وغنيت ، فقال : أحسنت يا إبراهيم ، فازددت غيظاً فقلت : ما رضي  
بما فعله في دخوله بغير إذني واقتراحه عليّ حتى سماني باسمي ولم يحمل  
مخاطبتي .

ثم قال : هل تزيد ونكافئك ؟

فترنمت وأخذت العود وغنيت وتحفظت فيما غنيت ، وقت به قياماً  
تاماً لقوله : ونكافئك . فطرب وقال : أحسنت يا سيدي ، ثم قال لي :  
أتأذن لي في الغناء ؟

فقلت : شأنك ، واستضعفت عقله في أن يغني بحضرتي بعد الذي  
سمعه مني . فأخذ العود وجيئه فوالله خلت أن العود ينطق بلسان عربي  
واندفع يغني هذه الأبيات :

ولي كيدٌ مفروحةٌ من يبغني بها كيداً ليست بذات قروح

أبأها على الناس لا يشترونها      ومن يشتري ذا علة بصحيح  
أئن من الشوق الذي في جوانحي      أنين غصيص بالشراب طريح

قال إبراهيم : فوالله لقد ظننت أن الأبواب والحيطان وكل ما في البيت  
نجيبه وثغني معه . وبقيت مبهوتا لا أستطيع الكلام ولا الحركة لما خالط  
قلبي ، ثم اندفع يغني ، فقال :

ألا يا حمامات اللوى عدن عودة      فلني إلى أصواتكن حزين  
فعدن ولما عدن كدن يمتني      وكدت بأسراري لهن أئين  
دعون بترداد الهدير كأنما      شرين الحميا ، أو بهن جنون  
فلم تر عيني مثلهن حائما      بكين ، ولم تدمع لهن عيون

قال : ثم سكت قليلاً وغنى هذه الأبيات :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد      فقد زادي مسراك وجداً على وجدي  
إن هُجّت ورقاء في رونق الضحي      على فني من غصن بان ومن رند  
بكيت كما يكي الوليد صبا      وأبديت من شكواي ما لم تكن بُدي  
وقد زعموا أن الحب إذا دنا      بمل وأن البعد يشني من الوجد  
بكلّ تداوينا فلم يشف ما بنا      على أن قرب الدار خير من البعد  
على أن قرب الدار ليس بتافع      إذا كان من تهواه ليس بذدي ودّ

ثم قال : يا إبراهيم ، هذا الغناء الماخوري خذه وانح نحوّه في غنائك  
وعلمه جواريك .

فقلت : أعده عليّ ؟

فقال : لست تحتاج إلى إعادة فقد أخذته وفرغت منه .

ثم غاب من بين يدي فارتعبت منه وقت إلى السيف وجردته ، ثم

غدوت نحو أبواب الحرم فوجدتها مُغلقة . فقلت للجواري : أي شيء سمعتم ؟

فقلن : سمعنا غناءً أطيّب شيء وأحسنه .

فخرجت متحيرةً إلى باب الدار فوجدته مغلقاً فسألت البوابين عن الشيخ فقالوا : أيّ شيخ ، فوالله ما دخل إليك اليوم أحد .

فرجعت أتأمل أمره . فإذا هو قد هتفّ لي من جوانب البيت . وقال : لا بأس عليك يا أبا إسحاق ، فإنما هو أبو مروة قد كنت نديمك اليوم . فلا تنزع .

فركبت إلى الرشيد فأخبرته الخبر . فقال : أعد الأصوات التي قد أخذتها . فأخذتُ العودَ وضربت . فإذا هي راسخة في صدري ، فطرب الرشيد عليها وجعل يشرب ، ولم يكن له همّة على الشراب ، وقال : كأن الشيخ علم أنك قد أخذت الأصوات وفرغت منها فليته متّعنا بنفسه يوماً واحداً كما متّعك . ثم أمر لي بصلة فأخذتها وانصرفت ، انتهى .

### الرشيد وإسماعيل بن صالح

وقال الرشيد يوماً للفضل بن يحيى ، وهو بالرقّة : قد قديم إسماعيل ابن صالح بن عليّ . وهو صديقك . وأريد أن أراه ؟

فقال : إن أخاه عبد الملك في حبسك وقد نهاه أن يجيئك .

قال الرشيد : فإني أتعلّلُ حتى يجيئني عائداً ؟

فتعلّل . فقال الفضل لإسماعيل : ألا تعودُ أمير المؤمنين؟

قال : بلى .

فجاءه عائداً فأجلسه ، ثم دعا بالغداء . فأكل وأكلَ إسماعيل بين يديه . فقال له الرشيد : كأنّي قد نشطتُ برويتك إلى شرب قدح . فشرب وسقاه ، ثم أمر فأخرج جوارِ يغنين وضربت ستارةً وأمر بسقييه . فلما شرب أخذَ الرشيد العودَ من يد جاريةٍ ووضعهُ في حجرِ إسماعيل ، وجعل في عنقه سُبْحَةً ، وفيها عشرُ حَبَاتٍ من دُرٍّ شراؤها بثلاثين ألف دينار ، وقال : غنّ يا إسماعيل . وكفّر عن يمينك بشنّ هذه المسبحة . فاندفع يغني شعرَ الوليد بن يزيد في غالية أخت عمر بن عبد العزيز ، وكانت تحته ، وهي التي ينسب إليها سوق الغالية . فقال :

فأقسم ما أدنيتُ كَفَي لريبةٍ      ولا حملتني نحوَ فاحشةٍ رجلي  
ولا قادني سمعي ولا بصري لها      ولا دلّني رأبي عليها ولا عقلي  
وأعلمُ أنّي لم تُصنبي مصيبةً      من الدهر إلا قد أصابت فتى مثلي

فسمع الرشيد أحسنَ غناء من أحسنِ صوت . فقال : الرمحُ يا غلامُ .

فجيء بالرمح . فعقد له لواء على إمارةٍ مصر .

قال إسماعيل : فولّيتها ستّين فأوسعتهُ عدلاً . وانصرفت بخمسمائة ألف دينار ، وبلغ أخاه عبد الملك ولايته ، فقال : غنّي والله الخبيثُ لهم ، ليس هو بصالِح ، انتهى .

## أعرابي يزاحم الرشيد

يروى أنه لما دخل هارون الرشيد إلى مكة . شَرَّفَهَا اللهُ تعالى .  
وابتدأ بالطواف ومنع الخاص والعام من ذلك لينفردَ بالطَّوَّاف . فسبقه  
أعرابيٌّ ، فشَقَّ ذلك على الرشيد فالتفت إلى حاجبه منكرًا عليه . فقال  
الحاجب للأعرابي : تخلَّ عن الطواف حتى يطوفَ أمير المؤمنين .

فقال الأعرابي : إن الله قد ساوى بين الإمام والرعِيَّة في هذا المقام .  
فقال عزَّ وجلَّ : ﴿ سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدَقُهُ  
مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۝ ﴾ .

فلما سمع الرشيد من الأعرابي ذلك راعه أمره فأمر حاجبه بالكفِّ  
عنه ، ثم جاء الرشيد إلى الحجر الأسود ليستلمه فسبقه الأعرابي فاستلمه .  
ثم أتى الرشيد إلى المقام للمصلي فسبقه الأعرابي فصلى فيه . فلما فرغ  
الرشيد من صلاته قال : لحاجبه : اتَّخِني بهذا الأعرابي . فأثاه الحاجب .  
فقال : أجب أمير المؤمنين .

فقال : ما لي إليه من حاجة إن كان له حاجة فهو أحقُّ بالقيام إليَّ  
والسعي .

فقام الرشيد حتى وقف بإزاء الأعرابي وسلَّم عليه . فردَّ عليه  
السلام ، فقال له الرشيد : يا أخا العرب إجلس هنا بأمرِكَ .  
فقال الأعرابي : ليس البيت بيتي ولا الحرم حرمي وكلُّنا فيه سواء .

فإن شئت تجلس ، وإن شئت تنصرف .

قال الراوي : فعظم ذلك على الرشيد وسمع ما لم يكن في ذهنه . وما ظنّ أنه يواجهه أحد بمثل هذا الكلام . فجلس الرشيد وقال : يا أعرابي ، أريد أن أسألك عن فرضك ، فإن أنت قتّ به فأنت بغيره أقوم . وإن أنت عجزت عنه فأنت عن غيره أعجز .

فقال الأعرابي : سؤالك هذا سؤال تعلّم أم سؤال نعت ؟

فتمعّب الرشيد من سرعة جوابه وقال : بل سؤال تعلّم .

فقال له الأعرابي : قم فاجلس مقام السائل من المسؤول .

قال : فقام الرشيد وجثا على ركبتيه بين يدي الأعرابي . فقال : قد جلست فاسأل عما بدا لك .

فقال له : أخبرني عما افترض الله عليك ؟

فقال له : تسألني عن أيّ فرض عن فرض واحد . أم عن خمسة ، أم عن سبعة عشر . أم عن أربعة وثلاثين . أم عن خمسة وثمانين . أم عن واحدة في طول العمر . أم عن واحدة من أربعين . أم عن خمسة من مائتين .

قال : فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه استهزاء به . ثم قال له : سألتك عن فرضك فأنتني بحساب الدهر ؟

قال : يا هارون . لولا أن الدين بالحساب لما أخذ الله الخلائق بالحساب يوم القيامة . فقال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لَيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾



قال : فظهر الغضب في وجه الرشيد واحمرّت عيناه حين قال : يا هارون ، ولم يقل له : يا أمير المؤمنين ، وبلغ مبلغاً شديداً غير أن الله تعالى عصمه منه وحال بينه وبينه لما علم أنه هو الذي أنطق الأعرابي بذلك . فقال له الرشيد : يا أعرابي ، إن فسرّت ما قلتَ نجوتَ وإلاّ أمرتُ بضرب عنقك بين الصفا والمروة .

فقال له الحاجب : يا أمير المؤمنين اعفُ عنه وهبّه لله تعالى ولهذا المقام الشريف ؟

قال : فضحك الأعرابي من قولها حتى استلقى على قفاه ، فقال : ممّ تضحك ؟

قال : عجباً منك إذ لا أدري أيكما أجهل الذي يستوهب أجلاً قد حضر أم من يستعجل أجلاً لم يحضر ؟

قال : فهال الرشيد ما سمعه منه وهانت نفسه عليه ، ثم قال الأعرابي : أما سؤالك عمّا افترض الله عليّ ، فقد افترض عليّ فرائض كثيرة . فقولي لك عن فرض واحد : فهو دين الإسلام ؛ وأما قولي لك عن خمسة : فهي الصلوات ؛ وأما قولي لك عن سبعة عشر : فهي سبعة عشر ركعة ؛ وأما قولي لك عن أربعة وثلاثين : فهي السجودات ؛ وأما قولي لك عن خمسة وثمانين : فهي التكبيرات ؛ وأما قولي لك عن واحدة في طول العمر : فهي حجة الإسلام واحدة في طول العمر كلّها ؛ وأما قولي لك واحدة من أربعين : فهي زكاة الشيا . شاة من أربعين ؛ وأما قولي لك خمس من مائتين : فهي زكاة الورق .

قال : فامتلاً الرشيد فرحاً وسروراً من تفسير هذه المسائل . ومن حسن كلام الأعرابي وعظم الأعرابي في عينه وتبدّل بغضه محبة . ثم قال الأعرابي : سألتني فأجبتك وأنا أريد أن أسألك فأجيني .

قال : قلّ .

فقال الأعرابي : ما تقول في رجل نظر إلى امرأة في وقت صلاة. الفجر فكانت عليه مُحَرَّمَةً ، فلما كان وقتُ الظهر حُلَّتْ له ، فلما كان في وقتِ العصر حُرِّمَتْ عليه . فلما كان وقتُ المغرب حُلَّتْ له ، فلما كان وقتُ العشاء حُرِّمَتْ عليه ، فلما كان وقتُ الصبح حُلَّتْ له ، فلما كان وقتُ الظهر حُرِّمَتْ عليه . فلما كان وقت العصر حُلَّتْ له ، فلما كان وقتُ المغرب حُرِّمَتْ عليه ، فلما كان وقتُ العشاء حُلَّتْ له .

فقال : والله يا أخا العرب لقد أوقعني في بحر لا يَخْلُصُنِي منه غيرك . فقال له : أنت خليفة ليس فوقك شيء ولا ينبغي أن تعجز عن مسألة فكيف عجزت عن مسألتني وأنا رجل بدوي لا قدرة لي ؟ فقال الرشيد : قد عَظُمَ قَدْرُكَ العلم وُفِّعَ ذِكْرُكَ فأشتهي إكراماً لي ، ولهذا المقام تفسير ذلك .

فقال : حباً وكرامةً ولكن على شرط أن نجبرَ الكبير ونرحمَ الفقير ولا نزدريَ الحقير .

فقال : حباً وكرامةً . ثم قال : إن قولي لك عن رجل نظر إلى امرأة وقت صلاة الفجر فكانت عليه حراماً فهو رجل نظر إلى أمة غيره وقت الفجر فهي حرام عليه . فلما كان وقت الظهر اشتراها فحَلَّتْ له ، فلما كان وقت العصر أعتقها . فحرمت عليه . فلما كان وقتُ المغرب تزوجها فحَلَّتْ له . فلما كان وقت العشاء طَلَّقَهَا فحرمت عليه . فلما كان وقت الفجر راجعها فحَلَّتْ له . فلما كان وقت الظهر ظاهر منها فحرمت عليه ، فلما كان وقت العصر أعتقَ عنها . فحَلَّتْ له . فلما كان وقت المغرب ارتدَّ عن الإسلام . فحرمت عليه . فلما كان وقت العشاء تاب ورجع إلى الإسلام فحَلَّتْ له .

قال : فاعبِط الرشيد وفرح به واشتدَّ إعجابه ، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم ، فلما حضرت قال : لا حاجة لي بها رَدَّها إلى أصحابها .

فقال له : أريد أن أجري لك جارية تكفيك مدَّة حياتك ؟

قال : الذي أجرى عليك يجري عليّ .

قال : فإن كان عليك دين قضيناه عنك ؟

قال : لا ، ولم يقبل منه شيئاً ، ثم أنشد يقول :

هَبِ الدُّنْيَا تَوَافِينَا سَيْنِينَا      فَتَكْدُرُ سَاعَةً وَتَلْدُ حِينَا  
فَمَا أَغْنِي لشيءٍ لَيْسَ يَبْقَى      وَأَتْرُكُهُ غَدًا لِلْوَارِثِينَا  
كَأَنِّي بِالْترَابِ عَلِيٌّ يُحْثَى      وَبِالْإِخْوَانِ حَوْلِي نَادِينَا  
وَيَوْمَ تَرْفُرُ النِّيرانُ فِيهِ      وَتُقْسِمُ جَهْرَةً لِلْسَامِعِينَا  
وَعِزَّةٌ خَالَتِي وَجَلَالُ رَبِّي      لِأَنْتَقِمَنَّ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَا  
وَقَدْ شَابَ الصَّغِيرُ بِغَيْرِ ذَنْبٍ      فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ الْمُحْرَمِينَا

فلما فرغ من إنشاده تأوَّه الرشيد وسأله عن أهله وبلاده ، فأخبره أنه موسى الرضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، وكان يترّياً بزيّ أعرابي زهداً في الدنيا وتباعداً عنها ، فقام إليه الرشيد وقبل ما بين عينيه ، ثم قرأ : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۖ ﴾ ، وانصرف رحمة الله عليهم أجمعين

## الحسين الخليل والجارية العاشقة

قال السجستاني : أرق الرشيد ليلة ، فوجه إلى الأصمعي وإلى حسين الخليل فأحضرهما وقال : عللاني وابدأ أنت يا حسين .

فقال حسين : نعم يا أمير المؤمنين ! خرجتُ في بعض السنين منحدرًا إلى البصرة ممتدحًا محمد بن سليمان الزينبي بقصيدتي ، فقبلها وأمرني بالمقام . فخرجت ذات يوم إلى المبرد وجعلتُ المهالبة طريقي فأصابني حرٌّ شديد فدنوت من باب دار كبيرة لأستسقي . فإذا أنا بجارية كأنها قُصيبٌ يشتي ، واسعة العينين ، زجاءُ الحاجين ، مفتوحة الجبين ، عليها قبص جُلناري<sup>١</sup> ورداء عذتي قد غلب شدةً يياض بدنها على حُمرة قبصها . تتلألًا من تحت القميص بثديين كرمانتين وبطن كطي القباطي<sup>٢</sup> ، وعُكْنُ<sup>٣</sup> كالقراطيس . لها جُمَّةٌ جَعْدَةٌ بالمِسْكِ محشوةٌ . وهي يا أمير المؤمنين متقلدةٌ خرزًا من الذهب والجوهر . يزهو بين نَهْدَيْهَا وعلى صحن جبينها طُرَّةٌ كالسَّبَجِ<sup>٤</sup> وحاجبان مقرونان وعينان نجلاوان وخدَّان أسيلان وأنفٌ أقتى تحته ثَغْرُ كاللؤلؤ ، وأسنان كالدر ، وقد غلب عليها الطَّيْبُ ، وهي والهةٌ حَيْرَى ذاهبة في الدهليز ورائحةٌ تخطرُ على أكباد محبيها في مشيتها . وقد خالط أصواتُ نعالِها خلخالها ، فهي كما قال الشاعر فيها :

- ١ الحاجب الأزج : هو الطويل في رقعة .
- ٢ الجلناري : الأحمر .
- ٣ القباطي : ثياب من الكتان منسوبة إلى القبط .
- ٤ العكن . الواحد عكنة : ما انطوى وتثنى من لحم البطن .
- ٥ السبج : الحرز الأسود .

كلُّ جزءٍ من محاسنها كائِنْ من حسنها مثلاً

فهَبْهُهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . ثُمَّ دَنَوْتُ مِنْهَا لِأَسْلَمَ عَلَيْهَا . فَإِذَا الدَّهْلِيزُ  
وَالدَّارُ وَالشَّارِعُ قَدْ عَبَقَ بِالمِسْكِ . فَسَلَّمْتُ عَلَيْهَا فَرَدَّتْ بِلِسَانٍ مُنْكَسِرٍ  
وَقَلْبٍ حَزِينٍ حَرِيقٍ مُسَعَّرٍ . فَقُلْتُ لَهَا : يَا سَيِّدَتِي . إِنِّي شَيْخٌ غَرِيبٌ  
أَصَابَنِي عَطَشٌ ، أَقْتَامِرِينَ بِشَرِبَةٍ مِنْ مَاءِ تَوْجَرِينَ عَلَيْهَا ؟

قَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي يَا شَيْخَ ، فَلَظِي مُشْغُولَةٌ عَنِ الْمَاءِ وَادِّخَارِ الزَّادِ .  
قُلْتُ : لِأَيِّ عِلَّةٍ يَا سَيِّدَتِي ؟

قَالَتْ : لِأَنِّي عَاشِقَةٌ لِمَنْ لَا يُنْصَفُنِي ، وَأُرِيدُ مِنْ لَا يَرِيدُنِي ، وَمَعَ  
ذَلِكَ فَلَظِي مَمْتَحِنَةٌ بِرِقَبَاءِ فَوْقَ رِقَبَاءِ .

قُلْتُ : وَهَلْ يَا سَيِّدَتِي عَلَى بَسِيطَةِ الْأَرْضِ مِنْ نَزِيدِيهِ وَلَا يَرِيدُكَ ؟  
قَالَتْ : نَعَمْ ، وَذَلِكَ لِفَضْلِ مَا رُكِّبَ فِيهِ مِنَ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ  
وَالدَّلَالِ .

قُلْتُ : وَمَا وَقُوفُكَ فِي هَذَا الدَّهْلِيزِ ؟

قَالَتْ : هَهُنَا طَرِيقُهُ وَهَذَا أَوَانُ اجْتِنَازِهِ .

قُلْتُ لَهَا : يَا سَيِّدَتِي ، فَهَلْ اجْتَمَعْتُمَا فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ وَوُجِدَ  
حَدِيثٌ فِي هَذَا الْقَرَبِ ؟

فَنَفَسْتُ الصُّعْدَاءَ وَأَرَخْتُ دُمُوعَهَا عَلَى خَدَّيْهَا كَطَلٍّ سَقَطَ عَلَى وَرْدٍ ،  
ثُمَّ أُنْشَدْتُ تَقُولُ :

وَكُنَّا كَمُصْنَيَّ بَانَةٍ فَوْقَ رَوْضَةٍ      نَشْمُ جَنَى اللَّذَاتِ فِي عَيْشَةٍ رَغْدٍ  
فَأَفْرَدَ هَذَا الْغَصْنَ مِنْ ذَاكَ قَاطِعٌ      فَيَا مَنْ رَأَى فَرْدًا يَحِينُ إِلَى فَرْدٍ

قُلْتُ : يَا هَذِهِ ، فَمَا بَلَغَ مِنْ عَشْقِكَ لِهَذَا الْفَتَى ؟

قالت : أرى الشمس على حائطهم أحسب أنها هو . وربما أراه بفتنة  
فأبتهت ويهرب الدم والروح من جسدي وأبقى الأسبوع والأسبوعين بغير  
عقل .

قلت لها : فاعذريني ، فأنت على ما بك من الصبا وشغل البال  
باهوى ونحول الجسم وضعف القوى أرى بك من اللون ورقة البشرة .  
فكيف لو لم يمسك الهوى لكنت مفتنة في أرض البصرة .

قالت : والله قبل محبتي هذا الغلام كنت تحفة الدلال والجمال  
والكمال . ولقد قتت جميع ملوك البصرة حتى فتني هذا الغلام .

قلت : يا هذه . فما الذي فرق بينكما ؟

قالت : نواب الدهر ولحديتي وحديثه شأن من الشؤون . وذلك أنني  
كنت قعدت في يوم نيروز<sup>١</sup> ، ودعوت عدة من مستظرفات البصرة من  
النساء الجميلات وكانت فيهن الحوراء جارية شيراز . وكان شراؤها عليه من  
عمان بثمانية آلاف درهم ، وكانت بي والعة ، فلما دخلت رمت بنفسها  
عليّ تقطعني قرصاً وعضاً . ثم خلونا نتمرن القهوة إلى أن يدرك طعأمنا  
ويجتم من دعونا وكانت تلاعبي وألاعبي ، فتارة أنا فوقها ، وتارة هي  
فوقي . فحملها السكر إلى أن ضربت يدها إلى تكفي فعلتها من غير رية  
كانت يئنا ، وأنزلت سراويلي ملاعبة . فبينما نحن كذلك إذ دخل علينا  
حبيبي فرأى ذلك فاشمأز لذلك وصدف عني صدوف المهرة العربية إذا  
سمعت صلاصلاً لجأها ، فوئى خارجاً ، فأنا يا شيخ منذ ثلاث سنين أسأل  
الاجتماع به فلا ينظر إليّ بطرف ولا يكتب لي بحرف ولا يكلم لي رسولاً  
ولا يسمع مني قبلاً .

---

١ النيروز : عند الفرس أول يوم من السنة الشمسية . وهو يوم الفرج عموماً

فقلت لها : يا هذه . من العرب هو أم من العجم ؟

فقلت : ونحك هو من جملة ملوك البصرة .

فقلت لها : شيخ هو أم شاب ؟

ف نظرت إليّ شراً وقالت : إنك أحمق . هو مثل القمر ليلة البدر .  
أجرد أمرؤ له طرة كحللك الغراب لا يعييه شيء غير الخرافه عني .

قلت لها : ما اسمه ؟

قالت : ماذا تصنع به ؟

أجهد في لقائه فأتعرف الفضل بينكما .

قالت : على شرط أن تحمل إليه رقعة .

قلت : لا أكره ذلك .

فقالت : اسمه ضمرة بن المغيرة وبكتي بأبي السخاء . وقصره  
بالمربد .

ثم صاحت في الدار : يا جوارى . الدواة والقرطاس . وشمرت عن  
ساعدين كأنهما طوقان من فضة . وكتبت بعد البسملة : سيدي ترك  
الدعاء في صدر رقعتي ينبي عن تقصيري . ودعائي . إن دعوته . هجنة  
ورعونة . ولولا أن بلوغ المجهود يخرج عن حد التقصير لكان لما تكلفته  
خادمك من كتابة هذه الرقعة معنى مع بأسها منك لعلها تركك الجواب .  
سيدي . جُد بنظرة وقت اجتيازك في الشارع إلى الدهليز تُحيي بها  
نفساً ميتة . واخطط بخط يدك . بسطها الله بكل فضيلة . رقعة واجعلها  
عوضاً عن تلك الحثولات التي كانت بيننا في الليالي الخاليات التي أنت ذاكر  
لها .

سليدي . أَلَسْتُ لَكَ مُجِئَةً مُدْنِفَةً ؟ فَإِنْ رَجَعْتَ إِلَى الْآيَةِ كُنْتُ لَكَ شَاكِرَةً وَبَعْدُ خَادِمَةً . وَالسَّلَام .

فَتَاوَلْتُ الْكِتَابَ وَخَرَجْتُ فَأَصْبَحْتُ عُذْوَةً إِلَى بَابِ مُحَمَّدَ بْنِ سُلَيْمَانَ فَوَجَدْتُ مَجْلِسًا مُحْتَفَلًا بِالْمُلُوكِ وَرَأَيْتُ عَلَامًا زَانَ الْمَجْلَسِ وَفَاقَ عَلَى مَنْ فِيهِ جَالًا وَبَهْجَةً . قَدْ رَفَعَهُ الْأَمِيرُ فَوْقَهُ . فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَإِذَا هُوَ ضَمْرَةُ بْنُ الْمُغْفِرَةِ . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : بِالْحَقِّقَةِ حُلٌّ بِالْمَسْكِينَةِ مَا حُلُّ بِهَا . ثُمَّ قُتُّ وَقَصِدْتُ الْمِرْبَدَ وَوَقَّعْتُ عَلَى بَابِ دَارِهِ . فَإِذَا هُوَ قَدْ وَرَدَ فِي مَوْكِبٍ فَوَثِبْتُ إِلَيْهِ وَبَالَغْتُ فِي الدَّعَاءِ لَهُ وَنَاوَلْتُهُ الرِّقْعَةَ . فَلَمَّا قَرَأَهَا وَفَهِمَ مَعْنَاهَا قَالَ لِي : يَا شَيْخُ ! قَدْ اسْتَبَدَّلْنَا بِهَا ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى الْبَدِيلِ ؟

قُلْتُ : نَعَمْ .

فَصَاحَ فِي الدَّارِ أَخْرَجُوا الرَّبْدَاءَ . فَإِذَا أَنَا بِجَارِيَةٍ خَابِوْطِيَةِ الْكَمِينِ ، نَاهِدَةً التَّنْدِينَ تَمْشِي مِشْيَةً مُسْتَوَجِلٍ مِنْ غَيْرِ وَحَلٍ . فَتَاوَلَهَا الرِّقْعَةَ . وَقَالَ : أَجِيبِي عَنْهَا . فَلَمَّا قَرَأَتْهَا أَصْفَرَتْ وَعَرِفَتْ وَقَالَتْ : يَا شَيْخُ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا جِئْتُ بِهِ .

فَخَرَجْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَنَا أَجْرَ رَجُلِي حَتَّى أَتَيْتُهَا وَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهَا فَقَالَتْ : مَا وَرَاءَكَ ؟ فَقُلْتُ : الْبُؤْسُ وَالْيَأْسُ .

فَقَالَتْ : مَا عَلَيْكَ مِنْهُ . فَأَيْنَ اللَّهُ وَالْقَدَرُ ؟

ثُمَّ أَمَرْتُ لِي بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ ثُمَّ جُرْتُ بَعْدَ أَيَّامٍ بِيَابِهَا فَوَجَدْتُ عَلَامًا وَفَرَسَانًا فَدَخَلْتُ فَإِذَا أَصْحَابُ ضَمْرَةَ يَسْأَلُونَهَا الرَّجُوعَ إِلَيْهِ ؟ فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ لَا نَظَرْتُ لَهُ وَجْهًا . فَسَجَدْتُ لِلَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، شِمَانَةً بِضَمْرَةِ

---

١ . قوله : خَابِوْطِيَةِ الْكَمِينِ : لم تعد هذه اللفظة في المعاجم ولنعل المراد بها أن كتبها طويلاً لتخطئها حينما تمشي



ونفرت من الجارية . فأوردت عليّ منه رقعةً فإذا فيها . بعد التسمية .  
 سيدني . لولا إبقائي عليك . أدام الله حياتك ، لوصفتُ شطراً من غدرك  
 وبسّطتُ شطرَ عَنِّي عليك . وسلكتُ ظلامي فيك . إذ كنتِ الجانية .  
 على نفسك ونفسي والمُظهرة لسوء العهد وقلةِ الوفاء والمؤثرة علينا غيرنا .  
 فخالفتُ هواي . والله المستعان . على ما كان من سوء اختيارك والسلام .  
 وأوقفتني على ما حمله إليّ من الهدايا والتحف العظيمة فإذا هو بمقدار  
 ثلاثين ألف دينار ثم رأيتها بعد ذلك . وقد تزوّج بها ضمرة .  
 فقال الرشيد : لولا أن ضمرة سبقني إليها لكان لها معي شأن من  
 الشؤون . انتهى .

### جميل والفتى العذري وحييته

وحكى مسرور الخادم قال : أرق الرشيدُ أرقاً شديداً ليلةً من الليالي .  
 فقال : يا مسرورُ من على الباب من الشعراء ؟  
 فخرجت إلى الدهليز فوجدت جميلَ بن مَعْمَرِ العُدري فقلتُ : أجب  
 أمير المؤمنين . فقال : سمعاً وطاعة . فدخلتُ ودخل معي إلى أن صار بين  
 يدي هارون الرشيد فسلمَ بسلام الخلافة . فردّ عليه وأمره بالجلوس .  
 فقال له الرشيد : يا جميلُ . أعندك شيءٌ من الأحاديث العجيبة ؟  
 قال : نعم يا أمير المؤمنين . أئبأ أحبُّ إليك . ما عابته ورأيتُه أو ما  
 سمعته ووعيته ؟  
 فقال : بل حدثني عما عابته ورأيتُه .

فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، أقبل عليّ بكلّك واصغر إليّ بأذنك .  
قال : فقم الرشيء إلى مخدّة من الديباج الأحمر المزركش  
بالذهب ، محشوة بريش النعام ، فجعلها تحت فخذيه ثم مكّن منها  
مرقّيته ، وقال : هلمّ بحديثك .

فقال : اعلم يا أمير المؤمنين ، أنّي كنت مفتوناً بفتاة محباً لها ، وكنت  
آلفها إذ هي سؤلي وبُعيتي من الدنيا . وإنّ أهلها رحلوا بها لقلّة المَرعى .  
فأقت مدة لا أراها ، ثم إن الشوق أقلقني وجذبني إليها . فراودتني نفسي  
بالمسير إليها فلمّا كانت ذات ليلة من الليالي ، هزّني الوجد إليها ، ففمت  
وشددت رحلي على ناقتي واعنمت بعِمتي وليست أطلّري وتقلّدت بسيني .  
وتنكبّت حَجَفتي . وركبت ناقتي وخرجت طالبا لها . وكنت أجد في  
السير . فسيرت . وكانت ليلة مظلمة مُدلهمة ، وأنا مع ذلك أكابد هبوط  
الأودية وصعود الجبال . أسمع زئير الأسد وعواء الذئاب . وأصوات  
الوحوش من كلّ جانب . وقد ذهل عقلي وطاش لبّي . ولساني لا يفتّر  
عن ذكر الله تعالى .

فبينما أنا أسير كذلك إذ غلبني النوم فأخذت بي الناقة على غير الطريق  
التي كنت فيها . وزاد عليّ النوم . وإذا أنا بشيء لطمني في رأسي ،  
فانتبهت فرعاً مرعوباً . وإذا بأشجار وأنهار وماء وأطيار على تلك الأغصان  
ترنم بلغاتها وألحانها ، وأشجار ذاك المرج منسبكة بعضها ببعض ، فترلت  
عن ناقتي وأخذت زمامها بيدي . ولم أزل أتلطف بها إلى أن خرجت بها  
من تلك الأشجار إلى أرضٍ فلاة . فأصلحت كورها . واستويت راكباً

١ الأظفار . الواحد طير : الثوت الثرث .

٢ تنكبّت : ألقيت على منكبي . والتنكب مجتمع رأس التنكف والعقد . الحجة

القرص من جلد بلا خشب .

على ظهرها ، ولا أدري إلى أين أذهبُ ولا إلى ما تسوقني الأقدار ؟ فددت نظري في تلك البرية ، فلاح لي نار في صدرها فوكرتُ ناقتي وسرتُ طالباً إلى أن وصلت إلى تلك النار ، فقربتُ نفسي منها وتأملتُ وإذا بخباء مضروبٍ ورُمحٍ مركوز ، وراية قائمةٍ وخيل واقفةٍ ، وإبل سائمةٍ ، فقلت في نفسي : بوشك أن يكون لهذا الخباء شأنٌ عظيم ، فإني لا أرى في هذه البرية سواه ، ثم تقدمتُ خلف الخياء وقلت : السلام عليكم يا أهل الخياء ورحمةُ الله وبركاته .

فخرج إليّ من الخباء غلامٌ من أبناء تسعةَ عشرَ ، كأنه البدرُ إذا أشرق ، والشجاعةُ لائحةٌ بين عينيه ، فقال : وعليك السلام ورحمةُ الله وبركاته يا أخا العرب . إني أظنك ضالاً عن الطريق ؟  
فقلت : الأمر كذلك ، أرشدني يرحمك الله تعالى .

فقال : يا أخا العرب إن أرضنا هذه مَسْبُعةٌ ، وهذه الليلة مظلمة وحشةٌ شديدةُ الظلمةِ والبردِ ولا آمن عليك من الوحش أن يفترسك ، فانزل عندي على الرّحب والسّعة ، فإذا كان الغدُ أرشدتك إلى الطريق .  
قال : فترلت عن ناقتي وعَقَلْتُهَا بفاضل زمامها ونزعتُ ما كان عليّ من أطيار ، وجلستُ ساعةً ، وإذا بالشاب قد عمد إلى شاةٍ فذبحَهَا وإلى نارٍ فأضرمَهَا وأججَهَا ثم دخل الخياء وأخرجَ أزاراً ناعمةً ولحماً مُطَبَّياً وأقبل يقطع من اللحم ويشوي على النار ويُطعمني ويتنهدُ تارةً ، ويكي تارةً أخرى ، ثم شق شُهقةً عظيمةً وبكى بكاءً شديداً وأنشد يقول :

لم يبقَ إِلَّا نَفْسٌ خافت ومُقلَةٌ إنسانها باهتٌ  
لم يبقَ في أعضائه مَفْصِلٌ إِلَّا وفيه سَقَمٌ ثابتٌ

فلمعه جار وأحشاؤه نُوقِدُ ، إلا أنه ساكتٌ  
تبكي له أعداؤه رَحمةً يا وِيعَ من يرثي له الشامتُ

قال جميل : فعند ذلك يا أمير المؤمنين ، علمتُ أَنَّ الغلامَ عاشقٌ  
ولهانٌ ، ولا يعرفُ الهوى إلا من ذاقَ طعمَ الهوى ، فقلتُ في نفسي : أنا  
في منزل الرجل وأتهجمُ عليه في السؤال ؟ فردعتُ نفسي وأكلتُ من ذلك  
اللحم بحسب الكفاية . فلما فرغتُ من الأكل قامَ الشابُ ودخلَ الخِباءَ  
وأخرجَ طُشتاً نظيفاً وإبريقاً حسناً ومِنديلاً من الحرير أطرافه مزركشةً  
بالذهب الأحمر وقمقمأ مملوءاً من الماورِدِ المسك . فتعجبتُ من ظُرفه  
ورقة حاشيته ، وقلتُ في نفسي : ما أغربَ الظُرفَ في البادية . ثم غسلنا  
أيدينا وتحَدَّثنا ساعةً ثم إنه قامَ ودخلَ الخِباءَ وقطعَ بيني وبينه بمقطعٍ من  
الديباج الأحمر . ثم خرج وقال : ادخل يا وَجَّةَ العرب وخُذْ مضجَعَكَ  
فقد لحقك في هذه الليلة تعبٌ وفي سفرك هذا نصبٌ مُفرطٌ .

قال جميل : فدخلتُ فإذا أنا بفراش من الديباج الأخضر . فعند  
ذلك نزعْتُ ما كان عليّ من الثياب ونمتُ بلبلةٍ لم أُنمَ عمري مثلاً . فلم  
أزل كذلك ، وأنا متفكّر في أمر هذا الشاب إلى أن جَنَّ الليلُ ونامتِ  
العيون ، فلم أشعرَ إلا بحسٍّ خفيٍّ لم أسمعَ الطفَ منه ولا أرقَ حاشيةً ، فرفعتُ  
سِجَافَ المِصْرَبِ ، ونظرتُ فإذا أنا بصبيّةٍ : أرَ أحسنَ منها وجهاً وهي إلى  
جانبه ، وهما يبكيان ويتشاكيان ألمَ الهوى والصباية والجوى وشدةَ اشتياقيهما  
إلى التلاقي ، فقلتُ : يا الله ! العجب من هذا الشخص الثاني . وهذا  
بيت فردُّ فإني لم أرَ فيه غيرَ هذا الفتى ، وليس حولَه أحدٌ . ثم قلتُ في  
نفسي : لا شك أن هذه الجارية من بنات الجَنِّ تهوى هذا الغلام . وقد  
تفرَّد بها في هذا المكان وتفرَّدت به ، فحقَّقتها فإذا هي أنسيةٌ عربيةٌ إذا  
رَمَقَتْ تُخَجِّلُ الشمسَ المُضِيئةَ ، وقد أضاءَ الخِباءُ من نورِ وجهها ، فلما

نَحَقَّتْ أَنَّهَا مَحَبَّتُهُ غَلَبَتْهُ الْغَيْبَةُ عَلَى الْحُبِّ ، فَارْخَيْتِ السِّتْرَ وَغَطَيْتُ وَجْهِي وَنِمْتُ . فَلَمَّا أَصْبَحْتُ لَبِسْتُ ثِيَابِي ، وَتَوَضَّأْتُ لَصَلَاتِي ، وَصَلَّيْتُ مَا كَانَ عَلَيَّ مِنَ الْفَرَضِ ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : يَا أَخَا الْعَرَبِ . هَلْ لَكَ أَنْ تُرْسِدَنِي إِلَى الطَّرِيقِ . فَقَدْ تَفَضَّلْتَ عَلَيَّ .

فَنَظَرَ إِلَيَّ وَقَالَ : عَلَى رِسْلِكَ يَا وَجْهَ الْعَرَبِ ، الضِّيَاقَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَمَا كُنْتُ بِالَّذِي يَدْعُكَ إِلَّا لثَلَاثَةِ أَيَّامٍ .

قَالَ جَمِيلٌ : فَاقْتُ عَنْهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الرَّابِعُ جَلَسْنَا لِمَحَدِّثِ فَحَادِثَتِهِ وَسَأَلْتُهُ عَنْ اسْمِهِ وَنَسَبِهِ فَقَالَ : أَمَّا نَسَبِي فَأَنَا مِنْ بَنِي عُذْرَةَ ، وَأَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ وَعَمِّي فُلَانٌ ، فَإِذَا هُوَ ابْنُ عَمِّي ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ مِنْ أَشْرَفِ بَيْتِ فِي بَنِي عُذْرَةَ ، قَالَ : فَقُلْتُ : يَا ابْنَ لَمٍ ، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا أَرَاهُ مِنْكَ مِنَ الْانْفِرَادِ فِي هَذِهِ الْبَرَةِ ، وَكَيْفَ رَكَتَ عَيْدَكَ وَإِمَاءَكَ وَانْفَرَدْتَ بِنَفْسِكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ ؟

فَلَمَّا سَمِعَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَلَامِي ، تَرَعَرَعَتْ عَيْنَاهُ بِالْدمْعِ ثُمَّ قَالَ : يَا بْنَ الْعَمِّ ، إِنِّي كُنْتُ مَحَبًّا لِابْنَةِ عَمِّي ، مَفْتُونًا بِهَا هَائِمًا بِحَبْلِهَا مَجْنُونًا عَلَيْهَا لَا أَطِيقُ الْفِرَاقَ عَنْهَا ، فَزَادَ عَشَنِي لَهَا ، فَخَطَبْتُهَا مِنْ عَمِّي ، فَأَبَى أَنْ يَزَوِّجَهَا وَزَوَّجَهَا مِنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ وَدَخَلَ بِهَا وَأَخَذَهَا إِلَى الْمَهَلَةِ الَّتِي هُوَ فِيهَا مِنَ الْعَامِ الْأَوَّلِ ، فَلَمَّا بَعُدْتُ عَمِّي وَحُجِّبْتُ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا حَمَلْتَنِي لَوَعَاتُ الْهَوَى وَشِدَّةُ الشَّوْقِ وَالْجُلُوبِ عَلَى تَرْكِي أَهْلِي وَمِفَارِقِي عَشِيرَتِي وَخِلَائِي وَجَمِيعِ أُمَّتِي ، وَانْفَرَدْتُ بِهَذَا الْبَيْتِ فِي هَذِهِ الْبَرَةِ وَأَلْفَتْ وَحَلَّتَنِي .

فَقُلْتُ : وَأَيْنَ أَبْيَانُهُمْ ؟

قَالَ : هُمْ قَرِيبٌ فِي ذُرْوَةِ هَذَا الْجَبَلِ ، وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ عِنْدَ نَوْمِ الْعِیُونَ يَهْدُوْهُمُ مِنَ اللَّيْلِ تَسْلُ مِنْ الْحَيِّ سُرًّا بِحَيْثُ لَا يَشْعُرُ بِهَا أَحَدٌ فَأَقْضِي مِنْهَا

بالحديث وطراً وتقضي هي كذلك ، وها أنا مقيمٌ كذلك على هذا الحال  
أنسلى بها ساعة من الليل ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، أو يأتيني الأمر على  
رغم الحاسدين ، أو يحكم الله لي ، وهو خير الحاكمين .

قال جميل : فلما حدثني الغلام يا أمير المؤمنين ، غمّي أمره وصرتُ  
من ذلك في حيرة لما أصابني عليه من الغيرة ، فقلت له : يا ابن العم ،  
هل لك أن أدلك على حيلة أشير بها عليك ، وفيها إن شاء الله . عينُ  
الصلاح وسبيلُ الرشد والنجاح . وبها يفرجُ الله عليك الذي تخشاه .  
فقال لي : قل يا ابن العم .

فقلت له : إذا كان الليلُ وجاءت الجاريةُ فاطرحها على ناقتي ، فإنها  
سريعةُ الرواح . واركبْ أنت جوادك . وأنا أركبُ بعضَ هذه النوق وأسيرُ  
بكم الليلةَ جميعها . فما يُصبحُ الصباحُ إلّا وقد قطعْتُ بكم براري وقفاراً  
وتكونُ قد بلغتُ مُرادك وظفرتَ بمحبوبةِ قلبك ، وأرضُ الله واسعةٌ  
فضاؤها . وأنا والله مساعدك ما حيثُ بروحي ومالي وسنني .

فلما سمع ذلك قال لي : يا ابن العم ، حتى أشاورها في ذلك ، فإنها  
عاقلةٌ لبيبةٌ بصيرةٌ بالأمور .

قال جميل : فلما جنَّ الليلُ وحانَ وقتُ مجيئها وهو منتظرُ الوقتِ  
لمعلومٍ فأبطأت عن عاديها فرأيتُ الفتى ، وقد خرج من باب الحباء وفتح  
فاه وجعلَ يتنسمُ هبوبَ الريح التي تهبُّ من نحوها وأنشد يقول :

ريحُ الصبا تُهدي إليّ نسيماً      من بلدةٍ فيها الحبيبُ مقيمٌ  
يا ربيعُ فيك من الحبيبِ علاقةٌ      أتعلمين متى يكونُ قدومُ .

ثم دخل الحباء وقعد ساعةً زمانيةً . وهو يبكي . ثم قال لي : يا ابن  
العم ، إنّ لبنت عَمّي في هذه الليلة نبأٌ وقد حدث لها حادث وعاقها عَمّي

عائق ، ثم قال لي : كن مكانك حتى آتيك بالخبر . ثم أخذ سيفه وحجفته  
ثم غاب عني ساعة من الليل ثم أقبل وعلى يديه شيء يحمله ثم صاح إليّ  
فأسرعت إليه . فقال : أندري يا ابن العم ما الخبر ؟

فقلت : لا والله .

فقال : فجعت في ابنة عمي في هذه الليلة لأنها كانت توجهت إلينا  
كعادتها إذ عرض لها في طريقها أسد فافترسها ولم يُبق منها إلا ما ترى .

ثم إنه طرح ما كان على يده . فإذا هو مُشاش الجارية وما فضل من  
عظامها . ثم بكى بكاء شديداً ورمى الترس من يده وأخذ كساء على يده  
ثم قال لي : لا تبرح إلى أن آتيك إن شاء الله تعالى . ثم سار فغاب عني  
ساعة ثم عاد ويده رأس الأسد فطرحه عن يده ثم طلب ماء فأتته به  
فغسل فم الأسد وجعل يقبله ويبكي ويشنّ وزاد حزنه عليها وأنشد يقول :

ألا أيها الليث المدلُّ بنفسه      هلكت لقد هيّجت لي بعدها شجنا  
وصيرتني فرداً وقد كنت إلفها      وصيرت بطن الأرض لي ولها وطنا  
أقول للدمر خائني بفراقها      وغار عليها أن أكنّ لها حزنا

ثم قال : يا ابن العم . سألتك بالله وبحق القرابة والرحم التي بيني  
وبينك ألا حفظت وصيتي ؟ إنك ستراني الساعة ميتاً بين يديك ، فإذا كان  
كذلك ، فغسلني وكفني أنا وهذا الفاضل من مُشاش الجارية في هذا  
الثوب وأدفن في قبر واحد وأكتب على قبرنا هذه الأبيات ، وأنشد يقول :

كنّا على ظهرها ، والعيش في رعد      والشمْلُ مجتمع والدار والوطن  
ففرّق الدهر والتصريف ألفتنا      وصار يجمعنا في بطنها الكفن

قال : ثم بكى بكاءً شديداً . ثم دخل المضربَ وغابَ عني ساعةً وخرجَ وجعلَ ينتهزُ ويصبحُ ثم شقَّ شهقةً فارق الدنيا ، فلما رأيتُ ذلك منه عظمَ عليّ وكَبُرَ عندي حتى كدت ألحق به من شدة حُزني عليه ، ثم تقدّمت إليه وفعلتُ به ما أمرني من القَسَلِ وكفّشَها جميعاً ودفنُها في قبرٍ واحدٍ ، وأقيمتُ عند قبرها ثلاثةَ أيامٍ ثم ارتحلتُ وأقيمتُ سنينَ أترددُ إلى زيارتهما .

وهذا ما كان من حديثها . يا أمير المؤمنين ، قال : فلما سمع الرشيد كلامه استحسّنه وخلع عليه وأجازَه جائزةً حسنةً ، والله أعلم .

### إسحاق الموصلي وإبليس

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : بينما أنا ذاتَ يومٍ في منزلي ، وكان زمنَ الشتاء ، وقد انتشرت السُحبُ ونراكَمتِ الأمطارُ بقطرٍ كافواهِ القُربَ ، وامتنع الغادي والمقبل من المسير في الطرقات لما فيها من الأمطار والوحل ، وأنا ضَيِّقُ الصدرِ إذ لم يأتني أحدٌ من إخواني ، ولم أقدر على المسير إليهم من شدة الوحل والطين ، فقلت لغلّامي : أحضر لي ما أتشأغلُ به ، فأحضر لي طعاماً وشراباً فتغنصتُ إذ لم يكن معي من يؤانسني ، ولم أزل أنطلعُ من الطاقات وأراقبُ الطرقات ، وأقبل الليلُ فتذكرتُ جاريةً لبعضِ أولاد المَهدي كنتُ لهُواها . وكانت عارفةً بالغناء وتحريكِ الملامح . فقلت في نفسي : لو كانت الليلةَ عندنا لتمَّ سروري وطابت ليلتي ممّا أنا فيه من الفكر والقلق وإذا بداقُ بدقَ الباب وهو يقول : أيدخلُ محبوبُ على البابِ وأقفُ . فقلتُ في نفسي : لعلَّ غرسَ التمنيّ أثمر . فقمتُ إلى البابِ ، فإذا بصاحبتني وعليها مرطٌ أخضرٌ قد انشعثَ به وعلى

١ المرط : كساء من صوف ونحوه يؤتزّر به . كل ثوب غير مخيط .



رأسها وقايةً من الدياتج تقيها من المطر . وقد غرقت في الطين إلى ركبتيها  
وابتل ما عليها من المزاريب . وهي في حال عجب فقلت لها : يا  
سيدتي ، ما الذي أتى بك في مثل هذه الأحوال ؟

فقلت : قاصدك جاءني ووصف ما عندك من الصباة والشوق ، فلم  
يسعني إلا الإجابة والإسراع نحوك .

فعمجت من ذلك وكرهت أن أقول لها إني لم أرسل إليك أحداً ،  
فقلت : أحمد الله على جمع الشمل بعدما قاسيت من ألم الصبر ، ولو  
كنت أبطأت علي ساعة كنت أحق بالسعي إليك ، فإني كثير الصباة  
نحوك . ثم قلت لغلامي : هات الماء .

فأقبل بسخانة فيها ماء حار حتى أصلح لها حالها ثم أمرته أن يصب  
الماء على رجلها وتولت غسلها . ثم دعوت ببذلة من أفر الملبوس  
فألبسها إياها بعد أن نزع ما كان عليها ، وجلسنا ثم استدعيت بالطعام  
نأبت ، فقلت : هل لك في الشراب ؟

فقلت : نعم .

فتناولت أقداحاً ثم قالت : من يغني لي ؟

فقلت لها : أنا يا سيدتي .

فقلت : لا أحب .

فقلت : بعض جوارئ .

قالت : لا أريد .

فقلت : غني لنفسك .

قالت : ولا أنا .

قلت : فمن يغنيك ؟

قالت : إلتمس مَنْ يُعْتِي لي . فخرجت طاعةً لها ، إلا أنني آيسٌ من أن أجد أحداً في مثل هذا الوقت . فلم أزل حتى بلغت الشارع . فإذا أنا بأعمى يختبئ الأرضَ بعضاً . وهو يقول : لا جزى الله من كنتُ عندهم خيراً ، إن غيّتُ لم يسمعوا . وإن سكّيتُ استخفوا . فقلت : أمغن أنت ؟

قال : نعم .

قلت : فهل لك أن تَمَّ ليلتك عندنا وتؤانسنا ؟

قال : إن شئتَ خُذْ بيدي ، فأخذتُ بيده وسيرتُ إلى الدار ، وقلت لها : يا سيدتي أتيتُ بمغنٍ أعمى نلتدُّ به ولا يرانا . فقالت : عليّ به .

فأدخلته وعزمت عليه في الطعام فأكل أكلاً لطيفاً وغسلَ يده ، وقدمتُ إليه الشرابَ فشرَبَ ثلاثة أقداح ثم قال لي : من نكون ؟

قلت : إسحاق بن إبراهيم الموصلي .

قال : لقد كنتُ أسمع بك والآن فرحتُ بمُؤادِمَتِكَ .

فقلت : يا سيدي فرحتَ بمن يسرك .

فقال : غنّ يا إسحاق .

فأخذتُ العودَ على سبيل المجون وقلت : السمعُ والطاعةُ . فلما غيّتُ وانقضى انْ رَأَتْ قال : يا إسحاق . قاربت أن تكون مغنياً . فصغرت عليّ نفسي وألقيتُ العودَ من يدي فقال : ما عندك ممن يحسنُ الغناء ؟ قلت : عندي جارية .

قال : مرّها فلتنغّ .

قلت : نعمتي وأنت واثق بغنائها ؟

قال : نعم .

فتت ، قال : ما صَنَعْتَ شيئاً فرمتِ العودَ من يدها مُغضِبَةً  
وقالت : الذي عندنا جُودنا به فإن كَانَ عندكَ شيءٌ فتصدَّقْ به .

فقال : عليّ بعودٍ لم تَمَسَّهُ يدٌ .

فأمرتُ الخادمَ فجاء بعود جديد ، فضرب في طريق لا أعرفها واندفع  
يغني هذه الأبيات :

سرى يقطعُ الظلَّاءَ والليلُ عاكفُ حبيبٌ بأوقاتِ الزيارَةِ عارفُ  
وما راعنا إلا السلامُ وقولُها أيدخلُ محبوبٌ على البابِ واقفُ

قال : فنظرتُ إليَّ الجارية شزراً ، وقالت : سرُّ يبي وبينك ما وسعِهِ  
صدرُكَ ساعةٌ وأودعته لهذا الرجل .

فحلفتُ لها ثم اعتذرتُ إليها وأخذتُ أقبلُ يديها وأدغدغُ نديها وأعرضُ  
خديها حتى ضحكتُ ، ثم التفتتُ إلى الأعمى وقالت : غنْ يا سيدي  
فأخذ العود ، وغنى هذه الأبيات :

ألا ربَّما زُرْتُ المِلاحَ ، وربَّما لمسْتُ بكفِّي البَنانَ المُخَضَّبَا  
ودغدغتُ رُمانَ الصُّدُورِ ، ولم أزلُ أَغَضِّضُ تَفَاحَ الخُودِ المُكَبِّبَا

فقلتُ لها : يا سيدي ، فمن أعلمه بما نحن فيه ؟

قالت : صدقت .

ثم تجبَّناه فقال : إني لحاقن .

فقلت : يا غلامُ . خذ الشمعة وامضِ بين يديه .

١ شَبَّه الخُودَ بالضحاح في لونها ونضارتها ثم جعلها مكبة أي مثل كبة القطن . وهي الليفة .

فخرج وأبطأ فخرجنا في طلبه فلم نجده . وإذا الأبواب مغلقة والمفاتيح في الخزانة فلا ندري أي السماء صعد أو في الأرض هبط ثم علمت أنه إبليس . وأنه قاذي . ثم انصرف . فتذكرت قول أبي نواس حيث قال :

عجبت من إبليس في كبره وخبت ما أضمر في نيتيه  
 أنه على آدم في سجدة وصار قواداً لذريته

### إبليس يزور أبا نواس

نظير ذلك مما يستظرف لأبي نواس ، ما حكى عنه أنه قال :  
 ضجرت من ملازمة أمير المؤمنين هارون الرشيد حتى إنني لم أجد فراغاً إلى نفسي . فتوجه أمير المؤمنين إلى الصرح ليبيت فيه ثم يعود . فوجدت لروحي فرصة فدخلت داري وأغلقت بابي وأحضرت شراباً وطلبت نفسي لملوكة ، فعند المساء ، وإذا بالباب يُطرق ، فخرجت وإذا أنا بظبي من هولاء الأتراك ما رأت عيني أحسن منه منظراً ، فسلمت علي وقال لي :  
 أتقبل ضيفاً ؟

قلت : يا سيدي ومن لي بذلك ؟

فدخل بيتي فحار عقلي عند دخوله ثم أخرج من تحت ثيابه سلاحية<sup>١</sup> شراب ، ونقلاً وشيئاً من اللجاج ثم شرب وغنى شيئاً لم أسمعه من غيره ، وقضيت مرادي منه مراراً إلى أن مضى وقت من الليل . وقد هام عقلي من الشراب ومن حسنه ومن تسليم نفسه إليّ بغير تقديم عوض . ثم قال : يا سيدي أريد الانصراف .

١ قوله : سلاحية : لم نجد هذه اللفظة في المعاجم والمعنى يدل على أنها تعني نوعاً من الآنية . ونعلها من الألفاظ العامية

فقلت له : يا سيدي متى خرجت أنتَ خرجتُ روحي من جسدي  
وكلُّ شيءٍ أملكه بين يديك وأنا أصيرُ عبدك بعد هذا اليوم ولا أفارقك  
قال : أصحيحُ ما تقول ؟

قلت : نعم .

قال : ما أنا محتاج إلى مالك . وإن كنت صادقاً فيما ادّعت من  
محبتك لي قم واحلق لحيتك وشاربك واقعد مثلي أمرد .

قال : فحكم عليّ السكر والعشق فما قدرت أن أخالفه فأجبتهُ إلى  
ذلك على أن يبيتَ عندي . فعمد إلى موسى . وبلّ لحيتي وفي الحال أنزلها  
وبقيت مثله أمرد . ثم صار يضحك عليّ وقال : يا أبا نواس كيف الشعرُ  
الذي ذكرت فيه آدم وإبليس ؟

فأنشدته قائلاً :

عجبتُ من إبليسَ في كبره وخُبتُ ما أضمرَ في رِيتهِ  
تاه على آدمَ في سَجْدَةٍ وصار قَواداً لذِريَّتِهِ

ثم ضحك ضحكاً عالياً وصكَّ على ساحلِ قفائي صكاً مزعجاً .  
فاغتنط منه ثم قلت له : ويلك أتفعلُ بي هكذا . ثم أردت التطلعَ إليه .  
فما وجدتُ أحداً يعينني فقلت : إنه الملعون إبليس . انتهى .

### إبليس والشعراء

قال بعضهم :

قد جاءني ليلاً أبو مرّة إبليسُ يدعوني بلا ترَجُمانٍ  
وقال لي : هل لك في أمرد يَهْرُ من أعطافِهِ عُصَنَ بَانٍ

قلت : نعم قال : وفي خمرة  
قلت : نعم قال : فَمَ آمَنَّا  
حَبَابُهَا يُحَكِّي عُقُودَ الْجُحَانِ  
أَنْتَ رَئِيسُ الْفُسْقِ هَذَا الزَّمَانِ

وقال أبو نواس :

وليلةً طَالَ سَهَادِي بِهَا .  
وقال لي : هل لك في قَحْبَةٍ  
قلت : نعم ! قال : وفي قَهْوَةٍ  
قلت : نعم ! قال : وفي مُطْرَبٍ  
قلت : نعم ! قال : وفي شَادِنٍ  
قلت : نعم ! قال : وفي طَفْلَةٍ  
قلت : نعم ! قال : فَمَ آمَنَّا  
فَرَارِي إِبْلِيسُ عِنْدَ الرَّقَادِ  
لَيْبَةٍ تَطْرُدُ عَنْكَ الرَّقَادِ  
عَثَقَهَا الْعَاصِرُ مِنْ عَهْدِ عَادٍ  
إِذَا شَدَا يَطْرَبُ مِنْهُ الْجَاهِدِ  
قَدْ كُجِلَتْ أَجْفَانُهُ بِالسَّوَادِ  
فِي وَجْهِهَا لِلْمُحِبِّ انْقِيَادِ  
يَا كَعْبَةَ الْفُسْقِ وَرُكْنَ الْفَسَادِ

وقال زين الدين عمر بن الوردی معارضاً لذلك :

يَمْتُ وَإِبْلِيسُ أَنِي بِحِيلَةٍ مُنْتَدِبَةٌ فَقَالَ : مَا قَوْلُكَ فِي  
حَشِيشَةٍ مُتَّخَبَةٍ ؟ فَقُلْتُ : لَا ! قَالَ : وَلَا خَمْرٍ كَرَمٍ مُذْهَبَةٍ ؟  
فَقُلْتُ : لَا ! قَالَ : وَلَا مَلِيحَةٍ مُطَيَّبَةٍ ؟ فَقُلْتُ : لَا ! قَالَ : وَلَا  
أُغَيْدَ بِالْبَدْرِ اشْتَبَهَ ؟ فَقُلْتُ : لَا ! قَالَ : وَلَا آلَةٍ لَهُ مُطْرَبَةٍ ؟  
فَقُلْتُ : لَا ! قَالَ : فَمَ ؟ مَا أَنْتَ إِلَّا حَطَبَةٌ

الرشيد وأبو نواس وأبو طوق

وحضر أبو نواس عند الرشيد ليلة أنس . وكان أبو طوق حاضراً .  
وكان أبو نواس مشغولاً بحُسنه وجماله . فلما انقضى المجلس أخذ كل واحدٍ  
مفصلاً للنوم . فخاف الخليفة من أبي نواس على أبي طوق . فقال الخليفة

لأبي طوق : بَمِ أَنْتِ عَلَى السَّرِيرِ . وَقَالَ لِأَبِي نَوَاسٍ : أَنَا أَنَا وَأَنْتِ  
أَسْفَلَ السَّرِيرِ .

فَقَالَ : سَمِعَاً وَطَاعَةً . وَهُوَ بِذَلِكَ غَيْرُ رَاضٍ فِي نَفْسِهِ .

وَتَغَافَلَ الْخَلِيفَةُ عَنْ أَبِي نَوَاسٍ وَأَظْهَرَ النَّوْمَ ثُمَّ انْتَبَهَ فَوَجَدَ أَبَا نَوَاسٍ  
فَوْقَ السَّرِيرِ يَجْنُبُ أَبِي طَوَّقٍ بِضَمِّهِ وَيَعَانِقُهُ . فَقَالَ : مَا هَذَا يَا أَبَا نَوَاسٍ ؟  
فَقَالَ :

هَزَّنِي الشَّوْقُ مِنْ أَجْلِ أَبِي طَوَّقٍ فَتَدَحَّرَجْتُ مِنْ أَسْفَلِ إِلَى فَوْقِ

فَقَالَ لَهُ : قَاتِلْكَ اللَّهُ . انْتَهَى مِنْ حَلِيَةِ الْكَبِيتِ .

### الرَّشِيدُ وَالرَّجُلُ الْأُمَوِيُّ

مِنْ غَرِيبٍ مَا يُحْكِي ، مَا حَكَاهُ الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ التَّنُوخِيُّ فِي كِتَابِ  
الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَةِ : أَنَّ مَنَارَةَ وَكَانَ صَاحِبَ شَرْطَةِ الرَّشِيدِ قَالَ : رُفِعَ إِلَى  
هَارُونَ الرَّشِيدِ أَنَّ رَجُلًا بِدَمَشَقٍ مِنْ بَقَايَا بَنِي أُمَيَّةٍ عَظِيمِ الْمَالِ كَثِيرِ الْجَاهِ .  
مُطَاعًا فِي الْبَلَدِ . لَهُ جَمَاعَةٌ وَأَوْلَادٌ وَمَمَالِكٌ يَرْكَبُونَ الْخَيْلَ وَيَعْمَلُونَ السَّلَاحَ  
وَيَغْزُونَ الرُّومَ ، وَأَنَّهُ سَمِعَ جَوَادَ كَثِيرٍ الْبَذْلِ وَالضِّيَافَةِ ، وَأَنَّهُ لَا يُؤْمَنُ  
مِنْهُ ، فَضَطَّعَ ذَلِكَ عَلَى الرَّشِيدِ .

قَالَ مَنَارَةُ : وَكَانَ وَقُوفُ الرَّشِيدِ عَلَى هَذَا ، وَهُوَ بِالْكُوفَةِ فِي بَعْضِ  
حِجَابِهِ ، فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ . وَقَدْ عَادَ مِنَ الْمَوْسَمِ : وَقَدْ بَاعَ  
لِلْأُمَمِينَ وَالْمَأْمُونِ وَالْمُعْتَصِمِ أَوْلَادَهُ ، فَدَعَانِي . وَهُوَ خَالٍ . وَقَالَ : إِنِّي  
دَعَوْتُكَ لِأَمْرِ يَهْتُمُّنِي . وَقَدْ مَنَعَنِي النَّوْمَ . فَانْظُرْ كَيْفَ يَكُونُ ؟

ثُمَّ قَصَّ عَلَيَّ خَبَرَ الْأُمَوِيِّ . وَقَالَ : أَخْرَجَ السَّاعَةَ . فَقَدْ أَعْدَدْتُ  
لَكَ الْخَيُْولَ وَأَزَحْتُ عِلَّتَكَ فِي الزَّادِ وَالنَّفَقَةِ وَالْآلَةِ ، وَنَضَمْتُ إِلَيْكَ مِائَةَ غَلَامٍ

واسلُك البرية ، وهذا كتابي إلى نائب دمشق . وهذه قيودُ فابداً بالرجل .  
 فإن سمعَ وأطاعَ قَيِّدَهُ وجَنِّي بِهِ ، وإن عصَى فتوكَّل عليه أنت ومن معك  
 لثلاثي يهرب ، وأنفذ الكتابَ إلى أمير دمشق ليكون مساعداً لك . واقبضاً  
 عليه وجنني به . وأجلتُ لذهابك سناً ولإتيابك سناً ويوماً لمقايبك . وهذا  
 مَحْمَلٌ تَجْمَلُهُ فِي شِقَّةٍ مِنْهُ ، إِذَا قَيَّدَهُ . وتقعُدُ أنت في الشقة الأخرى .  
 ولا تُكِلْ حِفْظَهُ إِلَى غَيْرِكَ ، حَتَّى تَأْتِيَنِي بِهِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ عَشَرَ مِنْ  
 خُرُوجِكَ . فإذا دخلت داره فتفقدها وجميع ما فيها من أهله وولده  
 وحاشيته وغلطانه ، وقدر نعمته والحال والمحل واحفظ ما يقوله الرجل حرفاً  
 بحرف من ألفاظه منذ يقعُ طرفُك عليه حتى تأتيَنِي بِهِ . وإياك أن يُشْكِلَ  
 عليك شيء من أمره . انطلق .

قال منارة : فودعته وانطلقت وخرجت فركبت الإبل وسرت أطوي  
 المنازل أسير الليل والنهار ولا أنزل إلا للجمع بين الصلاتين والبولِ وتنفيس  
 النفس قليلاً إلى أن وصلت إلى دمشق في أوَّل الليلة السابعة . وأبوابُ  
 البلد مغلقة فكرهت طروقها ليلاً فبتَ بظاهر البلد إلى أن فُتِحَ بابُها من  
 غدٍ . فدخلت حتى أتيت باب الرجل . وعليه صفٌ عظيم وحاشية كثيرة ،  
 فلم أستاذن ودخلتُ بغير إذنٍ . فلما رأى القوم ذلك سألوا بعضَ من معي  
 عني . قال : هذا منارةُ رسول أمير المؤمنين إلى صاحبكم .

قال : فلما صرتُ في صحنِ الدار نزلت ودخلتُ مجلساً رأيت فيه قوماً  
 جلوساً فظننت أن الرجل فيهم فقاموا ورحبوا بي فقلت : أفيكم فلان ؟  
 قالوا : نحن أولادُه وهو في الحمام .

فقلت : استعجلوه .

فرضي بعضهم يستعجله وأنا أنفق الدارَ والأحوالَ والحاشيةَ فوجدتها  
 ماجت بأهلها موجاً كبيراً فلم أزل كذلك حتى خرجَ الرجل بعد أن طال



مكته واسترَبْتُ منه واشتدَّ قلبي وخوفي من أن يتواري إلى أن رأيت شخصاً  
 بزِيَّ الحِمَامِ يَمْشِي فِي صَحْنِ الدَّارِ وَحَوْلِيهِ جَمَاعَةُ كَهُولٍ وَأَحْدَاثٍ  
 وَصِيَّانٍ . وَهُمْ أَوْلَادُهُ وَغُلَامُهُ . فَقُلْتُ : إِنَّهُ الرَّجُلُ : فَجَاءَ وَجَلَسَ وَسَلَّمْ  
 عَلَيَّ سَلَاماً خَفِيفاً وَسَلَّطَنِي عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَاسْتَقَامَةً أَمْرٍ حَضَرْتُهُ . فَأَخْبَرْتُهُ  
 بِمَا وَجِبَ وَمَا قَضَى كَلَامُهُ حَتَّى جَاءُوا بِأَطْبَاقٍ فَأَكَهْتُهُ فَقَالَ : تَقْدَمُ يَا مَنَارَةَ  
 وَكُلْ مَعَنَا .

فَقُلْتُ : مَا لِي إِلَى ذَلِكَ مِنْ سَبِيلٍ .

فَلَمْ يَعَاوِدَنِي فَأَكَلْتُ هُوَ وَمِنْ مَعَهُ ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ وَدَعَا بِالطَّعَامِ . فَجَاءُوا  
 إِلَيْهِ بِمَائِدَةٍ حَسَنَةٍ لَمْ أَرْ مِثْلَهَا إِلَّا لِلْخَلِيفَةِ . فَقَالَ : يَا مَنَارَةَ سَاعِدْنَا عَلَى  
 الْأَكْلِ . لَا يَزِيدُ عَلَيَّ أَنْ يَدْعُوَنِي بِاسْمِي كَمَا يَدْعُوَنِي الْخَلِيفَةُ . فَامْتَنَعْتُ  
 عَلَيْهِ . فَمَا عَاوَدَنِي فَأَكَلْتُ هُوَ وَمِنْ مَعَهُ . وَكَانُوا تِسْعَةً مِنْ أَوْلَادِهِ . فَتَأَمَّلْتُ  
 أَكْلَهُ فِي نَفْسِهِ فَوَجَدْتُهُ يَأْكُلُ أَكْلَ الْمُلُوكِ وَوَجَدْتُ ذَلِكَ الْاضْطِرَابَ الَّذِي  
 كَانَ فِي دَارِهِ قَدْ سَكَنَ وَوَجَدْتَهُمْ لَا يَرْفَعُونَ شَيْئاً مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ قَدْ وَضَعَ عَلَى  
 الْمَائِدَةِ إِلَّا تَهَيَّأَ غَيْرُهُ حَالاً أَعْظَمَ وَأَحْسَنَ مِنْهُ . وَقَدْ كَانَ غِلَامُهُ أَخْلَعُوا لَمَّا  
 نَزَلْتُ إِلَى الدَّارِ مَالِي وَغُلَامِي وَعَدَلُوا بِهِمْ إِلَى دَارٍ أُخْرَى فَمَا أَطَاقُوا مُنَاجَتَهُمْ .  
 وَبَقِيَْتُ وَحْدِي وَلَيْسَ بَيْنَ يَدَيَّ إِلَّا خَمْسٌ أَوْ سِتُّ غُلَامَانِ وَقُوفٌ عَلَى رَأْسِي  
 فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا جِبَارٌ عَنِيدٌ . فَإِنْ امْتَنَعْتُ مِنَ الشَّخْصِ لَمْ أَطُقْ  
 إِشْخَاصَهُ بِنَفْسِي وَلَا بَمَنْ مَعِي وَلَا حِفْظِي إِلَى أَنْ يُلْحِقَنِي أَمِيرُ الْبَلَدِ .  
 وَحَزَعْتُ جَزَعاً شَدِيداً وَرَأَيْتُ مِنْهُ اسْتِخْفَافَهُ وَتَهَاوُنَهُ بِأَمْرِي . يَدْعُوَنِي بِاسْمِي  
 وَلَا يَفْكَرُ فِي امْتِنَاعِي مِنَ الْأَكْلِ وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا جِئْتُ بِهِ وَيَأْكُلُ مَطْمَئِناً .  
 وَأَنَا مَفْكَرٌ فِي ذَلِكَ . فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ أَكْلِهِ وَغَسَلَ يَدَيْهِ دَعَا بِالْبُخُورِ فَتَبَخَّرَ وَقَامَ  
 إِلَى الصَّلَاةِ وَصَلَّى النِّظَهْرَ . وَأَكْثَرَ مِنَ الدَّعَاءِ وَالِاتِّهَالِ . وَرَأَيْتُ صَلَاتَهُ  
 حَسَنَةً ، فَلَمَّا انْتَقَلَ مِنَ الْمِحْرَابِ أَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ : مَا أَقْدَمَكَ يَا مَنَارَةَ ؟  
 فَأَخْرَجْتُ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِ . فَقَضَّهَ وَقَرَأَهُ . فَلَمَّا اسْتَمَّ

قراءته دعا أولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلقٌ كثير فلم أشك أنه يريد أن يُوقع بي فلما تكاملوا ابتدأ فحلفَ إيماناً غليظة فيها الطلاقُ والعَتاقُ والحجُّ والصدقة والوقوف أن لا يجتمع اثنان في موضع واحد . وأمرهم أن ينصرفوا ويدخلوا منازلهم . ولا يظهروا إلى أن ينكشف لهم أمرٌ يعتمدون عليه . وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين بالمضي إليه ، ولست أقيم بعد نظري فيه ساعة واحدة . فاستوصوا بمن ورائي من الحرم خيراً وما لي حاجة أن يصحبني أحد منكم . هاتِ قبوذك يا منارة .

فدعوت بها وكانت في سَفَطٍ ومدَّ يده فقيدته وأمرتُ غلامي بحمله حتى صار في الحمل وركبت في الشقِّ الآخر . وسرتُ من وقتي ولم ألاقِ أمير البلد ولا غيره . وسرت بالرجل وليس معه أحد إلى أن صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يحدّثني بانبساطٍ حتى اتبينا إلى بُستان حسن في الغوطة . فقال لي : أترى هذا ؟

قلت : نعم .

قال : إنه لي . وقال : إن فيه من غرائب الأشجار كيت وكيت . ثم انتهى إلى آخر . فقال مثل ذلك . ثم انتهى إلى مزارع حسان وقرى ، فقال مثل ذلك ! هذا لي . فاشتدَّ غيظي منه . وقلت : أَلستَ تعلم أن أمير المؤمنين أهّمه أمرك حتى أرسل إليك من تنزعك من بين أهلِكَ ومالك وولّدك وأخرجك فريداً مُقْبِداً مغلولاً ما تدري إلى ما يصير إليه أمرك ولا كيف يكون . وأنت فارغُ القلب من هذا حتى تصفُ ضياعَكَ وبساتينك بعد أن جئتكَ . وأنت لا تفكر فيما جئت به . وأنت ساكن القلب قليل التفكير . لقد كنتُ عندي شيخاً فاضلاً .

فقال لي مجيباً : إنا لله وإنا إليه راجعون . أخطأتُ فِرَاسَتِي فيك . لقد ظننت أنك رجل كامل العقل وأنت ما حللت من الخلفاء هذا المخل إلاّ لئلا

عزفوك ، فإذا عقلك وكلامك يشبه كلام العوام ، والله المستعان . أما قولك في أمير المؤمنين وإزعاجه وإخراجه إياي إلى بابه على صورتي هذه ، فلإني على ثقة من الله عز وجل الذي بيده ناصية أمير المؤمنين ، ولا يملك أمير المؤمنين لنفسه نفعاً ولا ضرراً إلا بإذن الله عز وجل ، ولا ذنب لي عند أمير المؤمنين أخافه ، وبعد فإذا عرف أمير المؤمنين أمرِي وعرف سلامتي وصلاح ناصيتي سرّحتي مكرماً . فإن الحسدة والأعداء رموني عنده بما ليس فيّ وتقولوا عليّ الأفاعيل ، فلماذا أن يستحلّ دمي أو يخرج من إيدائي وإزعاجي ويردني مكرماً . أو يُقيمني بيلاده معظماً مبعلاً ؟ وإن كان قد سبق في علم الله عز وجل أنّه يبدو لي منه سوء وقد اقترب أجلي وكان سفك دمي على يده . فلو اجتهدت الملائكة والأنبياء وأهل الأرض والسماء على صرف ذلك عنيّ ما استطاعوا . فلم أتعجلُ الفكرة فيما فرغ الله منه ، وإني أحسن الظنّ بالله الذي خلق ورزق وأحيا وأمات ، وإن الصبر والرضا والتسليم إلى من يملك الدنيا والآخرة أولى ، وقد كنت أحسب أنك تعرف هذا فإذا قد عرفت مبلغ فهمك ، فلإني لا أكلّمك بكلمة واحدة حتى يفرّق بيننا أمير المؤمنين إن شاء الله تعالى .

ثم أعرض عنيّ . فما سمعتُ منه لفظة غير القرآن والتسبيح أو طلب ماء أو حاجة حتى شارفنا الكوفة في اليوم الثالث عشر بعد الظهر ، والتجّبُ قد استقبلتني قبل ستة فراسخ من الكوفة يتجسسون خبري ، فحين رأوني رجعوا عنيّ متقدمين بالخبر إلى أمير المؤمنين ، فانتبهت إلى الباب في آخر النهار فحططت رحلي ، ودخلت على الرشيد وقلت الأرض بين يديه ووقفت ، فقال : هاتِ ما عندك يا منارة وإياك أن تغفل منه عن لفظة واحدة .

فسقت الحديث من أوله إلى آخره حتى انتهيت إلى ذكر المأكهة والطعام والغسل والبخور وما حدثتني به نفسي من امتناعه . والغضبُ يظهر

في وجه أمير المؤمنين ويتزايد حتى انتهت إلى فراغ الأمور من الصلاة والتفاته  
ليّ وسؤاله عن سبب قدومي ودفعي الكتاب إليه ومبادرته إلى إحضار ولده  
وأهله وأصحابه : وحلفه عليهم أن لا يتبعه أحد وصرفه إياهم ومدّ  
رجليه . فقيدته فما زال وجه الرشيد يُسفر . فلما انتهت إلى ما خاطبني به  
عند توبيخي له لما ركبنا في الحمل . فقال : صدق والله ما هذا إلا رجلٌ  
محسودٌ على النعمة . مكنوبٌ عليه . ولعمري . لقد أزعجناه وآذينا  
ورُعنا أهلَه فبادر بترع قيوده وانتهى به .

قال : فخرجت فترعتُ قيوده وأدخلته إلى الرشيد فما هو إلا أن رآه  
حتى رأيت ماء الحياء يحول في وجه الرشيد فدنا الأموي وسلّم بالخلافة  
ووقف فردّ عليه الرشيد ردّاً جميلاً وأمره بالجلوس فجلس . وأقبل عليه  
الرشيد فسأله عن حاله . ثم قال له : بلغنا عنك فضلُ هيئة وأمرٌ أحيينا  
معهما أن نراك ونسمع كلامك ونُحسن إليك . فاذكر حاجتك ؟

فأجاب الأموي جواباً جميلاً وشكر ودعا . ثم قال : ليس لي عند  
مير المؤمنين إلا حاجةٌ واحدة .

فقال : مقضية . فما هي ؟

قال : يا أمير المؤمنين . تردّني إلى بلدي وأهلي وولدي .

قال : نفعل ذلك ، ولكن سلّ ما تحتاج إليه من مصالح جاهك  
ومعاشك فإن مثلك لا يخرج إلا ويحتاج إلى شيء من هذا .

فقال : يا أمير المؤمنين . عمّالك منصفون وقد استغنيتُ بعدلهم عن  
مسألتي فأموري مستقيمة وكذلك أهلُ بلدي بالعدل الشامل في ظل أمير  
المؤمنين .

فقال الرشيد : انصرف محفوظاً إلى بلدك واكتب إلينا بأمرٍ إن عرض  
لك .

فودّعه الأموي . فلما ولّى خارجاً قال الرشيد : يا منارة . احمله من وقتك وسرّبه راجعاً كما سيّرتّه حتى إذا وصلت إلى مجلسه الذي أخذته منه فودّعه وانصرف .

قال منارة : فما زلت معه حتى انتهى إلى محله . ففرح به أهله وأعطاني عطاءً جزيلاً وانصرفت . والله أعلم . وهذه الحكاية على سبيل الإختصار .

### الرشيد والخليفة الثاني الكاذب

حكى أن الخليفة هارون الرشيد قلق في بعض الليالي قلقاً شديداً فاستدعى بوزيره جعفر البرمكي وقال له : يا وزيرى إن صدري ضيق ومرادى الليلة التفرج في شوارع بغداد والنظر في مصالح العباد بشرط أن لا يعرفنا أحد من الناس ونترّياً بزى تجّار الأكياس . فقال له الوزير : السمع والطاعة .

فقاموا في الوقت والساعة وقلعوا ما عليهم من ثياب الملك والافتخار ولبسوا ثياب التجّار : الخليفة والوزير جعفر ومسرور السيّاف الأكبر . وتمشّوا من مكان إلى مكان حتى وصلوا إلى الدجلة فرأوا بالأمر المقدور شيخاً قاعداً في شخّور . فتقدّموا إليه وسلّموا عليه . وقالوا يا شيخ . نشتهي من فضلك وإحسانك أن تفرّجنا الليلة في مركبك . وخذ هذين الدينارين أجرتك انتفع بهما .

فقال لهم الشيخ : ومن يقدر على الفرجة . والخليفة هارون الرشيد ينزل كلّ ليلة في حرّاقة صغيرة إلى الدجلة ومعه منادٍ ينادي : معاشر الناس كافة من جيّد ورديء شيخ وصبي خاصّ وعام عبدٍ و غلام . كلّ من نزل

في مركب بالليل وشرق الدجلة ضربت عنقه أو يُشقق على صاري مركبه .  
وكانكم الساعة بالحرقاة وهي مقبلة .

فقال له الخليفة هارون الرشيد وجعفر البرمكي : يا شيخ خذ هذين  
الدينارين وادخل بنا قبواً من هذه الأقبية إلى أن تروح الحرقاة .

فقال لهم الشيخ : هاتوا الذهب والله المستعان .

فأخذ الذهب وعوم بهم قليلاً . وإذا بالحرقاة قد أقبلت من كبد الدجلة  
وفيها الشموع والمشاعل فقال لهم الشيخ : أما قلت لكم ! يا سئار لا  
تكشف الأستار ؟

فقال الخليفة هارون الرشيد والوزير جعفر البرمكي . ادخل بنا يا شيخ  
في قبو من الأقبية حتى تمضي هذه الحرقاة .

فدخل إلى قبو ووضع عليهم مترراً أسود . وصاروا يتفرجون من تحت  
المِتر . وإذا بالحرقاة قد أقبلت والشمع يوقد فيها . وإذا في مقدّم الحرقاة  
مشاعلي بيده مشعل من الذهب الأحمر يوقد فيه بالعود القاقلي وعلى  
المشاعلي قباء أطلس أحمر بطراز مزركش أصفر وعلى رأسه شاش مؤصلي  
وعلى كفيه مخلاة من الحرير الأخضر ملأى من العود القاقلي . وهو يوقد به  
عوص الحطب . ومشاعلي آخر في مؤخر الحرقاة مثله . ومائتا مملوك واقفون  
ميميناً وميسرة ، وكسبي منصوب من الذهب الأحمر ، وعليه شارب حسن  
جالس كالقمر وعليه خيلة سوداء بطرازين من الذهب الأصفر ، وبين يديه  
إنسان كأنه الوزير جعفر . وعلى رأسه خادم واقف كأنه مسرور بسيف  
مشهر ، وعشرون نديماً . فقال الخليفة : يا جعفر .

قال : لبيك . أمير المؤمنين .

قال : لعل أن يكون هذا أحد أولادي إما المأمون أو محمد الأمين .  
فلما وصلت الحرقاة إليهم وإذا بالمشاعلي ينادي : معاشر الناس كافة

الخاص والعام . الجيّد والرديء . والعبد والغلام . جهاوات وغير جهاوات<sup>١</sup>  
قد رسمَ خليفتنا هذا أن كل من تفرّج في الدجلة أو فتح طاقته حلّ ماله  
وضربت رقبتَه ومن لا يصدق يجزّب .

قال : فتأمّل الخليفة هارون الرشيد في الشاب وهو جالس على كرسي  
من الذهب قد كمل بالحسن والجمال والبهاء والكمال . فلما تأمله هارون  
الرشيد التفّت إلى الوزير وقال : يا وزير .

قال له : لبيك يا أمير المؤمنين .

قال : والله ما أبقي شيئاً من شكل الخلافة . وهذا الذي بين يديه كأنه  
أنت يا جعفر لا محالة . والخادم الذي على رأسه كأنه مسرور . هذا .  
وهؤلاء الندماء كأنهم ندمائي . وقد حار عقلي في هذا الأمر .

فقال له الوزير : وأنا والله يا أمير المؤمنين كذلك .

ثم تقدّمت الحراقة إلى أن غابت عن العين فعند ذلك خرج الشيخ  
بالشخّور الذي فيه الجماعة من تحت القبوة . وقال : الحمد لله على  
السلامة . فإنه لم يصادفنا .

فقال له الخليفة : يا شيخ ! وهذا الخليفة ينزل كل ليلة في الدجلة ؟

قال : نعم يا سيدي . له على هذه الحالة سنة كاملة .

فقال له الخليفة : يا شيخ ! نشتهي من فضلك وإحسانك أن تقف  
لنا ليلة غدٍ في هذه المكان ، ونحن نعطيك خمسة دنانير ، فإنّا قوم غرباء  
وقصدنا التّرهّ ، ونحن نازلون في الفندق .

فقال الشيخ : السمع والطاعة .

---

١ الجهاوات : لعلها لفظة عامية محرّقة عن وحاء .

ثم إن الخليفة وجعفرأ ومسروراً توجَّهوا من عند الشيخ المراكبي إلى القصر وقلعوا ما عليهم من لبس التجار ولبسوا ثياب الملك والافتخار . وجلس كل واحد في مرتبه . ودخلت الأمراء والحجاب والنواب . وانعقد المجلس بالناس . ولما انقضى النهار وتفرقت الأجناد قال الخليفة هارون الرشيد لوزيره : يا جعفر ! انهض بنا للفرجة على الخليفة الثاني .

فضحك جعفر ومسرور . ولبسوا لبس التجار وخرجوا منشرحي الصدور . وكان خروجهم من باب السر ، فلما وصلوا إلى الدجلة وجدوا الشيخ صاحب الشختور لهم في الانتظار فترلوا عنده في المركب . فلما استقروا مع الشيخ المراكبي ، وإذا بالخليفة الثاني في الحراقة . وقد أقبلت عليهم فتأملوها وإذا فيها مائتا مملوك غير المالك الأول والمشاعلية تنادي على عاداتهم . فقال الخليفة : يا وزير . هذا شيء لو سمعتُ به ما صدقت ، ولكن رأيت هذا عياناً .

ثم إن الخليفة قال لصاحب الشختور : يا شيخ ! هذه عشرة دنانير وسرُ بنا في مساواتهم . فإنهم في النور ونحن في الظلام ننظرهم ونتفرج عليهم . وهم لا ينظروننا .

فأخذ الشيخ عشرة دنانير وأطلق الشختور في مساواتهم وصار في ظلام الحراقة . ولم يزلوا سائرين في أثرهم إلى آخر البساتين . وإذا بزريرة بطول الحراقة التصقت عليها . وإذا بغلامين واقفين . ومعها بغلة مُسرَّجة مُلجمة . فطلع الخليفة الثاني وركب البغلة وسار بين الندماء . وزعقت المشاعلية والجاويشية . واشتالت الغاشية<sup>١</sup> . وطلع هارون الرشيد وجعفر

---

١ الزريرة : ما تزرب فيه المواشي . ولعلها هنا ضرب من الأطواف حلة عليه البغلة .

٢ اشتالت : ارتفعت . ولعلها هنا مستعملة بمعناها العالي وهو المضي . الغاشية : الحدم .



مسرور إلى البرّ وشقّوا بين المالك وساروا قدّامهم ، فلاحت من المشاعلة  
الثلاثة قرأوا ثلاثة أنفار لبسهم لبسُ التجار . وهم غرباء . فأنكروهم  
غمزوا عليهم فمسكوهم وأحضرهم بين يدي الخليفة الثاني . فلما نظرهم  
نال : كيف وصلتم إلى هذا المكان وما الذي جاء بكم في مثل هذا  
لوقت ؟

قالوا : يا مولانا ! اليوم كان قدومنا . ونحن قومٌ غرباء تجارٌ .  
وخرجنا نتمشّي الليلة . وإذا بكم قد أقبلتم وجاء هؤلاء وقبضوا علينا  
وأوقفونا بين أيديكم . وهذا خبرنا .

فقال لهم الخليفة الثاني : ضيّبوا قلوبكم . فلا بأس عليكم لأنكم قومٌ  
غرباء . ولو كنتم من بغداد لضربتُ أعناقكم للمخالفة .

ثم التفت إلى وزيره وقال : خذ هؤلاء صحتك ليكونوا ضيوفنا  
لليلة .

فقال : سمعاً وطاعة .

ثم ساروا إلى أن وصلوا إلى قصر عظيم الشأن محكم البنيان ما حواه  
سلطان . قصر قام من التراب وتعلّق بأكتاف السحاب . بأبه من خشب  
لساج . مرصّع بالذهب الوهاج . يُدخل منه إلى إيوان بفسقية  
رشاذروان<sup>١</sup> . وحُصر عبدانية ومخدّات اسكندرانة ، وسرّ مَسْبول وفرش  
ذهل العقول . وعلى عتبة الباب مكتوبٌ هذان البيتان :

قصرٌ عليه تحيةٌ وسلامٌ      نشرت عليه جمالها الأيامُ  
فيه العجائب والغرائبُ تُوّعت      فتحيّرت في نعيمها الأقلامُ

قال : فدخل الخليفة الثاني إلى القصر ، والجماعة في خدمته . إلى أن

---

الفسقية : الحوض . الشاذروان : نوع من القناطر أو خزانات الماء . أو السقايف .

جلس على كرسي من الذهب مرصع بالدرّ والجوهر ، وعلى الكرسيّ بشخانة<sup>١</sup> من الحرير الأخضر لا يرى مثلها إلا عند كسرى وقصر ، مزركمة بالذهب الأحمر ، معلقة في بكرة من الصُّنْدَل . رباطائها من الحرير الأصفر . هذا وقد جلس الندماء في مراتبهم ، وصاحبُ سيف النعمة واقف بين يديه . فدّوا السَّهَاطُ وأكلوا ورفعوا الخوان ، ولأيديهم غسلوا ، وأحضرت آلهُ المُدام . ووُضِعَت الطاساتُ والأواني وُصِفَت الأباريقُ والكاسات والقناني . ودار اللُّؤُورُ إلى أن وصل إلى الخليفة هارون الرشيد ، فامتنع من الشراب فقال الخليفة الثاني لجعفر : ما بالُ صاحبك لا يشرب . فقال : يا مولاي له مدّة ما شرب .

فقال الشاب : عندي مشروبٌ غير هذا يصلح لصاحبك . عليّ بشراب التفّاح ! ففي الحال أحضر فقدم بين يدي هارون الرشيد وقال : كلّما وصل إليك الدور فاشرب من هذا ، ولا يزالون يشربون في انشراح وتعاطي أقداح إلى أن تمكّن الشراب من رؤوسهم واستولى على عقولهم ونفوسهم فقال الرشيد لوزيره : والله يا وزيرُ ما عندنا آنيةٌ مثل هذه الآنية . فيا ليت شعري من يكون هذا الشاب .

فبينما هما يتحدثان بلطافة إذ لاحت من الشاب التفاتة فوجد الوزير يسائرُ الخليفة ، فقال : المسارّةُ عريضةٌ .

فقال الوزير : ما ثمّ عريضة . إلا أن رفيقي هذا يقول : سافرتُ غالبَ البلاد ، ونادمتُ الملوكَ وعاشتُ الأجناد ما رأيت أحسن من هذا النظام ولا مثل آتيه هذا المدام . إلا أن أهل بغداد يقولون الشراب بلا سماع من جملة المجنون .

١ بشخانة : لفظة فارسية ، يستدل من الكلام عليها أنها ضرب من السنور يعلّق فوق الكرسي ويسدل عند الاقتضاء فبستر الكرسي ومن يكون قاعداً عليها .

فلما سمع الخليفة الثاني هذا الكلام تبسم وانشرح . وكان بيده قضيب ، فضرب به على مَدْوَرَة . وإذا بباب قد قُتِحَ وخرج منه خادم يحمل كرسيًا من العاج مصفحًا بالذهب الوهاج . وخلفه جارية قد كملت بالحسن والجمال والبهاء والكمال . فنصبَ الخادم الكرسيَ وجلسَ عليه الجارية وهي كالشمس الضاحية ، ويدها عود من صنعة الهنود . وشدته وحَّتْ إليه بعد أن ضربت أربعة وعشرين طريقة عليه . فأذهلت العقول وعادت إلى الطريقة الأولى وجعلت تقول :

لسانُ الهوى من مقلتي لك ناطقٌ      يُخبرُ عني أنني لك عاشقٌ  
ولي شاهدٌ من طرف قلبي معذبٌ      وقلبي جريح من فراقك خافقٌ  
وكم أكنتم الحبَّ الذي قد أذاني      وقلبي جريحٌ والدموع سوابقٌ  
وما كنت أدري قبل حبِّك ما الهوى      ولكن قضا الرحمن في الخلق سابقٌ

قال : فلما سمع الخليفة الثاني هذا الشعر من الجارية صرخ صرخة عظيمة . وشقَّ البذلة التي كانت عليه إلى الذيل . فأسبلت عليه البشخانة . وأُتي ببذلة غيرها أحسن منها . فلبسها وجلس على عادته . فلما وصل القدحُ إليه ضربَ القضيب على المدوَّرة وإذا بباب قد قُتِحَ وخرج منه خادم حاملٌ كرسيًا من الذهب ، وخلفه جاريةٌ أحسن من الأولى . وجلست على الكرسيَ ويدها عود يكمد الحسود . وأنشدت تقول :

كيف اصطباري ! ونارُ العشق في كبدي      والدمعُ من مقلتي صوفاه مددٌ  
واقفه ما طاب لي عيش أُسرَّ به      وكيف يفرحُ قلبٌ حشوه كمدٌ

قال : فصرخ الشاب صرخة عظيمة . وشقَّ ما عليه إلى الذيل وأسبلت عليه البشخانة على العادة وأُتي ببذلة غيرها أحسن منها فلبسها ، واستوى جالسًا . ودار المدام وانبسط الكلام . فلما وصل القدحُ إليه

ضرب القضيبَ على المدوّرة ففتح البابُ وخرج منه خادم على العادة ومعه كرسيّ وخلفه جاريةٌ . فجلست على الكرسيّ . ومعها عود يُذهل الأسود فغثت . وأنشدت تقول :

فُصروا هجرُكم وقلّوا جفاكم      ففؤادي وحفكم ما سلاكم<sup>١</sup>  
ورحموا مدنفاً كئيباً حزينا      ذا غرام متيماً في هواكم  
قد براه السقامُ من عظم وجد      يتمنى من الإله رضاكم  
يا بدوراً محلّكم في فؤادي      كيف أختار في الأنام سواكم

قال : فصرخ الشاب . وشقّ ما عليه من الثياب فأرخوا عليه البشخانة وأتوا ببذلة غيرها . وعاد إلى حالته مع ندمائه ودارت الأقداح وطاب الانسراح . فلما وصل القدحُ إليه ضرب القضيب على المدوّرة . ففتح بابٌ وخرج منه خادم حاملٌ كرسيّاً وخلفه جاريةٌ . فجلست على الكرسيّ . وأخذت العود وغثت تقول :

هل ينقضي حال التهاجر والقليل      ويعودُ لي ما قد تَقَعَّى أُولاً  
أيامُ كنا . والديارُ تلمناً      في طيب عيشٍ . والحواسد غفلاً<sup>٢</sup>  
غدرُ الزمانُ بنا وفرّق شملنا      من بعد هاتيك المنازلِ والحلا<sup>٣</sup>  
أترؤمُ مني يا عدولي سلوةً      وأرى فؤادي لا يُطيعُ العذلاً  
فدع الملامَ واخلني بصبايتي      فالقلبُ من أنس الحبة ما خلا  
يا سادةً نقضوا العهدَ وبدّلوا      لا تحسبوا قلبي لبعكمو سلا

١ قوله : وقلّوا جفاكم : هكذا في الأصل والنسواب أقبلوا . أي اجعلوه قهلاً .  
٢ قوله : والحواسد غفلاً : هكذا في الأصل والنسواب عقلٌ . فيكون في البيت إقراء .

٣ الجلا : لغتها جلال جمع حلة أي حلة القوم . حذفت اللام الأخيرة مراعاةً للقافية والوزن . ومثل هذا واردٌ في الشعر القديم

قال : فلما فرغت الجارية صرخ الشاب صرخةً عظيمةً . وشقّ ما عليه من الثياب ، ووقع إلى الأرض مغشياً عليه . وسقط منه القوى والحيل ، فأرادوا أن يُرخوا عليه البشخانة على العادة ، فتعوّقت حبالها بالإرادة . فلاحَت من هارون الرشيد التفاتةٌ فنظر على أجناب الشاب أثرَ مقارعٍ ، فقال الرشيد بعد النظر والتأكّد لجعفر : إنه شابٌ مليح إلا أنه لصّ قبيح ، وما عند أحد منه خير . هل رأيت ما على جنبه من الأثر .

وقد أسبلت البشخانة عليه على العادة وأُتي ببذلةٍ غيرها فلبسها وقد أفاق من غشيته فاستوى جالساً على العادة مع الندماء ، فحانت منه التفاتةٌ فوجد جعفرًا والخليفة يتحدثان . فقال لهما : ما الخبرُ يا فتیان ؟

فقال جعفر : يا مولاي خيرٌ . لا شك ولا خفاء . إن رفيقي هذا من لتجّار الكبار . وسافر إلى جميع الأمصار . وصحب الملوك والأخبار . قال : إن الذي حصل من مولانا الخليفة في هذه الليلة إسرافٌ عظيم لم أرَ حدّاً فعل هذا الفعل في هذه الأقاليم لأنه شقّ كل بذلة بخمسمائة دينار . وهذا شيء زائد في العيار .

فقال الشاب : يا هذا ! المال مالي والقماشُ قماشي ، وهذا من بعض إنعامي على الخدم والحواشي . فإن كلّ بذلة شقّقْتُها هي لواحد من الندماء الحُضار . وقد رسمتُ لهم أن العوّض على كل بذلة خمسمائة دينار .

فأنشد عند ذلك الوزير جعفر وقال :

بَنَتِ المَكَارِمُ وَسَطَ كَفْكَ مَتَرَلَا فَجَمِيعُ مَالِكَ لِلأَظْمِ مَبَاحُ  
وَإِذَا المَكَارِمُ أَغْلَقَتْ أَبْوَابَهَا يَوْمًا فَأَنْتَ لِقُفْلِهَا مَفْتَاحُ

قال : فلما سمع الشاب من الوزير جعفر ذلك . رسم له بألف دينار . بذلة . ثم دارت بينهم الأقداح وطاب لهم شراب الراح . فقال الرشيد :

يا جعفر ، اسأله عن الضرب الذي رأيناه على جنبيه حتى ننظر ما يقول في جوابه .

فقال الوزير : يا مولاي لا تعجل وترفق بنفسك فالصبر أجمل .

فقال : وحياة رأسي وثرية العباس إن لم تسأله أحمدتُ منك الأنفاس .

فعند ذلك التفت الشاب إلى الوزير وقال : ما لك مع رفيقك وما الخبر ؟

فقال : خير يا مولانا .

فقال : سألتك بالله إلا ما أخبرتني بخبره . ولا نكتم عني شيئاً من أمره .

فقال : يا مولاي ! إنه أبصر على جنبيك أثر سياط . فتعجب من ذلك غاية العجب وقال : يا لله العجب ! الخليفة يُضرب ؟ وقصده يعلم ما السبب ؟

فلما سمع الشاب هذا الكلام تبسم وقال : اللهم فنعم ، اعلموا أن حديثي عجيبٌ وأمرِي غريبٌ لو كتب بالابر على آفاق البصر لكان عبرة لمن اعتبر . ثم تأوه وأن واشتكى وبكى وأنشد :

حديثي عجيب فاق كل العجائب	وحق إلى غامر بالمواهب
فإن شتموا أن تسمعوا إلي فأنصتوا	فيطرب هذا الجمع من كل جانب
وأصفوا إلى قولي . ففيه إشارة	وإن كلامي صادق غير كاذب
لأنني قتيلٌ من غرام ولوعة	وقاتلني فاقت جميع الكواعب
ها مقلّة كحلا وخذ مؤرد	ويقتلني منها قسي الحواجب
وقد حس قبي أن فيكم إمامنا	خليفة هذا الوقت ابن الأطايب
وثانيكمو يدعى الوزير جعفر	وفي الحق يدعى صاحباً وابن صاحب

وثالثكم مسرورٌ سيافُ نعمةٍ      فإن كان هذا القول حقاً بصائبٍ  
فقد نلتُ ما أرجو على كلِّ حالةٍ      وجاء سرورُ القلبِ من كلِّ جانبٍ

قال : فعند ذلك حلف له جعفرُ أنهم لم يكونوا المذكورين ، فضحك الشاب وقال : الذي أعرفكم به أني ما أنا أمير المؤمنين . وإنما سميتُ نفسي بهذا الاسم لأبلغَ ما أريد من أبناء المدينة . واسمي علي بن محمد الجوهري ، وإن أني كان من الأعيان ، ومات وخلف لي أموالاً لا تأكلها النيران من ذهب وفضة ولؤلؤ ومُرجان وياقوت وجوهر وزمرد وبهرمان وحمّامات وغيطان وبساتين وفنادق وطواحين وعبيد وجوارٍ وغلّمان ، فلما كان في بعض الأيام وأنا جالس في حانوتي وحولي الحشم والخدم ، وإذا أنا بجاريةٍ قد أقبلت على بغلةٍ وفي خدمتها ثلاثُ جوارٍ كأنهن الأقمار . ونزلت على دكّاني وجلست وقالت : أنت عليّ بن محمد الجوهري ؟

فقلتُ لها : مملوكك وعبدُ رَقْلِكَ .

فقلت : هل عندك عقدُ جوهر يصلح لثلي ؟

فقلتُ لها : يا سَتِي الذي عندي يحضُر بين يديك ، فإن أعجبك شيء كان بسعد المملوك ، وإن لم يعجبك شيء منه فسوء حظي .

وكان عندي مائةُ عقد جوهر فعرضتُ عليها الجميع فلم يُعجبها شيء منها . وقالت : أريد أحسنَ مما رأيت ، وكان عندي عقدٌ صغيرٌ شراؤه على والذي بمائة ألف دينار لم يوجد مثله عند أحد السلاطين الكبار ، فقلت : يا سَتِي بقي عندي عقدُ الفُصوص<sup>١</sup> والجواهر الذي لم يملكه أحد من الأصاغر والأكابر .

---

١ الفصوص ، الواحد فص : ما يركَّب في الخاتم من الحجارة الكريمة ويراد به هنا ما يوجد في العقد المذكور من هذه الحجارة .

فقلت : أرني إياه .

فلما رأيته قالت : هذا الذي طولَ عمري أتمناه . ثم قالت : بكم ثمنه في الأسعار ؟

فقلت : شراؤه على والذي بمائة ألف دينار .

فقلت : ولك خمسة آلاف زائدة .

فقلت لها : يا سيدي العقد وصاحبه في الرق بين يديك . ولا خلاف .

فقلت : لا بدّ من الفائدة ولك الجميلة الزائدة .

وقامت من وقتها عجلة وركبت البغلة بسرعة ، وقالت : يا سيدي نور الدين ، باسم الله فلتكن في صحبتنا لتأخذ الثمن ، فإن نهارك اليوم بنا مثل اللبن .

فمضت وأهملت الدكان وسرت معهنّ في أمان إلى أن وصلنا إلى الدار ، فوجدتها داراً عليها السعادة لأنحة والافتخار وعلى بابها مكتوب بالذهب واللازورد<sup>١</sup> العجيب هذه الأبيات :

ألا يا دارُ لا يدخلكِ حزنٌ ولا يغدرُ بصاحبك الزمانُ  
فنعَم النارُ أنت لكل ضيفٍ إذا ما ضاق بالضيفِ المكانُ

فترلت الجارية ، ودخلت الدار وأمرت بجلوسي إلى أن يأتي الصيرفيّ ، فجلست على باب الدار ساعة لطيفةً ، وإذا بجارية خرجت إليّ وقالت : يا سيدي ادخل إلى الدهليز فإن جلوسك على الباب قبيحٌ .

---

١ اللازورد : معدن مشهور يتولد بجبال أرمينية وپارس وأجوده الصافي الشفاف الأزرق الضارب إلى حمرة يتخذ للحل .



فقمّت إلى الدهليز وجلست على الدكّة ساعة . وإذا بجارية خرجت إليّ . وقالت : يا سيدي ! تقول لك سيديّ ادخل واجلس على جانب لا يون حتى تقبض مالك .

فقمّت فدخلت وجلست حيث أمرتني . وإذا بكرسي من الذهب وعليه ستارة من الحرير الأحمر . وإذا بتلك الستارة قد رُفعت فبان من تحتها تلك الجارية التي اشتريت منّي العقد ، وقد أسفرت عن وجه كأنه دائرة القمر . والعقد في عنقها فدهش عقلي وحار ذهني ولبي من رؤية تلك الجارية وحسنها . فلما رأيته قامت من على الكرسي ، وسعت نحوي . وقالت : يا نور الدين ! هل رأيت جميلة مثلي ؟

فقلت : يا سيديّ الحسن كلّه فيك ، وهو من بعض معانيك . فقالت : يا عليّ . اعلم أنّي أحبّك وما صدقت أنّك صرت عندي . ثمّ إنها طوّقتني وعانقتني . فقبلتها وقبلتني ثمّ جذبتني وعلى صدرها رمته . فلما علمت مني أنّي أريد أن أهمّ بها قالت : يا عليّ . أريد أن تجتمع بي في الحرام . والله لا كان من يفعل الآثام ويرضى بقبیح الكلام . فأني بكر عذراء ما دنا منّي أحد . ولست بمجهولة في البلد . أتعلم من أنا ؟ فقلت : لا والله . وحلفت لها يميناً .

فقالت : أنا المست دنيا بنت يعقوب بن خالد البرمكي . وأخي جعفر .

فلما سمعت منها ذلك جمعت خاطري عنها . وقلت : يا سيديّ ما لي ذنب في التهجّم عليك . أنت التي أطمعني في إحسانك والوصول إلى جنابك .

---

١ الدكّة : بناء بسطح أعلاه للجلوس . أو بوضع كرسي عليه .

فقلت : لا بأسَ عليك ولا بدَّ من الإحسان إليك فإنَّ أمرِي بيدي .  
والقاضي وليَّ عَقدي ، والقصد أن أكون لك وتكون لي .

ثمَّ إنَّها دعت بالقاضي والشهود وبذلت المجهود . فلما حضروا قالت لهم : هذا نورُ الدين علي بن الجوهري قد طلب زواجي ودفع لي هذا العقدَ مَهري . وأنا قد قبلت ورضيت .

ثمَّ إنَّ القاضي حمد الله تعالى وأثنى عليه وكتب الكتاب فدخلتُ عليها بعد أن أعطت للقاضي شيئاً ما لَهُ حساب ، وأحضرت المدام وأحضرت الأقداح بأحسن نظام . فلما لعبت الخمرة في رؤوسنا أمرت جاريةً عودِيَّةً أن تغني فأنشأت تقول :

قَلْبِي وَأَمَالِي بِيَابِ رِجَاكُمُو	لَا أَتَغْنِي فِي الْكُونِ غَيْرَ رِضَاكُمُو
يَا جِيْرَةَ جَارَوَا عَلَيَّ بَعْدَهُم	حَتَّوْا عَلَيْنَا وَارْحَمُوا مَضْنَاكُمُو
حَاشَاكُمْ . يَا سَادَتِي . أَنْ تَهْجَرُوا	صَبًّا مَعْنَى مَغْرَمًا يَهْوَاكُمُو
بِاللهِ جُودُوا وَارْحَمُوا لَنُتِمَّ	لَمْ يَسْتَمِعْ فِيكُمْ حَدِيثُ سَوَاكُمُو
مَرْسَى فَوَادِي فَوْقَ بَحْرِ رِضَاكُمُو	فَإِذَا شَجَاهُ حَسَنُكُمْ نَاجَاكُمُو

قال : فأطربتنا الجارية بحسن غنائها ولم تزل الجواري يغنين جارية بعد جارية وينشدن الأشعار إلى أن غنت عشر جوارٍ . فعند ذلك أخذت العود الست دنيا وأنشدت تقول :

قَسَمًا بَلَيْنَ قَوَامِكَ الْيَاسِ	إِنِّي لَنَارُ الْخَجَرِ مِنْكَ أَقَاسِي
فَارْحَمِ لُصْبَ فِي هَوَاكَ مَتِيمٍ	يَا بَدْرَ تَمَّ أَنْتَ سَيِّدُ النَّاسِ
أَنْعَمَ بَوْصَلِكَ كَيْ أَنْتَ نِيلَةٌ	أَجْلُو جَمَالِكَ فِي ضِيَاءِ الْكَاسِ
مَا بَيْنَ وَرْدٍ جُمِعَتْ أَلْوَانُهُ	مَعَ نَرْجِسٍ أَيْضًا وَخُسْنِ الْآسِ

قال الشاب : ثم إنني أخذت منها العود وضربت عليه وغشيت هذه  
الأيات :

سبحانَ ربي جميعَ الحسنِ أعطاكِ      حتى بقيتُ أنا من بعضِ أسراكِ  
يا من لها ناظرٌ نسبي الأنا مَ به      خذي الأمانَ لنا من سحرِ عيناكِ  
فالهاء والنارُ في خديكِ قد جمعا      والوردُ جورِيُ نبتِ وسطِ خدكِ  
أنتِ الغرامُ قلبي والنعيمُ له      فإِ أمرُكِ في قلبي وأحلاكِ

قال : فلما سمعتُ مِنِّي ما قلتُ فرحتُ فرحاً شديداً ، ثم إنها صرفت  
الجواري وقتنا إلى أحسن مكان قد فرش لنا فيه من سائر الألوان . ونزعت  
ما عليها من الثياب وخلوتُ بها خلوةَ الأحباب ، فوجدتها بتاً بكرّاً بختم  
ربِّها ، ففرحتُ بي وفرحتُ بها فرحاً لم أجد في عمري ليلةً أطيبَ منها .  
وفيها أنشدتُ أقول :

يا ليلُ ! دم لي لا أريدُ صباحاً      يكني بوجه معاتني مصباحا  
طوقه طوقَ الحَمَامِ بساعدي      وجعلتُ كحَمِيٍّ للنمامِ مُباحا  
هذا هو الفوز العظيم فخلنا      متعانقين . فلا نريدُ براحا

فأقمتُ عندها شهراً كاملاً ، وقد نسبتُ الدكان والأهل والأوطان إلى  
ذات يوم من الأيام قالت : يا نورَ الدين قد عزمْتُ اليوم على المسير إلى  
الحَمَامِ ، وأنت اقم على هذا السرير إلى أن أرجعَ إليك .  
قلت : سمعاً وطاعةً .

وحلقتُني أن لا أنتقل من موضعي ، فأخذتُ جواريها وذهبتُ إلى

---

٢١ قوله سحر عيناك . ووسط خدك : هو على لغة من يعرب المتن بالحركات  
المقدرة على الألف لا بالحروف .

الحمام ، فوالله يا إخواني ما لَحِقَتْ أن نخرج من رأس الرِّفاقِ ، إلا والبابُ قد نُفِخَ ودخلت منه عجوزٌ وأَيَّ عجوز ، وقالت : يا نور الدين الستُ زُبيدة تدعوك ، فقد سمعت بشبابك وطيب غنائك .

فقلت : والله عليَّ يمينٍ أني ما أقوم من مقامي حتى تأتي الستُ دنيا .

فالت العجوز : يا نور الدين لا تخلُ الست زبيدة تصير عدوً لك .  
فقم كلّمها وارجع .

فممت من وقفي إليها ، والعجوز أمامي إلى أن أوصلتني إلى الست زبيدة ، فلما وصلت إليها ، قالت : يا نور الدين أنت معشوقُ الست دنيا ؟

فقلت : مملوكك وعبْدُ رَقِّك .

فالت : صدق الذي وصفك بالحُسن والجمال ، فإنك فوق الوصف والمقال ، ولكن غنّ لي شيئاً حتى أسمعك ؟

فقلت : السمعُ والطاعة . فأتني بعود فغَنَيْت عليه وأنشدت أقول :

قلبُ المحبِّ مع الأحبابِ متعوبٌ	وجسمُه بيدِ الأسقامِ منهوبٌ
ما في الركائبِ مَنْ زُمْتُ حُمُولُهُمْ	إلا وكان له في الظَّعنِ محبوبٌ
أستودعُ اللهَ لي في حَبْكُم قرأ	يهواه قلبي وعن عينيَّ محبوبٌ
يرضى ويغضب . ما أحلّ تدلُّه	وكلُّ ما يذلُّ المحبوبُ محبوبٌ

فالت لي : حفظ الله بدنك وطيبَ أنفاسك ، فلقد كملت في الحُسن والظُّرف والمعنى ، فقم إلى مكانك قبلَ أن تجيء إليه الست دنيا فلا تجدُك فتغضب عليك .

١ قوله : متعوب هكذا في الأصل وهي لفظة عامية . والصواب يُعب ويُعب .

فَقَبِلَتِ الْأَرْضُ وَخَرَجَتِ الْعَجُوزُ أَمَامِي إِلَى أَنْ أَوْصَلْتَنِي إِلَى الْبَابِ  
الَّذِي خَرَجْتَ مِنْهُ ، فَدَخَلْتُ وَجِئْتُ إِلَى السَّرِيرِ لِأَجْلَسَ فَوَجَدْتُهَا جَاءَتْ مِنْ  
الْحَمَامِ وَنَامَتْ عَلَى السَّرِيرِ ، فَفَعَدْتُ عِنْدَ رِجْلِهَا وَصَرْتُ أَكْبَسُهَا . فَفَتَحَتْ  
عَيْنَيْهَا فَرَأَتَنِي فَجَمَعَتْ رِجْلَيْهَا وَرَفَسْتَنِي فَرَمْتَنِي مِنْ عَلَى السَّرِيرِ وَقَالَتْ : يَا  
نُورَ الدِّينِ ! خُذْ الْيَمِينَ وَكُذِّبْ . وَذَهَبَتْ إِلَى السَّتْرِ زَبِيدَةً ؟ وَوَاللَّهِ لَوْلَا  
خَوْفِي مِنَ الْهَيْكَةِ وَالْفَضِيحَةِ لَخَرْتُ قَصْرَهَا عَلَى رَأْسِهَا . ثُمَّ قَالَتْ لِعَبِيدِهَا :  
يَا صَوَابَ . قُمْ اضْرِبْ رَقَبَةَ هَذَا النِّدْلِ الْكَذَّابِ . فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهِ .

فَتَقَدَّمَ ذَلِكَ الْخَادِمُ إِلَيَّ وَشَرَطَ ذَيْلِي وَعَصَبَ عَيْنِي . وَأَرَادَ أَنْ يَضْرِبَ  
رَقَبَتِي فَقَامَتْ إِلَيْهَا الْجَوَارِي الْكِبَارُ وَالصَّغَارُ . وَقُلْنَ لَهَا : يَا سَيِّدَتَاهُ . مَا هُوَ  
بِأَوَّلِ مَنْ أَخْطَأَ وَمَا عَرَفَ خُلُقَكَ ، وَأَنْتِ مَا تَبْغِضِينَهُ . وَمَا فَعَلَ ذَنْبًا  
يُوجِبُ أَنْ تُقْتَلَهُ .

فَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَا بَدَّ أَنْ أُؤْثِرَ فِيهِ أَثَرًا . ثُمَّ أَمَرْتُ بِضَرْبِي فَضْرَبَتْ عَلَى  
أَضْلَاعِي الضَّرْبَ الَّذِي رَأَيْتُمُوهُ . وَأَمَرْتُ بِإِخْرَاجِي . فَأَخْرَجُونِي وَأَبْعَدُونِي  
عَنِ الْقَصْرِ . وَرَمُونِي وَرَجَعُوا وَتَرَكَونِي . فَلَمْتُ نَفْسِي : فَشَبْتُ قَلِيلًا قَلِيلًا  
إِلَى أَنْ وَصَلْتُ إِلَى مِزْلِي . وَأَحْضَرْتُ جِرَاحًا وَأَرَبْتَهُ الضَّرْبَ فَلَا طَفَنِي وَسَمِعِي  
فِي مِصَالِحِي . فَلَمَّا صَحَّ جِسْمِي دَخَلْتُ الْحَمَامَ وَزَالَتْ عَنِّي الْأَوْجَاعُ  
وَالْأَسْقَامُ . وَجِئْتُ إِلَى الدَّكَانِ وَأَخَذْتُ جَمِيعَ مَا فِيهِ وَبَعْتَهُ وَجَمَعْتُ ثَمَنَهُ  
وَاشْتَرَيْتُ أَرْبَعَمِائَةَ مَمْلُوكٍ مَا جَمَعْتُهُمْ أَحَدٌ مِنَ الْمُلُوكِ يَرْكَبُ مَعِي فِي كُلِّ يَوْمٍ  
مِائَتَانِ . وَعَمِلْتُ هَذَا الْمَرْكَبَ الْحَرَّاقَةَ بِأَلْفٍ وَمِائَتَيْنِ مِنَ الذَّهَبِ الْعَيْنِ .  
وَسَمَّيْتُ نَفْسِي بِالْخَلِيفَةِ . وَرَبَّيْتُ مِنْ مَعِي مِنَ الْخُدَّامِ كُلِّ وَاحِدٍ فِي وَظِيفَتِهِ  
وَنَادَيْتُ : كُلُّ مَنْ تَفَرَّجَ فِي الدَّجَلَةِ ضَرِبْتُ عَنْقَهُ بِلَا مَهْلَةٍ . وَلِي عَلَى هَذِهِ  
الْحَالَةِ سِتَّةَ كَامِلَةٍ وَلَمْ أَسْمَعْ لَهَا بَخْبَرَ وَلَا وَقَفْتُ لَهَا عَلَى أَثَرٍ . ثُمَّ إِنَّهُ بَكَى وَأَنْ  
وَاشْتَكَى وَأَنشَدَ يَقُولُ :

والله ما كنتُ طويلاً اندهر ناصيتها      ولا دنوتُ إلى من ليسَ يديها  
 كأنها البدرُ في تكوينِ خلقتها      سبحانَ خالقها سبحانَ بارها  
 صدتُ ولا ذنبَ لي إلا محبتها      فكيف حال الذي قد بات نايها  
 وصيرتني حزيناً ساهياً دنماً      والقلب قد حار مئني في معانيها

قال : فلما سمع هارون الرشيد كلام الشاب وما أبداه من الخطاب  
 تعجب غاية العجب . وقال : سبحان من جعل لكل شيئاً سبباً .

ثم إنهم طلبوا من الشاب الانصراف وأصرَّ الرشيد للشاب الإنصاف  
 وأن يُتحفه غاية الإتحاف . فانصرفوا من عنده سائرين وإلى قصر الخلافة  
 طالين . ولما استقرَّ بهم في منزلهم الجلوسُ غيَّروا ما كان عليهم من اللبوس  
 ولبسوا أثوابَ الموكب والمُلك والزينة . وكذلك مسرورُ سيافُ النعمة  
 والعطب . فقال الخليفة لجعفر المهيب : يا وزير ! عليّ بالشاب .

فخرج إليه في الحشم والخدم وسار إلى منزل الشاب فخرج إليه وسلَّم  
 عليه فقال له الوزير جعفر : أجب أمير المؤمنين .

فقال : سمعاً وطاعةً لأمر المؤمنين وحامي حوزة الدين .

فسار معه إلى القصر وهو من الترسيم عليه في حصر . فلما دخل إلى  
 الخليفة ورفع الوزير الستَ عن الستة الشريفة ورأى الشاب الخليفة عرفه .  
 فقبل الأرض بين يديه ودعا له بدوام العزِّ وأثنى عليه وقال : السلامُ  
 عليك يا أمير المؤمنين وحامي حوزة الدين وقامع المفسدين وإمام المتقين  
 هُناك الله بما أعطاك وجعل الجنة مأواك والنارُ مثوى لأعداك وأنشد  
 يقول :

١ نايها : أي بات نايها أي بجافها لها .

لا زال بأبك كعبةً مقصودةً وُثرائُها فوق الجباه رؤوم  
حتى يُنادي في البلاد بأسرها هذا المقام وأنت إبراهيم

فعند ذلك تبسم الخليفة في وجهه . وردّ عليه السلام وأظهر له  
الإحسان والإكرام وقربه إليه . وأجلسه بين يديه وقال له : يا نور الدين  
أريد أن تحدّثني بحديثك الليلة يا مسكين ، فإنه من أعجب الأمور .  
فقال الشاب : العفو يا أمير المؤمنين ، أعطني مندبل الأمان ليهدأ  
روعي ويطمئن قلبي .

فقال الخليفة : لك الأمان .

فشرع الشاب يتحدّث بالذي جرى له من أوّله إلى آخره . فعلم  
الخليفة من غير إطالة أن الصبي عاشق لا محالة . فقال الخليفة : أتعب أن  
أردّها إليك يا مسكين ؟

قال : نعم يا أمير المؤمنين ثم أنشد يقول :

إن رُمتَ إحساناً فهذا وقته أو رُمتَ معروفاً فهذا حينه

فعند ذلك التفت الرشيد إلى الوزير وقال له : أحضر أختك الست  
دُنيا بنت الوزير يخبي .

فقال له : السمع والطاعة .

فأحضرها في الوقت فلما مثلت بين يديه قال لها : أتعرفين هذا من ؟

فقالت : أين للنساء معرفة بالرجال ؟

فبسم وقال : يا دنيا قد عرفنا الحال وسمعنا الحكاية من أولها إلى  
آخرها وفهمنا باطنها وظاهرها ، والأمر لا يخفى وإن كان مستوراً .

فقالت : كان ذلك في الكتاب مسطوراً ، وأنا أستغفر الله ممّا جرى

مني ، وأسأل من فيض الفضل العفو عني .  
فضحك الخليفة وأحضر القاضي والشهود وعقد له ثانياً عليها .  
وحصل له سعدُ السعد ، وأكمد العدوَّ والحسود وجعله نديمه وزاد  
تكريمه ، وعاش بقية عمره في أهله عيشٍ ونعمة ، يجالس الخليفة في الليل  
والنهار ، تؤانسه الست دنيا ذاتُ الفخار .

### الرشيد وجارية جعفر

ومحكى أن جعفرَ البرمكي نادى الرشيد ليلة . فقال : يا جعفر بلغني  
أنك اشتريت الجارية الفلانية ، ولي مدة أطلبها ، فإنها بديعة الجمال ، ولي  
شوق زائد إليها فبعنيها .

قال : ليس عليّ فيها بيع .

قال : هبنيها .

قال : ولا أهبها .

فقال الرشيد : زبيدة طالقٌ مني ثلاثاً إن لم تبعنيها أو تهبنيها .

وقال جعفر : زوجتي طالقٌ مني ثلاثاً إن بعثتها أو وهبتها .

ثم أفاقا من نشوتها وعلم أنها وقعا في أمر عظيم وعجزا عن تدبير  
الحيلة فقال الرشيد : هذه واقعةٌ ليس لها غير أبي يوسف . فاطلبوه .  
فكان قد انتصف الليل . فلما طُلب قام فرعاً وقال : ما طُلبت في هذا  
الوقت إلا لأمر حدث في الإسلام .

ثم خرج مسرعاً وركب بقلته وقال لغلّامه : اصحب معك  
المِخلّة ، واجعل فيها بعضُ شعير ، فإذا دخلنا دارَ الخلافة ودخلتُ فضع  
بين يدي الدابة شيئاً منه تشتغل به إلى حين خروجي ، فإنها لم تستوفِ



علفها في هذه الليلة .

فقال : سمعاً وطاعة .

فلما دخل على الرشيد قام له وأجلسه على سريره بجانبه وكان لا يجلس معه غيره . وقال له : ما طلباك إلا لأمر مهم . وهو كذا وكذا . وقد عجزنا عن تدبير الحيلة .

فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا من أسهل ما يكون . يا جعفر ! بعْ أمير المؤمنين نصفها وهبْ نصفها تبرأ من يمينكما .

فسر بذلك أمير المؤمنين وفعلا . فقال الرشيد : أحضر الجارية في هذا الوقت فأني شديد الشوق إليها .

فأحضرت . فقال للقاضي أبي يوسف : أريد وطأها في هذا الوقت . ولا أطيق الصبر إلى مضي مدة الاستبراء . انظر لي الحيلة في ذلك ؟

فقال أبو يوسف : اثنوني بمملوك من ممالك أمير المؤمنين الذين لم يجز عليهم العتق .

فأحضر مملوك . فقال أبو يوسف : يا أمير المؤمنين ، إئذن لي أن أزوجه منهُ . ثم يطلقها قبل الدخول فيحلّ وطؤها في الحال من غير استبراء .

فأعجب الرشيد ذلك أكثر من الأول . فقال : أذنتُ لك .

فأوجب القاضي النكاح . ثم قبله المملوك . فقال له القاضي : طلقها .

فقال له : هذه صارت لي زوجة وأنا لا أطلقها .

فردّد عليه القول فأبى وضاق صدر الخليفة لذلك . وقال : قد اشتدّ

الأمر أعظم مما كان .

فقال القاضي أبو يوسف : يا أمير المؤمنين رغبه بالمال .

فقال : طلقها ولك مائة دينار .

قال : لا أفعل .

من : مائتا دينار .

قال : لا أفعل .

إلى أن عرضوا عليه ألف دينار وهو يمتنع . وقال للقاضي : الطلاق

بيدي أم بيد أمير المؤمنين أم بيدك ؟

قال : بل بيدك أنت .

قال : والله لا أفعل أبداً .

فاشتد غضب أمير المؤمنين . فقال القاضي : يا أمير المؤمنين لا تجزع

فإن الأمر هين أعقب الجارية ، ثم ملك هذا العبد للجارية ؟

قال : أعتقتها وملكته لها .

فقال لها القاضي : قولي قبلت ؟

ف قالت : قبلت .

فقال القاضي : حكمت بالتفريق بينكما لأنه دخل في ملكها فانفسخ

النكاح .

فقام أمير المؤمنين على قدميه . وقال : مثلك من يكون قاضياً في

زمانى . واستدعى بأطباق الذهب فأفرغت بين يديه . وقال للقاضي : هل

معلك شيء توعيه ؟ فتذكر مخلاة البغلة . فاستدعى بها . فملئت له ذهباً .

فأخذها وانصرف . فلما أصبح قال لخلّانه : انظروا إلى من تعلم العلم

فليتعلّمه كذلك . فإني أعطيت هذا المال العظيم في مسألتين أو ثلاث .  
فانظر أيها المتأدّب إلى لطف هذه الواقعة فإنها اشتملت على محاسن منها  
إدلال الوزير على قلب أمير المؤمنين وحلم الخليفة ، وزيادة علم القاضي .  
فرحم الله أرواحهم أجمعين .  
ولكن مسألة الاستبراء لم تتخرّج إلّا على مذهب أبي حنيفة فخرّجها  
أبو يوسف على قواعد مذهبه لأنّه حثي المذهب . والله أعلم .

### هجرتك وزرّتك

من كلام إبراهيم الموصلي رحمه الله تعالى :

هجرْتُكَ حتّى قيلَ لا يعرفُ الهوى      وزرْتُكَ حتّى قيلَ ليس له صبرُ  
فيا هجرَ ليلى قد بلغتْ بي المدى      وزدتْ على ما ليس يبلغه الهجرُ  
ويا حبُّها زدني جوًى كلّ ليلةٍ      ويا سلوةَ الأيام موعِدُك الحشرُ  
وإني لتعروني لذكرائكِ هزّةٌ      كما انتفض العصفورُ بللّه القطرُ

### المجنون العاقل

من الحكايات اللطيفة . أن بعض الملوك قصد التفرّج على الخفّانين .  
فلما دخل عليهم رأى فيهم شاباً حسن الهيئة نظيف الصورة يُرى عليه آثار  
اللطف وتفوحُ منه شمائل الفطنة ، فدنا منه وسأله مسائل . فأجابه عن  
جميعها بأحسن جواب . فتعجّب منه عجباً شديداً .  
ثمّ إن المجنون قال للملك : قد سألتني عن أشياء فأجبتُك . وإن  
سألتك سؤالاً واحداً .

قال : وما هو ؟

قال : متى يجد النائم لذة النوم ؟

ففكر الملك ساعة . ثم قال : يجد لذة حال نومه .

فقال المجنون : حالة النوم ليس له إحساس .

فقال الملك : قبل الدخول في النوم .

فقال المجنون : كيف توجد لذته قبل وجوده .

فقال الملك : بعد النوم .

فقال المجنون : أ توجد لذته وقد انقضى ؟

فحير الملك وزاد إعجابه وقال : لعمرى إن هذا لا يحصل من عقلاء كثيرة . فأولى أن يكون نديمي في مثل هذا اليوم ، وأمر أن يُنصب له تحت بلزاه شباك المجنون ، ثم استدعى بالشراب ، فحضر فتناول الكأس وشرب ، ثم ناول المجنون ، فقال : أيها الملك أنتَ شربت هذا لتصير مثلي فأنا أشربه لأصير مثلاً مَنْ ؟

فأعظ الملك بكلامه ورمى القدر من يده وناب من ساعته ، والله أعلم .

### الست بلور والأمير عمرو

يحكى أن الرشيد أرق ذات ليلة أرقاً شديداً ، فاستدعى جعفرأ وقال : أريد منك أن تُزيل ما بقلبي من الضجر .

فقال الوزير : يا أمير المؤمنين . كيفَ يكون على قلبك ضجر ، وقد خلق الله أشياء كثيرة . تزيل الهمَ عن المهموم . والغمَ عن المغموم ، وأنتَ

قادر عليها ؟

فقال الرشيد : وما هي يا جعفر ؟

فقال له : قُمْ بنا الآن ، حتى نطلعَ فوق سطح هذا القصر ونتفرَّج على النجوم واشتباكها وارتفاعها والقمر وحسن طلعه كأنه وجه من تحب كما قيل :

فكأنما حسنُ السماء ولونها      قد رَقمتَ فيها أفانين الصُّور  
وكأنَّ هذا البدر حين بدا لنا      في بعض ليل من غلاف قد ظهر

فقال الرشيد : يا جعفر ، ما تلفت نفسي إلى شيء من ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، افتح شباك القصر الذي يطلُّ على البستان وتفرَّج على حسن تلك الأشجار واسمع صوت تغريد الأطيار وانظر إلى هدير الأنهار وشمَّ روائح تلك الأزهار واسمع الناعورة التي كأنها أنين محب فارق محبوبه . وهي كما قال فيها بعض واصفيها :

وناعورةٍ حنَّتْ وعغَّتْ وقد غدَّتْ      تعبَّر عن حال المَشوق وتُعبِّرُ  
ترقص عطفَ البانِ تيهًا لأنها      تغني له طولَ الزمانِ ويشربُ

وإما أن تنام يا أمير المؤمنين ، إلى أن يدركنا الصباح .

فقال : يا جعفر ، ما تلفت نفسي إلى شيء من ذلك .

فقال : يا أمير المؤمنين . افتح الشباك الذي يطلُّ على الدجلة حتى تنفرَّج على تلك المراكب والملاحين ، فهذا يصفقُ ، وهذا ينشد موالياً ، وهذا يقول دُوبَيْت<sup>١</sup> . وهذا يقول كَيْت وكَيْت .

١ دوبيت : لفظة فارسية تعني بيتين ويقال له الرباعي لأنه مؤلف من أربعة مصاريع . وهو من الأوزان الشعرية ، قيل أن الفرس اخترعوه ونظموه بلقنهم وأخذته العرب عنهم .

فقال الرشيد : ما تلتفت نفسي إلى شيء من ذلك .

فقال جعفر : قُمْ يا أمير المؤمنين ، حتى نزل إلى الاصطبل الخامس وننظرَ إلى الخيل العربيات وتفرّج على حسن ألوانها . ما بين أدهم كالليل إذا أظلم . وأشقر . وأشهب . وكسيت أحمر . وأبيض . وأخضر ، وأبلق ، وأصفر ، وألوان تحبّر العقول .

فقال الرشيد : ما تلتفت نفسي إلى شيء من ذلك .

فقال جعفر : يا أمير المؤمنين ، عندك في قصرِكَ ثلاثمائة جارية ، ما بين جُنْكِيَّة<sup>١</sup> ، إلى عوديَّة ، إلى دُفْيَّة ، إلى قانونيَّة ، إلى زامرة ، إلى مغنيَّة . إلى راقصة . إلى سِنْطِيرِيَّة<sup>٢</sup> ، أحضر الجميع ، وأحضر العُمار المروِّق ، فلعلَّ أن يزولَ ما بقلبك من الضَجَر .

فقال : ما تهَمَّ نفسي إلى شيء من ذلك .

فقال جعفر : يا أمير المؤمنين ما بقي إلا ضربُ عنق مملوكك جعفر ، فإنِّي قد عجزت عن إزالة همِّ مولانا .

فقال : يا جعفر ، أما سمعت قول ابن عمِّي رسول الله ﷺ ؟

فقال : من فم مولانا أسمع .

فقال الرشيد : قال رسول الله ﷺ : « فرح أمِّي في ثلاث : أن يرى بعينه شيئاً ما رآه ، أو يسمع شيئاً ما سمعه ، أو يظأ مكاناً ما وطئه » ، فيتفق يا جعفر أن يكون في بغداد مكاناً ما وطئناه . أو شيء ما سمعناه ، أو موضع ما رأيناه .

---

١ الجنكِيَّة : التي تعرف بالجنك وهو من آلات الطرب .

٢ السنطيرِيَّة : العازفة بالسُّنطير وهو آلة طرب كالقانون أوتارها من نحاس .

فقال جعفر : أأأذن لي يا أمير المؤمنين أن أطلع إلى مجلس التوبة<sup>١</sup> وأنظر أحداً من المسافرين أحضره بين يدي أمير المؤمنين ، لعله أن يحدثك بحديث ما سمعته ؟

فقال الرشيد : قم وافعل .

فقام جعفر وطلع وعاد بسرعة بالشيخ أبي الحسن الخليلع الدمشقي المسامير . قال : فلما رأى أمير المؤمنين سلم فأحسن وترجم فأبلغ ، ثم قال : يا أمير المؤمنين وحامي حوزة الدين وابن عم سيد المرسلين وخاتم النبيين ﷺ وعلى آله وضجه أجمعين . أطل الله بقاءك وجعل الجنة مأواك والنار مثوى لأعداك لا خمدت لك نار ولا أغيظ لك جار . ثم أنشد يقول :

دام لك العز والبقاء ما اختلف الصبح والمساء  
ودمت ما دامت الليالي بمدة ما أنها انقضاء  
الناس ناسٌ بكل أرضي وأنت من فوقهم سماء

قال : فرد الشيخ السلام وقال له : اجلس يا أبا الحسن . وحدثنا بحديث عجيب مليح لم نسمعه قط ؟

فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين . أحدثك بشيء سمعته بأذني أو بشيء رأيت به عيني ؟

قال الرشيد : يا شيخ أبا الحسن الذي تراه العين أحسن من الذي تسمعه الأذن .

فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين . أفرغ لي عن ثلاثة أشياء منك ؟

---

١ التوبة : الجماعة من الناس .

فقال : ما الثلاثة ؟

فقال : ذهنك وسمحك وقلبك .

فقال الرشيد : هات يا أبا الحسن .

فقال : يا أمير المؤمنين لي عادة أني أسافر في كل سنة إلى البصرة  
للأمير محمد بن سليمان الزبني ، وأقعد عنده أحدثه الأسفار . وأورد له  
الأخبار ، وأنشد له الأشعار . ولي عليه رسم ألف دينار آخذها وأعود إلى  
بغداد . فاتفق لي في سنة من السنين أني سافرت إلى البصرة على عادتي  
ودخلت على الأمير محمد بن سليمان وجلست عنده اليوم الأول والثاني  
والثالث ، فركب إلى الصيد وتركني في منزله وأوصى أرباب دولته بخدمتي  
ولكرامي إلى أن يعود ، وأوصى الطباخ الذي له أن لا يطعمني إلا شيئاً  
تشنيه نفسي ، فاشتيت السمك فقلت للطباخ : فعمل لي من السمك  
عدّة ألوان فأكلت وطاب لي الأكل حتى نُقِلَ على فؤادي . فقلت : ما  
يصرف عني هذا إلا المشي ، ولي عدّة أسفار إلى البصرة ما أعرف فيها  
مكاناً . وأريد اليوم أن أجعلها حجة وفرجة . ثم إنني نزلت أتمشي في  
شوارع البصرة فعطشت عطشاً شديداً وناهيك بعطش السمك ، فقلت في  
نفسي : إن تناولت شربة من السقاء لا تطيب نفسي لأنه يشرب منه  
أصحاب الأمراض . وكبر على نفسي أن أحملها إلى شاطئ الدجلة ،  
وقلت : ما لي إلا أن أقصد بعض دور المحتشمين وأطلب منها شربة من  
ماء . فأتيت إلى درب وفي ذلك الدرب خمسة دور داران مقابلتان لدارين  
ودائر صدرائية قد قامت من التراب وتعلقت بأذيال السحاب ، ولها باب  
مقنطر مزخرف بمصاطب طولانية ، مفروش عليها حصير عبّانية ، والباب  
ساج مصفح بصفائح الذهب الوهاج ومسامير الفضة وسير من الحرير  
الأصفر المدنّر مكتوب عليه هذه الأبيات :



ألا يا دار لا يدخلك حزنٌ ولا يغدرُ بصاحبك الزمانُ  
فنعَم الدارُ أنتِ لكل ضيفٍ إذا ما ضاق بالضيف المكانُ

قال : قتلْت في نفسي . من هذه الدار أشرب الماء . فأُتيت إلى  
الباب فسمعت صوتاً ضعيفاً من فؤاد نحيف . وقائلاً يقول :

بالله ربكما عوجاً على سَكَنِي وعاتباه لعلَّ العتبَ يُعْظِفُهُ  
وعَرَضاً بي وقولاً في حديثكما ما بالُ عبدك بالهجران تُثْلِفُهُ  
فإن تبسّم قولاً في مُلاطفةٍ ما ضرَّ لو بوصالٍ منك تُسْعِفُهُ  
وإن بدا لكما في وجهه غضبٌ فعالطاه وقولاً ليس نَعْرِفُهُ

قال : قتلْتُ . يا حَبْدًا إن كان قائلُ هذا الصوت شخصاً صورته  
على قدر صوته واحتشمت ، ثم إني قَوِّت قلبي ورفعت السِتْر ودخلْتُ  
الدهلِيز إلى أن انتهيت إلى آخره ومدَّيتُ طرفي ، وإذا أنا بدار قد أقبلت  
عليها السعادة . وزالت عنها الشقاوة ، ورأيت في صدر ذلك المكان إيواناً  
وبركة وشاذرواناً . وفي ذلك الإيوان تحتُ من السياج . وقوائمه من  
العاج ، مصفَّح بالذهب الوهاج . وفوق التخت فراش من الحرير  
الأطلس . ومسند مزركش . وعليه جارية نائمة خُجَّاسية القد . قائمة النهْد  
لا بالطويلة الشاهقة ولا بالقصيرة اللاصقة ، أشهر من علم . تربية العجم  
على أكتاف الخدم ، بخد أسيل ، وطرف كحيل . وخصر نحيل . وردف  
ثقيل . إن أقبلت فتنت ، وإن ولَّت قتلْت . كما قال فيها بعض واصفيها :

كما اشتَهت خُلِقت حتى إذا اعتدلت في قالبِ الحسن لا طول ولا قِصرُ  
جرى بها الشمعُ حتى دار أعكُنْها طيُّ القباطي فلا سِمن ولا عَوْرُ  
كانها أفرغت من ماء لؤلؤةٍ في كل جارحة من حُسْنها قمر

إلا أن الجارية ، يا أمير المؤمنين . قد حكمت عليها يدُ الأيام ونزلت

بها جميع الأسقام وعند رأسها طيب . وهو يحسّ يدها ويقول : يا ست بدور ، الضارب ضارب والساكن ساكن ولا برد ولا حمى ولا شيء ، تشكينه أكثر من سهر الليل وجريان الدمع لعلّ الست في قلبها هوى من أحد ، فلما سمعت كلام الطبيب أنشدت تقول :

إذا همتُ بكتان الهوى نطقتْ      مداممي بالذي أخفي من الألم  
فإن أبغِ افتضح من غير منفعة      وإن كنتُ قدمي غير منكمم  
لكن إلى الله أشكو ما أكابده      من طول وجدٍ ودعمٍ غير منصرم

قال : فنهض الطبيب قائماً على قدميه فناولته صرةً فيها عشرون ديناراً ، ثم التفت إليّ وقالت : من أين يا شيخ ؟

قلت لها : من بغداد ، حملني العطش إلى أن أتيت إلى هنا .

قالت : لعلّ أن يكون على يدك فرجي ، فأنا أكتب لك ورقة فتسأل عن بيت الأمير عمرو وتعطيه إياها ، فإن رددت عليّ الجواب فأنا أعطيك خمسمائة دينار .

ثم استدعت بدواة وورق وكتبت . وهي تقول : أما بعد . يعجز لساني ويكلّ جنائي عن بث الأشواق . ولكن أسأل الكريم الخلاق أن يمنّ علينا بالتلاق بالسعد الراق والأمر الموافق . أنا القائلة حيث أقول :

سروري من الدنيا لقاكم وقربكم      وحبكم فرضٌ وما منكم بدو  
ولي شجعة دمي إذا ما ذكرتكم      جرى فوق خدي لا يُطاق له ردو  
إذا الريح من نحو الحبيب تسمت      وجدتُ لمسراها على كبدي بردو  
فوالله ما أحببتُ ما عشت غيركم      ولا كنتُ إلّا ما حييت لكم عبدو  
سلامٌ عليك ما أمر فراقكم      فلا كان منكم ما جرى آخر عهدو

أما بعد ، فهذا كتابٌ ممنّ ليلها في نحيب . ونهارها في تعذيب . لا

أَتَرَكُنْ إِلَى عَاذِلٍ وَلَا تُصْغِي إِلَى قَاتِلٍ ، قَدْ غَلَبَتْهَا أَيْدِي الْفِرَاقِ ، وَلَوْ شَرَحْتَ  
بَعْضَ مَا عِنْدَهَا لِلْفَسِيحِ ضَاقَ وَمَا وَسَّعَتْهُ الْأَوْرَاقُ ، وَلَكِنْ أَسْأَلُ الْكَرِيمَ  
الْحَلَّاقَ ، رَافِعَ السَّيْعِ الطَّبَاقِ ، أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِالتَّلَاقِ ، وَأَنْشُدْتَ تَقُولُ :

أَحِبَّةَ قَلْبِي وَإِنْ جَرْتُمْ عَلَيَّ فَكَلَّ الْمُنَى أَنْتُمْ  
رَحَلْتُمْ فِي الْقَلْبِ خَلَفْتُمْ لَهِيْبًا فَهَلَّا تَرْفَقْتُمْ  
وَأُودِعْتُمْ يَوْمَ وَدَعْتُمْ بِأَحْشَايَ نَارًا وَأَضْرَمْتُمْ  
وَمَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ الْجَفَا عَلَى شَوْمٍ بَخْتِي تَعْلَمْتُمْ

فَأَلْفُ أَلْفٍ لَا أَوْحَشَ اللَّهُ مِنْكُمْ وَالسَّلَامُ مِنِّي عَلَيْكُمْ عِدَدُ شَوْقِي إِلَيْكُمْ  
مَا حَزَّنَ الْغُرْبُ إِلَى الْأَوْطَانِ ، وَغَرَّدَ حَمَامُ الْأَيْكِ عَلَى الْبَانِ ، فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ  
قَرَأَ كِتَابِي وَتَعَطَّفَ بَرْدَ جَوَابِي ، وَأَنْشُدْتَ تَقُولُ :

أَحِبَّائِنَا مَا رَقَا دَمْعِي لِفَرْقَتِكُمْ يَوْمَ الْفِرَاقِ وَلَا كَفَّتْ غَوَادِيهِ  
بَتَمَ فَلَمْ يَبْقَ لِي مِنْ بَعْدِكُمْ جَلْدٌ وَلَا قَوَادُ وَلَا صَبْرٌ أَرْجِيهِ  
فَكَمْ أُمِّي قَوَادِي بِالْهَوَى كَذِبًا وَلَسْتُ أَوَّلَ مَنْ بَانَتْ غَوَاشِيهِ<sup>١</sup>

قَالَ : ثُمَّ إِنَّهَا طَوَتْ الْكِتَابَ وَخَتَمَتْهُ بَعْدَ أَنْ ثَرَتْ فِيهِ فُتَاتُ الْمَسْكِ  
وَالْعَنْبَرِ . وَنَاوَلَتْنِي إِيَّاهُ فَأَخَذَتْهُ . وَأَتَيْتُ إِلَى دَارِ الْأَمِيرِ عَمَرُو فَوَجَدْتُهُ فِي  
الصَّيْدِ وَالْقَنْصِ . فَجَلَسْتُ عَلَى بَابِهِ سَاعَةً أَنْتَظِرُهُ وَإِذَا بِهِ قَدْ أَقْبَلَ ، وَهُوَ  
رَاكِبٌ عَلَى حَصَانٍ أَشَقَرٍ ، مِنْ الْخَيْلِ الضَّمَرِ يَسَاوِي مَلِكَ كَسْرَى وَقَيْصَرَ ،  
مِنْ أَوْلَادِ الْأَنْبِجَرِ . الَّذِي كَانَ لِعَنْتَرِ ، إِنْ طَلَبَ لِحَقٍّ ، وَإِنْ طُلِبَ لَمْ  
يُلْحَقْ . وَالْأَمِيرُ فِي ظَهْرِهِ كَأَنَّهُ الْبَدْرُ فِي مِزْلَتِهِ ، وَالْمَالِكُ قَدْ أَحْدَقُوا بِهِ كَمَا  
تُحْدَقُ النُّجُومُ بِالْقَمَرِ . وَهُوَ بِخَدِّ أَسِيلٍ وَطَرَفِ كَحِيلٍ وَخَصِرِ نَحِيلٍ وَرِدْفِ

١ بَانَتْ : ظَهَرَتْ . غَوَاشِيهِ . الْوَاحِدَةُ غَاشِيَةٌ : الدَّاءُ فِي الْقَلْبِ .

ثَقِيلَ وَلَهُ عِذَارٌ أَخْضَرَ فَوْقَ خَدِّ أَحْمَرَ وَثَغْرَ جَوْهَرٍ وَعَنْقَ مَرْمَرٍ كَمَا قَالَ فِيهِ ابْنُ  
مَعْشَرٍ :

قَرُّ تِكَامِلٍ فِي نِهَآيَةِ حُسْنِهِ      مِثْلُ الْقَضِيبِ عَلَى رَشَاقَةِ قَدِّهِ  
فَالْبِدْرُ يَطْلُعُ مِنْ ضِيَاءِ جَبِينِهِ      وَالشَّمْسُ تَغْرُبُ فِي شَقَائِقِ خَدِّهِ  
مَلِكُ الْجَمَالِ بِأَسْرِهِ فَكَأَنَّمَا      حَسَنُ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا مِنْ عِنْدِهِ

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : فَمَا أَمَهَلْتَهُ دُونَ أَنْ قَبَّلْتَ رِكَابَهُ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ تَرَجَّلَ  
وَاعْتَنَقَنِي وَأَخَذَ بِيَدِي وَأَدْخَلَنِي الدَّارَ وَأَنشَدَ يَقُولُ :

مَا أَظَنَّ الزَّمَانَ يَأْتِي بِهِذَا      غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتَهُ فِي مَنَامِي

قَالَ : فَلَمَّا جَلَسَ عَلَى حَافَةِ الْبَرَكَةِ أَقْبَلَ عَلَيَّ بِخَدَّتَيْ سَاعَةٍ . وَإِذَا  
بِالْمَائِدَةِ قَدْ وُضِعَتْ بَيْنَ أَيْدِينَا . وَإِذَا عَلَيْهَا مِنْ أَلْوَانِ الطَّعَامِ مَا دَرَجَ وَتَطَايَرَ  
فِي الْأَسْحَارِ . وَتَنَاقَحَ فِي الْأَوْكَارِ مِنْ قِطَآءٍ وَسُهَاقِي وَأَفْرَاحِ حَمَامٍ وَبَطْءِ مَسَمَّنٍ  
وَدَجَاجِ مَحْمَرٍ وَأَفْرَاحِ رُضْعٍ وَبَعْلَبَكَاتِ السُّكَّرِ فَقَالَ لِي : بِسْمِ اللَّهِ يَا شَيْخُ يَا  
أَبَا الْحَسَنِ . فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ يَا مَوْلَايَ ، مَا أَكَلْتُ لَكَ طَعَاماً وَلَا شَرَبْتُ  
لَكَ مُدَاماً . إِلَّا أَنْ قَضَيْتَ لِي حَاجَتِي .

فَقَالَ : يَا أَبَا الْحَسَنِ كَانَ هَذَا مِنَ الْأَوَّلِ . أَيْنَ الْكِتَابُ الَّذِي  
لِللَّسْتِ بِدَوْرٍ ؟

فَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي وَمَا هِيَ اللَّسْتُ بِدَوْرٍ .

فَقَالَ : الَّتِي جِئْتُ مِنْ عِنْدِهَا تَطْلُبُ شَرْبَةً مِنَ الْمَاءِ مِنْهَا . وَوَجَدْتُ  
عِنْدَهَا الطَّيِّبَ وَجَرَى لَكَ مَعَهَا مَا هُوَ كَيْتٌ وَكَيْتٌ .

فَقُلْتُ : يَا مَوْلَايَ أَكُنْتُ حَاضِراً ؟

فَقَالَ : لَوْ كُنْتُ حَاضِراً فَلَأَيَّ شَيْءٍ كَتَبْتَ الْكِتَابَ ؟

فقلت : هل جاء أحدٌ من عندها وأعلمك ؟

فقال : إنه لا يجسرُ أحدٌ من غلمانها أن يقابلني .

فقلت : ولا راح أحدٌ من عندك إليها .

فقال : هي أخسرُ وأحقُّ من أن يمضي إليها أحد من عندي .

فقلت : يا سيدي ! الغيبُ لا يعلمه إلا الله تعالى والوحي ما نزل إلا على رسول الله ﷺ .

فقال : يا عاقل أما سمعتَ قول القائل :

قلوبُ العاشقين لها عيونٌ ترى ما لا يراه الناظرون  
وأجنحةٌ تطير بغير ريشٍ إلى ملكوتِ ربِّ العالمينا

فقلت : صدقت يا مولاي . ثم ناولته الكتاب فقصَّه وقرأه ثم بصقَ فيه وداسَه برجله ورماه في البركة فصعب عليّ . فلما علم مَنِّي ذلك قال : ممَّ غيظك ؟ أقعد الليلة عندي كلَّ واشربْ وخذ مِنِّي الخمسمائة دينار التي وعدتك بها الست بدور . وأنا أحبُّ إليك منها وأنشد يقول :

رأيت شاةً وذئباً وهي ماسكةٌ بأذنه وهو منقادٌ لها ساري  
فقلت : أعجوبةٌ . ثم التفت أرى ما بين ناييه ملقى نصفُ دينار  
فقلت للشاة : ماذا الإلف بينكما والذئب يسطو بأنيابٍ وأظفار  
تبسَّمت ثم قالت وهي صاحكة : بالثبر يُكسر ذاك الضيفم الضاري

قال : فلما سمعت كلامه ، يا أمير المؤمنين تقدَّمت وأكلتُ بحسب الكفاية والنهاية . ثم انتقلنا إلى مجلس الشراب وقُدِّمت بين أيدينا البواطي والسلاحيات . فتناول الأمير عمرو وشرب وسقاني ، وأنا أخذته وأنادمه إلى أن قرب الغروبُ فقال : يا أبا الحسن . ما لذَّة الأمير إذا شرب إلى

فقلت : يقال : الشراب بلا طرب ولا سماع ، الدُّنْ أولى به .

فقال لي : قم بسم الله .

فقممت معه إلى مجلس وحضيرة تنقط بالذهب واللازورد العجيب ، وهي مزخرقة قد عبت أزهارها وضحكت سلاحيتها وصفت بواطيتها ورُفعت أقداحها فجلس الأمير عمرو وأجلسني بجانبه وقدمت بين أيدينا الشموع وأُسرجت القناديل فنظرت إلى مجلس عجيب وحضيرة مليحة ثم قلت : يا مولاي ، قد تقدم القول إن الشراب بلا سماع ، الدُّنْ أولى به ، فصفق بكف على كف وإذا بثلاث جوار قد أقبلن كأنهن الأقار . الواحدة تحمل عوداً ، والثانية تحمل دفاً ، والثالثة تحمل مزماراً ثم نقرت الدفية على دفها ، وأصلحت العودية عودها وزمرت الزامرة بعزمارها فخيّل إليّ أن المجلس الذي نحن فيه يرقص بنا ثم إن الدفية غنت تقول :

أحبابنا إتي من يوم فرقكم      على فراش الضنا ما زلت مضطجعا  
داويت قلبي بحسن الصبر بعدكم      عسى يُفيق من الأسقام ما نفعنا

فوالله يا أمير المؤمنين لقد طربت غاية الطرب من حسن صوتها . فلما فرغت الدفية ضربت العودية على عودها طرقات عديدة ، ثم رجعت إلى الطريقة الأولى وأنشدت تقول :

أؤمنس طرفي لا خلا منك ناظري      وجامع شملي لا خلا منك مجلسي  
ويا ساكناً قلبي وما فيه غيره      يخلّ فما استوحشت فيه لمؤنسي  
وبالله يا أغنى الورى من ملاحه      تصدق على صب من الصبر مفلس  
أنلني الرضا حتى أعيط به العدا      ويا موحشي من بعدما كان مؤنسي  
رضاك الذي إن نلته نلت رفعة      وألبسني في الناس أشرف ملبس

قال : والله يا أمير المؤمنين لم تتمالك حقولنا من الطرب . ثم التفت  
العودية نحو الدفية وقالت لها : يا فلانة أحسني أن تقولي مثل هذا ؟  
فقلت الدفية : أنا أحفظ أبياتاً ما أظن أنك تحفظين لهنّ وزناً ولا  
قافية ولا عروضاً .

فقلت العودية : هاتِ ما عندك .

فقرت الدفية على دَفِّها بأناملها ورفعت صوتها وهي تقول :  
كرّر وردّد ذكرهم في مسمعي      فهم الشفا لتألمي وتوجعي  
أقصّر بعذلك يا عدولُ فإن لي      قلباً لعدلك لا يُفني ولا يعي

فقلت لها العودية : أنا أحفظ الوزن والقافية والعروض .  
فقلت الدفية : هاتِ .

فضربت العودية طريقة من اثنين واثنين وأربعة وأربعة وثمانية وثمانية  
وسنة عشر وستة عشر ثم عادت إلى الطريقة الأولى وجعلت تقول :

إن لم أَسْلُ وادي إلا سبيل بأدمعي      أعلمُ بأنّي في الصباية مدّعي  
يا سعدُ إن جئت العُويّرَ وعانيت      عيناك بأنّ المُحنّي فلترجعِ  
وخذِ الحِذارَ من الغزالِ المُحنّي      واحذرِ يصيدك لحظُ ذاتِ البرقعِ

قال : والله يا أمير المؤمنين فلقد طربنا حتى قام كل منا ورقص . فلما  
فرغت الجارية قال لها سيّدها : غنّ لي على الذي بقلبي وحدي ، فعندها  
ساوت عودها وقالت :

ما كنتُ أولَ رامتي صبّاً صبا      نحو التصابي ، وهو في عُمر الصبا  
فعلامَ يعذلني العنولُ على البكا      لولا الغرامُ لما غدوتُ معذباً  
حكم الغرامُ بحكمه في مهجتي      ولقد غدا قلبي به متقلّباً

يا للرجال خبا الهوى بحشاشتي نارا . فما تحبو على ذاك الخبا  
ولقد سبى قلبي غزال لو رأته بلقيسُ طلعتَه لما سكنت سببا  
ولقد هربتُ من الغرام فقال لي : مهلاً ! فلن تجدنَّ مِنِّي مهربا

فلما سمع الأمير عمرو ذلك صرخ ووقع على الأرض مغشياً عليه .  
فقالت الجارية : يا مولاي ، إنه قد نام سيدي ، فإن اخترت أن تنام فقم  
نم في مرقدك . وإن اخترت الشراب فدونك ، ونحن بين يديك إلى  
الصباح .

فقامت ونمت فلما أصبحت قمت وسألت عن الأمير عمرو فقال بعض  
الجواري : إنه قد سرح إلى الصيد والقنص فأخذتُ شاشاً لألبسه فرأيتُ  
تحتَه كيساً فيه ألف دينار ، فأخذته وأتيت إلى الست بدور . وإذا بها واقفة  
خلف الباب تنتظر وهي تقول :

يا رسولِي إلى الحبيب اعتذر لي فلعلَّ الحبيبَ يقبلُ عُذري  
ثم قل للحبيب عني بلطف : أيُّ ذنب جرى فأوجبَ هجري

فلما رأتني قالت : يا شيخ أفحُ أم شعير؟  
فقلت : لا والله ما هو إلَّا زوان ، والله ما رضي يقرأ مكتوبك ولا  
يرد جوابك .

فرمت إليَّ الصرة وفيها مائة دينار ، وقالت : اذهب يا أبا الحسن .  
ما مضى الليل وأتى النهار على شيء إلَّا وأزاله وغيره ويغيرُ الله ما في  
القلوب .

ثم إنها أغلقت الباب في وجهي ومضت وعدتُ إلى دار الأمير محمد  
بن سليمان الزينبي فلقينته قد جاء من الصيد فقعدتُ عنده أياماً وأخذتُ  
رسمي وعدتُ إلى بغداد . ثم إني في السنة الثانية سافرت إلى البصرة على ما



جرت العادة به ومضيت إلى الأمير عمرو بن جبير الشيباني لأتمتع بذلك الوجه المليح والقَدَّ الرجيع . فوجدت الدارَ متغيرة الآثار والعبيدَ لابسين السواد فلما رأيت ذلك بكيت وأنشدت أقول :

يا دارُ أين ترحلُ السكانُ      وسرت بهم من بعدها الأظعانُ  
بالأمس كان بك الضياء مع هنا      واليوم في عرصاتك الغربانُ

فسمعتني بعض الغلمان ، فظهر لي وقال : من ذا الذي يبكي على ديارنا ويندب منازلنا ؟ كفى بنا ما عندنا .

فقلت له : يا عبدَ الخير ، إن صاحبَ هذه الدار كان من أصدق الناس إليَّ فما فعل به الزمان ؟

فقال لي الغلام : يا مولاي هو في قيد الحياة ، وهو يطلب الموت فلا يجده .

فقلت له : بالله عليك خذ لي الطريق .

فقال لي الغلام : يا مولاي من أقول .

فقلت : قل الشيخ أبو الحسن الخليلع الدمشقي المسامر .

قال : فعبر الغلام وغاب ساعة وعاد وقال لي : بسم الله أدخل .

فدخلت فوجدت الأمير عمراً نائماً وعند رأسه طبيب وهو يحسّ يده ويقول له : يا مولاي الضارب ضارب والساكن ساكن لا برد ولا حمى ولا تشككي غير سهر الليل وجريان الدمع ، لا يكون المولى إلا مسحوراً .

فلما سمع الأمير عمرو كلام الطبيب بكى وأنشد يقول :

قال الطبيب لقومي ، حين جسّ يدي :      هذا فتاكم ، ورب البيت ، مسحورُ

فقلت : وبحك قد قاربت في صفتي      عين الصواب ، فهلاً قلت : مهجورُ

ثم إنه ناوله كاغداً فيه بعض دنانير . فأخذها الطيب وانصرف ثم  
التفت الأمير عمرو إليّ وقال : يا شيخ أبي الحسن أما تنظر إلى هذا الحال  
الذي وقعت فيه ؟

فقلت له : حاشاك من الأسوأ ما سبب ذلك ؟

قال : ما أعرف له سبباً إلا أن هجر الست بدور قد قتلني وحبها  
أضنى قواي .

فقلت : يا مولاي ، بالعام الماضي تركتك أميراً . واليوم أتيت لقبتك  
أسيراً فما السبب ؟

فقال الأمير عمرو : يا شيخ إنّي في ليلة من الليالي ركبت في الشط ،  
وقد شحنت مركبي من سائر الأزهار والفواكه والرياحين والطعام والمُدام ،  
وأوقدت الشموع حتى صارت مثل ضوء النهار ، وقد غرقنا في البسط ،  
وبقينا في لعب وضحك إلى ثلث الليل الأول ، وإذا قد أقبل من صدر  
الشط مركب وهو يعزف بالطارات والدفوف ويضيء كضوء الشمس وفيه  
وهج عظيم ، فقلت للملاح : قدّم بنا حتى نتفرّج وننظر أينما أحسن تعبئة  
مركبنا أو هذا المركب ؟

فددت عيني فرأيت صاحبتى الست بدور ، وهي بين جواربها وغلماها  
تلعب وتضحك ، وهي مثل اسمها ، اسم على مسمى ، فلما وقعت عيني  
عليها ، كأنما رمّت في قلبي جمرّة نار فقلت في نفسي : ما فارقتُ هذا  
الوجه المليح بذا ب . ثم إنّي تذكرت العهد القديم الذي كان بيننا فلم أقدر  
أن أصبر ، فددت يدي وأخذت نفاحة ورميتها إلى الست بدور فالتفت  
فراحتي . فقالت للملاح : إرجع بنا إلى البرّ ، نحن خرجنا هذه الليلة  
نشرح ، فأرسل الله لنا هذا الفتى ينعّص علينا عيشنا . فلما سمعتها تشتمني  
أضمرت النار في قلبي ثم قلت لنفسى : أنت كنتَ المطلوب فصرتَ

الطالب ، فلم يهن لي عيش في هذه الليلة فقلت للملاح : ارجع إلى الشط . ثم إني نزلت ومضيت إلى منزلي وما ذقت طعم المنام . فلما أصبحت لم يقر لي قوار وصرت أترقب أن يأتي أحد من عندها . ثلاثة أيام ، فلم يأت أحد فبعثت من بعرض بذكري لها . فدعت عليهم وشتتهم . فكتبت لها بعد ذلك ألف كتاب . فلم ترد لي جواباً . وقد رميت روعي على كل كبير في البصرة . فدخلون عليها فلم تقبل ولم تردد إلّا جفاء ، ولي مدة أنتظر يا شيخ أبا الحسن حتى أبعث معك كتاباً وأنا أحلف لك إن هي ردت لك جوابه أعطيتك ألف دينار . وإن لم ترد جوابه أعطيتك مائة دينار .

فقلت له : اكتب !

فدعا بدواة وقرطاس وكتب في أول الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من ميم يشكو إليك الصباة ويسألك بالله أن تردّي جوابه . أما بعد ، فإنه يعجز لساني ويكلّ جناني مما أنا فيه من طول السهر ودوام الفكر . وبكى لبكائي أصمّ الحجر فألف ألف لا أوحش الله منك والسلام عليك .

ثم ختم الكتاب وناولني إياه فأخذته وأتيت به إلى دار الست بدور . فلقيت الباب على غير تلك الحالة الأولى عليه ستر مرخي وبواب وخادم . فقلت : لا إله إلّا الله . كان هذا الباب بالأمس خالياً من الأصحاب . واليوم عليه خادم وبواب . ثم إني تقدّمت إلى الخادم . وقلت له : قم يا ولدي ادخل واستأذن على مولاتك الست بدور وقل لها : الشيخ أبو الحسن الخليلي الدمشقي قد أتى ويطلب المثل بين يديك .

فغاب الخادم ثم عاد مسرعاً وقال : بسم الله ادخل .

فدخلت الدهليز فسمعت الست بدور وهي تقول :

ولأصبرنَّ على الزمان وجوره حتى يعودَ كما أريدُ وأشتهي

قال : فلما دخلت رأيتها قاعدة على حافة البركة ، وبين يديها جارية تروّح لها . فتقدمت ، وقبلت يدها وجلست فنظرتُ . وإذا عليها غلالة لازوردية . وجميع جسدها بائن من تحت الغلالة كأنه عمود مرمر . وعلى الغلالة مكتوب هذه الأبيات :

أقبلتُ في غلالة زرقاء لازوردية كلون سماء  
فتأملتُ في الغلالة ألقى قر الصيف في ليالي الشتاء  
ليني كنتُ للمليحة عقداً أو إثمًا للوجه مثل الرداء  
أو قبصاً من الحرير خفيفاً لاصقاً بالفؤاد والأحشاء  
ضربتني بخنجر العشق حتى صرت مُلقًى مخضباً بدماي  
تركنتي على الطريق ونادت من يصلي على قتيل هوائي

ثم إني لما فرغت من قراءة الأشعار قالت لجارتها : هات لي بذلة قماش . ثم غيرت ما كان عليها . وجلست ثم أمرت بإحضار المائدة وقالت : بسم الله . كلْ يا أبا الحسن .

فقلت : لا والله لا أكلت لك طعاماً ولا شربت عندك مُداماً حتى تنفسي حاجتي .

فقالت : كان هذا من الأول لكن والله قد وقعت من عيننا برواحك إلى الأمير عسرر قبل مجيئك إلينا .

فقلت لها : أنا ما رحْتُ .

فقالت : تكون شيخاً وتكذبُ ، أنت ما عبرتَ عليه ولقيتَ الطبيب . وهو يقول له : كبت وكبت ، وجرى لك معه كذا وكذا . وهذا الكتابُ في طبي عمائمك وبالأمانة قال لك : إن ردتَ الجواب

أعطيتك ألف دينار وإن لم تردّ لي الجواب أعطيتك مائة دينار؟

قلت : يا سَيِّ من أعلمك بهذا؟

فقلت : أليس القائل يقول :

قلوبُ العاشقين لها عيونٌ ترى ما لا يراه الناظرون

وأنا يا شيخُ أبا الحسن أعشق منه وأرى أكثر ممّا يراه .

قلت : صدقت يا مولائي . كان ذلك .

ثم تناولتها الكتاب ففضّته وقرأته ثم إنها مرّفته وبصّفت عليه . وداسته ورمته في البركة . فلما رأيت ذلك قلت في نفسي : هذا بذاك وقرض الدّين لا بدّ له من وفاء . إلّا أنّي حصل لي بعضُ غيظٍ على الألف دينار التي تفوتني . فنظرت إليّ وعرّفت منّي ذلك فقلت : يا شيخُ أبا الحسن ممّ غيظك ؟ إن كان وعدك بألف دينار . فبت الليلة عندي وكلّ واشرب والتدّ واطرب . وخذ لك غدأ مني ألف دينار وامض في حفظ الله .

قلت : يا سيدني يكاد الأمير عمرو أن يموت .

فقلت : دعنا من هذا الكلام .

ثم إن المائدة حضرت فأكلنا بحسب الكفاية . فلما فرغنا قالت : يا شيخ أنعرف لعب الشّطرنج .

قلت : ما أَلعب إلّا على الحكم والرضا .

فقلت : نعم . ثم دعت بالشطرنج فوضع بين أيدينا ولعبت معها الدست الأول . فغلبتني فأمرت الجوّاري أن يرموني في البركة . فسكوني ورموني في البركة . فضحكت عليّ ساعة . ثم أخرجوني وقد ابتلت جميع حوائجي . فلما رأيتني على تلك الحالة أمرت ببذلة من القماش من أفخر

الملبوس فلبستُ فقالت : أتلعب أيضاً على الحكم والرضا ؟

قلت : نعم . فلمبنا فاحتلُ عليها ، وأثبت لها بحكاية لطيفة مُضحكة  
وشغلنا وسرقت القطعَ إلى أن غلبنا وتحكمتُ فيها وقلت : أريدُ الألفَ  
دينار وجوابَ الكتاب فأعطني الألفَ دينار ، وطلبت الدواةَ والقُرطاسَ ،  
ثم إنها أطرقت ساعةً ورفعت رأسها وكتبت تقول :

ألا يا عمرو كم هذا العناء      وكم هذا التجلُّدُ والجفاء  
كتبتُ إليّ تشكو ما تلاقى      من الأسقام إذ نزل القضاء  
فسقمُ لا يزال بطول دهر      وداء ما له أبدأ دواء  
ولو ساعدتنا يا عمرو يوماً      لساعدناك إذ نزل البلاء  
فعش صباً ومثك كمداً حزيناً      فواجدةً بواحدةٍ جزاء

فلما قرَّعت ناولتي الورقة فقرأتها فقلت : يا سَيِّ . بالله عليك لا  
تفعلي وارحمي الأميرَ عمرًا واكتبي له غيرَ هذا .

فقالت : يا شيخ أبا الحسن . أنت رسولٌ أو فضوليٌّ ؟ فقلت لها :  
رسول وفضولي وطفيلي . ويعظ القطط ويحلف أنه ما يبيتُ إلَّا في الوسط  
ويغني يُلَيْتُ بكم .

قال : فضحكت من كلامي . وقالت : حكمتُك في نفسي .

قلت : ستَ بدور أين تلك المحبة التي كنت تحيينا للأمير عمرو ؟ فلو  
أبصرته ما عرفته من شدة ما يقاسي من الأسقام والآلام والأمراض .

فلما سمعت ذلك قالت : أخبرني عن أقوى شيء به من المرض ؟

قلت : يا سيدتي . ما أقدرُ أصيف لك بعضَ ما فيه من ألم المرض .

فترغرت عينها بالدموع ثم قالت : يعز عليّ ما وصفت لي عنه  
وروحه الفداء فالحمد لله الذي جعل اجتماعنا على يدك . ثم دعت

بدرج غير تلك الورقة وكُتبت في أول الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم إنها ابتدأت تنشد وتقول :

وصل الكتابُ فلا عدمتُ أنا ملاً      عُييت به حتى تَصَوَّعَ طيباً  
ففضضته وقرأته ، فوجدته      لُخْفِي أوجاع القلوبِ طيباً  
فكانَ موسى قد أُعيدَ لأمّةٍ      أو ثوبَ يوسفَ قد أتى يعقوباً

المملوكةُ تقبَلُ الأرضَ وتُهيي أن شوقها شديد ، وغرامها ما عليه من  
مزيد ، ومأموها من الحميدِ المجيد أن يجمعَ شملها بك قبل أن تُريد ،  
وأقول :

أشتاقكم حتى إذا نهض الهوى      لمقامكم قعدت بي الأيامُ  
والله إني لو وصفتُ صبايبي      فَنِي المداؤُ وقَلتُ الأقلامُ

ثم إنها نثرت قُتات المسك والطَّيب في رسالتها ووطنها وحققتها وناولتني  
إياها فأخذتها وقتُ مسرعاً وأنا فرحانُ إلى أن أتيت دار الأمير عمرو  
ودخلتُ الدهليز ، فسمعتَه يقول :

تُرى حُرُمتُ كُتبَ المحبةِ بيننا !      أسحرُّ أم القرطاسُ أصبح غالبا

فاستأذنتُ عليه ودخلتُ فلما رأيَ قال لي : أقمح أم شعير ؟  
فقلت له : قمح مغربلٍ ليس فيه كدر . ثم ناولته الكتابَ ففضَّه وقرأه  
فلما فهم معناه تهلَّلَ وجهه بالفرح فبكي وقال :

هجمَ السرورُ عليَّ حتى إنه      من فرطِ ما قد سَرَّني أبكاني  
يا عينِ ! قد صارَ البكالك عادةً      تبكين في فرحٍ وفي أحزانِ

فلما فرغ من البكاء قال لي : يا شيخ ما أظنَّ الحديدَ يلين ولا الصخر

يذوبُ نعلٌ أن تكونَ صنعتَ هذا الكتابَ من عندك ؟

فقلت : يا مولاي والله ما صنعتُهُ ولا كتبته بل هو خطُّها بيدها .

فبينما هو يخاطبني . إذ هي عبرت علينا وهي تخطر في قوامها وهي تنشد وتقول :

زوركم لا نجازيكم بحفونكم      إن الكريمَ إذا لم يُستزِرْ زارا

فلما رآها الأميرُ عمرو نهض قائماً على قدميه ورمى بروحه عليها واعتنقها واعتنقه ساعةً زمانيةً . فقامت لأخلي لها المكان . فقالت الست بدور : إلى أين تروحُ يا شيخ ؟

قلت أخلي لكما المكان لأنكما ما اجتمعتما من مدّة سنة كاملة .

فقالت : لا تفارقني من الساعة إلى الصباح .

فقام الأميرُ عمرو وأخذنا ومضى بنا إلى مجلسٍ مليحٍ وقَدّمَ لنا الطعامَ المفتخرَ وأمرَ بإزالة كل شيء كان عليه من آلة الحزن وجيء له بالماء فغسل يديه وغسلنا أيدينا . وانتقلنا إلى مجلس الشراب . وبتنا في لَذّةٍ ورأيتُ الماويّةَ تدب في وجه الأميرِ عمرو . فلما أصبحتُ قلت : يا شيخ أبا الحسن ، امضِ واتننا بالقاضي والشهود .

فلم يكن بأسرع مما أحضرتهم . فقالت الست بدور للقاضي : اكتب كتابي على الأميرِ عمرو . وقد وليتُ الشيخَ أبا الحسن عقدَ النكاح .

فخطب القاضي خطبة النكاح وعقد العقدَ بينهما . فرسم الأميرُ عمرو للقاضي بألف دينار وللشهود بمائتي دينار ، وعمل الوليمة وطبخ الطعامَ وعملَ الحلاوات وجمع الناس ووضَعَ بين أيديهم الموائد وأطعم الشارد والوارد . ورُفّت الست بدور تلك الليلة إلى الأميرِ عمرو . فلما وقفوا على المنصّة قلت : ما تصلح إلّا له ولا يصلح إلّا لها . ولو رآها غيره لزلزلت



الأرض زلزالها . ثم تقدّمت إلى الأمير عمرو وقلت له : يا مولاي . المثل يقول : العصفور يتقلّى والصياد يتقلّى . وأنتم تقولون : واطرباه وأنا أقول واجزناه .

فقلت الست بدور : ما معنى كلامك هذا ؟

قلت : يا سيدتي الأمير عمرو وعدني بوعده والوعد على الكرماء دين .

فقلت الست بدور : صدق الشيخ أعطه الذي وعده به .

فقال الأمير عمرو لبعض غلمانه : أعط الشيخ أبا الحسن ألفاً وخمسمائة دينار . يستحق أكثر من ذلك .

فضى الغلام وعاد بسرعة ومعه كيسٌ وناولني إياه وأعطني الست بدور مثله . ثم إني ودّعتهم وخرجت إلى أن أتيتُ إلى الأمير محمد بن سليمان الزينبي . وقعدت عنده على عادي . وأخذت رسمي الذي عليه في كل سنة وعدت إلى بغداد فما رأيت سنة أبرك عليّ منها . حصل لي فيها أربعة آلاف دينار .

وهذا جملة الحديث فتعجب الخليفة وقال : ما قصّرت يا شيخ أبا الحسن خذ من جعفر ألفَ دينار لأنك أنت الذي أزلت عني ما بقلبي . فقال جعفر : ومن عند أمير المؤمنين ألفَ دينار لأنه هو الذي زال عنه ما كان يجده .

فقال أبو الحسن : صدق الوزير أبقاه الله تعالى ، ثم إنه قبض الألفين ديناراً ومضى إلى منزله والله أعلم .

## من هم البرامكة ؟

قال أبو القاسم عبد الملك بن بدرون في شرحه لقصيدة عبد المجيد بن عنبون : جعفر البرمكي . هو جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك . والبرمك هو الذي يعمُر بيتَ النور . وهو بيت النار . وكان برمكُ من شعوس بلخ وكان عظيمَ القدر فيهم . وولده خالدُ . فلما كبر صار وزيراً لأبي السفاح بعد أبي سلمة الخُلال . وقتل هارون الرشيد جعفرأ سنة سبع وثمانين ومائة . وكان قد بلغ من الرشيد ما لا يبلغه وزيرٌ من خليفة قبله . حتى كان يجلسُ معه في حلة واحدة قد أخذها جيبان على ما ذكره بعضُ المخبرين حتى بلغ عنده أن يحكم عليه فيما شاء من أمر مائه وولده .

## منزلة جعفر عند الرشيد

فمن ذلك ما حكاه ابنُ المهدي عمُ الرشيد . وهو إبراهيمُ المعروف بابن شكلة . وكانت شكلة أمةً سوداء . وقد ذُكر أن إبراهيم كان أسود شديداً السواد . وكان من الطبقة العليا في صنعة العود قال : قال لي جعفر يوماً : يا إبراهيم . إذا كان غدٌ فأبكر إليّ .

فلما كان الغد مشيتُ إليه بكرة . فجلستنا نتحدثُ . فلما ارتفع النهار أحضر حجاًماً فحجمتنا . ثم قدّم لنا الطعامَ فطعمتنا ثم خلَعَ علينا ثيابَ المنادمة . وقال جعفر لحادمه : لا يدخلُ علينا أحدٌ إلّا عبد الملك القهرماني .

فَنَسِيَ الْحَاجِبُ مَا قَالَ فَجَاءَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ الْهَاشِمِيُّ . وَكَانَ رَجُلًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ذَا مَلَاخَةٍ وَعِلْمٍ وَحِلْمٍ وَجَلَالَةٍ قَدْرٍ وَفَخَامَةٍ ذَكَرَ وَصِيَانَةٍ وَدِيَانَةٍ . فَظَنَّ الْحَاجِبُ أَنَّهُ الَّذِي أَمَرَهُ بِإِدْخَالِهِ عَلَيْهَا . فَلَمَّا رَأَاهُ جَعَفَرُ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَرَأَاهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ . وَظَهَرَ لَهُ أَنَّهُمْ احْتَشَمُوهُ فَأَرَادَ أَنْ يَرْفَعَ خَجَلَهُ وَخَجَلَهُمْ بِمُشَارَكَتِهِ لَهُمْ فِي فَعْلِهِمْ فَقَالَ : اصْنَعُوا بِنَا مَا صَنَعْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ .

فَجَاءَهُ الْخَادِمُ فَطَرَحَ عَلَيْهِ ثِيَابَ الْمَنَادِمَةِ ثُمَّ جَلَسَ لِلشَّرَابِ . فَلَمَّا بَلَغَ ثَلَاثًا قَالَ لِلسَّاقِي : لَتَخَفَّفَ عَنِّي فَلِإِنِّي مَا شَرِبْتُهُ قَطًّا .

فَتَهَلَّلَ وَجْهُ جَعْفَرٍ فَقَالَ لَهُ : هَلْ مِنْ حَاجَةٍ تَبْلُغُنَا مَقْدَرَتِي وَتَغِيظُنَا بِهَا نَعْمَتِي فَأَقْضِيَهَا لَكَ مِكَافَأَةً لِمَا صَنَعْتَ ؟

قَالَ : بَلَى . إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ غَاضِبٌ . فَسَلِّهِ الرِّضَا عَنِّي .

قَالَ : قَدْ رَضِيَ عَنْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .

قَالَ : عَلِيٌّ أَرْبَعَةُ آلَافٍ دِينَارٍ .

قَالَ : هِيَ لَكَ حَاضِرَةٌ مِنْ مَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

قَالَ : وَابْنِي إِبْرَاهِيمَ أُرِيدُ أَنْ أَشَدَّ ظَهْرَهُ بِصَهْرٍ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

قَالَ : قَدْ زَوَّجَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِابْنَتِهِ عَائِشَةَ .

قَالَ : وَأَحِبُّ أَنْ تَخَفُقَ الْأَلْوِيَةُ عَلَى رَأْسِهِ .

قَالَ : نَعَمْ . قَدْ وَلَّاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِصْرَ .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ : فَانصَرَفَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ وَأَنَا أَنْعَجَبُ مِنْ إِقْدَامِ جَعْفَرٍ عَلَى قَضَاءِ الْحَوَائِجِ مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ وَقَفْنَا عَلَى بَابِ الرِّشِيدِ وَدَخَلَ جَعْفَرٌ فَلَمْ نَلْبِثْ أَنْ دَعَا بَأَبِي يُوسُفَ الْقَاضِيَّ وَمُحَمَّدَ بْنَ وَاسِعٍ وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَعَقَدَ لَهُ النِّكَاحَ وَحُمِلَتِ الْبِدْرُ إِلَى

مترل عبد الملك وكُتب سجل إبراهيم على مصر وخرج جعفر فأشار إلي فلما سار إلى مترله ونزلت بنزوله التفت إلي وقال : لعل قلبك معلقٌ بأمر عبد الملك بن صالح فأجبت معرفة خبره .

قلت : نعم .

قال لي : لما دخلت على أمير المؤمنين وتمثلتُ بين يديه وابتدأت القصة من أولها إلى آخرها ، كما كانت ، قال الرشيد : أحسن والله أحسن والله . ثم قال : ما صنعت ؟ فأخبرته عما سألت وبما أجبت في ذلك فقال : أحسنت . وخرج إبراهيم والياً على مصر من يومه والله تعالى أعلم .

### الفتى العاشق وجعفر

قال إبراهيم بن إسحاق : كنت منقطعاً إلى البرامكة ، فبينما أنا ذات يوم بمترلي وإذا بياني يدق فخرج غلامي وعاد وقال لي : على الباب فتى جميل يستأذن ، فأذنت له ، فدخل شابٌ عليه أثر السقم ، فقال : لي مدة أحاول لقاءك ولي إليك حاجة .

فقلت : وما هي ؟

فأخرج ثلاثمائة دينار فوضعها بين يدي . وقال : أسألك أن تقبلها مني وتصنع لي لحناً في بيتين قلتها .

فقلت : أنشدنيها فقال :

يا لله يا طرفي الجاني على كبدي      لثُطفنْ بدمعي لوعةَ الحزنِ  
لا لا أبوحنّ حتى تنزلي سكني      فلا أراه ولو أدرجتُ في كفي

قال : فصنعت لها لحناً يشبه النوح ثم غنّيته فأغمني عليه حتى أتي

ظننت أنه مات ثم أفاق . وقال : أعده فناشدته الله وقلت : أخشى أن تموت فقال : لبت ذلك . وما زال يخضع ويتضرع حتى رحمته وأعدته فصعقَ صعقةً أشدَّ من الأولى . فلم أشك في موته وما زلتُ أنضح عليه من ماء الورد حتى أفاقَ ثم جلس . فحمدت الله على السلامة ووضعت دنانيره بين يديه وقلت : خذ مالك وانصرف عني .

فقال : لا حاجة لي بها ولك مثلهما إن أعدته .

فشرهت نفسي فقلت : أعيده ولكن بثلاث شروط : أولها تقيم عندي تأكل من طعامي حتى تتقوى نفسك ؛ الثاني أن تشرب من الشراب ما يمسك قلبك ؛ الثالث أن تحدّثني بخديتك .

ف فعل ذلك ثم قال : إني رجل من أهل المدينة خرجتُ متزهاً ، وقد سال المطر في العقيق . مع إخواني فرأيت فتاةً مع فتيات كأنها غصن جلّله التدى ، تنظر بعينين ما ارتدَّ طرفُها إلا بنفس ملاحظتها . فظللن حتى فرغ النهار ، فانصرفن وقد رمت بقلبي جراحاً بطيئة الاندمال . فعدت أتتسم أخبارها فلم أجد أحداً يرشدني إليها فجعلت أتبعها في الأسواق فلم أقع لها على خير ، ومرضت ، أسى . وحكيت قصتي لذات قرابة لي فقالت : لا بأس عليك ، هذه أيام الربيع ما انقضت وسُمطر السماء فتخرج حينئذ ، وأنا أخرج معك فافعل مرادك .

قال : فاطمأنت نفسي بذلك إلى أن سال العقيق وخرج الناس ينظرون فخرجت مع إخواني وقرابتي ، فجلسنا في مجلسنا بعينه فما لبشنا إلّا والنسوة كفروسي رهان فقلت لذات قرابتي : قولي لهذه الجارية يقول لك هذا الرجل : لقد أحسن من قال :

رمني بسهم أقصد القلب وانثنت وقد عاودت جرحاً به وندوبا

قال : فضت إليها وقالت لها ذلك ، فقالت لها : قولي له . وقد  
حسن من أجابه :

بنا مثل ما تشكو فصبراً لعلنا نرى فرجاً يُشفي القلوب قريباً

قال : فأمسكت عن الكلام خوفَ الفضيحة . وقت منصرفاً ،  
فقامت لقيامي فتبعتهما قرابتي حتى عرفت منزلها ، ورجعت فأخذتني ،  
وسرنا إليها حتى اجتمعنا . واتصل ذلك حتى شاع وظهر وحجبا أبوها .  
فلم أزل مجتهداً في لقائها فلم أقدر ، وشكوت ذلك إلى أبي فجمع أهلنا  
ومضى إلى أبيها راعباً في خطبتها فقال : لو بدا له ذلك قبل أن يفضحها  
لفعلت ولكنه شهرها . فاكنت لأحقق قول الناس . قال إبراهيم فأعدت  
عليه الصوت وعرقني منزله ثم انصرف . وكانت بيننا عشرة . ثم جلس  
جعفر بن يحيى وحضرتُ على عادتي فغنيته شعر الفتى . فطرب وشرب  
أفداحاً وقال : ويلك ! لمن هذا الصوت ؟

فحدثته حديث الفتى فأمرني بالركوب إليه وأن أجعله على ثقة من  
بلوغ أربه . فضبت إليه وأحضرتَه فاستعاد الحديث فحدثته فقال : هي في  
ذمتي حتى أزوجهك إياها فطابت نفسه ، وأقام معنا ، فلما أصبح ركب  
جعفر إلى الرشيد وحدثه بذلك فاستظرفه ، وأمر أن يحضرا جميعاً واستعاد  
الصوت وشرب عليه ، فأمر بكتِّب كتاب إلى عامل الحجاز بإحضار المرأة  
وأهلها ووالدها مبجلين إلى حضرته . والإنفاق عليهم نفقة واسعة . فلم  
يمضِ إلّا يسيراً حتى حضروا . فأشار الرشيد بإيصال الرجل إليه ، فحضر  
وأمر بتزويج ابنته من الفتى . وأعطاه ألف دينار ، ونقلت إلى أهله ، ولم  
يزل الشاب من ندماء جعفر حتى حدث ما حدث فعاد الفتى بأهله إلى  
المدينة . فرحم الله تعالى أرواحهم أجمعين .

## الوزير أبو عامر والملك الناصر والغلام حكاية أجنبية

مما اتفق أن الوزير أبا عامر أحمد بن مروان كان قد أهدي له غلامٌ من النصارى لا تقع العيون على أحسن منه . فلمحه الملك الناصر . فقال له : أتى لك هذا ؟

قال : هو من عند الله .

فقال : تحفونا بالنجوم ، وتستأثرون بالأقمار .

فاعتذر إليه ثم احتفل في هدية بعثها إليه مع الغلام ، وقال له : كن داخلاً في جملة الهدية ولولا الضرورة ما سمحت بك نفسي ، وكتب معه هذه الأبيات :

أمولاي هذا البدرُ سار لأفقيكم      وللأفق أولى بالبدورِ من الأرضِ  
أرضيكم بالنفس ، وهي نفيسة      ولم أرَ قبلي من بمهجته يُرضي

قال : فحسن ذلك عند الناصر . وأتحفه بمال جزيل ، وتمكّن عنده ، ثم بعد ذلك أهديت للوزير جاريةً من أجمل نساء الدنيا ، فخاف أن يُنهي ذلك إلى الناصر فيطلبها ، فتكون كقصة الغلام . فاحتفل في هدية أعظم من الأولى وأرسلها مع الجارية ، وكتب معها هذه الأبيات :

أمولاي هذي الشمسُ والبدرُ أولاً      تقدّم كيما يلتقي القمران  
قرانٌ لعمري بالسعادة ناطقٌ      فدُم معها في كوثر وجنان  
فألهما والله في الحسن ثالثٌ      وما لك في مُلك البرية ثانٍ

قال : فتضاعفت مكانته عنده . ثم وَشَى به بعضُ أعدائه عند الناصر أنْ عنده بقيةٌ من حبِّ الغلام ، وأنه لا يزال يلهجُ بذكره حين تُحرِّكه الشمول . فيقرعُ السِّبْءَ على تعذُّرِ الوصولِ إليه . فقال الناصر للواشي : لا تحرك به لسانك . وإلا طَارَ رأسُكَ . وكتب على لسان الغلام ورقةً فيها : يا مولاي تعلمُ أنك كنت لي على الانفراد ، ولم أزل معك في نعيم وأنا وإن كنتُ عند السلطان مشاركاً في منزله محاذراً ما يبدو من سطوة المَلِكِ . فَتَحِيلُ في استدعالي منه .

ثم بعثها مع غلام صغير وأوصاه أن يقول هي من عند فلان ، وإن الملك لم يكلمه قط ، فلما وقف عليها أبو عامر واستخبر الخادمَ أحسَّ بالمكيدة ، فكذب على ظهر الورقة يقول :

أمن بعد أحكام التجارب ينبغي	لدي سقوط العير في غابة الأسد
ولا أنا ممَّنْ يغلبُ الحبُّ عقله	ولا جاهلٌ ما يدَّعيه أولو الجسد
فإن كنتَ روحي قد وهبْتُك طائعاً	وكيف يرُدُّ الروح إن فارقَ الجسد

فلما وقف الناصر على الجواب تعجَّب من فطنته . ولم يعد إلى سماعِ واشٍ فيه بعد ذلك . ثم قال له : كيف خلصت من الشرك ؟ قال : لأن عقلي بالهوى غير مشترك .



## سبب قتل البرامكة وما وقع لهم مع الرشيد

والقصة في ذلك على ما رواه لإبراهيم بن إسحاق عن أبي ثور زاهر بن صقلاب قال : بلغني أنه كان هارون الرشيد مجلساً بالليل مع جعفر البرمكي . فقال له يوماً : لا يطيبُ لي ذلك إلا بحضور أختي ميمونة<sup>١</sup> . ولكن لا يجوز إلا إن كتبتُ لك عليها لإباحة النظر من غير أن تقرَّ بها .

فاتفقا على ذلك وعقد له عليها ثم أحضرها فكانت تحضر لذلك المجلس إلا أنه زادَ غرامُها وعشقُها فيه . وكان لجعفر البرمكي امرأة تزيّن له الجوّاري كلّ ليلة ، فجاءت ميمونة إليها ورشتها بماء فزّيتها له . وأدخلتها عليه . فظن أنها جارية فواقعها . فلما أصبحوا قالت له : أنا ميمونة ، وقد كنتُ أسألك أن تساعدني على مودّتك فتأبى . فلما أيست منك احتلت عليك بما رأيت في هذه الليلة . وإن لم تواظب لأكوننّ سبياً في سلب نعمتك . وهل أنت إلا زوجي ؟

فقال لها جعفر : ويحك أهلكني وأهلكت نفسك .

وكان كما قال . ولم يزرها حتى ظهر أمرها للرشيد . فهذا كان سبب قتل البرامكة وهذا ابتداء الحديث .

قال المبرّد : قال أبو عبد الله المارستاني عن يحيى بن أكثم القاضي .

---

١ قوله : ميمونة : هكذا في الأصل . وفي روايات أخرى أن اسمها العباس . وقد أورد ابن خلدون في مقدمته هذا الاسم حين يقده هذه القصة .

قال : سألت إسماعيل بن يحيى الهاشمي عن سبب زوال نعمة البرامكة .  
قال : نعم أعرف صحة الخبر وباطن القصة : كان سبب ذلك أنني كنت  
مع الرشيد يوماً من الأيام راكباً إلى الصيد . فبينما نحن نسير إذ نظر إلى  
موكب بالبعد اعترضنا ، فقال لي : يا إسماعيل لمن هذا ؟

قلت : هو لأخيك جعفر بن يحيى .

فالتفت يميناً وشمالاً إلى من معه في موكبهِ ، فإذا هو شرذمة يسيرة ،  
ثم نظر إلى الموكب الذي فيه جعفر فلم يره . فقال : يا إسماعيل ما فعل  
جعفر وموكبه ؟

قلت : يا سيدي قد مضى أخوك في طريق ولم يعلم بموضعك .

فقال : ما رأنا أهلاً أن يزيتنا بمركبه ويحملنا بحيشه .

قلت : العفو يا أمير المؤمنين ، لو علم بمكانك ما تعدّك وما سار إلّا  
بين يديك . واعتذرتُ بما حضر لي من الكلام .

ثم سرنا حتى انتهينا إلى ضيعة عامرة ومواشٍ كثيرة وعامرة حسنة ،  
وكان الطريق يدور عليها . فذرنا حتى وردنا باب القرية . فنظر الرشيدُ إلى  
البيدر وإلى كثرة الغلال فيه والمواشي ويسار أهلها ، فالتفت إليّ وقال : يا  
إسماعيل لمن هذه الضيعة ؟

قلت : لأخيك جعفر بن يحيى .

فسكت ثم تنفّس الصعداء ثم سرنا ولم يزل يمرُّ بكل ضيعة أعمار من  
الأخرى ، وكلما مرّ وسألني عن ضيعة قلتُ : لجعفر بن يحيى ، حتى سرنا  
ووصلنا إلى المدينة ، فلما أردتُ وداعه والانصرافَ إلى منزلي نظر إلى من  
كان حواليه نظرة ، فعلموا ما أراد ففرّقوا وبقيت أنا وهو ، فقال : يا  
إسماعيل .

قلت : لَيْلِكَ يا أمير المؤمنين .

فقال : انظر إلى البرامكة أغنيانهم وأفقرنا أولادنا وأغفلنا أمرهم .

فقلت في نفسي : بلبية والله ، ثم قلت : لماذا يا أمير المؤمنين ؟

قال : نظرتُ هؤلاء وغفلتُ عن هؤلاء لأنِّي لا أعرف لأحد من أولادي ضيعة من ضياع البرامكة على طريق واحد ، على قرب هذه المدينة ، فكيف بما هو لهم غير ذلك على غير هذا الطريق في سائر البلدان .  
فقلت : يا أمير المؤمنين إنما البرامكة عبيدك وخدمك ، والضيعات وأموالهم وكل ما يَمْلِكُون لك .

فنظر إليّ نظرة جَبَّار عنيد .

ثم قال : ما عدَّ البرامكةُ بني هاشم إلَّا عبيدَهم ، وأنهم هم الدولة وأن لا نعمة لبني العباس إلَّا والبرامكة أنعموا عليهم بها .  
فقلت : أمير المؤمنين أبصرُ من غيره بخدمة ومواليه .

فقال : والله يا إسماعيل ! إنك لتعلم أني قلت هذا وكأني أراك أن تُعَلِّمَهُم بكلامي فتتخذَ لك عندهم بدءاً ، وإني آمرك أن تكتُمَ هذا الأمر فإنه ما علم به أحدٌ غيرك ، ومتى بلغَهُم شيءٌ ممَّا جرى ؟ علمت أنه ما أفشاه إلَّا أنت .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، أعوذ بالله أن يكون مثلي يُفشي سرَّك .

قال : وكان هذا القول أولُ ما ظهر من أمر البرامكة ، ثم ودَّعته وانصرفت متفكراً في إيقاع الحيلة عليهم .

فلما كان من الغد بكرتُ إليه ، وجلست بين يديه وكان في محلٍّ يشرف على الدجلة من شرقي مدينة باب السلام ، وبإزائه منزل جعفر من الجانب الغربي ، وكانت المواكب من جميع الأصناف : من قائد وأمير

وعامل يردون في كل يوم إلى قصر جعفر ، فالتفت إليّ وقال : يا إسماعيل . هذا ما كنّا فيه بالأمس . انظر كم على باب جعفر من الجيوش والغلان والمواكب ، وأنا ما على باب دارى أحد؟

قلت : يا أمير المؤمنين ، ناشدك الله أن لا تعلق نفسك بشيء من هذا . وإن جعفرأ إنما هو عبدك وخادمك ووزيرك وصاحب جيوشك ، إذا لم يكن الجيش على بابه فعلى باب من يكون ؟ إنما بابه باب من أبوابك .

فقال : يا إسماعيل ، انظر إلى دوابهم ألسن ترى أعجازهم إلى قصري وتروث بلزائنا ، ونحن ننظر إليها . والله هذا هو الاستخفاف بعينه ، والله لا أصبر على ذلك .

ثم غضب غضباً شديداً وامتلاً غيظاً ، فأمسكت عن الكلام وقلت : والله هذا قضاء من الله سابقٌ وحكم لا محالة واقع ، ثم استأذنته في الانصراف ورجعت إلى منزلي ، فلقيني جعفر في الطريق يريد الرشيد ، فتواريت عنه حتى مضى . فدخل إليه وسلّم عليه فأجلسه عن يمينه وأكرمه غاية الإكرام وبشّر في وجهه وحادثه ساعة ووهب له خادماً من خاصة خدمه وأنبلهم وأوضحهم وجهاً وأكملهم ظرفاً ، كاتباً حاسباً ليبياً ، فسرّ جعفر سروراً كاملاً ، ووقع في قلبه أجلٌ موقع . وكان دسيساً عليه وبلية لديه يرفع أخباره إلى الرشيد ويُحصي عليه أنفاسه ساعة بساعة ووقتاً بوقت . فمناّه جعفر يومه ذلك وليته واحتجب من أجله عن الناس ، فلما كان بعد ثلاثة أيام سرت إلى جعفر فسلمت عليه ، فلما خلا مجلسه ولم يبقَ عنده غيري وذلك الخادم واقفٌ ، وعلمت أن الخادم يُحصي علينا أخبارنا قلت : أيها الوزير ، نصيحة أفتأذن لي في الكلام؟

قال : تكلم .

وكان الرشيد ولّاه كورة خراسان كلّها وما يضاف إليها وينسب لها قبل هذا الكلام بأيام . وخلع عليه وعقد له لواء وعسكرًا بالنهروان . وضرب الناس مضاربهم بها . وهم متأهبون للسفر . فقلت : يا سيدي ! أنت عازم على الخروج إلى بلدة كثيرة الخير واسعة الأقطار عظيمة المملكة . فلو صيرت بعض ضياعك لولد أمير المؤمنين لكان أحظى لمثلتلك عنده ؟

فلما قلت ذلك نظر إليّ مغضباً وقال : والله يا إسماعيل . ما أكل الخبر ابن عمك أو قال صاحبك إلّا بفضل . ولا قامت هذه الدولة إلّا بنا . أما كفى أني تركته لا يهتم بشيء من أمر نفسه وولده وحاشيته ورعيته . وقد ملأت بيوت أمواله أموالاً ، ولا زلت للأمور الجليلة أدبرها حتى يمدّ عينيه إلى ما أذخرته واختزنته لولدي وعقبى من بعدي ، وداخله حسد بني هاشم وبغيهم ودبّ فيه الطمع والله لئن سألتني شيئاً من ذلك ليكونَ وبالاً عليه سريعاً .

فقلت : والله يا سيدي ، ما كان ممّا ظننت شيء ولا تكلم أمير المؤمنين بحرف .

قال : فما هذا الفضول منك ، فقعدت بعدها هنيئاً ثم قت إلى منزلي ولم أركب إليه ولا إلى الرشيد لأنّي صرت بينهما في حال نعمة ، وقلت في نفسي : هذا الخليفة وهذا وزيره ، وأي شيء لي بالدخول بينهما ؟ ولا شك في زوال نعمة البرامكة ، وأن أمورهم قد انتظمت .

قال : وحدثني خادم أم جعفر : أن الخادم الذي وهبه الرشيد لجعفر كتب إلى الرشيد بما كان بيني وبينه ، وما تكلم به من الكلام الغليظ . قال : فلما قرأ الكتاب وفهم الخبر احتجب ثلاثة أيام متفكراً في إيقاع الحيلة على البرامكة فدخل في اليوم الرابع على زبيدة فخلا بها وشكا لها ما في قلبه ، وأطلعها على الكتاب الذي رفعه إليه الخادم ، وكان بين جعفر

وزبيدة شرٌ وعداوة قديمة فلما تملك الحجة عليه بالفت في المكر بهم واجتهدت في هلاكهم . وكان الرشيد يتبرك بمشورتها . فقال : أشيري عليّ برأيك الموافق الرشيد . فلني خائف أن يخرج الأمر من يدي إن تمكّنوا من خراسان وتغلبوا عليها ؟

فقلت : يا أمير المؤمنين ! مثلك مع البرامكة كمثّل رجل سكران غريق في بحر عميق . فإن كنت قد أفقت من سكرتك وتخلّصت من غرقك أخبرتك بما هو أصعبُ عليك وأعظمُ من هذا بكثير . وإن كنت على الحالة الأولى تركك .

فقال لها : قد كان ما كان ، فقولي أسمع منك .

فقلت : إن هذا الأمر أخفاه عنك وزيرك وهو أصعب مما أنت فيه وأقبح وأشنع .

فقال لها : ويحك ، وما هو ؟

فقلت : أنا أجلّ من أن أخطبك به ولكن تُحضّر أرجوان الخادم وتشدّد عليه وتؤهّنه ضرباً فإنه يعرفك الخبر .

وكان الرشيد قد أحلّ جعفرأ محلاً لم يحلّه أخوه ولا أبوه ، وأمره أن يدخل على الحرم في السفر والحضر وأبرز إليه جواربه وأخواته وبناته لأنه كان بينها رضاع سوى امرأته زبيدة ، فإنه لم يكن رآها ولا دخل عليها ولا قضى لها حاجة ، ولا هي أيضاً تستقصيه حاجة ، فلما فسد قلب الرشيد وعزم على هلاك البرامكة وجدت سبيلاً على البرامكة فحطّت على جعفر ، وكان جعفر يدخل على الحرم في غياب الرشيد ويقضي حوائجهم لأنهم لا يستترن منه ، وكان ذلك بأمر الرشيد ، ولم يعلم الرشيد ما حدث من جعفر .

قال : فخرج الرشيد واستدعى أرجوان الخادم وأحضر السيف

والتطع ، وقال : برئت من المنصور إن لم تُصدّقني في حديث جعفر لأقتلك .

فقال : الأمان يا أمير المؤمنين؟

قال : نعم لك الأمان .

فقال : اعلم أن جعفرأ قد خانك في أختك ميمونة ، وقد دخل بها منذ سبع سنين وولدت منه ثلاث بنين : أحدهم له ست سنين . والآخر له خمس سنين ، والثالث عاش ستين ومات قريباً ، والاثنان قد أنفذهما إلى مدينة الرسول ﷺ . وهي حامل بالربيع ، وأنت أذنت له بالدخول على أهل بيتك . وأمرتني أن لا أمنعه في أيّ وقت شاء ليلاً أو نهاراً .

قال : أمرتك أن لا تحجبه . فحين حَدَّثْتَ هذه الحادثة لِمَ لا أخبرتني أوّل مرّة؟ ثم أمر بضرب عنقه . وقام من وقته على الفور . ودخل على زبيدة . وقال لها : أرايت ما عاملني به جعفر وما ارتكب من هتك سري ونكس رأسي وفضحني بين العرب والعجم؟

فقالت : هذه شيرتك وإرادتك . عمدت إلى شاب جميل الوجه حسن الثياب طيّب الرائحة جبار في نفسه ، أدخلته على ابنة خليفة من خلفاء الله . وهي أحسن منه وجهاً . وأنظف منه ثوباً . وأطيب منه رائحة . لكنها لم تَرَ رجلاً قط غيره . فهذا جزاء من جمع بين النار والحطب .

فخرج من عندها مكروباً فدعا بخادمه مسروراً . وكان قاسي القلب فظاً غليظاً قد نزع الله الرحمة من قلبه . فقال : يا مسرور ، إذا كان الليلة بعد العتمة فأتني بعشرة من الفعلة أجلاًداً ومعهم خادمان .

قال : نعم .

فلما كان بعد العتمة جاء مسرور ومعه الفعلة والخادمان . فقام الرشيد

وهم بين يديه حتى أتى المقصورة التي فيها أخته فنظر إليها وهي حامل فلم يكلمها بشيء ولم يعانها على ما فعلت . وأمر الخادمين بإدخالها في صندوق كبير في مقصورتها بعد قتلها ووضعها بحليها وثيابها كما هي وأقفل عليها ، وقد علمت أنها بعد قتل أرجوان لاحقة به . فلما علم أنه استوثق بها دعا بالفعلة ومعهم المعاول والزنايل فحفروا وسط تلك المقصورة حتى بلغوا الماء وهو قاعد على كرسي ، ثم قال : حسبكم ! هاتوا الصندوق ، فدلوه في تلك الحفرة . ثم قال : ردّوا التراب عليه . ففعلوا وسوّوا الموضع كما كان ، ثم أخرجهم وأقفل الباب وأخذ المفتاح معه وجلس في موضعه والفعلة والخادمان بين يديه . ثم قال : يا مسرور ! خذ هؤلاء القوم وأعطهم أجرهم . فأخذهم مسرور وجملهم في جواليق وخيط عليهم بعد أن ثقلهم بالصخر والحصى ورامهم في وسط الدجلة ورجع من وقته فوقف بين يديه . فقال : يا مسرور ! فعلت ما أمرتك به ؟

قال : وقّيت القوم أجورهم .

فدفع إليه مفتاح البيت . وقال : احفظه حتى أسألك عنه . وامض الآن فانصب في وسط المحل القبة التركية .

ف فعل ذلك ووافاه قبل الصبح ولم يعلم أحد ما يريد . فلما جلس في مجلسه وكان يوم الخميس يوم موكب جعفر . قال : يا مسرور لا تتباعد عني .

ودخل الناس فسلموا عليه ووقفوا على مراتبهم ودخل جعفر بن يعقوب البرمكي فسلم عليه فردّ عليه السلام أحسن ردّ ورحّب به وضحك في وجهه ، فجلس في مرتبته . وكانت مرتبته أقرب المراتب إلى أمير المؤمنين ، ثم حدّثه ساعة وضاحكه . فأخرج جعفر الكتب الواردة عليه من النواحي ، فقرأها عليه . وأمر ، ونهى ، ومنع ، ونفّذ الأمور ، وقضى



حوائج الناس ، ثم استأذنه جعفر في الخروج إلى خراسان في يومه ذلك ،  
فدعا الرشيد بالمنجم ، وهو جالس بحضرته . فقال الرشيد : كم مضى من  
النهار .

قال : ثلاث ساعات ونصف .

وأخذ له الارتفاع وحسب له الرشيد بنفسه ونظر في نجمه . فقال :  
يا أخي . هذا يوم نحوسك ، وهذه ساعة نحس ، ولا أرى إلا أنه يحدث  
فيها حدث ، ولكن تصلي الجمعة وترحل في سعودك وتبيت في النهروان  
وتبكر يوم السبت وتستقبل الطريق بالنهار ، فإنه أصلح من اليوم .

فما رضي جعفر بما قاله الرشيد حتى أخذ الاصطلاب<sup>١</sup> من يد المنجم  
وقام وأخذ الطالع وحسب الطالع لنفسه ، وقال : والله صدقت يا أمير  
المؤمنين ، إن هذه الساعة ساعة نحس ، وما رأيت نجماً أشدّ احتراقاً ولا  
أضيقَ مجرى من البروج في مثل هذا اليوم .

ثم قام وانصرف إلى منزله ، والناس والقواد والخاص والعام من كل  
جانب يعظمونه ويبجلونه إلى أن وصل إلى قصره في جيش عظيم ، وأمر  
ونهى وانصرف الناس فلم يستقرّ به المجلس حتى بعث إليه الرشيد مسروراً ،  
وقال له : امض إلى جعفر وأتني به الساعة ، وقل له : وردت كتب من  
خراسان ، فإذا دخل الباب الأول أوقف الجند ، وإذا دخل الباب الثاني  
أوقف الغلمان ، وإذا دخل الباب الثالث فلا تدع أحداً يدخل معه من  
غلمان ، بل يدخله وحده ، فإذا دخل صحن الدار قل به إلى القبة التركية  
التي أمرتك بنصبها فاضرب عنقه ، واشتري برأسه ، ولا توقف أحداً من  
خلق الله على ما أمرتك به ، ولا تراجعني في أمره ، وإن لم تفعل أمرت

---

١ الاصطلاب . أو الاصطلاب : آلة بقيس بها الفلكيون ارتفاع الكواكب .

من يضرب عنقك ويأتينى برأسك ورأسه جملة . وفي هذا كفاية . وأنت أعلم . وتبادر قبل أن يبلغه الخبر من غيرك .

فضى مسرور واستأذن على جعفر فدخل عليه ، وقد نزع ثيابه وطرح نفسه ليسترح . فقال : سيدي ! أجب أمير المؤمنين .

قال : فانزعج وارتاع منه ، وقال : ويلك يا مسرور ! أنا في هذه الساعة خرجت من عنده ، فما الخبر ؟

قال : وردت كتب من خراسان يحتاج أن تقرأها .

فطابت نفسه ودعا بشابه فلبسها وتقلد سيفه وذهب معه . فلما دخل من الباب الأول أوقف الجند . وفي الثاني أوقف الغلمان ، فلما دخل من الباب الثالث التفت فلم يرَ أحداً من غلمانه ولا الخادم الفرد ، فندم على ركوبه تلك الساعة ولم يُمكنه الرجوع ، فلما صار بإزاء تلك القبة المضروبة في صحن الدار مال به إليها وأنزله عن دابته وأدخله القبة فلم ير فيها أحداً . وفي رواية : رأى فيها سيفاً ونطعاً فحسَّ بالبلاء ، وقال لمسرور : يا أخي ما الخبر ؟

فقال له مسرور : أنا الساعة أخوك ، وفي منزلك تقول لي : ويلك ! أنت تدري ما القضية ؟ وما كان الله ليُهْلِكَ ولا ليُغْفَلَكَ ، فقد أمرني أمير المؤمنين بضرب عنقك وحمل رأسه إليه الساعة .

فبكى جعفر وجعل يقبل يدي مسرور ورجليه . ويقول : يا أخي ! يا مسرور . قد علمت كرامتي لك دون جميع الغلمان والحاشية . وأن حوائجك عندي مقضية في سائر الأوقات ، وأنت تعرف موضعي ومحلي من أمير المؤمنين . وما يوحى إلي من الأسرار . ولعل أن يكونوا بلغوه عني باطلاً ، وهذه مائة ألف دينار أحضرها لك الساعة قبل أن أقوم من موضعي هذا . واخلني أهيم على وجهي .

فقال : لا سبيل إلى ذلك أبداً .

قال : فاحملني إليه وأوقني بين يديه ، فلعلّه إذا وقع نظره عليّ تدركه الرحمة فيصفر عني ؟

قال : ما لي سبيل إلى ذلك أبداً ، ولا يُمكنني مراجعته ، وقد علمت أنه لا سبيل إلى الحياة أبداً .

قال : فتوقّف عني ساعة وارجع إليه ، وقل له : قد فرغت مما أمرتني به ، واسمع ما يقول ، وعد فافعل ما تريد ، فإن فعلت ذلك وحصلت لي السلامة ، فلاني أشهد الله وملائكته أنني أشاطرك في نعمتي مما ملكته يدي وأجعلك أمير الجيش وأملكك أمر الدنيا .

ولم يزل به وهو يكي حتى طمع في الحياة . فقال له مسرور : ربما يكون ذلك .

وحلّ سيفه ومنطقته وأخذها ووكل به أربعين غلاماً من السودان يحفظونه ومضى مسرور ووقف بين يدي الرشيد وهو جالس يقطر غضباً ، وفي يده قضيب ينكت به الأرض . فلما رآه قال له : ثكلتك أمك ما فعلت في أمر جعفر ؟

فقال : يا أمير المؤمنين قد أنفذت أمرك فيه .

فقال : فأين رأسه ؟

فقال : في القبة .

قال : فأتي برأسه الساعة .

فرجع مسرور وجعفر يصلّي ، ولقد ركع ركعة فلم يُمهله أن يصلّي الثانية حتى سلّ سيفه الذي أخذه منه وضرب عنقه وأخذ رأسه بلحيته فطرحه بين يدي أمير المؤمنين . وهو يشخب دماً فتنفّس الصعداء وبكى

بكاء شديداً وجعل ينكت الأرض أثر كل كلمة ويقرع أسنانه بالقضب .  
ويخاطبه . ويقول : يا جعفر ألم أحلك محلّ نفسي ؟ يا جعفر ! ما كافأتي  
ولا عرفت حقّي ولا حفظت عهدي ولا ذكرت نعمتي ولا نظرت في  
عواقب الأمور . ولا تفكرت في صروف الدهر . ولا حسبت تقلّب الأيام  
واختلاف أحوالها ، يا جعفر ختني في أهلي وفضحتني بين العرب والعجم .  
يا جعفر ، أسأت إليّ وإلى نفسك ولا تفكرت في عاقبة أمرك .

قال مسرور : وأنا واقف بين يديه . وهو ينكت الأرض في كل  
كلمة ، ولم يزل كذلك إلى أن أذن للصلاة الظهر ، فدعا بماء فتوضأ  
للصلاة وخرج للجامع فصلّى بالناس جماعة ، ثم التفت بوجهه لقصور  
جعفر ودوره وقبض على أبيه وأخيه وجميع أولاد البرامكة ومواليهم  
وغلمانهم واستباح ما فيها ، ووجه مسروراً إلى العسكر فأخذوا جميع ما فيه  
من مضارب وخيام وسلاح وغير ذلك . فلما أصبح يوم السبت . فإذا هو  
قد قتل من البرامكة وحاشيتهم نحو ألف إنسان ، وترك من بقي منهم لا  
يرجع إلى وطنه وشئت شملهم في البلاد . ولم يقدر أحد منهم على كسرة  
خبز ، وحبس أباه بحبي وأخاه الفضل في مَظْمُورَة<sup>١</sup> ، وأمر بجثة جعفر  
فصُلِبَتْ على الجسر ببغداد . ثم بعث إلى خراسان أن يوطّن<sup>٢</sup> بلادها ، وأمر  
الناس فرتوا مضاربهم ودخل العسكر . واستقرت له الأمور وأحضر علي  
بن عيسى بن ماهان ، فولّاه خراسان . ثم وُحِّدَ إلى مدينة النبي ﷺ فأتى  
بالصبيين ولدي جعفر من أخته ميمونة فأدخلها عليه في بيته . فلما رأها  
أعجب بها وكانا في نهاية من الحسن والجمال ، فاستنطقها فوجد لغتها  
مدنية وفصاحتها هاشمية ، وفي ألفاظها عذوبة وبلاغة ، فقال لكثيرهما :

١ المظمورة : حفيرة في الأرض تحبباً فيها الحبوب ونحوها .

٢ وطن البلد : اتخذها وطناً له .

ما اسمك يا قرّة عيني؟

قال : الحسن .

وقال للصغير : ما اسمك يا حبيبي؟

قال : الحسين .

فنظر إليها وبكى بكاءً شديداً ، ثم قال : يعزّ عليّ حسنكما وجمالكما  
لا رحم الله من ظلمكما ولم يدري ما يراد بهما ، ثم قال : ما فعلت بالمفتاح  
الذي دلفته لك وأمرتك بحفظه؟

قال : هو حاضر يا أمير المؤمنين .

قال : فأتيني به .

ثم دعا بجماعة من الغلمان والخدم وأمرهم أن يحفروا في البيت حفرة  
عميقة ودعا مسروراً وأمره بقتلها ودفنها مع أمها في تلك الحفرة ،  
رحمهم الله تعالى جميعاً ، وهو مع ذلك يبكي بكاءً شديداً حتى ظننت أنه  
رحمها ، ثم مسح عينيه من الدموع وأمر أن لا تُذكر البرامكة في مجلس ،  
ولا يستعان بمن بقي منهم في المدينة أبداً . فخرجوا على وجوههم في البلاد  
شاردين متكرين وقطع الله دابرهم .

قال : فلما كان بعد مدّة من هلاك البرامكة وجد الرشيد رقعة تحت  
مصلّاه فيها خطاب وأبيات من الشعر فبحث عنها ، فقبل : إن صاحب  
السّر عملها ، فبعث إليه فسأله عنها ، فقال : يا أمير المؤمنين وجدتها في  
صحن الدار ، ولا أعلم من طرحها فأخذتها وطرحتها تحت مصلاك ،  
فقبل : إن ذلك من زبيدة تهلك من بقي من البرامكة فعملت الرقعة للرشيد  
وحركه وزادت في غيظه ، فاستدعى في الوقت بالفضل بن يحيى وضربه  
سياطاً حتى كاد يهلكه وزاد في حديده وأغلاله ، ثم استدعى يحيى وكان  
شيخاً كبيراً ، وزاد في حديده وأغلاله أيضاً ، وكان قد أنشأ في النعم .

فتذكر فقد جعفر وتشتت الأهل ، فكتب كتاباً إلى الرشيد يستعطفه ويسأله أن يخفف عنه من القيد والغلّ . وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى أمير المؤمنين ونسل المهديين وإمام المسلمين وخليفة رسول الله ربّ العالمين . من عبد أسلمته ذنوبه وأوثقته عيوبه وخذله شقيقه ورفضه صديقه وخانه الزمان وأناخ عليه الخذلان ونزل به الجذثان فصار إلى الضيق بعد السّعة ، وعالج الموت بعد الدّعة ، وشرب كأس الموت مترعة ، وافترش السُّخْط بعد الرضا ، واكتحل بالسهر بعد الكرى ، فناره فكرّ ونومه سهر ، وساعته شهرٌ وليله دهرٌ قد عاين الموت مراراً وشارف الهلاك جهاراً . يا أمير المؤمنين ، قد أصابني مصيبتان : الحال والمال ، أما المال ، فإن ذلك منك ولك ، وكان في يدي عارية منك ، ولا بأس برّد العواري إلى أهلها ، وأما المصيبة فيجفر فبجرمه وجراءته وعاقبته بما استخفّ من أمرك وكان جزاؤه فوق ما استحقّ ، وأما الفقير ، فاذكر يا أمير المؤمنين خدمتي وارحم ضعفي ووهن قوتي وهب لي رضاك فمن مثلي الزلل ومن مثلك الإقالة ، ولست أعتذر ولكن أقرّ وقد رجوت أن أفوز برضاك فتقبل عذري وصدق نبيّ وظاهر طاعتي وتلويح حجّتي ففي ذلك ما يكتفي به أمير المؤمنين ويرى الحقيقة فيه ويبلغ المراد منه . ثم أنشأ يقول :

قل للخليفة ذي الصنا	نع	والعطايا	الفاشية
وابن الخلائف من قريب	ش	والمملوك	العالية
رأس الأمور وخير من	ساس	الأموّر	الماضية
إنّ البرامكة الذّيب	نَ	رُمُوا	لَدَيْكَ
عَمَّهِمْ لك سَخَطَةٌ	لم	ثَبَقِ	مَنْهُمْ
فكَاتَهُمْ ممّا بهم	أعجازُ	نَحْلُ	خاويه
صَفَرٌ الوجه عليه	خِلَعُ	المذلّة	بأذيه

مستضعفون ومُطردو      ن بكل أرضٍ قاصيه  
 بعد الإمارة والوزا      رة والأمور الساميه  
 ومنازلٍ كانوا بها      فوقَ المنازلِ عاليه  
 أضحوأ ، وجلُّ مُنا هو      منك الرضا والعافيه  
 يا مَنْ يُريد لي الردى      يكفيك . وحك ، ما بيه  
 يكفيك أني مستبا      حُ عِترتي ونسائيه  
 يكفيك ما أبصرته      ذلّي وذلّ مكانيه  
 فلقد رأيتُ الموت من      قبل المَماتِ علانيه  
 وبكاءِ فاطمةَ الكبيه      رة والدموعَ الجاريه  
 ومقالها بتفجع :      يا سوائِي وشقائيه  
 من لي ، وقد غلب الزما      نُ على جميع رجاليه  
 يا لهفَ نفسي ، لهفأ      ما للزمانِ وما ليه  
 أوما سمعتَ مقالتي      يا ذا الفروع الزاكيه  
 يا عطفةَ الملك الرضا      عودي علينا ثانيه

فلما وقف الرشيد على الرقعة . كتب على ظهرها هذه الأبيات :

يا آلَ برمك ! إنكم      كنتم ملوكاً عاتيه  
 فمصيئتمو وطغيئتمو      وكفرئتمو نَعائيه  
 هذي عقوبة من عصى      مَنْ فوقه وعصانيه  
 أجري القضاء عليكمو      ما ختموه علانيه  
 من تركِ نُصحِ إمامكم      عند الأمور الباديه

ثم أردفه بقوله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم وضربَ الله مثلاً ، قريةً كانت آمنةً مطمئنةً

يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباسَ الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .

فلما قرأها يحیی ، وهو بالسجن . أخذته الحمى لوقته وساعته ، وكان ينام على التراب وأيس من الحياة ، وعلم أنه ليس له مخلصٌ مما هو فيه من السجن ، انتهى .

### أحسن ما رأى جعفر

وقيل ليحيى بن خالد برمك : أيها الوزير ، أخبرنا بأحسن ما رأيتَ في أيام سعادتك ؟

قال : ركبْتُ يوماً في بعض الأيام في سفينة أريدُ التترُّه ، فلما خرجتُ برجلي لأصعد ، فالتكأت على لوح من ألواحها وكان بأصبعي خاتمَ فطار فَصُّهُ من يدي ، وكان ياقوتاً أحمرَ قيمته ألفُ مثقال من الذهب ، فتطيرت من ذلك . ثم عدت إلى منزلي ، وإذا بالطباخ قد أتى بذلك الفصَّ بعينه ، وقال : أيها الوزير لقيت هذا الفصَّ في بطن حوت ، وذلك لأني اشتريت حينئذٍ للمطبخ ، فشقت بطنها فرأيت هذا الفصَّ ، فقلت : لا يصلح هذا إلا للوزير أعزّه الله تعالى . فقلت الحمد لله هذا بلوغ الغاية .

### أعظم ما مرَّ به

وقيل له : أخبرنا ببعض ما لقيت من المحن ؟

قال : اشتيت لحمًا في قدر طباخ ، وأنا في السجن فغرمت ألف دينار في شهوتي حتى أتيت بقديرٍ ولحمٍ مقطّعٍ في قصبة فارسية ، والخلُّ وسائر حوائجها في قصبة أخرى وتركوا عندي ما أحتاج إليه ، وأتيت بنار



فأوقدت تحت القدر ونفخت ، ولحيتي في الأرض حتى كادت روحي تخرج . فلما أنضجت تركتها تفور وتغلي وفتت الحيز وعمدت لأنزلها فانفلتت وانكسرت القدر على الأرض ، فبقيت ألتقط اللحم وأمسح منه التراب وآكله . وذهب المرق الذي كنت أشتهي . وهذا أعظم ما مرّ بي ، انتهى .

### موت يحيى البرمكي

ثم إن الرشيد نذر الحج . فخرج وخرج معه العسكر وكان خروجه في رمضان ، فكانت تُضرب له السُراقاتُ المكلّلة بالديباج مفروشةً بالحرير . يخرج من سُرادق إلى سُرادق . والناس مُحدقون به . حتى وصل إلى الحرم وحجّ . فاتفق أن الوفاة دنت من يحيى . وهو في السجن . فكتب رقعة وأوصى ولده الفضل أن يُوصلها إلى الرشيد وكتب فيها هذه الأبيات :

ستعلم في الحساب إذا التقينا	غداً . يوم القيامة . من الظلوم
وينقطع التلذُّدُ عن أناس	من الدنيا . وتنقطع الهوم
تنام ولم تتم عنك المنايا	تنبّه للمنيّة يا نؤوم
تروم الخلد في دار المنايا	وكم قد رام غيرك ما تروم
إلى ديان يوم الدين نمضي	وعند الله تجتمعُ الخصوم

قال : فلما قدم الرشيد أنفذها إليه الفضل . فلما قرأها علم بموته فقال : مات والله يحيى . ومات الجود والكرم والسخاء ، والله لو كان حيّاً لفرّجت عنه . ثم أمر بإطلاق الفضل ابنه واستوزره مكان أخيه جعفر ، رحمة الله عليهم أجمعين .

## مدح البرامكة

قال بعضهم في البرامكة :

إن البرامكة الكرامَ تعلّموا	فعلَ الكرامَ فعلّموه الناسا
كانوا إذا غرسوا سقوا ، وإذا بنوا	لم يهدموا مما بنوه أساسا
وإذا هم صنعوا الصنائع في الورى	جعلوا لها طولَ البقاء لباسا
فعلامَ تُقصيني ، وأنت سقيتي	من مرّ هجرك ، من جنبك كاسا
آنستني متفضلاً . أفلا ترى	أن انقطاعك يُوحش الينا سا

## رأي الموصلي بالبرامكة

وسئل إسحاق الموصلي عن سخاء أولاد يحيى بن خالد ، فقال : أما الفضل فعلة يُرضيك . وأما جعفر فقوله يرضيك ، وأما محمد فيفعل ما يجد ، وفي يحيى يقول القائل :

سألت الندى : هل أنت حرٌّ ، فقال : لا	ولكنني عبد ليحيى بن خالدٍ
فقلت : شراء مال : لا بل وراثه	توارثني من والد بعد والدٍ

وفي الفضل يقول القائل :

إذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة	رأيت بها عشب السباحة ينبتُ
فليس بسعالٍ إذا سيل حاجة	ولا بمكبٍ في ترى الأرض ينكتُ

وفي محمد يقول القائل :

سألت الندى والجود : مالي أراكما      تبدلتما عراً بذلاً مؤبداً ؟  
وما بال رُكن المجد أمسى مهتماً ؟      فقالا : أصبنا في ابن يحيى محمد  
فقلت : فهلاً منما بعد موته      وقد كنتما عبديه في كل مشهد ؟  
فقالا : أفنا كي نُعزي بفقدته      مسافة يومٍ ثم نتلوه في غدٍ

### مُنْتَهَى الْكِرَمِ لِلْبَرَامِكَةِ

وذكر الحافظ السيوطي : نفعا الله به في رسالته : « مشتهر العقول في منتهى النقول » ، أن منتهى الكرم للوزراء البرامكة ، كاد أن لا يوجد أحد من العلماء والحكماء والعظماء والندماء إلا وللبرامكة عليه كرم نما كماء السماء ، وتكرم جعفر بخمسين ألف دينار من الذهب وتكرر منه كثيراً في ولايته كلها من غير من ولا أذى ولا لغرض ولا لمرض ، حتى صار يُضرب بهم المثل الأكبر بقولهم : تيرمك فلان .

ومن كرم جعفر أنه تكرم في يوم على ألف شاعر ، أعطى كل شاعر ألف درهم ، والدرهم ثلاثة أصناف فضة . ومن كرمه أنه تكرم على من هجاه بخمسة آلاف دينار وعفا عن تأديبه وتعذيبه .

### فقر البرامكة وذلهم

ولما أوقع بهم من الأمر ما أوقع الرشيد ، صار أمرهم إلى ما سيوصف من الفقر والذل والإهانة ؛ فمن ذلك ما قاله محمد بن غسان صاحب ولاية الكوفة وقاضيا . قال : دخلت على أمي في يوم عيد أضحي فرأيت عندها

عجوزاً في أطار رثّة ، وإذا لها بيانٌ ولسانٌ ، فقلت لأمي : من هذه ؟  
قالت : هذه خالّتك عتّابةُ أم جعفر البرمكي بن يحيى .

فسلّمت عليها ، وقلتُ لها : أصار بك الدهر إلى ما أرى ؟

قالت : نعم يا بنيّ ، إن الذي كنّا فيه كان عارية ارتجّعها الدهرُ منّا .

قال : فقلت حدّثيني ببعض شأنك ؟

قالت : خذه جملة ! لقد مضى عليّ عبدٌ أضحي مثل هذا منذ  
ثلاث سنين ، وعلى رأسي أربعائة وصيفة ، وأنا أزعم أن ابني عاقٌ لي ،  
وقد جشّكم اليوم أطلب جِلْدِي شاة أجعل أحدهما شعاراً والآخر دثاراً .

قال : فغمّني ذلك وأبكاني ، فوهبت لها بعض دنائير كانت عندي  
والله أعلم .

### من أقوال البرامكة

من قول يحيى بن خالد لابنه جعفر : يا بني ، ما دام قلمك يرعفُ  
فامطره معروفاً .

ومن كلام جعفر : إذا أحببتَ إنساناً من غير سبب فارج خيره ،  
وإذا أبغضتَ إنساناً من غير سبب فتوقّ شرّه .

### الرشيد يبيكي على البرامكة

قال يحيى بن سلام الأبرش ، قال : حدّثني أبي قال : خرج الرشيد  
للصيد يوماً بعدما أباد البرامكة فاجتاز بجدار خراب من جدران بني برمك  
فرأى لوحاً مكتوباً عليه هذه الأبيات :

يا منزلاً لعب الزمان بأهله      فأبادهم بفرق لا يُجمع  
إن الذين عهدتهم فيما مضى      كان الزمان بهم يضر ويضع  
أصبحت تُفرغ من رآك . وطالما      كنا إليك من الخواف نضر  
ذهب الذين يُعاش في أكناهم      وبني الذين حياتهم لا تنفع

قال : فبكى الرشيد . وأقبل على الأصمعي وقال : أتعرف شيئاً من أخبار البرامكة تحدثني به ؟

فقال الأصمعي : ولي الأمان .

قال : ولك الأمان .

فقال : أحدثك بشيء شاهدته بعيني من الفضل بن يحيى . وذلك أنه خرج يوماً للصيد والقنص . وهو في موكبه . إذ رأى أعرابياً على ناقة قد أقبل من صدر البرية يركض في سيرة . قال : هذا يقصدني .

فقلت : ومن أعلمك ؟

قال : لا يكلمه أحدٌ غيري .

فلما دنا الأعرابي ورأى المضارب تُضربُ والحياض تُنصبُ والعسكر الكثير . والجُمُ الغفير . وسمع الغوغاء والضجة . ظنَّ أنه أمير المؤمنين ، فنزل وعقل راحلته وتقدم وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

قال : الآن قاربت ، اجلس .

فجلس الأعرابي فقال له الفضل : من أين أقبلتَ يا أخا العرب ؟

قال : من قضاة .

قال : من أدناها أم من أقصاها ؟

قال : من أقصاها .

قال الأصمعي : فالتفت إليّ الفضل وقال : كم من العراق إلى أرض  
قضاة ؟

قلت : ثمانمائة فرسخ .

فقال : يا أبا العرب . مثلك لم يقصد من ثمانمائة فرسخ إلى العراق  
إلا لشيء .

قال : قصدت هؤلاء الأماجد الأنجاد الذين قد اشتهر معروفهم في  
البلاد .

قال : من هم ؟

قال : البرامكة .

قال الفضل : يا أبا العرب البرامكة خلق كثير ، وفيهم جليل  
وخطير ، ولكل منهم خاصة وعامة ، فهلاً أفردت لنفسك منهم من اخترت  
لنفسك وأتيته لحاجتك ؟

قال : أجل ! أطولهم باعاً وأسمحهم كفاً .

قال : من هو ؟

قال : الفضل بن يحيى بن خالد .

فقال له الفضل : يا أبا العرب ، إن الفضل جليل القدر عظيم  
الخطر ، إذا جلس للناس مجلساً عاماً لم يحضر مجلسه إلا العلماء والفقهاء  
والأدباء والشعراء والكتاب والمناظرون للعلم ، أعالم أنت ؟

قال : لا .

قال : أفأديب أنت ؟

قال : لا .

قال : أفعارفُ أنتُ بأيامِ العربِ وأشعارها ؟

قال : لا .

قال : هل وردت على الفضل بكتاب وسيلة ؟

قال : لا .

فقال : يا أبا العربِ غرَّتكَ نفسُكَ . مثلكَ يقصدُ الفضلُ بنَ يحيى ، وهو كما عرَّفَكَ عنه من الجلالة ، بأيِّ ذريعةٍ أو وسيلةٍ تقدم عليه ؟

قال : والله يا أمير المؤمنين ما قصدته إلا لإحسانه المعروف وإكْرَمِهِ الموصوف وببيتين من الشعر قلَّتهما فيه .

فقال الفضل : يا أبا العربِ أنشدني البيتين فإن كانا يصلحان أن تلقاه بهما أشرتُ عليك ببقائه ، وإن كانا لا يصلحان أن تلقاه بهما بررتك بشيء من مالي ورجعتُ إلى باديتك ، وإن كنت لم تستحق بشعرك شيئاً .

قال : أفتفعلُ أيها الأمير ؟

قال : نعم .

قال : فإني أقول :

ألم ترَ أن الجودَ من عهدِ آدم

تحدَّر حتى صار يملكه الفضلُ

ولو أنَّ أمًّا قصَّها جوعُ طفلها

ونادتْ على الفضلِ بنِ يحيى أغتذى الطفلُ

قال : أحسنت يا أبا العرب . فإن قال لك هذان البيتان قد مُدِحنا

بها شاعر . وأخذ الجائزة عليها . فأنشدني غيرها فما تقول ؟

قال : أقول :

قد كان آدم حين حان وفاته أوصاك ، وهو يجود بالحواء  
بنيه أن ترعاهم . فرعيتهم وكفيت آدم عيلة الأبناء

قال : أحسنت يا أخا العرب ، فإن قال لك الفضل ممحناً : هذان  
البيتان أخذتهما من أفواه الناس ، فأنشدني غيرها ما تقول ، وقد رمقتك  
الأدباء بالأبصار . وامتدت الأعناق إليك ، وتحتاج أن تناضل عن  
نفسك ؟

قال : إذن أقول :

ملت جهابذة فضل وزن نائله وملّ كاتبه إحصاء ما يهب  
والله لولاك لم يُمدح بمكرمة خلق ، ولم يرتفع مجد ولا حسب

قال : أحسنت يا أخا العرب ، فإن قال لك هذان البيتان أيضاً  
أخذتهما من أفواه الناس ما كنت قائلًا ؟

قال : أقول :

وللفضل صولات على مال نفسه يرى المال منه بالمدّة والعنا  
ولو أن ربّ المال أبصر ماله لصلى على مال الأمير وأدنا

قال : أحسنت يا أخا العرب ، فإن قال لك الفضل : هذان البيتان  
مسروقان ، أنشدني غيرها ما تقول ؟



قال : إذن أقول :

ولو قيلَ للمعروف نادِ أخا العلا      لنادى بأعلى الصوت يا فضلُ يا فضلُ  
ولو أنفقتَ جدواك من رملٍ عالَجٍ      لأصيحَ من جدواك قد نغد الرملُ<sup>١</sup>

قال : أحسنت يا أخا العرب . فإن قال لك الفضل : هذان البيتان مسروقان أيضاً أنشدني غيرهما ما تقول ؟

قال : أقول :

وما الناسُ إلا اثنان : صبٌّ وباذلٌ      وإني لذلَّك الصبُّ والباذلُ الفضلُ  
على أن لي مثلاً كما ذكر الورى      وليس لفضلٍ في سماحتِه مثلُ

قال : أحسنت يا أخا العرب . فإن قال لك الفضل : أنشدني غيرهما ما تقول ؟

قال : أقول أيها الأمير :

حكى الفضلُ عن يحيى سماحةَ خالدٍ      فقامت به التقوى وقام به العدلُ  
وقام به المعروفُ شرقاً ومغرباً      ولم يك للمعروفِ بعدٌ ولا قبلُ

قال : أحسنت يا أخا العرب . فإن قال لك : قد ضجرنا من الفاضل والمفضول أنشدني بيتين على الكنية لا على الاسم ما تقول ؟

قال : إذن أقول :

ألا يا أبا العباس يا واحدَ الورى      ويا ملكاً خدَّ الملوك له نَعْلُ  
إليك تسير الناسُ شرقاً ومغرباً      فرادى وأزواجاً كأنهم نَحْلُ

---

١ عالَج : موضع في البادية بها رمل (اللسان) .

قال : أحسنت يا أخا العرب . فإن قال لك الفضل : أنشدنا غير الاسم والكُنية والقافية .

قال : والله لئن زادني الفضل وامتحتني بعد هذا لأقولن أربعة أبيات ما سبقني إليها عربي ولا أعجمي . ولئن زادني بعدها لأجمعن قوائم ناقتي هذه وأجعلها في حر أم الفضل وأرجعن إلى قُصاعة خاسراً . ولا أبالي . فنكس الفضل رأسه . وقال للأعرابي : يا أخا العرب اسمعني الأبيات الأربعة :

قال : أقول :

ولائمةٍ لامتك . يا فضل . في الندى	فقلت لها : هل يقدح اللوم في البحر
أنتهين فضلاً عن عطاياه للغنى	فمن ذا الذي ينهى السحاب عن القطر
كأن نوال الفضل في كل بلدة	تحدّر هذا المزق في مهمهم قفر
كأن وفود الناس في كل جهة	إلى الفضل لأقوا عنده ليلة القدر

قال : فأمسك الفضل عن فيه . وسقط على وجهه ضاحكاً . ثم رفع رأسه وقال : يا أخا العرب . أنا والله الفضل بن يحيى . سل ما شئت .

فقال : سألتك بالله أيها الأمير إنك خير ؟

قال : نعم .

قال له : فأقلني .

قال : أقالك الله . اذكر حاجتك .

قال : عشرة آلاف درهم .

قال الفضل : ازدريت بنا وبفسك . يا أخا العرب . تُعطي عشرة

آلاف درهم في عشرة آلاف .

وأمر بدفع المال ، فلما صار المال إليه حسده وزيرُ الفضل ، وقال : يا مولاي هذا إسراف يأتيك جلفٌ من أجلاف العرب بأبيات استرقها من أشعار العرب فتجزيه بهذا المال ؟

فقال : استحقّه بحضوره إلينا من أرض قُضاة .

قال الوزير : أقسمتُ عليك يا مولاي إلّا أخذتَ سهماً من كِنانتك وركبته في كبدِ قوسك وأومات به إلى الأعراي فإن ردّ عن نفسه بيت من الشعر ، وإلّا استعدت مالك ، ويكون له في بعضه كفاية .

فأخذ الفضل سهماً وركبه في كبد قوسه وأوماً به إلى الأعراي وقال له : ردّ سهمي بيت من الشعر ؟

فأنشأ يقول :

لِقَوْسِكَ قَوْسُ الْجُودِ وَالْوَتْرِ وَالنَّدَى      وَسَهْمُكَ سَهْمُ الْعَزِّ فَارِمٍ بِهِ فَقَرِي

قال : فضحك الفضل وأنشأ يقول :

إِذَا مَلَكَتْ كَفِّيْ مَنَالاً وَلَمْ أَنْلِ      فَلَا انْبَسَطْتَ كَفِّيْ وَلَا نَهَضْتَ رَجْلِيْ  
عَلَى اللَّهِ إِخْلَافُ الَّذِي قَدْ بَدَلْتَهُ      فَلَا مُسْعِدِيْ بِحُلِّيْ وَلَا مُتْلِيْ بِذَلِيْ  
أُرُونِيْ بِخَيْلٍ نَالَ مَجْداً يُبْخِلُهُ      وَهَاتُوا كَرِيماً مَاتَ مِنْ كَثْرَةِ الْبَدَلِ

ثم قال الفضل لوزيره : أعط الأعرابي مائة ألف درهم لقصده وشعره ، ومائة ألف درهم ليكفيها شرّ قوائم ناقة .

فأخذ الأعرابي المال وانصرف ، وهو يبكي فقال له الفضل : ممّ بكائك يا أعرابي استقلالاً بالمال الذي أعطيناك ؟

قال : لا . ولكنني أبكي على مثلك يأكله الثراب وتواريه الأرض ،

وتذكرت قول الشاعر :

لعمرك ما الرزيةُ فقدُ مالٍ ولا فرسٌ يموتُ ولا بعيرُ  
ولكن الرزيةُ فقدُ حرٌّ يموتُ لموته خلقٌ كثيرُ

وتوجه الأعرابي بالمال مسروراً رحمة الله عليهم أجمعين .

### الرشيد وذقن أبي نواس

ويحكى أن الرشيد قال لأبي نواس : يعني ذقنك ؟

قال : بكم ؟

قال : بألف دينار .

قال : بعثك .

فقال الرشيد لحازن داره : ادفع له ألف دينار . فدفعها له فأخذها وربطها وقال : يا أمير المؤمنين خذ ما اشتريت .

قال : لا . ولكن جعلتها ودعةً عندك .

قال : فضى أبو نواس واشتغل بأمره ونهوه ، وهو خائف على ذقنه من أمير المؤمنين . قال : فبينما هو متفكرٌ في شيء يفعلُه إذ جاء قاصدُ أمير المؤمنين ، فلم يقدر أن يتكلم دون أن قام معه ودخل إلى دار الخلافة . فوجده في جمع كثير من خواص المملكة وأعوان الدولة . وكان من شأنه أن يجلس بالقرب من أمير المؤمنين ، فتحدثوا وتماجنوا فصرط أبو نواس صرطة مزعجة أزعجت الحاضرين . فضحكوا جميعاً . وضحك أمير المؤمنين وقال له : في ذقنك يا معرّص .

فقال له في الحال : الله أعلم هي ذقن من ؟

فقال أمير المؤمنين : قد وهبُها لك يا ملعون .  
فأخذها وانصرف وكسب الألف دينار بهذه الحيلة والله أعلم . انتهى .

### يضرب الشاة الحدَّ

وكان نصر بن مقبل عاملاً على الرقة . فأُتي برجل من الظرفاء وجده  
ينكح شاةً فقال : ما حملك على هذا ؟

فقال : أيها الأمير . إنها والله ملك يميني . وقد قال الله تعالى :  
﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾<sup>١</sup> .

فأطلقه وأمر بضرب الشاة الحدَّ . فإن ماتت تُصلب .

قالوا : أيها الأمير إنها بهيمة .

قال : وإن كانت بهيمة فإن الحدود لا تعطل وإن عطَّتها فبئس الوالي  
أنا .

فانتهى إلى الرشيد خبرها ولم يكن رآه قبل فدعا به فلما حضر بين  
يديه . قال : من أنت ؟

قال : مولى لكلب .

فضحك منه ثم قال : كيف بصرك بالحكم ؟

فقال : يا أمير المؤمنين . البهايم عندي والناس سواء . ولو وجب حدُّ  
على بهيمة . وكانت أُمِّي أو أُختي لحدَّيتها ولم تأخذني في الله لومة لائم .

١ سورة النساء ٣ .

٢ الحدَّ : عقوبة جعلت لمن ركب ما نهى عنه .

فأمر الرشيد أن لا يستعان به على عمل فلم يزل معطلاً إلى أن مات ،  
والله أعلم .

### الرشيد يأمر بقتل أبي نواس

ويحكى أن هارون الرشيد أمر بقتل أبي نواس فقال : أنقتلني شهوةً  
لقتلي ؟

فقال : لا ، بل أنت مستحق للقتل .

قال : فيمَ استحققتَ القتل ؟

قال : بقولك :

ألا فاسقني خمرأً وقل لي هي الخمرُ ولا تُسقني سرًّا إذا أمكنَ الجهرُ

فقال : يا أمير المؤمنين ، أفتعلم أنه سقاني وشربت ؟

فقال له أمير المؤمنين : أظن ذلك .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أفتقتلني على الظن ، وقد قال الله تعالى :  
﴿ إِنَّا بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾<sup>١</sup> .

فقال له الرشيد : قد قلتَ ما تستحقُّ به القتل .

فقال : ما هو ؟

فقال له : قولك :

ما جاءنا أحدٌ يحبرُ أنه في جنةٍ من ماتَ أو في نارِ

---

١ سورة الحجر : ١٢ .

فقال له : يا أمير المؤمنين ! هل جاءنا أحد ؟

قال : لا .

قال : أتقتلني على الصدق ؟

فقال له الرشيد : أولست القائل :

يا أحمدُ المرُجى في كلِّ نائبة قُم سيدي نعص جبار السموات

فقال له : يا أمير المؤمنين ! أوصار القولُ فعلاً ؟

قال : لا أعلم .

قال : أتقتلني على ما لم تعلم .

فقال له أمير المؤمنين : دع هذا كله ، فقد اعترفت في مواضع كثيرة من شعرك بالزنا .

قال أبو نواس : قد علم الله هذا قبلَ عِلْمِ أمير المؤمنين بقوله تعالى :

﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾<sup>١</sup> .

فقال الرشيد : خلّوا عنه .

ومن هذا أخذ الصني الحلبي فقال :

نحن الألى جاء الكتاب مخبراً بعفافِ أنفسينا وفُسقِ الألسُنِ

---

١ سورة الشعراء ٢٢٤ / ٢٢٥ / ٢٢٦ .

## تُظهر ذنوبه بأبياتٍ

وعن محمد بن نافع ، قال : رأيت أبا نواس في النوم بعد موته .  
فقلت : يا أبا نواس !

فقال : لا حينَ كُنيت .

قلت : الحسنُ بن هانيء .

قال : نعم .

قلت : ما فعل الله بك ؟

قال : غفر لي بأبياتٍ قلْتُها في علَّتي قبل موتِي هي تحت الوسادة .  
فسألت أهله قلت : هل قال أخي شعراً ؟

قالوا : لا نعلم ! إلا أنه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيئاً لا ندرِي ما هو .

فدخلت ورفعت وسادته وإذا أنا برقعةٍ مكتوب فيها :

يا ربَّ ! إن عظمت ذنوبي كثرةً      فلقد علمتُ بأنَّ عفوك أعظمُ  
إن كان لا يرجوك إلا مُحسِنٌ      فَمَنْ الذي يدعو ويرجو المُجرِمُ  
ما لي إليك وسيلةٌ إلا الرجا      وجميلُ عفوك ثمَّ إني مُسْلِمُ



## هذه حكاية العجمي والكردي وما جرى بينهما على يد القاضي بسبب الجراب

قيل إن الخليفة هارون الرشيد قلق ليلة ، فاستدعى بوزيره جعفر البرمكي ، فلما حضر عنده قال له : يا جعفر ، إني قلق وضايق صدري وأريدُ منك شيئاً يشرحُ خاطري .

فقال له جعفر : يا أمير المؤمنين ، إن لي صديقاً اسمه علي العجمي ، وعنده من جميع الحكايات والأخبار .

فقال : عليّ به .

فقال : سمعاً وطاعةً .

ثم إن جعفرأخرج من عند الخليفة في طلب علي العجمي . فأرسل خلفه فلما حضر قال : أجب أمير المؤمنين .

قال : سمعاً وطاعةً .

فأتى الخليفة فسلم وترحم ، فقال له : اجلس فجلس ، فقال له الخليفة : اسمع يا عليّ ، إنني الليلة ضيقُ الصدر ، وسمعتُ عنك أن في ذهنك حكايات وأخباراً وأريدُ منك أن تُسمعنني ما يزيلُ همّي وفكري .

فقال : يا أمير المؤمنين ، تريد أن أحكي لك شيئاً سمعته أو رأيته ؟

فقال : إن كنت رأيت شيئاً فاحكه .

فقال : سمعاً وطاعةً ! اعلم يا أمير المؤمنين أنني سافرت في بعض

السنين من بلدي إلى هذه المدينة ، وهي بغداد . وصحبتني غلامٌ ظريف  
ومعه جرابٌ نظيف . فأودعني إياه . فبينا أنا أبيع وأشتري . وإذا أنا برجل  
كردي ظالم معتدٍ هجم عليّ وأخذ الجراب منّي وقال : هذا الجراب  
جراي . وكلُّ ما فيه قاشي وثيابي .

قلت : يا معشرَ الناس قد اعتراني الوسواس .

فقال الناس جميعاً : امضوا إلى القاضي . وكلُّ بحكمه راضي .  
فدخلنا عليه . وتمكّنا بين يديه ، فقال القاضي : في أي شيء  
جئتما ؟

فقال الكردي : نحن خصمان .

قال : أيكما المدّعي ؟

فتقدّم الكردي . وقال : أيد الله مولانا القاضي ! هذا الجراب  
جراي . وكل ما فيه قاشي وثيابي ، وقد ضاعَ ووجدته مع هذا الرجل .  
فقال القاضي : ومتى ضاع منك ؟

فقال الكردي : ضاع منّي بالأمس .

فقال القاضي : إن كنتَ عرقته فصيف لي ما فيه .

فقال الكردي : إن في جراي هذا مِرودَين من لُجَين<sup>١</sup> ، وأكحالاً  
للعيّين ، ومنديلاً للبدّين ، ومِشرَبَتَين مُذهبتَين<sup>٢</sup> ، وشمعدانَين ومكبَّتَين<sup>٣</sup>  
وطبقَين ، وإيريقَين ، وصينيّة وطشتَين ، وقِدْرٌ ودِسْتَين ، ومِرْقَة

---

١ المِرود : المبلّ يكتحل به . اللجين : الفضة .

٢ المِشرَبَة : إناء يُشرب به .

٣ المكبّة : ما يُلفّ عليها الغزل .

وَمَلْعَتَيْنِ ، وَمِسْلَةً وَمِقْلَمَةً وَمِلْبَتَيْنِ<sup>١</sup> ، وَقَعْبًا<sup>٢</sup> وَقَصْعَتَيْنِ ، وَمَخْذَةً وَنَظْعَيْنِ ،  
وَجَبَّةً وَفَرَوَتَيْنِ ، وَبَقْرَةً وَعِجْلَتَيْنِ ، وَعُتْرًا وَشَاتَيْنِ ، وَنَعْجَةً وَخَرُوفَيْنِ ،  
وَقُطْلَيْنِ أَثْلَقَيْنِ ، وَجَمَلًا وَنَاقَتَيْنِ ، وَبَقْرَةً وَثَوْرَيْنِ ، وَلَبُوءَ وَسَبْعَيْنِ ، وَدِيَّةً  
وَتَلْعَلَيْنِ ، وَمَرْتَبَةً وَسَرِيرَيْنِ ، وَطَبَقَةً وَقَاعَتَيْنِ ، وَرَوَاقًا وَمَقْعَدَيْنِ ، وَمُطْبَخًا  
بَيَّابِينَ ، وَجَاعَةً أَكْرَادٍ يَشْهَدُونَ أَنَّ الْجَرَابَ جَرَابِي .

فَقَالَ الْقَاضِي : فَمَا تَقُولُ أَنْتَ يَا عَلِيَّ؟

فَتَقَدَّمْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ بَهَتَنِي كَلَامُهُ فَقُلْتُ : أَعَزَّ اللَّهُ مَوْلَانَا  
الْقَاضِي . أَنَا مَا فِي جَرَابِي إِلَّا دَوِيرَةٌ<sup>٣</sup> حَرَابٌ<sup>٤</sup> وَأُخْرَى بِلَا بَابٍ وَمَقْصُورَةٌ  
لِلْمَكْلَابِ وَفِيهِ لِلصَّبْيَانِ كِتَابٌ<sup>٥</sup> وَشَبَّانٌ يَلْعَبُونَ بِالْكَعَابِ ، وَفِيهِ عَسَاكِرُ  
وَأَطْنَابُ وَمَدِينَةُ بُصْرَى وَبَغْدَادُ ، وَقَصْرُ كَنْعَانَ بْنِ شَدَّادٍ ، وَكُورٌ وَحَدَّادُ ،  
وَشَبَكَةٌ وَصَيَّادٌ وَعَصَا وَأَوْتَادُ ، وَبَنَاتٌ وَأَوْلَادٌ وَأَلْفُ قَوَادٍ يَشْهَدُونَ أَنَّ  
الْجَرَابَ جَرَابِي .

فَلَمَّا سَمِعَ الْكَرْدِيُّ هَذَا الْكَلَامَ بَكَى وَانْتَحَبَ وَقَالَ : يَا سَيِّدِي  
الْقَاضِي ، جَرَابِي هَذَا مَعْرُوفٌ . وَكُلُّ مَا فِيهِ مَوْصُوفٌ : فِي جَرَابِي هَذَا  
حِصُونٌ وَقِلَاعٌ وَفُرَى وَضِيَاعٌ وَطَابِقٌ لِلصِّرَاعِ وَوَحُوشٌ وَضَبَاعٌ وَرِجَالٌ يَلْعَبُونَ الطَّابَةَ  
وَالرَّقَاعَ<sup>٦</sup> ، وَإِنْ فِي جَرَابِي هَذَا حُجْرَةٌ وَمُهَرِّينٌ وَفَحْلًا وَحِصَانَيْنِ وَرُحْمَيْنِ طَوِيلَيْنِ  
وَسَبْعًا وَأَرْبَعَيْنِ ، وَسَكِينًا وَخَنْجَرَيْنِ ، وَبَحْرًا وَخَلِيجَيْنِ ، وَكَمْرًا وَجُوخَتَيْنِ ،

١ المِقْلَمَةُ : وعاء يُجْعَلُ فِيهِ أَقْلَامُ الْكِتَابَةِ . وَقَوْلُهُ : مِلْبَتَيْنِ : لَمْ نَجِدْ هَذِهِ اللَّفْظَةَ فِي  
الْمَعْجَمِ ، فَلَعَلَّهَا لَفْظَةٌ عَامِيَّةٌ تَعْنِي شَيْئًا مِنْ أَدَوَاتِ الْمَنْزِلِ ، أَوْ لَعَلَّهَا مَحْرَقَةٌ عَنْ مِلْبَةِ  
مُؤْنِثٍ مِلْبِنٍ : وَهُوَ مَصْفَاةُ اللَّبَنِ وَالْحَلِيبِ .

٢ الْقَعْبُ : الْقَدَحُ الضَّخْمُ .

٣ الدَّوِيرَةُ : مَصْفَرٌّ دَارٌ .

٤ الرَّقَاعُ ، الْوَاحِدَةُ رَقْعَةٌ ، وَرَقْعَةُ الشُّطْرَنْجِ : اللَّوْحُ الَّذِي تُصَنَّفُ أَدَوَاتُهُ عَلَيْهِ

وعُشاري<sup>١</sup> وموكبين ، وصاري<sup>٢</sup> وقرتين ، وكوراً ودُكابين ، ومنقلة<sup>٣</sup> ونردين<sup>٤</sup> ،  
وعجوزاً وقجبتين . وقواداً وشاطرين<sup>٥</sup> وعُثَّثاً وعلقين<sup>٦</sup> وأعمى وبصيرين<sup>٧</sup> وأعرج<sup>٨</sup>  
وكسيحين<sup>٩</sup> وعيَّاراً وأزعزين<sup>١٠</sup> وجامعاً ومدرستين<sup>١١</sup> وديراً وكنيستين<sup>١٢</sup> وقسيساً<sup>١٣</sup>  
وشمسائين<sup>١٤</sup> وبطركاً وراهبين<sup>١٥</sup> وقاضياً وشاهدين<sup>١٦</sup> يشهدون أن الجراب جراي .  
فإن القاضي : ما تقول أنت يا علي .

فبادرت يا أمير المؤمنين ، وقد امتلأت غيظاً وزدت في الحق  
وقلت : أيد الله مولانا القاضي ! إن في جراي هذا زردخانات صفاح<sup>١٧</sup> ،  
وخزائن سلاح . وألف كبش<sup>١٨</sup> نطّاح في عشرين<sup>١٩</sup> مُراح . وأربعين<sup>٢٠</sup> كلباً<sup>٢١</sup> نباح .  
وبساتين<sup>٢٢</sup> وكروم<sup>٢٣</sup> غنب<sup>٢٤</sup> وتين<sup>٢٥</sup> ونفاح . وصوراً<sup>٢٦</sup> وأشباحاً<sup>٢٧</sup> وقناني<sup>٢٨</sup> وأقداحاً<sup>٢٩</sup>  
وعرائس<sup>٣٠</sup> ملاحاً<sup>٣١</sup> ومغاني<sup>٣٢</sup> وأفراحاً<sup>٣٣</sup> وهرجاً<sup>٣٤</sup> وصباحاً<sup>٣٥</sup> وعبدأ<sup>٣٦</sup> وفلاحاً<sup>٣٧</sup> وأخاه<sup>٣٨</sup> نجاحاً<sup>٣٩</sup>  
ورقيقه<sup>٤٠</sup> صباحاً . ومعهم<sup>٤١</sup> سيوف<sup>٤٢</sup> ورماح . وقسي<sup>٤٣</sup> ونشاب<sup>٤٤</sup> وأصدقاء<sup>٤٥</sup> وأحباب<sup>٤٦</sup>  
وخلان<sup>٤٧</sup> وأصحاب<sup>٤٨</sup> ومجلس<sup>٤٩</sup> للعتاب<sup>٥٠</sup> وتُدمان<sup>٥١</sup> للشراب . وطُنبور<sup>٥٢</sup> مع رباب .  
ونايات<sup>٥٣</sup> وقتان<sup>٥٤</sup> مصفوفات<sup>٥٥</sup> . وصبيان<sup>٥٦</sup> ودائيات<sup>٥٧</sup> ، وأخوات<sup>٥٨</sup> معلّات<sup>٥٩</sup> . وبنات<sup>٦٠</sup>  
متجلبّيات<sup>٦١</sup> وجوار<sup>٦٢</sup> مغنيات<sup>٦٣</sup> وجوار<sup>٦٤</sup> حبشيّات<sup>٦٥</sup> وثلاث<sup>٦٦</sup> هنديّات<sup>٦٧</sup> وأربع<sup>٦٨</sup> بدويات<sup>٦٩</sup>  
وخمس<sup>٧٠</sup> روميّات<sup>٧١</sup> وست<sup>٧٢</sup> تركيات<sup>٧٣</sup> وسبع<sup>٧٤</sup> عجميّات<sup>٧٥</sup> وثمان<sup>٧٦</sup> قفجيات<sup>٧٧</sup> وتسع<sup>٧٨</sup>

- 
- ١ العشاري : ثوب طوله عشرة أذرع .
  - ٢ المنقلة . عند المولدين : لعبة تُتخذ من خشبة مستطيلة تُقر فيها أربع عشرة نفرة في صفين متوازيين . فيجعل في كل نفرة سبع حصى وتدار الحصى بطرق معلومة .  
النرد : لعبة معروفة
  - ٣ الشاطر : المتصف بالدهاء والحياة .
  - ٤ الهتّ : التشبه بالنساء في تشبه . الطق هنا : يعني ما تنبه لفتة الهت من التشبه بالنساء في التزيّن ، وهي لفظة مؤلدة أو عامية لا تزال نستعملها .
  - ٥ زردخانات : بيوت من الصفر . الصفاح : السيوف ، ولعل المراد خزانات تحفظ فيها السيوف .

كُرجيات<sup>١</sup> وعشرُ كلبات . والدجلة والفُرات وشبكة وصياد وقَدَاحَة وزِنَاد .  
وإِزَم ذاتُ العِباد . وألف جواد ، وقصر شَدَاد بن عاد . وخانات مع  
حمامات . وقَدُوم ونَجَار وخشبة مع مِسْمار وتاجر مع عَطَّار . وبُرَّار مع  
بَيْطار . وعبد أسود بيمِزار ومَقْدَم وركَبْدَار<sup>٢</sup> ومدن وأمصار ومائة ألف  
دينار . وبواب وكَشْدَار<sup>٣</sup> ورأس نوبة . وعلم دار . والكوفة مع الأنبار  
وعشرين صنلوقاً ملأى قاشاً ودُكَان نحاس . وحاصل مَعاش . وبُرجان  
للحَمَّام وغزة وعَسْقَلان ، ومن دمياط إلى أسوان وإيوان كِسرى ومُلْك  
سليمان . ومن كُوش نعمان إلى أرض خُرَاسان وبَلخ وأصبهان ومن الهند إلى  
بلاد السودان ، وفيه أطال الله عمرَ مولانا القاضي ، قاش وعَلَّال  
وعِراض<sup>٤</sup> ومُوسى بحد ماضٍ . يخلق دَقَن مولانا القاضي . إن حكم أن  
الجرب ما هو جرابي .

فعند ذلك يا أمير المؤمنين حار القاضي ممّا سمع ثم قال : ما أراكما إلّا  
شخصين نحسين تلعبان بالقُضاة والحكّام لأنه ما وصف الواضفون ولا سمع  
السامعون ما وصفتم في هذا الجراب ، ما هذا إلّا بحرٌ ليس له قرار .  
ثم أمر القاضي بفتح الجراب ففتحته الكردي ، فإذا فيه خبزٌ وليمُون ،  
وجبن وزيتون ، ثم إني رميت الجراب قدّام القاضي والكردي ، ومضيت  
إلى حال سبيلي .

فلما سمع أمير المؤمنين ذلك ضحك حتى استلقى على قفاه وقد زال  
هَمُّهُ وَغَمُّهُ . وأحسن جائزة علي العجمي ، وانصرف والله أعلم .

١ الكرجيات : المنسوبات إلى بلاد القفج . الكرجيات : المنسوبات إلى بلاد الكرج .

٢ ركبدار : الركب والواحد ركاب ، وهو ما يعلق بالسرّج ليضع فيه الفارس رجله .

٣ الكشدار : الفلاحون .

٤ الغلال . الواحدة غلالة : شعار يلبس تحت الثوب . العراض ، الواحد عريض :  
ولعلها نوع من الثياب العريضة .

## معن بن زائدة الشيباني

كان من الكرماء ، يقال فيه : حدث عن البحر ولا حرج . وكان عاملاً بالبصرة . فحضر على بابہ شاعر وأقام مدة يريد الدخول فلم يتيماً له . فقال يوماً لبعض الخدام : إذا دخل الأمير البستان فمرّني . فلما دخل أعلمه بذلك . فكذب الشاعر بيتاً ونقشه على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل البستان . وكان معن جالساً على القناة ، فلما رأى الخشبة أخذها وقرأها فإذا فيها هذا البيت :

أبا جودَ معنٍ ناجٍ معنًا بحاجتي فليس إلى معنٍ سواك رسولٌ

فقال : من الرجل صاحب هذه ؟ فأُتي به إليه . فقال : كيف قلت ؟ فأنشده البيت فأمر له بعشر بدر ، فأخذها وانصرف . فوضع معنُ الخشبة تحت بساطه . فلما كان في اليوم الثاني أخرجها من تحت بساطه ينظر فيها . ودعا بالرجل فأمر له بمائة ألف درهم ، فلما كان في اليوم الثالث فعلَ مثلَ ذلك ، فتفكّر الرجل وخاف أن يأخذَ منه ما أعطاه فخرج من البلد بما كان معه . فلما كان في اليوم الرابع طلب الرجل فلم يوجد ، فقال معن : والله همتُ أن أعطيَه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار إلا أعطيته له . وفيه يقول القائل :

يقولون معن لا زكاة لماله وكيف يزكي المال من هو بأذله

إذا حال جَوْلٌ لم يكن في دياره      من المال إلا ذكره وجمائله  
 تراه ، إذا ما جنته . متهللاً      كأنك تُعطيه الذي أنتَ آمِلُه  
 هو البحرُ من أيِّ النواحي أتيتَه      فلجنته المعروفُ والبرُّ ساحلُه  
 تعودُ بسط الكفِّ حتى لو أنه      أراد انقباضاً لم تُطعه أناملُه  
 فلو لم يكن في كفِّه غيرُ نفسه      لجادَ بها فليثق الله سائله

ومن قول معن :

دعيني أنهب الأموالَ حتى      أُعِفَّ الأكرمين عن اللثام

ويروى أن معنَ بنَ زائدة خرج في جماعة يتصيدون ، فاعترضهم قطعُ  
 ظباء ، ففترقوا في طلبه ، وانفرد معن خلف ظبي ، فلما ظفربه نزل فذبجه ،  
 فرأى شخصاً مقبلاً من البرية على حمار . فركب فرسه واستقبله ، فسلمَ  
 عليه وقال له : من أين أتيت ؟

قال : أتيت من أرض قُضاة وإن لي بها أرضاً ، لها عدة سنين .  
 مجدبة . وقد أخصبت في هذه السنة فزرعتها قثاء فطرحَت في غير وقتها ،  
 فجمعت منها ما استحسنته وقصدت الأميرَ معن بنَ زائدة لكرمه المشهور  
 ومعروفه المأثور ، وإحاسنه المذكور .

فقال له : كم أملت منه ؟

قال : ألفَ دينار .

فقال : إن قالَ لك : كثيرٌ .

قال : خمسمائة دينار .

قال : إن قالَ لك : كثير .

١ جمائله ، الواحدة جميلة : أراد أعماله الجميلة .

قال : ثلاثمائة دينار .

قال : إن قال لك : كثير .

قال : ماتني دينار .

قال : إن قال لك : كثير .

قال : مائة دينار .

قال : إن قال لك : كثير .

قال : خمسين ديناراً .

قال : إن قال لك : كثير .

قال : أفلا أقلّ من ثلاثين .

قال : فإن قال لك : كثير .

قال : أدخل قوائم حماري في حِرِّ أمّته ، وأرجعْ إلى أهلي خائباً .

فضحك معن منه وساقَ جواده حتى لحق بعسكره ونزل منزله ،  
وقال لحاجبه : إذا أتاك شيخٌ على حمار بقثاء فادخل به عليّ .

فأتى بعد ساعة فلما دخل على الأمير معن لم يعرفه لهيبته وجلالته ،  
وكثرة خدمه وحشمه وهو متصدّرٌ في دَسْت مملكته ، والحفدةُ قيامٌ عن  
يمينه وشماله وبين يديه . فلما سلّم عليه قال له الأمير معن : ما الذي أتى  
بك يا أخا العرب ؟

قال : أملت الأمير وأتيته بقثاء في غير أوانها .

قال : فكُم أملت فينا ؟ قال : ألف دينار .

قال كثير .

قال : خمسمائة دينار .



قال : كثير .

قال : ثلاثمائة دينار .

قال : كثير .

قال : ماتي دينار .

قال : كثير .

قال : مائة دينار .

قال : كثير .

قال : والله لقد كان ذلك الرجل الذي قابلني عليّ مشووماً ثم قال :  
خمسین ديناراً .

قال : كثير .

قال : أفلا أقلّ من ثلاثين ؟

قال : فضحك معن وسكتَ فعلم الأعرابيُّ أنه صاحبه فقال : يا  
سيدي إن لم تعطني الثلاثين فالخمار مربوطٌ بالباب . وها أنا مع معن  
جالس .

فضحك معن حتى استلقى على قفاه ثم استدعى بوكيله وقال : أعطه  
ألفَ دينار وخمسمائة دينار وثلاثمائة دينار وماتي دينار ومائة دينار وخمسين  
ديناراً وثلاثين ديناراً ودع الخمار مربوطاً مكانه .

فبهتَ الأعرابي وتسلّم ألي دينار ومائة وثمانين ديناراً ، فرحمة الله  
عليهم أجمعين .

وقيل : كان معن بن زائدة في بعض صيوده فعطش فلم يجد مع غلامه  
ماء ، فبينما هو كذلك ، وإذا بثلاثِ جوارٍ قد أقبلن حاملاتٍ ثلاثِ قَرَبٍ  
فسقيته . فطلب شيئاً من المال مع غلامه . فلم يجده ، فدفع لكلِّ واحدةٍ

منهنّ عشرة أسهمٍ من كِنَانته . نَصُولُهَا من ذهب . فقالت إحداهنّ  
 ويلكنّ لم تكن هذه النِشَائِلُ إلّا لمن بن زائدة . فلتقل كل واحدة منكن  
 شيئاً من الآيات فقالت الأولى :

يركَبُ في السهامِ نَصُولَ بَير      ويرمي للعدا كرمًا وجوداً  
 فللمرضى علاجٌ من جِراحِ      وأكفانُ لمن سكن اللُّحودا

وقالت الثانية :

ومحاربٍ من فرطِ جودِ بَنَانِه      عمت مكارمُه الأقاربَ والعِدا  
 صيغت نَصُولُ سِهامِه من عَسَجِدِ      كي لا يقصُرَ في العَوَارِفِ والنَدَى

وقالت الثالثة :

ومن جوده يرمي العدا بأسهمِ      من الذهب الإبريز صيغت نَصُولُهَا  
 لينفقها المحروحُ عند انقطاعه      ويشترى الأكفانَ منها قَتِيلُهَا

وكان مع كرمه صاحبُ شهامة . فن ذلك . أنه سعى رجلٌ في  
 إفساد دولة المهدي . وكان من الكوفة فعلم به المهدي فأهدر دمه ،  
 وجعل لمن دلَّ عليه مائة ألف درهم . فأقام الرجلُ حيناً محتفياً ثم ظهر في  
 بغداد ، فبينما هو في بعض الشوارع . إذ آه رجلٌ من الكوفة فعرفه ،  
 فأخذ بمجامع طوقه ونادى : هذا طلبة أمير المؤمنين . فبينما الرجل على  
 تلك الحالة ، وقد اجتمع حوله خلقٌ كثير . إذ سمع وقع حوافر الخيل من  
 ورائه . فالتفت فإذا هو بمن بن زائدة ، فقال : يا أبا الوليد ! أجرني  
 أجازك الله .

فوقف فقال للرجل الذي تعلق به : ما تريدُ منه ؟

قال : هذا طلبه أمير المؤمنين أهدرَ دمه ، وجعل لمن دُلَّ عليه مائة ألف درهم .

فقال له معن : دعه ! ثم قال : يا غلام أردفه ، فأردفه وكرَّرَ راجعاً إلى داره ، فصاح الرجل : معنُ حال بيني وبين من طلبه أمير المؤمنين . ولم يزل صارخاً إلى أن أتى قصرَ المهدي ، فأمر المهدي بإحضار معن . فأثته الرسلُ . فدعا معنُ أولاده ومماليكه وقال : لا تسلموا الرجلَ ، وواحدُ منكم يعيشُ .

ثم سار إلى المهدي فدخل وسلم فلم يرْدهُ عليه ، ثم قال : يا معن ! أئجبر علينا علوناً ؟

قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال المهدي : ونعم أيضاً .

واشتدَّ غضبه . فقال معن : يا أمير المؤمنين ، بالأمس بعثني إلى اليمنَ مقدِّمَ الجيش ، فقتلتُ في طاعتك في يوم واحدٍ عشرةَ آلاف رجلٍ ، ولي مثلَ هذا أيامٌ كثيرةٌ فا رأيتُموني أهلاً أن أجيرَ رجلاً واحداً استجار بي ، ودخل منزلي .

فسكن غضبُ المهدي ، وقال : قد أجرنا من أجرتَ يا أبا الوليد .

قال معن : فإن رأى أمير المؤمنين أن يَصِلَه بصلَةٍ يعلمُ منها موقعَ الرضا ، فإن قلبَ الرجل قد انخلعَ من صدره خوفاً .

قال : قد أمرنا له بخمسين ألف درهم .

قال : يا أمير المؤمنين ، إن صلات الخلفاء على قدر جنائيات الرعية .

قال : قد أمرنا له بمائة ألف درهم .

قال : عجلها يا أمير المؤمنين . فإن خَيْرَ البرِّ عاجله .

فأحضر معن الرجل وقال له : خُذْ صَلَةً أمير المؤمنين ، وقبَلْ يده .  
وإياك ومخالفةَ خلفاء الله في أرضه . « فَاكَلْ مَرَّةً تَسْلِمُ الْجِرَّةَ » : فأرسلها  
الناسُ مثلاً . وأخذ الرجلُ المالَ واستغفر الله . انتهى .

وكان معن لا يَغِيظُ أحداً . ولا أحدٌ يَغِيظُهُ . فقال بعضُ الشعراء :  
أنا أغِيظُهُ لكم . ولو كان قلبه من حجر ، فراهنوه على مائة بعير إن أغاظه  
أخذها . وإن لم يُغَيِّظْ دفعَ مثلها . فعمد الرجل إلى جمل فذبحه وسلخه  
ولبس الجلدَ مثل الثوب وجعلَ اللحمَ من خارجِ الشعرِ من داخل .  
والذبابُ يقع عليه ، ويقوم ، ولبس برجله نعلين من جلد الجمل ، وجعل  
اللحمَ من خارجِ الشعرِ من ناحية رجله . وجلس بين يدي معن على هذه  
الصورة المشروحة ومدَّ رجله في وجهه وقال :

أنا والله لا أبدي سلاماً على معن المسمي بالأمير

فقال له معن : السلامُ لله إن سلَّمتَ رَدَدْنَا عَلَيْكَ ، وإن لم تسلِّمَ ما  
عتبنا عليك .

فقال الشاعر :

ولا آتي بلاداً أنتَ فيها ولو حزتُ الشَّامَ مع الثغور

فقال له : البلادُ بلاد الله إن نزلتَ فبِحَبْأٍ بك . وإن رحلتَ كان الله  
في عونك .

فقال الشاعر :

وأرحلُ من بلادك ألفَ شهرٍ أجدُّ السيرِ في أعلى القُفُورِ

فقال له : مصحوباً بالسلامة .

فقال الشاعر :

أَتَذْكُرُ إِذْ قَبِضْتُ جَنْدُ شَاةٍ    وَإِذْ نَعْلَاكَ مِنْ جِلْدِ الْبَعِيرِ  
فَقَالَ لَهُ : أَعَرَفُ ذَلِكَ وَلَا أَنْكَرُهُ .

فَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَتَهْوَى كُلُّ مَفْطَبَةٍ وَسُوقٍ    بَلَا عَبْدٍ لَدَيْكَ وَلَا وَزِيرٍ  
فَقَالَ لَهُ : مَا نَسِيتَ ذَلِكَ يَا أَخَا الْعَرَبِ .

فَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَنَوْمُكَ فِي الشِّتَاءِ بَلَا رَدَا    وَأَكْلُكَ دَائِمًا خَبَرَ الشَّعِيرِ  
فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

فَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَفِي يُمْنَاكَ عُكَازٌ قَوِيٌّ    تَذُودُ بِهِ الْكِلَابَ عَنِ الْهَرِيرِ  
فَقَالَ لَهُ : مَا خَفِيَ عَلَيْكَ خَبَرُهَا إِذْ هَبِي كَعَصَا مُوسَى .

فَقَالَ الشَّاعِرُ :

فَسُبْحَانَ الَّذِي أَعْطَاكَ مُلْكًا    وَعَلَّمَكَ الْقُعُودَ عَلَى السَّرِيرِ  
فَقَالَ لَهُ : بِفَضْلِ اللَّهِ لَا بِفَضْلِكَ .

فَقَالَ الشَّاعِرُ :

فَعَجَّلْ يَا بَنَ نَاقِصَةٍ بِمَالٍ    فَلَنِي قَدْ عَزَمْتَ عَلَى الْمَسِيرِ  
فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ .

فَقَالَ الشَّاعِرُ :

قليلٌ ما أمرتَ به فإني لأطمعُ منك بالشيء الكثيرِ

فأمر له بألف دينار أخرى .

فقال الشاعر :

فثلثُ . إذ مُلكتَ المُلْكَ رِزْقاً بلا عَقْلٍ ولا جِاءَ خَطِيرِ

فأمر له بثلاثمائة دينار .

فقال الشاعر :

ولا أدبٍ كسَبَتْ به المعالي ولا خُلِقَ ولا رأي مُنِيرِ

فأمر له بأربعمائة دينار .

فقال الشاعر :

فمنك الجودُ والإِفْضالُ حقاً وفينصُ يديك كالبحر الغزيرِ

فأمر له بخمسمائة دينار ، وما زال يطلب منه الزيادة حتى استكمل ألفَ دينار ، فأخذها وانصرف متعجباً من حِلْمِ معن وعدم انتقامه منه ثم قال في نفسه : مثلُ هذا لا ينبغي أن يُهْجَى بل يُمدح ، واغتسلَ ولبس ثيابه ورجع إليه فسَلِمَ عليه ومدحه واعتذر له بأن الحامل له على هجوه المائة بعير التي صار الرهنُ عليها في نظيرِ إغاظته له ، فأمر له بمائة بعير يدفعها في نظير الرهنِ ومائة بعير أخرى لنفسه ، فأخذها وانصرف ، والله أعلم .

## خلافة المأمون بن هارون الرشيد واسمه عبد الله

ومما وُضع في بطون الدفاتر ، واستحسنته عيون البصائر . ونقلته الأصاغر عن الأكابر . ما رواه خادم أمير المؤمنين المأمون قال : طلبني أمير المؤمنين المأمون ليلةً ، وقد مضى من الليل ثلثه ، فقال لي : خذ معك فلاناً وفلاناً ، وستأهما لي : أحدهما . عليّ بن محمد . والآخر ، دينار الخادم ، واذهب مسرعاً لما أقول لك . فإنه بلغني أن شيخاً يحضر ليلاً إلى آثار دور البرامكة . ويُشد شعراً ويذكرهم ذكراً كثيراً ويندبهم ويبكي عليهم : ثم ينصرف ، فامض أنت وعليّ ودینار حتى تردوا تلك الخرائب فاستروا خلف بعض الجدران . فإذا الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد أبياتاً فأتوني به .

قال : فأخذتها ومضينا حتى أتينا الخرائب . فإذا نحن بسلام قد أتى معه بساطٌ وكرسی حديد . وإذا شيخ قد جاء وله جمالٌ وعليه مهابة ولطف . فجلس على الكرسي وجعل يبكي ويتنحب ويقول هذه الأبيات :

ولما رأيتُ السيفَ جندلَ جعفرأ      ونادى منادٍ للخليفة : يا يحيى  
بكيتُ على الدنيا وزاد تأسني      عليهم وقلت : الآن لا تنفع الدنيا

مع أبياتٍ أطالها . فلما فرغ قبضنا عليه ، وقلنا له : أجب أمير المؤمنين . ففرع فرعاً شديداً وقال : دعوني حتى أوصي بوصية فإني لا أوقن بعدها بحياة .

ثم تقدّم إلى بعض الدكاكين واستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية وسلمها إلى غلامه ثم سرنا به . فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين قال حين رآه : من أنت ، وبِمَ استوجبتُ منك البرامكة ما تفعله في خرائب دورهم ؟

قال الخادم : ونحن نستمع .

فقال : يا أمير المؤمنين . إن للبرامكة أيادي خضرة عندي ، أفأؤذن لي أن أهدئك بحالي معهم ؟  
قال : قل .

فقال : يا أمير المؤمنين ! أنا المنذرُ بن المُغيرة من أولاد المُلوِك ، وقد زالت عني نعمتي ، كما تزول عن الرجال ، فلما ركني الدين ، واحتجت إلى بيع ما على رأسي ورؤوس أهلي وبيتي الذي وُلدت فيه . أشاروا عليّ بالخروج إلى البرامكة ، فخرجت من دمشق ومعِي نيفٌ وثلاثون امرأةً وصبيًا وصبيّةً ، وليس معنا ما يُباع ولا ما يُوهب . حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد ، فدعوتُ ببعض ثياب كنت أعددتها لأستر بها . فلبستها وخرجتُ وتركتهم جِباعاً لا شيء عندهم ، ودخلت شوارعَ بغدادَ سائلاً عن البرامكة ، فإذا أنا بمسجد مزخرف وفي جانبه شيخٌ بأحسن زيّ وزينة ، وعلى الباب خادمان ، وفي الجامع جماعة جُلُوس . فطمعت في القوم ودخلت المسجد وجلستُ بين أيديهم ، وأنا أقدم رجلاً وأوخر أخرى ، والعرق يسيلُ مني لأنها لم تكن صناعتي . وإذا الخادمُ قد أقبل ودعا القوم فقاموا وأنا معهم ، فدخلوا دار يحيى بن خالد ، فدخلت معهم ، وإذا يحيى جالس على دكة له وسط بستان ، فسلمنا ، وهو يعدُّنا مائةً وواحداً ، وبين يديه عشرة من ولده . وإذا بأمرد نبت العذار في خديّه قد أقبل من بعض المقاصير ، وبين يديه مائة خادم متمنقون ، في



وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ، مع كل خادم مِجْمرة من ذهب . في كل مجمرة قطعة من عُود كهينة الفِهر<sup>١</sup> . وقد قُرِن به مثله من العنبر السلطاني فوضعه بين يدي الغلام ، وجلس إلى جنب يحيى . ثم قال للقاضي : تكلم وزوج ابنتي عائشة من ابن أخي هذا . فخطب القاضي خطبة النكاح وزوجه وشهد أولئك الجماعة وأقبلوا علينا بالنثار بينادق المسك والعنبر . فالتقطت . والله يا أمير المؤمنين ملء كمي ونظرت . وإذا نحن في المكان ما بين يحيى والمشايع وولده والغلام مائة واثنى عشر . وإذا بمائة واثنى عشر خادماً قد أقبلوا ومع كل خادم صينية من فضة . على كل صينية ألف دينار . فوضعوا بين يدي كل رجل منّا صينية . فرأيت القاضي والمشايع يضعون الدنانير في أكمامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم . ويقوم الأول فالأول حتى بقيت وحدي لا أجسر على أخذ الصينية . فغمرني الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب في كمي والصينية في يدي وقت وجعلت أتلقت إلى ورائي مخافة أن أمتع من الذهب . فبينما أنا كذلك إلى أن وصلت إلى صحن الدار . ويحيى يلاحظني . فقال للخادم : اثني بهذا الرجل ، فأتيته . فقال : مالي أراك تلتفت يمينا وشمالاً ؟

فقصصت عليه قصتي فقال للخادم : اثني بولدي موسى . فأناه به . فقال له : يا بني ! هذا رجل غريب . فخذك إليك واحفظه بنفسك وبنعمتك .

فقبض موسى ولده على يدي وأدخلني إلى دار من دوره فأكرمني غاية الإكرام . وأقت عنده يومي وليلتي في الد عيش وأتم سرور . فلما أصبح

١ الفهر . عند الأطباء : حجر رقيق تُسحق به الأدوية .

دعا بأخيه العباس ، وقال له : الوزيرُ أمرني بالعطف على هذا الفتى ، وقد علمتَ اشتغالي في بيت أمير المؤمنين ، فاقبضه إليك ، وأكرمه .

ف فعل ذلك وأكرمني غاية الإكرام ثم لما كان من الغدِ تسلَّمني أخوه أحمد ، ثم لم أزل في أيدي القوم يتداولوني مدةَ عشرة أيام لا أعرف خبر عيَّ وصبياني أفي الأموات هم أم في الأحياء ، فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا : قُمْ فاخرج إلى عيالك بسلام . فقلت : واويلاه . أسلب الدنانير والصنيَّة ، وأخرج على هذه الحالة ؟ إنا لله وإنا إليه راجعون .

فرفع السِّر الأولُ ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع ، فلما رفع الخادمُ السِّر الأخير قال لي : مهما كان لك من الخوايج فارفعها إليَّ فلني مأمورٌ بقضاء جميع ما تأمرني به .

فلما رفع السِّر الأخير رأيتُ حجرة كالشمس حسناً ونوراً واستقبلني منها رائحةُ النَّدى والعود ونفحات المسك ، وإذا بصبياني وعيالي يتقلَّبون في الحرير والديباج . وحمل إليَّ مائة ألف درهم ، وعشرة آلاف دينار ، ومنشور بضيعتين ، وتلك الصنيَّة التي كنت أخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق ، وأقت يا أمير المؤمنين ، مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلمُ الناسُ أمن البرامكة أنا أم رجلٌ غريب . فلما جاءتهم البليَّة ونزل بهم يا أمير المؤمنين ، من الرشيد ما نزل أجحف بي عمرو بن مسعدة وألزمي في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يني دخلهما به ، فلما تحمل عليَّ الدهر كنتُ في آخر الليل أقصدُ خرائب دورهم ، فأندبهم وأذكر حُسْنَ صنيعهم إليَّ وأبكي على إحسانهم .

فقال المأمون : عليَّ بعمرو بن مسعدة .

فلما أتني به قال له : تعرف هذا الرجل ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، هو بعض صنائع البرامكة .

قال : كم ألزمتَه في ضيعتيه ؟

قال : كذا وكذا .

فقال له : ردُّ إليه كلَّ ما أخذته منه في مُدَّتِه ، وأفرغها له ليكونا له وإعقبه من بعده .

قال : فعلاً نحبُّ الرجل ، فلما رأى المأمون كثرةً بكائه قال له : يا هذا ! قد أحسنا إليك ، فما يبكيك ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، وهذا أيضاً من صنيع البرامكة ، لو لم آت خرائبهم فأبكيهم وأندبهم حتى اتصل خبري إلى أمير المؤمنين ، ففعل بي ما فعل من أين كنتُ أصل إلى أمير المؤمنين ؟

قال إبراهيم بن ميمون : فرأيتُ المأمون ، وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال : لعمرى هذا من صنائع البرامكة ، فطعهم فابك ، وإياهم فاشكر ، ولهم فأوفٍ وإلحسانهم فاذكر ، انتهى .

### المأمون والورد

وقال إسحاق : دخلت يوماً على المأمون في زمن الورد . فقال لي :

يا إسحاق ! هل قلت شيئاً في الورد ؟

قلت : أقول بسعادة أمير المؤمنين .

وفكرت ساعة فلم تسمح قريحتي في ذلك الوقت بشيء ، فخرجت من عنده وبقيت ليلتي ساهراً متفكراً ، فلم يُفتح عليّ بشيء ، فلما أصبحت غلوتُ إلى دار الخلافة ، وإذا غلام الفضل بن مروان على باب المأمون ، ومعه سبعُ ورْدَات على صينية فضة ، يتنظر الإذن في الدخول بها عليه ،

فسأله المهلة بها قليلاً . فامتنع . فسأله ثانياً ، وقلت : أمهل قليلاً ،  
ولك بكل وردة دينار .

فأجابني إلى ذلك فدفعت له سبعة دنانير ، وأحببت أن لا يصل إليه  
الورد . تملى وصول الشعر . وخرجت أقصد الأزقة لعلّي أسمع شيئاً من أحد  
أو ينبه . خاطري ولو بيت واحد ، فيبها أنا كذلك وإذا أنا برجل يُغربل  
التراب وهو ينشد ويقول :

اشرب على ورد الخلود فإنه أزهى وأبهى ، فالصُّبوحُ يَطِيبُ  
ما الورد أحسن من تورّد وجنة جمراء جاد بها عليك حبيبُ  
صيف المدام يياضها فكأنه ذهبٌ بقالبٍ فضةٍ مضروبُ

فلما سمعته نزلتُ عن دابتي ، ودخلت مسجداً بالقرب منه وطلبته ،  
فلما أقبلَ سأله أن يُملِها عليّ فاعتلّ ، وقال : إن أردت فاعطني بكل بيت  
عشرة دنانير ، فدفعتها له واستمليتها منه ثم عدت أنا وغلّامُ الفضل بن  
مروان ، وإذا بالمأمون يشربُ من وراء الستارة ، فلما جسيبُ العود قال  
لجواريه : اسكتنّ ، فقد جاء إسحاق ، فقدّمت ذلك الوردَ بين يديه  
وانشدتُ الأبيات فسمعتُ الشهيقَ والزفيرَ من وراء الستارة ثم أخرج إليّ  
بدرهً فيها عشرة آلاف درهم ، فأعدتُ الأبيات ، فأخرج إليّ بدرهً  
أخرى ، فأعدتُ الثالثة فأخرج إليّ بدرهً ثالثة ، فأخذت في غير الشعر ،  
فخرج إليّ خادم وقال : يقول لك أميرُ المؤمنين لو دمتَ على إنشادك لدمنا  
على البدرِ ونو! اللبل ، انتهى من حلية الكعب .

## من يفعل الخير لا يعدم جوازيه

ويحكى عن العباس صاحب شرطة المأمون . قال : دخلت إلى مجلس أمير المؤمنين ببغداد يوماً . وبين يديه رجل مكبل بالحديد . فقال لي : يا عباس ؟

قلت : لبيك يا أمير المؤمنين .

قال : خذ هذا إليك فاستوثق به واحتفظ عليه وبكر به إليّ في غد واحترز عليه كل الاحتراز .

قال العباس : فدعوت جماعة حملوه ولم يقدر أن يتحرك . فقلت في نفسي : مع هذه الوصية التي أوصاني بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب إلا أن يكون معي في بيتي ، فلما تركوه في داري أخذت أسأله عن قضيته وحاله ومن هو ؟

فقال : أنا من دمشق .

قلت : جزى الله دمشق خيراً ، فمن أنت من أهلها ؟

فقال : وعمّن تسأل ؟

قلت : أوتعرف فلاناً ؟

قال : ومن أين تعرف ذلك الرجل ؟

قلت : وقعت لي معه قضية .

فقال : ما كنتُ بالذي أعرفُك خبره حتى تعرّفني قضيتك معه ؟

فقلت : ويحك ! كنت مع بعض الولاة بدمشق فسمعت أهلها ،  
وقد خرجوا علينا حتى أنّ الوالي خرج في زنبيل من قصر الحجاج . وهرب  
هو وأصحابه . وهربت في جملة القوم . فبينما أنا هارب في بعض الدور .  
وإذا بجماعة يعدّون . فما زلت أعدو أمامهم حتى تجاوزتهم . ومرت بهذا  
الرجل الذي ذكرته لك . وهو جالس على باب داره ، فقلت : يا هذا  
أغثني أغاثك الله ؟

قال : لا بأس عليك ادخل الدار .

فدخلت ، فقالت لي زوجته : ادخل تلك المقصورة .

فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار . فما شعرت إلا وقد دخل ،  
والرجال معه يقولون هو والله عندك .

فقال : دونكم الدار فتشوها .

فتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فيها ، فقالوا : ها  
هو هنا .

فصاحت بهم المرأة ونهرتهم ، فانصرفوا . وخرج الرجل وجلس على  
باب داره ساعة ، وأنا قائم أرجف ما تحملني رجلاي من شدة الجوب .  
فقالت المرأة : اجلس لا بأس عليك .

فجلست ، فلم ألبث حتى دخل الرجل ، فقال : لا تخف فقد صرف  
الله عنك شرهم وصرت إلى الأمن والدعة إن شاء الله .

فقلت : جزاك الله خيراً .

فما زال يعاشرني أحسن معاشرة وأجملها وأفرد لي مكاناً من داره ولم  
يحوجني إلى شيء ولم يفتّر عن تفقد أحوالي . فأقمت عنده أربعة أشهر في  
أتمّ عيشٍ وأرغدٍ إلى أن سكنت الفتنة وهذأت وزال أثرها . فقلت له :

أتأذن لي في الخروج حتى اتفقد حال غلماني . فلعلني أقف منهم على خبر .  
فأخذ عليّ الموابيق بالرجوع إليه . فخرجت وطلبتُ غلماني فلم أرَ لهم  
أثراً فرجعت إليه وأعلمته بالخبر . وهو مع هذا كله لا يعرفني بنفسه ولا  
يعرف من أنا . فقال لي : علام تعزم ؟

قلت : عزميت على التوجه إلى بغداد

قال : إن نقفلة بعد ثلاثة أيام تخرج

فقلت له : إنك قد تفصّلت عليّ هذه المدة . لك عليّ عهد الله إنني  
لا سى لك هذا الفضل ولأوفيك منها استطعت .

قال : فدعا بغلام أسود وقال له : أنعل الفرس الغلاني . ثم جهّز آلة  
السفر فقلت في نفسي : ما أشك أنه يريد أن يخرج إلى ضبعة له أو ناحية  
من النواحي . فأقاموا يومهم ذلك في كدّ وتعب . فلما كان يوم خروج  
القافلة جاء في السحر . فقال : يا فلان ! قم . فإن القافلة تخرج  
الساعة . وأكره أن تنفرد عنها .

فقلت في نفسي . كيف أصنع وليس معي ما أترود به ولا ما أكرتي  
به مركباً . ثم قلت . فإذا هو وامرأته يحملان بُقجةً من أفخر اللباس وخفين  
جديدين وآلة السفر . ثم جاءني بسيف ومنطقة فشدهما في وسطي . ثم  
قدّم لي غلاماً وعلى كتفه صرّتان وفوقهما مرتبة السفر وسجادة من أفخر ما  
يكون . وأعلمني بما في الصرّتين أنه خمسة آلاف درهم ، وشدّ لي الفرس  
الذي أنعله بسرجه ولجامه . وقال لي : اركب . وهذا الغلام الأسود  
يغذّمك ويسوسُ مركوبك . وأقبل هو وامرأته يعتذران إليّ من التقصير في  
أمري وركب معي من يشيخني ، وانصرفت إلى بغداد ، وأنا أتوقّع خبره  
لأنني بعهدي له في مجازاته ومكافاته . واشتغلت مع أمير المؤمنين فلم أقدر أن  
أنفّرغ إلى أن أرسل إليه من يكشف خبره ، فلهذا أسأل عنه .

فلما سمع الرجل الحديث قال : قد أمكنتك الله من الوفاء له ومكافأته على فعله ومُجازاته على صنعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تنزمت .  
فقلت : وكيف ذلك ؟

قال : أنا ذلك الرجل . وإنما الضر الذي أنا فيه قد غير عليك حالي وما كنت تعرفه مني . ثم لم يزل يذكر لي تفاصيل الأسباب حتى أثبت معرفته . فما تمالكت أن قُتُ وقُلت رأسه . ثم قلت له : فما الذي صيرك إلى ما أرى ؟

قال : هاجت بدمشق فتنةٌ مثلَ الفتنة التي كانت في أيامك فُسيست إليّ . وبعث أمير المؤمنين بجيوش فضبطوا البلد فأخذت أنا وشربت إلى أن أشرفت على الموت ، وقُتِدْتُ وبُعِثَ بي إلى أمير المؤمنين وأمرني عنده عظيم . وهو قاتلي لا محالة ، وقد أخرجت من عند أهلي بلا وصية . وقد تبغني من ينصرف إليهم بخبري ، وهو نازل عند فلان ، فإن رأيت أن تجعل من مكافأتك لي أن تُرسل من يُحضِره لي حتى أوصيه بما أريد . فإن أنت فعلت ذلك فقد جاوزتَ حد المكافأة وقت بوفاء عهدك .

قال العباس : فقلت يصنع الله خيراً .

ثم أحضر حدّاداً في الليل وفكّ قيوده ، وأزال ما كان عليه من الإنكال . وأدخله حمام داره . وألبسه من الثياب ما احتاج إليه . ثم سَيرَ من أحضر إليه غُلامه ، فلما رآه جعل يبكي ويُوصيه ، فاستدعى العباسُ نائبه وقال : علمي بفرسي الفلاني والبغل الفلاني والبغلة الفلانية حتى عدّ عشرة ، ثم عشرة من الصناديق ، ومن الكُسوة كذا وكذا .

قال ذلك الرجل : وأحضر لي بدرة فيها عشرة آلاف درهم ، وكيساً فيه خمسة آلاف دينار . وقال لعامله في الشرطة : خذ هذا الرجل وشيئعه إلى حد الأنبار .



فقال له : إن ذنبي عظيم عند أمير المؤمنين وخطبي جسيم ، وإن أنت احتجيتَ بأني هربتُ بعث أمير المؤمنين في طلبي كلَّ من على بابه فأرادوا قتلي .

فقال : انج بنفسك ودعني أدبر أمري .

فقال : والله لا أبرحُ من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك . فإن احتجتَ إلى حضوري حضرت .

فقال لصاحب الشرطة : إن كان الأمر على ما يكون . فليكن في موضع كذا وكذا ، فإن أنا سلِمْتُ في غداة غدٍ أعلمته ، وإن أنا قُتلتُ وقَّيتَه بنفسي كما وقَّاني بنفسه . وأنشدك الله أن لا يذهبَ من ماله درهم ، وتجنهد في إخراجه من بغداد .

قال الرجل : فأخذني صاحب الشرطة وصيرني في مكان يثق به ، وتفرَّغ العباس لنفسه وتحنَّط وجهه له كفتناً .

قال العباس : فلم أفرغ من صلاة الصُّبح إلَّا وأرسل المأمون في طلبي يقولون : يقول لك أمير المؤمنين : هات الرجل معك وقم .

قال : فتوجَّهت إلى دار أمير المؤمنين . وإذا هو جالس وعليه كآبة ، فقال : أين الرجل ؟ فسكت . فقال : ويحك أين الرجل ؟

فسكت ، فقال ويحك أين الرجل ؟

فقلت : يا أمير المؤمنين اسمع مِنِّي ما أقول .

فقال : لله عليَّ عهد . لئن ذكرتَ أنه هرب لأضربنَّ عنقك .

فقلت : لا والله ، يا أمير المؤمنين إنه ما هرب ، ولكن اسمع حديثي معه كبت وكبت . وقصصت عليه القصةَ جميعها وعرفته أني أريد أن أفِيَّ له وأكافئه على ما فعله معي . وقلت : أنا وسيدي ومولاي أمير المؤمنين

بين أمرين : إما أن يصفح عني ، وقد وفيت وكافأت ، وإما أن يقتلني فأقيه بنفسي وقد تحنّطت ، وها كفتي يا أمير المؤمنين .

فلما سمع المأمون الحديث قال : ويحك ، لا جزاك الله خيراً عن نفسك ، إنه فعل بك ما فعل من غير معرفة ، وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا لا غير ؟ هلاً عرفني خبره . فكنت أكافئه عنك ولا أقصر بوفائي له ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين إنه ههنا ، وقد حلف أنه لا يبرح حتى يعرف سلامتي ، فإن احتجت إلى حضوره حضر .

فقال المأمون : وهذه منّة أعظم من الأولى ، اذهب الآن فطيب نفسك وسكّن روعه واتني به حتى أتوكى مكافأته عنك .

قال : فأتيت إليه وقلت : ليزل عنك حزنك ، إن أمير المؤمنين قال كبت وكبت .

فقال : الحمد لله الذي لا يُحمد على السراء والضراء أحد سواه ، ثم قام فصلّى ركعتين ، ثم أتيت به إلى أمير المؤمنين ، فلما مثلَ بين يديه أقبل عليه وأدنى مجلسه وحدّثه حتى حضر الغداء وأكلَ معه وخلعَ عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى عنها ، فأمر له المأمون بعشرة أفراس بسروجها ولُجُمِها ، وعشرة بغال بالآتها ، وعشرَ بدار ، وعشرة آلاف دينار ، وعشرة ممالك بدوابهم ، وكتب إلى عامله بالمشق بالوصية به ، وأطلق خواجه . وأمر بمكاتبته بأحوال دمشق ، فصارت كُتبه تصل إلى المأمون ، وكلما وصلت خريطة البريد فيها كتابه يقول لي : يا عباس هذا كتاب صديقك ، والله أعلم .

## المأمون وزنبيل بوران

ويحكى عن إسحاق الموصلي أنه قال : خرجت ليلة من عند المأمون متوجّهاً إلى بيتي ، فأحسست بالبول ، فعمدت لزقاق ، وقت لأنمّسح بالحيطان ، وإذا بزنبيل كبير بأربعة آذان ملبس ديباجاً ، فقلت : إن لهذا سبباً وبقيت متحيراً في أمره ، فحملني السكر وقال لي : اجلس فيه ، فجلست ، فلما أحسّ بي الذين كانوا يرقبونه جذبوه إلى رأس الحائط ، فإذا أنا بأربع جوارٍ يقُلن لي : انزل بالرحب والسعة ، ومشت بين يدي جارية بشمعة حتى نزلت إلى دارٍ ومجالسٍ مفروشة لم أرَ مثلها إلا في دار الخلافة فجلستُ ، فما شعرت بعد ساعة إلا بستور قد رُفعت في ناحية من الجدران ، وإذا بوصائف يتمشّين وفي أيديهنّ الشمعُ وبعضُ مجامرٍ يُحرق فيهنّ العود وبينهنّ جارية كأنها البدر الطالع ، فهضت وقالت : مرحباً بك من زائر وجلست ، ثم سألتني عن خبري فقلت : انصرفت من عند بعض إخواني وغرّني الوقت وحرقتي البول ، فعمدت إلى هذا الزقاق ، فوجدت زنبيلاً مغلقاً ، فحملني السكر على أن جلست فيه ، فإن كان خطأ فالنبيذ أكسبني .

قالت : لا ضير ، وأرجو أن تحمد عاقبة أمرك ، ثم قالت : فما صناعتك ؟

قلت : بزّاراً ببغداد .

---

١ البزار : بائع البزور ، والأبازير أي الترابل التي يطّيب بها الطعام .

فقلت : هل رويت من الأشعار شيئاً ؟

قلت : شيئاً ضعيفاً .

قالت : فذاكرنا شيئاً .

قلت : إن للداخل حشمة ، ولكن تبدئين أنت .

قالت : صدقت ، فأنشدتني شعراً للجماعة من القدماء والمحدثين من أجود أقاويلهم ، وأنا مستمع لا أدري مِمُّ أعجب من حسنها أم حسن روايتها ؟ ثم قالت : أَذْهَبَ ما كان فيكَ من الحصر ؟

قلت : إي والله .

قالت : فإن رأيتَ أن تنشدنا .

فأنشدتها شيئاً للجماعة من القدماء ما فيه مقنع ، فاستحسنتم ذلك ، ثم قالت : والله ما ظننتُ أنه يوجد في أبناء السُّوقِ هذا . ثم أمرت بالطعام فأحضر ، فجعلت تقطع وتضع قدامي ، وفي المجلس من صنوف الرياحين وغريب الفواكه ما لا يكون إلا عند السلطان . ودعت بالشراب ، فشربت قدحاً ، ثم ناولتني قدحاً . ثم قالت هذا أوانُ المذاكرة والأخبار ، فاندفعتُ أذاكرُها وقلتُ : بلغني أن كذا وكذا . وكان رجلاً يقال له كذا ، حتى أتيت على عدة أخبار حسان . فسُرْتُ بذلك وقالت : كُفَّ تعجبي أن يكون أحَدٌ من التجار يحفظ مثل هذا ، وإنما هذه أحاديثُ ملوك .

قلت : كان لي جار يحدث الملوك وينادهم . وإذا تعطلَ حضرتُ معه فربما حدثت بما سمعت .

فقلت : لعمري ، لقد أحسنتَ الحفظ وما هذه إلا قريحة جيدة . وأخذنا في المذاكرة ، إذا سكتُ ابتدأت هي ، وإذا سكنتُ ابتدأت

أنا ، حتى قطعنا أكثر الليل وبحورَ العود يعبق ، وأنا في حالة لو توهمها  
المأمون لطار شوقاً إليها ، فقالت : إنك من أطرف الرجال ، وضيء الوجه  
بارعٌ في الأدب وما بني إلا شيء واحد ؟

قلت : وما هو ؟

قالت : لو كنت تترنم ببعض الأشعار ؟

قلت : والله لقد يمّا كنت ألفتُه ولم أرزقه وأعرضتُ عنه ، وفي قلبي  
منه حرارة ، ولو كنت أحبُّ في مثل هذا المجلس شيئاً منه لتكملَ ليلتي .  
قالت : كأنك عرّضت .

فقلت : والله ما هو تعريض قد بدأت بالفضل ، وأنتِ جديرة  
بذلك .

فأمرت بعود فحضر ، وغت بصوتٍ ما سمعتُ بحُسْنِه مع حُسن  
أدبها وجودة الضرب بالكمال الراجح ، ثم قالت : هل تعرفُ هذا الصوتَ  
ومن غنى به ؟ قلت : لا .

قالت : الشعر لفلان ، والغناء لإسحاق .

قلت : وإسحاق هذا جعلتُ فذاك بهذه الصفة ؟

قالت : بَخ بَخ ! إسحاقُ بارعٌ في هذا الشأن .

فقلت : سبحان الله أعطي هذا الرجلُ ما لم يعطه أحد ؟

قالت : فكيف لو سمعتَ هذا الصوتَ منه .

ثم لم تزل على ذلك حتى إذا كان الفجرُ أقبلت عجوزُ كأنها داية لها ،  
وقالت : إن الوقتَ قد حضر ، فنهضتُ عند قولها ، فقالت : لنستمر ما كنّا  
فيه فإن المجالس بالأمانات .

قلت : جعلتُ فذاك لم أكن أحتاج إلى وصية في ذلك .

فودعتها ، وجارية بين يديّ إلى باب الدار ففتح لي فخرجتُ ورحتُ  
إلى داري ، فصلّيت الصبحَ ونمتُ . فأتته رسولُ المأمون إليّ فسرت إليه  
وأقمت عنده نهاري ، فلما كان العشاء تفكّرت في ما كنتُ فيه البارحة .  
وهذا شيء لا يصبر عليه إلّا جاهل ، فخرجت وجئت إلى الزنيل .  
فوجدته على عادته ، فجلست فيه ورُفعتُ إلى موضع البارحة ، وإذا هي  
قد طلعت ، فقالت : لقد عاودت .

قلت : ولا أظنّ إلّا أنني قد ثقّلت .

وأخذنا في المحادثة مثل تلك الليلة السالفة في المذاكرة والمناشدة  
وغرب الغناء منها إلى الفجر . فانصرفت إلى منزلي . فصلّيت الصبح .  
ونمتُ . فأتته رسولُ أمير المؤمنين إليّ فمَضيتُ إليه وأقمت نهاري عنده .  
فلما كانت العشيّة توجّه إليّ مخاطباً ، وقال : أقسمت عليك لتجلسنَ حتى  
أجيء وأحضر ، فما كان حتى أن غاب وجالت وساوسي ، فلما تذكّرت ما  
كنتُ فيه هان عليّ ما يخصّني من أمير المؤمنين ، فوثبت مبادراً وخرجت  
جاريةً حتى أتيتُ الزنيل ، فجلست فيه فُرُفتُ إلى مجلسي ، فقالت :  
صديقنا .

قلت : إي والله .

قالت : أ جعلتها دار إقامة ؟

قلت : جعلتُ فذاك حقُّ الضيافةِ ثلاثةَ أيامٍ ، فإن رجعت بعد  
ذلك ، فأنتم في حلٍّ من دمي .

ثم جلسنا على ذلك الحال فلما قرب الوقتُ علمتُ بأن المأمون لا بدّ  
أن يسألني ، فلا يقنع إلّا بشرح القصة فقلت : أنا أراك ممّن يُعجب  
بالغناء ولي ابنُ عمِّ أحسنُ مِنِّي وجهاً ، وأظرفُ قداً وأكثرُ أدباً وأطيب  
أرجاً ، وهو أعرفُ خلق الله بغناء إسحاق .

فقلت : طفيلي وتقترح .

قلت لها : أنت المحكّمة .

ثم قالت : إن كان ابنُ عمك على ما تصف فما نكره معرفته .

ثم جاء الوقت فنهضتُ وقتُ وذهبتُ ، فلم أصل إلى داري إلّا  
ورسلُ المأمون قد هجموا عليّ وحملوني حملاً عنيفاً فوجدته قاعداً على  
كرسي وهو مغناظ فقال : يا إسحاق . أخرجوا عن الطاعة ؟

قلت : لا والله .

قال : فما قصُّك أصدقني ؟

قلت : نعم في خلوة .

فأومأ إلى من بين يديه ففتحوا ، فحدثته الحديثَ وقلت له : وعدُّها  
بك .

قال : أحسنتَ فأخذنا في لذتنا ذلك اليوم ، والمأمون معلّق القلب  
بها . فما صدّقنا أن جاء الوقت وسرنا ، وأنا أوصيه وأقولُ له : تجبّ  
واحذر أن تناديني باسمي بحضرتها ، وغنّ وأنا لك تبعٌ وهو يقول : نعم .  
ثم سرنا إلى الزبيل فوجدناهما اثنين ، فقعدنا فيهما ورُفَعنا إلى الموضع  
المعهود ، فحضرت وأقبلت وسلمت . فلما رآها المأمون بُهت في حُسْنها  
وجالها وأخذت تذاكره وتناشده الأشعار ، ثم أحضرت النبيذَ فشربنا ،  
وهي مقبلة عليه مسرورة به . وهو أكثر ، فأخذت العودَ وغنّت صوتاً ،  
ثم قالت : وابن عمك هذا من التجار ، وأشارت إليّ .

قلت : نعم .

قالت : والله إنكما لقريان .

فلما شرب المأمون ثلاثة أرتال داخله الفرح والطرب ، فصاح وقال :

يا إسحاق !

قلت : لبيك يا أمير المؤمنين .

قال : غنّ هذا الصوت ؟

فلما علمت أنه الخليفة نهضت إلى مكان فدخلته ، فلما فرغت من الصوت قال : انظر من ربّ هذه الدار ؟

فبادرت العجوز وقالت : للحسن بن سهل .

فقال : عليّ به .

فغابت العجوز ساعة ، وإذا الحسن قد حضر .

فقال له المأمون : ألك ابنة ؟

قال : نعم .

قال : ما اسمها ؟ قال : بوران .

قال : أمترّوجة ؟ قال : لا والله .

قال : فإني أنعطبها منك .

قال : هي جاريتك وأمرها إليك .

قال : قد تزوّجتها على نقد ثلاثين ألفاً ، تُحمل إليك صبيحة يومنا هذا . فإذا قبضت المال فاحملها إلينا من ليلتنا .

قال : نعم . ثم خرجنا فقال : يا إسحاق لا توقف على هذا الحديث أحداً .

فسترته إلى أن مات المأمون فما اجتمع لأحد مثل ما اجتمع لي في تلك الأربعة أيام مجالسة المأمون بالنهار وبوران بالليل . والله ما رأيت أحداً من



الرجال مثل المأمون ولا شاهدت امرأة تقارب بوران فهماً وعقلاً والله تعالى أعلم ، انتهى من حلية الكميت .

### المأمون وجارية أبيه

وقيل : كان المأمون يوماً يأكل مع أبيه الرشيد ، فلما فرغاً جعلت جارية تصبّ الماء على يد الرشيد . فنظر إليها المأمون ، وأشار إليها كأنه يقبلها . فأنكرت ذلك منه بعينها ، وأبطأت في الصبّ بقدر النظر إلى المأمون . فقال لها الرشيد : لأي شيء صغى الإبريق في يدك . فوالله لئن لم تصدقيني الحق لأضربن عنقك ؟

فأجابت : يا سيدي نظر إليّ عبد الله المأمون . وأشار إليّ كأنه يقبلني . فأنكرت ذلك بعيني .

فنظر الرشيد إلى المأمون ، فسقط مغشياً عليه كأنه ميتٌ مما داخله من الخوف والفرع ، فأخذه وضمّه إلى صدره . وقال : يا عبد الله ! أتحبها ؟ قال : إي والله يا أمير المؤمنين .

فقال : هي لك ، خذ بيدها وادخل بها في هذه القبة . ففعل . فلما خرج إلى الرشيد قال له : هل قلت في هذا شيئاً ؟

قال : نعم يا أمير المؤمنين ، ثم أنشد يقول :

ظلي كَنَيْتُ بطرفي عن الضمير إليه قَبْلْتُهُ من بعيدٍ  
فاعتُلُ من شفثيه وردَّ أخْبَثَ ردَّ بالكسر من حاجبيه  
فما برحتُ مكاني حتى قدّرتُ عليه

## المأمون والفتاة العربية

عن أبي عبد الله التَّمِيمِي أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ يَوْمًا مَعَ الْمَأْمُونِ ، وَكَانَ بِالْكُوفَةِ ، فَرَكِبَ لِلصَّيْدِ مَعَهُ سَرِيَّةً مِنَ الْعَسْكَرِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ سَائِرُ إِذْ لَاحَتْ لَهُ طَرِيدَةٌ فَأَطْلَقَ عِنَانَ فَرَسِهِ وَكَانَ عَلَى سَابِقِ مِنَ الْخَيْلِ ، فَأَشْرَفَ عَلَى نَهْرٍ مِنْ مَاءٍ بِحَرِّ الْفَرَاتِ ، فَإِذَا هُوَ بِجَارِيَةٍ عَرَبِيَّةٍ خُجَّاسِيَّةِ الْقَدِّ ، قَائِمَةِ التَّهْدِ ، كَأَنَّهَا الْقَمَرُ لَيْلَةَ تَمَامِهِ ، وَبِيَدِهَا قَرِيبَةً قَدْ مَلَأَتْهَا مِنَ النَّهْرِ ، وَرَفَعَتْهَا عَلَى كَتِفِهَا ، وَصَعِدَتْ مِنْ حَافَةِ النَّهْرِ ، فَانْحَلَّ وَكَأُوهَا ، فَصَاحَتْ بِرَفِيعِ صَوْتِهَا : يَا أَبْتَ ! أَهْدِرْكَ فَاهَا ، قَدْ غَلَبَنِي فُوهَا ، لَا طَاقَةَ لِي بِنَيْهَا .

قَالَ : فَعَجِبَ الْمَأْمُونُ مِنْ فَصَاحَتِهَا وَرَمَتْ الْقَرِيبَةَ مِنْ يَدِهَا ، فَقَالَ لَهَا الْمَأْمُونُ : يَا جَارِيَّةُ مِنْ أَيِّ الْعَرَبِ أَنْتِ ؟  
فَقَالَتْ : أَنَا مِنْ بَنِي كِلَابٍ .

قَالَ : وَمَا حَمَلُكَ أَنْ تَكُونِي مِنَ الْكِلابِ ؟  
قَالَتْ : وَاللَّهِ لَسْتُ مِنَ الْكِلابِ وَإِنَّمَا أَنَا مِنْ قَوْمٍ كَرَامٍ غَيْرِ لَثَامٍ ، يَقْرُونَ الضَّيْفَ ، وَيَضْرِبُونَ بِالسَّيْفِ ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا فَتَى مِنْ أَيِّ النَّاسِ أَنْتَ ؟

قَالَ : أَوْعَنْدُنِي عِلْمٌ بِالْأَنْسَابِ ؟

قَالَتْ : نَعَمْ .

قَالَ : أَنَا مِنْ مُضَرِّ الْحَمَرَاءِ .

قَالَتْ : مِنْ أَيِّ مُضَرٍّ ؟

قال : من أكرمها نسباً وأعظمها حسباً وخيرها أمّاً وأباً ، ممّا تهابه مضر وتخشاه .

قالت : أظنك من كنانة ؟

قال : أنا من كنانة .

قالت : من أي كنانة ؟

قال : من أكرمها مولداً وأشرفها محبتداً وأطولها في المكرمات بدأ ، ممن تهابه كنانة وتخشاه .

قالت : والله أنت من بني هاشم ؟

قال : أنا من بني هاشم .

قالت : من أي هاشم ؟

قال : من أعلاها منزلةً وأشرفها قبيلةً ممن تهابه هاشم وتخشاه .

قال : فعند ذلك قبلت الأرض وقالت : السلامُ عليك يا أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين .

قال : فتمعجب المأمون منها وطرب طرباً شديداً ، ثم قال : لا تزوجن بها لأنها من أكبر القنائم ، ووقف حتى التحق به العسكر ، فترل وأرسل خلف أيها وخطبها منه ، فزوجه بها ، وهي والددة العباس ، والله أعلم .

### أخلاق المأمون

من محاسن الأخلاق ، ما حكى عن القاضي يحيى بن أكرم قال : كنت نائماً ذات ليلة عند المأمون ، فعطش ، فامتنع أن يصيح لغلّام يسقيه ، وأنا نائمٌ فينصص عليّ نومي ، فرأيتُه وقد قام يتمشّي على أطراف

أصابه حتى أتى موضعَ الماء ، وكان بينه وبين الماء نحو ثلاثمائة خطوة . ثم رجع يتمشَّى على أطرافِ أصابعه حتى وصل إلى الفراش الذي أنا عليه ، وخطا خطواتٍ لطيفةً لثلاثين حتى وصل إلى فراشه . ثم رأيتُه آخر الليل ، وقد قام يبول ، فقام طويلاً يحاول أن أتحرَّك فيصيح للغلام . فلما تحرَّك . وثب قائماً وصاح بالغلام وتأهَّب للصلاة ثم جاءني وقال : كيف أصبحت يا أبا محمد ، وكيف مبيتك ؟

قلت : بخير مبيت جعلني الله فداك .

قال : لقد استيقظتُ للصلاة ، فكرهتُ أن أصيحَ للغلام فأزعجك .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، لقد خصَّك الله بأخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ووهب لك سيرتهم ، فهنَّأك الله بهذه النعمة . وأتمَّها عليك .

فأمر لي بألف دينار وانصرفت .

### حِلْمُ المأمون

وحدَّث سليمان الوراق قال : ما رأيتُ أعظم حِلماً من المأمون ، دخلت عليه يوماً وفي يده قَصٌّ مستطيل من ياقوت أحمر له شعاع قد أضاء له المجلس ، وهو يقلِّبه بيده ويستحسنه . ثم دعا برجلٍ صائغ وقال له : اصنع بهذا النمر كذا وكذا ونزل فيه كذا وكذا ، وعرفه كيف يعمل به ، فأخذه الصائغ وانصرف ثم عدتُ إلى المأمون بعد ثلاثٍ فتذكَّره فاستدعى الصائغ ، فأني به ، وهو يُرعدُّ وقد امتَّقع لونه . فقال المأمون : ما فعلتُ بالفَصِّ ؟

فتلجلج الرجل ولم ينطق بكلام ، ففهم المأمون بالفراصة أنه حصل فيه

خللٌ . فوَلَّى وجهه عنه . حتى سكنَ جأشه . ثم التفت إليه وأعاد القول .

فقال : الأمان يا أمير المؤمنين .

قال : لك الأمان .

فأخرج القصرَ أربع قطع وقال : يا أمير المؤمنين . سقط من يدي على السندال فصار كما ترى .

فقال المأمون : لا بأس عليك . اصنع به أربع خواتم . وألطف له في الكلام حتى ظننت أنه كان يشتهي القصرَ على أربع قطع . فلما خرج الرجل من عنده ، قال : أتدرون كم قيمة هذا القصر ؟

قلنا : لا ، قال : اشتراه الرشيد بمائة ألف وعشرين ألفاً ، انتهى .

• • •

ومن حلمه أيضاً . قال يحيى : كنتُ أنا والمأمونُ يوماً في بستان ندورُ فيه فمشينا في البستان من أوله إلى آخره ، وكنتُ مما يلي الشمس والمأمونُ مما يلي الظلِّ ، فكان يجذبني أن أكونَ في الظلِّ وهو في الشمس . فامتنع من ذلك . فإذا رجعنا قال لي : والله يا يحيى لتكوننَّ في مكاني ولأكوننَّ في مكانك ، حتى آخذَ نصيبي من الشمس كما أخذتَ نصيبك منها .

فقلت : والله يا أمير المؤمنين ، لو قدرتُ أن أقبك من هول المطلعُ لفعلتُ .

ولم يزل بي حتى تحوّلتُ إلى الظلِّ وتحولَ هو إلى الشمس ، ووضع

---

١ هول المطلع : هول يوم القيامة .

يده على عاتقي وقال : بحبائي عليك إلا ما وضعت يدك على عاتقي مثل .  
فعلت . فإنه لا خير في صحبة من لا يُنصف .

• • •

ومن جلمه أيضاً أنه كان له خادم يسرق طاساته التي يتوضأ فيها  
فقال له المأمون : إذا سرقت شيئاً فائتني بما تسرقه . فأشترته منك .

فقال له الخادم : اشتر مني هذه . وأشار إلى التي بين يديه .

فقال : بكم .

قال : بدينارين .

قال : على شرط أنك لا تسرقها .

قال : نعم .

فأعطاه دينارين ، فلم يعد الخادم يسرق بعدها شيئاً لما رأى من  
جلمه ، وافته أعلم .

### الطفيلي الأديب والمأمون

وروى بعض أهل الأدب أن فتى من أهل الكوفة قد فاق أهل زمانه  
في الأدب والبيان والفصاحة باللسان ناقداً في صناعته ، حافظاً للأقدار .  
راوياً للأشعار ، خبيراً بسير الملوك في الأيام السالفة ، بصيراً بالبحث عن  
أموالهم في الأيام الآتية . حاذقاً في التصنيف ، فائقاً في التأليف ، صبيح  
الوجه ، مقبول المشاهد . حلو الشمائل . وكان مع ذلك لا يتوجه له  
وجه من العمل إلا عارضه فيه عائق . وحال دونه حائل وقدر سابق ،  
فبقي حيناً من الدهر . وقد برز في القدر والمال والجاه من كان عنده في  
الصناعة متأخراً . فضايق صدره وعيل صبره وضلت مقاليده ، فخرج إلى

بغداد واكثرى في بعض خاناتها منزلاً وأجمع رأيه على أن يجعل نفسه على خطب هائل ليكون فيه هلكته أو ملكه . وترتب لذلك أن يرى وحها إلى أن عزم أمير المؤمنين المأمون أن يشرب يوماً هو وصنوه المعتصم . فأمر المأمون بالاستعداد ليوم سمّاه ليخلو فيه مع الجوّاري . منفردين عن سائر الدماء . فظهر خبرهما بذلك . وعرف الناس ذلك اليوم الذي عزم عليه . فعزم هذا الأديب المذكور على أن يتطفل في ذلك على المأمون وأخيه المعتصم . ففضى إلى إخوانه وأصدقائه فاستعار من هذا قباء وجبة وزردية<sup>١</sup> . ومن آخر منطقة وخفاً وسيفاً . ومن آخر برذوناً . ومن آخر ما يحتاج إليه من الطيب واستعدّ لذلك اليوم . ودخل الحمام سحراً . وتطيّب . ولبس . وركب عند طلوع الشمس إلى دار المعتصم وقال للحاجب : عرّف الأمير أنّي رسول أمير المؤمنين . واستأذن لي عليه .

فسمى الحاجب عدواً حتى أخبر المعتصم . فأذن له . فلما دخل عليه . وتمثّل بين يديه . قال له : سيدي إن أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك : أنسيت الوعد . ألم يُقدّم إليك بالركوب لنتخلو ونستريح يوماً هذا ؟

قال المعتصم : لا والله ما نسيت ذلك . ولكن تريضت ساعة . ونمت نومةً لأتقوى بذلك على انتصاب سائر النهار .

فقال الفتى : فعجل الآن أيها الأمير . فإنه أمرني أن لا أفارقك حتى آتية بك .

فأمر المعتصم بإسراج مركوبه وأسرع في التأهب . ولبس ثيابه وتطيّب وركب الفتى معه . والمعتصم لا يُنكر شيئاً من كلام الفتى ويتأمل لطافته

١ الزردية : لعلها ضرب من الثياب مصنوع على شكل زرد .

وهيته . ولم يتوهم إلا أنه من بعض خواص المأمون . وأخذ الفتى يحدث المعتصم وأقبل عليه بكلية . ولم يتمكن من سؤاله شهوة لاستماع حديثه . حتى بلغ باب الخليفة فالتقى الفتى نفسه عن دابته . وأخذ يمشي بين يديه . والحجاب لا يُكبرون منه شيئاً ويطّون أنه من خدام المعتصم . حتى نزل المعتصم . وأخذ الفتى بركابه . ودخل المجلس . فلما استقر المعتصم في مجلسه جلس الفتى بين يديه . وهو منهمك في نوادره وأخباره والمعتصم مصغٍ إليه تعجباً مما يسمع من حسن كلامه . وأخير المأمون أن المعتصم قد وصل ومعه رفيق لا يُعرف من هو .

فقال المأمون : أخي قد عرف أن هذا المجلس اتفقنا عليه لا ينبغي أن يحضره أحد من الناس إلا من هو عدل النفس . وقد أحسن أخي إذ جعل لنا ثالثاً . فإن المجلس إذا لم يحضره أكثر من اثنين تعطل لقيام أحدهما إلى الصلاة وإلى ما لا بد منه . ثم خرج من ساعته فرحاً وليس له همة إلا تصفح وجه الغلام واستنطاقه واعتبار قدّه وعقله . فلما استقر على سرير ملكه والفتى عالم بما وقع في نفس المأمون نهض قائماً فقيل يد المأمون . وعاد إلى مجلسه وأخذ في نوادره وحديثه ومضحكاته وحسن أخباره وغرائب أشعاره كأنه يغرف من بحر . وهو مع ذلك يوهم المأمون أنه من خواص المعتصم . فساعة يكنه وساعة يُسميه حتى غلب على قلب المأمون . وأظهر الحمد لأخيه في صحبة مثل هذا الغلام وكلامه . وأمر المأمون بإحضار المائدة . فنصبت بأنواع الطعام . فأكلوا وغسلوا أيديهم . ولمجلس الشرب انتقلوا . وأمر المأمون بإحضار الجوارى من غير ستارة . فحضرن وأخذن في الغناء . فما من صوت يمر إلا والفتى عارف به . وبالغناء . ومتى قبل وفيمن قبل . فعز في عين المأمون حتى ملأ عينه . وتزايد حسده لأخيه في صحبة مثله فسأ الفتى بول . ولم يجد للمدافعة سبيلاً . فقام وهو متيقن أنها سيدكرانه . ويتواصفان أمره وحاله . إذا



خلا المجلس . فما هو إلا أن غاب من بين أيديهما حتى قال المأمون لأخيه المعتصم : يا أبا إسحاق من صاحبك هذا ؟ فوالله ما رأيت رجلاً قط أكثر منه أدباً ولا أنظف هيئة ولا أشرف من شئائه .

فقال المعتصم : والله ما أعلم من هو . وإنما جاءني مبكراً برسالة أمير المؤمنين .

فقال المأمون : سألتك بالله يا أخي أهو كذلك ؟

فقال : إي والله الذي لا إله إلا هو .

فقال المأمون : طفيلي ، ورب الكعبة ، وغضبَ وأمر الجواري بالنهوض ، فنهضن وأقبل الفتى راجعاً فلما نظر إلى خلوة المجلس من الجواري وإلى تغير وجه المأمون ، وقف على رأس المجلس وأقبل بوجهه على المعتصم وقال : يا أبا إسحاق ! كأنني بك قد أخذت في نوع الزور والبُهتان . وهذا المجلس من المجالس التي لا تحمل المزاح ، وما هكذا وعدتني . ثم قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما بليت من أحد من الناس مثل ما بليت من هذا لأنه دائماً أبداً يعرضني لمثل هذا وأشباهه ، ويغري بي ويوقعني في كل ورطة .

ثم أقبل على المعتصم وقال : يا أبا إسحاق . سألتك بالله وبحق أمير المؤمنين إلا ما أعفيتني من ملاعبتك التي لا تُحتمل وتؤدي إلى مؤاخذه أمير المؤمنين .

ولم يزل يأتي بهذا وأمثاله حتى شك المأمون في أمره والتفت إلى أخيه المعتصم وقال : سألتك بالله يا أخي . بخيائي عليك إلا ما أعلمتني بحقيقة أمره ؟

فقال المعتصم : يا أمير المؤمنين برئت من ذمة الله ورسوله ومن حيائك وولائتك إن كنت أعرفه أو رأيته قط إلا في يومي هذا .

فقال الفتى : كذِبَ والله يا أمير المؤمنين لقد كنتُ معه دهري الطويل  
وفي موضع كذا وكذا ، وإن هذا فعله معي أبداً .

فضحك المأمون تعجباً . وقال : ادخل فدخل . وأمره بالجلوس  
فجلس ، ثم قال : لك الأمان إن صدقتني .

فصدقَه الحديثَ على وجهه فأعجب من حُسن منطقهِ ولطف مدخلهِ  
ودقيق تصرفهِ وأمر بإعادة الجوّاري إلى مجلسهنّ . فطربوا سائر يومهم .  
فقال له المأمون : أخبرني بأعجب ما لحقك في قدومك من الكوفة إلى  
بغداد واجعله نظماً ولا نكتم عني شيئاً .

فقال : نعم . ثم أنشأ يقول :

بينما أنا راقدٌ في البيت مكتئبٌ	مفكرٌ في حصول الكدِّ والقوتِ
وليس في البيت لي شيءٌ أَلِمُّ به	وبي من الجوع ما يُدني إلى الموتِ
إذا بصوت بباب الدار أستمعه	والأذن مصغيةً مني إلى الصوتِ
ناديتُ : من ذا الذي أرجوه لي فرجاً ؟	نادى : أنا فرجٌ زِن لي كِرا البيتِ

فضحك المأمون حتى استلقى على فراشه . ثم ضرب برجله الأرض  
من شدة إعجابه وقال : ثم ماذا ؟

قال : يا أمير المؤمنين . فخرجت فإذا هو صاحب الخان يطلُبني  
بالكرء . فوعده بأن يرجع إليّ مرة أخرى . فضى ومضيت على وجهي لا  
أعلم أين أتوجه . فسألت كل من لقيته من صديق لي كنتُ أستاذس به .  
فخطر على بالي بيتان من الشعر في ذلك وهما :

غريبُ الدار ليس له صديقٌ	جميعُ سؤاله : أين الطريقُ ؟
تعلّق بالسؤال لكلّ شخصٍ	كما يتعلّق الرجل الغريقُ

فأشرفَت يا أمير المؤمنين عليّ جارية كأنها البدرُ ليلةَ كماله ، وهي تقول :

ترَفَّق يا غريبُ فكلَّ خَرَّ يَمُرُّ بحاله سَعَةً وضيقُ  
وكلُّ مُلِمَّةٍ إن أنتَ فيها صبرتَ لها أُتِيجَ لها الطريقُ

ثم قالت : خذ هذه فادفع بها فافتك ، فوالله ما هي إلا مؤاساةٌ من قوت ، ورمت إلى صدري بقرطاس ، وإذا فيه عشرةٌ دراهم ، فرجعت من فوري . فوجدت صاحبَ الكراء قائماً على الباب ، فدفعت إليه خمسة دراهم ، واستعنت بالباقي إلى أن وقَّعت هذه القصة ، وهذا الأمر الذي كلَّفني وحملني على ما فعلت وأنشأ يقول :

لم آتِ فعلاً غيرَ مُستَحسن جهلاً بفعل الأحسن الأملح  
لكنني في حالةٍ أوجبت ضرورةً ، إتيانُ مُستَقبح

فأعجبَ المأمون أمره واستحسنه وأمرَ له بمائة ألف درهم يُصلِحَ بها شبَّانَه وألحقَه بمراتب الخاصَّة ، ورُفِعت منزلته ، وصارَ أقربَ الناس إليه ، وآخرَ خارجٍ من عنده وأوَّل داخلٍ إليه ، وسُمِّي طفيلي المعتصم ، وأنشد للمأمون يوماً يقول :

كانت لقلبي أهواء مفرقةً فاستجمعتُ مذ رأيتُ العينُ أهوائي  
تركتُ للناس دنياهم ودينهم شغلاً بذكرك عن ديني ودنياي  
وصارَ يحسدني من كنتُ أحسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولاي

فاستحسن المأمون الأبيات ، وأمر بكتبتها على الستارة ، وصار - الفتى إذا حضر يوم سرور المأمون لم يكن للمأمون هم إلا اقتراح هذه الأبيات إلى أن ينقضي المجلس ، ثم إن الفتى بعد أن حسنت حاله ، أرسل إلى الدار

التي أشرفت عليه منها الجارية . فإذا هي لرجل من أهل بغداد من مباشرها . وقد مات ولم يخلف ولداً سوى تلك الجارية . وما مات حتى تضعع حاله . فأعلم المأمون بذلك . فأمر بحطبتها للفتى ودفع المهر من عنده وصار الفتى والجارية في نعمة عظيمة بقية عمرهما والله أعلم .

### رقة قلب المأمون

وسرق شاب سرقة . فأُتي به إلى المأمون فأمر بقطع يده فتقدم لتقطع يده فأنشد الشاب يقول :

يدي . يا أمير المؤمنين . أعيذها بعفوك أن تلقى نكالا يشينها  
فلا خير في الدنيا ولا راحة بها إذا ما شئال فارقها يمينها

وكانت أم الشاب واقفة على رأسه ، فبكت وقالت : يا أمير المؤمنين إنه ولدي وواحدي . ناشدتك الله إلا رحمتني وهدأت لوعتي وجدت بالعفو عمن استحق العقوبة .

فقال المأمون : هذا حد من حدود الله تعالى .

فقالت : يا أمير المؤمنين ! اجعل عفوك عن هذا الحد ذنباً من الذنوب التي تستغفر منها .  
فرق لها المأمون وعفا عنه .

## المأمون ونذير الشؤم

قال : رأيت في بعض المجاميع بخط بعض العلماء الأكابر أن المأمون أشرف يوماً من قصره فرأى رجلاً قائماً ويده فحمة . وهو يكتب بها على حائط قصره . فقال المأمون لبعض خدمه : إذهب إلى ذلك الرجل . فانظر ما كتب واثني به .

فبادر الخادم إلى الرجل مسرعاً وقبض عليه . وقال : ما كتبت ؟ فإذا هو قد كتب هذين البيتين :

يا قصرُ جُمِعَ فيك الشؤمُ واللومُ متى يعيش في أركانك اليومُ  
يوماً يعيشُ فيك اليومُ من فرحي أكونُ أولَ من ينعاك مرغومُ<sup>١</sup>

ثم ان الخادم قال له : أجب أمير المؤمنين .

فقال الرجل : سألتك بالله لا تذهب بي إليه .

فقال الخادم : لا بدّ من ذلك .

ثم ذهب به فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين وأعلم بما كتب قال له المأمون : ويلك ، ما حملك على هذا ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ! إنه لا يخفى عليك ما حواه قصرُك هذا من خزائن الأموال والحلى والحلل والطعام والشراب والفرش والأواني والأمتعة

---

١ قوله : مرغومُ ، بالرفع ، لعله مرفوع له على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره وأنا مرغوم ، فتكون الجملة حالية .

والجوارى والخدم وغير ذلك مما يقصر عنه وصني ويعجز عنه فهمي . وإني  
يا أمير المؤمنين قد مررت عليه الآن . وأنا في غاية من الجوع والفاقة .  
فوقفت مفكراً في أمري وقلت في نفسي : هذا القصر عامراً عالٍ . وأنا  
جائع ولا فائدة لنا فيه . فلو كان خراباً ومررت به لم أعدم رخامة أو خشبة  
أو مسباراً أبيعه وأنقوت بئمه أو ما علم أمير المؤمنين رعاه الله قول الشاعر :  
إذا لم يكن للمرء في دولة امرئ نصيبٌ ولا حظٌ ثمئى زوالها  
وما ذاك من بغضٍ له ، غير أنه يُرْجى سواها ، فهو يهوى انتقالها

فقال المأمون : يا غلام ، أعطه ألف درهم ، ثم قال : هي لك في  
كل سنة ما دام قصرنا عامراً بأهله مسروراً في دولته .  
وأنشدوا في معنى ذلك :

إذا كنت في أمر ، فكن فيه محسناً      فعماً قليل أنت ماضٍ وتاركه  
فكم دحت الأيام أربابَ دولةٍ      وقد ملكوا أضعاف ما أنت مالِكُه<sup>١</sup>

### المأمون ومدعي النبوة

ويحكى أنه تنبأ رجلٌ في أيام المأمون . فقال ليحيى بن أكرم القاضي :  
يا يحيى امض بنا مستترين حتى ننظر إلى هذا المتنبى وإلى دعواه .  
فركبا في الليل مستترين ومعهما خادم حتى صارا إلى بابه وكان مستتراً  
بشوبه ، فاستأذنا عليه فخرج إليهما ، فقال : من أنتم ؟

١ دحت الأيام : هكذا في الأصل ، ومنى دحاه بسطه ، ودحا الحجر رماه .

فقالا : رجالان يريدان أن يُسلما على يدك .  
 قال : ادخلا . فدخلوا وجلس المؤمن عن يمينه . ويحيى عن يساره . فقال المؤمن : إلى من بعثت ؟  
 قال : إلى الله كافه .  
 قال : أفبوحى إليك . أم ترى في المنام . أم يُنفث في قلبك ؟  
 قال : بل أناجى وأكلم .  
 قال : ومن يأتيك ؟  
 قال : جبريل .  
 قال : فمتى كان عندك ؟  
 قال : الساعة قبل أن تأتياني بساعة .  
 قال : فما أوحى إليك ؟  
 قال : أوحى إليّ أنه سيدخل عليك رجلان فيجلس أحدهم عن يمينك . والآخر عن يسارك . والذي يجلس عن يسارك ألوطُ خلق الله تعالى .  
 فقال له المؤمن : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله . وكان يحيى يُعزى إلى ما قاله عنه النبي .

### أبو نواس والغلام الجميل والقاضي

دخل أبو نواس على القاضي يحيى بن أكرم ودخل معه غلام جميل الوجه . فقال الغلام : هذا مرّ عليّ وقبلني كرها .  
 ففتن به القاضي . فأنشد بقول :

إذا كنت للتخمين والبس كارهاً      فلا تدخل الأسواق إلا متنبأ  
ولا تظهر الأصداغ من تحت طرّة      وتُشهر منها . فوق خديك . عقرباً  
فلما سمع الغلام . أنشأ يقول :

لقد كنت أرجو أن أرى العدل بيننا      فأعقبني . بعد الرجاء . قنوط  
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها      إذا كان قاضي المسلمين يلوط

### المأمون ويحيى بن أكرم

يحكى أنه كان عند المأمون يوماً . فقال له المأمون وهو يعرض له  
باللواط : يا يحيى ! من ذا الذي يقول :

قاضي يرى الحد في الزناء . ولا يرى      على من يلوط من بأس  
فقال له : ان الذي يقول :

ما أرى الجوز ينقضي . وعلى الأمل      إله وال منكم . بني العباس

### سليب العقل لا الدين

### سكرة القاضي ابن أكرم

ويقال : إن المأمون شرب يوماً ومعه القاضي يحيى بن أكرم . فقال  
لساقي على القاضي حتى وقع سكران : فأمر المأمون أن يلقى عليه الورد  
والرياحين حتى يدفن فيها كأنه ميت . وصنع بيتين شعراً . وقال لمغنيته :  
خذي العود وعني على رأسه فغنت . وقالت :



ناديته وهو حي لا حراك به      مزمل في ثياب من رياحين  
فقلت : قم ! قال : رجلي لا تطاوعني      فقلت : خذ ! قال : كفي لا يوافيني

فاستيقظ يخبي لرتة العود والجارية تغني البيتين فقام . وقال :

يا سيدي وأمير الناس كلهم      قد جاز في حكمه من كان يسقيني  
سقاني الراح لم يمزج سلاقتها      حتى بقيت سليب العقل لا الدين

### إبراهيم بن المهدي والمأمون

قال الواقدي : كان إبراهيم بن المهدي ادعى لنفسه الخلافة بالري وأقام مالكمها سنة وأحد عشر شهراً واثني عشر يوماً وله أخبار كثيرة .

فما حكاه قال : لما دخل المأمون الري في طلي أثقل علي الطلب وجعل لمن دل علي وأتاه في مائة ألف درهم . فخفت على نفسي . وتغيرت في أمري . فخرجت من داري وقت الظهر . وكان يوماً صائفاً . وما أدري أين أتوجه . فمرت بزقاق لا ينفذ . فقلت : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . إنا لله وإنا إليه راجعون . وخفت إن رجعت على أثري يعلموا بي . فرأيت في صدر الزقاق عبداً أسود قائماً على باب داره . فتقدمت إليه . وقلت له : عندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار ؟

قال : نعم . وفتح الباب . فدخلت إلى بيت نظيف فيه حصر نظيفة وبسط ومخدرات جلد . ثم إنه أغلق الباب علي ومضى . فخفت أن يكون سمع الجمالة في حقي . وأنه عرفني ومضى ليدلهم علي . فقيت مثل الحبة في المقلاة قلقاً ميتاً من الخوف . فبينما أنا كذلك . إذ أقبل ومعه حمل حامل كل ما أحتاج إليه من لحم وخبز وقدر جديدة وجرة وكيزان

جدد . ثم التفت إليّ وقال : جعلني الله فداك ! أنا رجل حجّامٌ ، وأنا أعرف أنك تنفر مني لما أتولاه من معيشتي . فشأنك بما لم تقع عليه يدي . وكان لي حاجة إلى الطعام فقمت وطبخت قدرًا ما ظننت أني أكلتُ منه قدرًا . فلما قضيت أربي ، قال لي : هل لك أن تشرب شيئاً فإنه يسّليّ همّ ويُزيل الغمّ ، ويُمهّد للنفس الفرح ؟ قلت : ما أكره ذلك ، رغبةً في مؤانسته .

فأتى بقطرميز جديد وأحضر لي نُقلاً وفاكهة في أوّانٍ جُدّد من فخّار . ثم قال بعد ذلك : إن أذنت لي . جُعِلْتُ فِداك أن أقعد بناحية منك ، وآتي بشراب فأشربُ مسروراً بك . فقلت : افعل .

ففعل وشرب ثلاثاً . ثم دخل إلى خزانة له : فأخرج عوداً مُصلحاً ، ثم قال : يا سيدي ليس من قدرتي أن أسألك أن تغني . ولكن قد وجب على مروءتك حرمتي ، فإن رأيت أن تشرف عبدك بأن تغني لنفسك ، والعبدُ يسمعُ فافعل .

فقلت له : ومن أين لك أني أحسن الغناء ؟

فقال متعجباً : سبحان الله ! أنت أشهر من ذلك . أنت إبراهيم بن المهدي خليفتنا بالأمس الذي جعل المأمون لمن يدلّ عليك مائة ألف درهم .

فلما قال ذلك عظمت مروءته عندي ، وعلمت أن نخوّته أجلُّ مما بذل . فتناولت العود فأصلحته ، وقد مرّ بخاطري ذكرُ أهلي وولدي ، فقلت :

وعسى الذي أهدى ليوسف أهله وأعرّبه في السجن . وهو غريبٌ

أَنْ يَسْتَجِيبَ لَنَا فَيَجْمَعَ شَمْلَنَا      فَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَرِيبُ

فَقَالَ : يَا سَيِّدِي اجْعَلْ مَا تَغْنِيهِ مِمَّا أَقْتَضِيكَ<sup>١</sup> بِهِ .

قُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ : غَنَى لِي :

إِنْ الَّذِي عَقِدَ الَّذِي انْعَقَدْتُ بِهِ      عَقْدُ الْمَكَارِهِ . فَهُوَ يَمْلِكُ حُلَّهَا  
فَاصْبِر . فَإِنَّ اللَّهَ يُعْقِبُ رَاحَةً      فَلَعَلَّهَا أَنْ تَنْجِلِي . فَلَعَلَّهَا

فَحَسَنَ عِنْدِي اقْتِرَاحَهُ وَشَرِبْتُ . ثُمَّ قَالَ لِي : غَنَى لِي :

وَرَاءَ مُضِيقِ الْخَوْفِ مَتَسَعُ الْأَمَنِ      وَأَوَّلُ مَفْرُوحٍ بِهِ آخِرُ الْحَزَنِ  
فَلَا تَيَأْسُنْ فَاللَّهُ مَلِكٌ يَوْسُفًا      خَزَائِنُهُ بَعْدَ الْخِلَاصِ مِنَ السَّجَنِ

فَفَرَحَ وَشَرِبَ وَشَرِبْتُ . وَقَالَ : غَنَى لِي :

إِذَا الْحَادِثَاتُ بَلَغْنَ النُّهَى      وَكَادَتْ لَهْنَ تَذَوُّبُ الْمُهْجِ  
وَحُلَّ الْبَلَاءُ وَقَلَّ الْعَزَاءُ      فَعِنْدَ التَّنَاهِي يَكُونُ الْفَرَجُ

وَعُتْبَتُهُ وَحُسْنُ فِي نَفْسِي اقْتِضَاؤُهُ . وَأُنْسْتُ بِهِ . وَاسْتَظَرَفْتُهُ . ثُمَّ  
قَالَ : إِنْ رَأَيْتَ يَا سَيِّدِي أَنْ تَأْذَنَ لِي أَنْ أَغْنِيَ مَا خَطَرَ بِيَالِي . وَإِنْ كُنْتُ  
مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الصَّنَاعَةِ ؟

فَقُلْتُ : يَكُونُ ذَلِكَ زِيَادَةً فِي أَدَبِكَ وَمَرْوَةً لَكَ .

فَأَخَذَ الْعُودَ ، ثُمَّ قَالَ : دَسْتُور . ثُمَّ ضَرَبَ عَلَيْهِ ، وَغَنَى يَقُولُ :

شَكُونَا إِلَى أَحْبَابِنَا طَوَلَ لَيْلُنَا      فَقَالُوا لَنَا : مَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عِنْدَنَا  
وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّوْمَ يَغْشَى عِبُونَهُمْ      سَرِيعًا ، وَلَا يَغْشَى لَنَا النَّوْمُ أَعْيُنَا

---

١ أَقْتَضِيكَ بِهِ : أَطْلَبُهُ مِنْكَ .

إذا ما دنا الليل المضربُ بذِي الهوى      جزعنا . وهم يستبشرون إذا دنا  
فلو أنهم كانوا يلافون مثل ما      نلاقي لكانوا في المضاجعِ مثلنا

فقلت : والله ذهب عني كلُّ ما كان عندي من الفزع وسألته أن  
يعني . فغنى يقول :

نُعيرُنا أنا قليلٌ عديدُنا      فقلت لها : إن الكرام قليلُ  
وما ضرُّنا أنا قليلٌ وجارُنا      عزيزُ . وجار الأكرمين ذليلُ  
وإنَّا لقومٌ لا نرى الموت سبَّةً      إذا ما رآته عامرٌ وسلولُ  
يقربُ حبُّ الموتِ آجالنا لنا      وتكرهُه آجالهم فتطولُ

فوالله لقد أجادَ وذهب عني كل ما كان من الفزع والجزع ،  
واستأنست به وأخذني من الطرب ما لا مزيد عليه ، وعالجني النوم قبل  
أوانه فَنِمْتُ ، ولم أستيقظ إلَّا بعد المغرب . وجال فكري في هذا الحُجَّام  
وأدبه وظرفه . وكيف غناؤه وأدبه وإرادته أن يسليني عما أنا فيه إشارة إلى  
تخصيصه بالوفاء لضيفه ونصره لجاره . فقعدت وغسلت وجهي وأيقظته ،  
وأخذت خريطةً كانت صحتي فيها دنائيرٌ ومصاعٌ لها قيمة فدفعْتُها إليه ،  
وقلت له : أنت في وداعة الله وحفظه فأني ماضٍ عنك . وأسألك أن  
تصرف ما في هذه الخريطة في بعض مُهمَّاتك . ولك عندي ، إذا أمنت ،  
المزيد . فأعادها عليّ مبادراً وقال : يا سيدي ! الصعلوك لا قيمة له عند  
أهل الرياسات . ويظنون فيه الظنون الرديئة . فأخذ على ما وهبني الله من  
قربك وحلولك في منزلي ثَمناً ؟ لا والله . فألححتُ عليه . فأخذ موسى  
بيده وقال : والله إن راجعتني لأنحرُ نفسي . فخشيت عليه وأخذت  
الخريطة وأثقلني حملها ، فلما انتهيت إلى باب الدار ، قال : يا سيدي إن  
هذا الموضوع أخفى لك من غيره ، وليس عندي في مؤنتك ثقله ، فأقم  
عندي إلى أن يفرِّج الله عنك . فرجعت وسألته أن يكون منفقاً من تلك

الخريطة فلم يفعل . وكان كل يوم يفعل بي مثل ما فعل في اليوم الأول .  
قال : فأقمت أياماً في أطيب عيش وأهنأه . ثم سئمت من الإقامة  
عنده وخشيت الثقل عليه . فتركني ومضى يحدّد لنا حالنا . فلبست ثيابي  
وترزيت بزّي النساء بالخفّ والنقاب . وخرجت . فلما صرت في الطريق  
داخلي من الخوف والفرع أمر شديد ومشيت لأعبرّ الجسر . وإذا هو قد  
رشّ . ورجل قائم فأبصرني بعض من كان في خدمتي من الجند فتعلّق  
بي . وقال : طلبة أمير المؤمنين . فدفعته في صدره فوقع في الزلق وصار  
عبرةً وتبادر الناس إليه فاجتهدت في المشي حتى قطعت الجسر . ودخلت  
زقاقاً فوجدت باباً وامرأة واقفة فيه . فقلت : يا سيدة النساء ، احقني  
دمي فإنّي رجل خائف .

فقلت : ادخل . فدخلت فأطلعتني إلى غرفة وفرشت لي وقدمت لي  
طعاماً . وقالت : ليهدأ روعك فإنه لا يعلم بك مخلوق . ولو أقمت سنة ما  
عليك بأس . وإذا بالباب يُدقّ . فخرجت وفتحت الباب . فإذا هو  
صاحبي الذي دفعته على الجسر . وهو مشدوخ الرأس ودمه يسيل على  
ثيابه . فقالت له : ما دهالك ؟

قال : إن حديثي عجيب وأمرني غريب ظفرت بالفتى وانفلت من  
يدي .

قالت : وكيف ؟

قال : إبراهيم بن المهدي لقيته فتعلّقت به فدفعني فأصابني ما ترين من  
حالي ولو حملته إلى أمير المؤمنين لأخذتُ منه مائة ألف درهم .

قال : فأخرجت له حرقاً وذروراً . وفرشت له بعد كبس جرحه فنامَ  
قليلاً وطلعت وقالت لي : أظنك صاحبَ القصة ؟

قلت : نعم .

فقلت لي : إني خائفة عليك ، ثم جدّدت لي الكرامة وأقمت عندها ثلاثة أيام ، ثم قالت لي : إني خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع على أمرك فينمّ عليك فأنج بنفسك .

فسألته إيمهالي إلى الليل . فلما دخل لبست زيّ النساء وخرجت من عندها وأتيتُ إلى بيت مولاةٍ لنا ، فلما رأتني بكّيت وتوجّعت وحمدت الله تعالى على سلامتي وخرّجت كأنها تريد كرامتي . فتوجّهت للسوق مظهرة الاهتمام للضيافة فظننت خيراً ، فلم أشعر إلّا بإبراهيم الموصلي بخيله ورجاله ، والمولاة معه حتى سلمتني إليه . فرأيت الموت عياناً . وحملت مثل ما أنا إلى أمير المؤمنين . فجلس مجلساً عاماً . وأمر بإدخاله عليه . فلما مثلت بين يديه سلّمْتُ عليه سلامَ الخلافة . فقال : لا سلّمك الله . ولا حفظك ولا رعاك .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن وليّ الثار محكّمٌ في القصاص ، والعفو أقرب للتقوى . ومن تناولته يدُ الأقدار ربما مدّ له من أسباب الرجاء ما يأمن معه عادةً الدهر . وقد جعلك الله فوقَ خلقه ، وأصبح عفوك فوقَ كل ذي عفو . فإن تأخذ فبحقّك . وإن تعفُ فبفضلك . وأنشدت أقول :

ذنبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ فَخُذْ بِحَقِّكَ أَوَّلًا  
وَاصْفَحْ بِحِلْمِكَ عَنْهُ إِنْ لَمْ أَكُنْ فِي فِعَالِي مِنْ الْكِرَامِ فَكُنْهُ

قال : فرفع رأسه إليّ . فقلت مبتدراً :

أَتَيْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا وَأَنْتَ لِلْعَفْوِ أَهْلٌ  
فَإِنْ عَفَوْتَ فَمَنْ وَإِنْ جَزَيْتَ فَعَدْلٌ

قال : فرق المأمون واسترجع فرأيت روائح الرحمة في شمائله . ثم

أقبل على أخيه أبي إسحاق محمد المعتصم وابنه العباس وجميع من حضر من خاصته . وقال : ما ترون في أمره ؟ فأشار الكل بقتلي . إلا أنهم اختلفوا في القتل . فقال المأمون لأحمد بن أبي خالد : ما تقول يا أحمد ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ! إن قتلته فقد وجدنا مثلك قتلَ مثله ، وإن عفوتَ لم نجد مثلك في العفو .

فنكس المأمون رأسه إلى الأرض وجعل يخطُّ في الأرض بإصبعه . ثم رفع رأسه وقال :

قومي هـوا قتلوا أُميـمَ أخي فإذا رَميتُ يُصـيبي سـهمي

ثم قال المأمون : لا بأس عليك يا عمّ .

فقلت : ذنبي يا أمير المؤمنين أعظم من أن أفوه معه بعذر . وعفوك أعظمُ من أن أنطقَ معه بشكر ، ولكن أقول :

إن الذي خلقَ المكارمَ حازها	في صُلبِ آدم للإمامِ السابعِ
مِلكتُ قلوبُ الناسِ . بك مَهابةٌ	وتظَلُّ تَكُلُّوهم بقلبِ خاشعِ
ما إن عصيتُك والعُواةُ تَمُدُّني	أسبابُها إلّا بنيةَ طائعِ
وعفوتَ عَمَّن لم يكن عن مثله	عفوٌ . ولم يشفعِ إليك بشافعِ
ورحمتُ أشباحاً كأفراخِ القطا	وحنينَ والدٍ بقلبِ جازعِ

فقال المأمون : لا تثرِبَ اليومَ عليك . قد عفوتَ عنك ، ورددتَ عليك مالكَ وضياعك ، فأنشدتُ أقول :

رددتَ مالي ، ولم تبخل عليَّ به	وقبل ردُّك مالي قد حققت دمي
أمنتُ منك وقد خولتني نِعماً	نعم الحياتان من موتٍ ومن عدمِ
فلو بذلتُ دمعِي أبغي رضاك به	والمالَ حتى أسلَّ النعل من قدمي

وإن جحدتُك ما وُلِّيتَ من نِعَمٍ      إني إلى اللّؤمِ أُولى منك بالكرمِ

فقال المأمون : إن من الكلام كلاماً كالدرِّ . وهذا منه . وأمر لي  
بعمالي وخلع عليّ ، وقال : يا عمّ إن أبا إسحاق والعباس أشارا بقتلك .  
قلت : إنها نصحاك يا أمير المؤمنين . ولكن فعلت ما أنت أهله .  
ودفعت ما خفتُ أنا بما رجوتُ .

فقال المأمون : لقد مات حقدي بحياة عنذك ، وقد عفوت عنك .  
ثم سجد المأمون طويلاً ، ثم رفع رأسه . ثم قال : يا عمّ أندري لِمَ  
سجدت ؟

قلت له : شكراً لله تعالى على ما أوقعك عليّ وملّكك إياي في يدك  
تفعل بي ما تشاء .

فقال : أخطأت ! ولكن أشكر الله تعالى على ما ألهمني من العفو عنك  
من قبل نفسي ، ثم قال : وأعظم من عفوي عنك أنني لم أجرك مرارة  
امتنان الشافعين ، فحدّثني بما كان من أمرك .

فشرحتُ له ما جرى لي مع الحجاج والجندي وزوجته والمولاة التي  
أسلمتني ، فأمر المأمون بإحضارها ، وهي في دارها تنتظر الجائزة . فلما  
حضرت قال لها المأمون : ما حملك على ما فعلت من تسليمك إبراهيم مع  
إنعامه عليك ؟

قالت : رغبة في المال .

قال : هل لك من ولد أو زوج ؟

قالت : لا . فأمر بضربها مائة سوط وأمر بتخليدها في السجن ، ثم  
أحضر الجندي وامرأته والحجاج ، فسأل الجندي عن السبب الذي حمّله  
على ما فعل ؟



قال : رغبة في المال .

فقال : إنك أولى في أن تكون حجاجاً من أن تكون خداماً . ووكل من يلزمه الجلوس في مكان الحجّام . ليتعلّم الحجامة . وأحسن إلى امرأته وجعلها قهرمانة قصره وقال : هذه امرأة أديبة تصلح للمهمات . وسلم للحجّام دار الجندي وما فيها . وخلع عليه وأثبتته برزقه في الديوان . وزيادة ألف دينار في كل سنة . ولم يزل كذلك إلى أن مات . والله أعلم .

### صيد الجوّاري

وعن محمد بن عبد الله التميمي . قال : حدثنا أحمد بن محمد الحريري قال : كان لحنة بنت عبد الرحمن الهاشمي من الأموال ما لا يسعه الديوان ، ولا تأكله النيران لكثرة . وكانت آدب نساء بني هاشم وأفصحهنّ لساناً وأقوهنّ شعراً . فدخلت على المأمون يوماً ، وكانت تحبّه غاية الحب سرّاً . وكان المأمون جالساً في إيوان قد ابتدعه لنفسه لم يبتدعه أحد من الخلفاء قبله ، وكان قد تأنّق في بنائه ، وكان فيه من كل صورة في البرّ والبحر ممثلة من الذهب والفضّة . وقد فرش به بساط من الديباج الأصفر . وأسبل عليه ستوراً من الحرير الصيني . وقد أقام فيه أربعمائة وصيفة بقراطق الحرير . وقد لبس الوشي بطرر وشعور وأصداغ . وهنّ بقدر واحد . لا تزيد الواحدة منهن على الأخرى ، أقام مائتين عن يمينه ومائتين عن يساره ، فقال : يا حمنة ! هل كان لأبيك أو لبعيلك أو لأحد من الخلفاء مثل هذا الإيوان مع فرشه ، ومثل هؤلاء الجوّاري مع زيتن ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ! متعلّك الله به وعمره بك ، فلقد أوتيت

---

١ القراطق . الواحد قُرْطَق : القَباء ، وهو ثوب كالذي نسميه الغنّاز .

ملكاً عظيماً تستأهله لترفعهك وشرفك ، فإن أجبتَ خادمَتك حمنةً  
أجلستك في مجلس لم تجلس في مثله قطُّ وأصادتك صيداً لم تصد مثله  
قط ، وأسقتك شرباً لم تشرب مثله قط .

وكان عنده يحيى بن أكرم . فقال لها : يا حمنة . قد أجبتك إلى ما  
سألتني . ولكن لا ينفعني ولا يهناك ذلك إلا بمشهد من يحيى بن أكرم .  
فإنه لا يطيب لي مجلس إلا به .

فقالت : نعم يا أمير المؤمنين . ثم ضربت يدها في جيبها . فأخرجت  
منه مخزنةً من ذهب أحمر محشوة مسكاً أذفر . فدفعها إلى يحيى .  
وقالت : يا يحيى . إن الأجير لا يعملُ حتى يستوفي أجرته . وهذه  
أجرُك متي فكن مستحثاً لي أمير المؤمنين غداً عند الزوال . في المسير إلى  
منزل خادمته ؟

فقال : حباً وكرامةً .

ثم خرجت من عنده فهيات ما تحتاج إليه للمأمون وغيره . فلما كان  
من الغد جلس المأمون في مجلس السلام . فلما زالت الشمس وصارت في  
كبد السماء قال يحيى : يا أمير المؤمنين . الحاجة التي عرضت عليك  
بالأمس . فقطن المأمون لذلك . وقام من مجلسه ولبس ثياب التجار .  
ولبس يحيى مثل ذلك . ودعا بحارين مصريين بغاشيتين . وركبهما حتى  
أتيا دار حمنة ، فدقا الباب دقاً خفيفاً . فسمعتة فأقبلت بنفسها ، حتى  
فتحت الباب وأقبلتا يمشيان جميعاً حتى اتبها إلى بيت في بستان قد حُمل  
على أربعة أعمدة من الرخام الأحمر المنقوش ، وإذا في صدر البيت أربعة  
أسطر منقوشة بالدُرِّ وصنوف الجواهر وهي :

ما سَرَّني أنْ قَوَّادي . ولا أنْ لِساني بالمُدَامِ حَلَا  
وأنْ لي ملك بني هاشمٍ يُجيبني أَوَّلًا أَوَّلًا

إن لم أشاهدك أيا مالِكي تأتي إلى بيتي كذا مُقبِلا  
يا سائلي روجي بلا علة أنت المُعافي ، وأنا المُبتلى

فقال المأمون : يا يحيى ، ما ملك أحد من الخلفاء مثلَ هذا البيت .  
وإذا فرشه أرمني محفور منقوش باللآلي وإذا فوق الأرمني مطارح من  
الديباج الأخضر حشوها حواصلُ الریش . وفي البيت المسكُ والعنبرُ  
والكافورُ والصندلُ والرَّعفرانُ والندَّ والعودُ مصفوفٌ في أواني الذهب  
والفضَّة ، وهي تفوح منه روائح لا يُدرى ما هي من طبيها . ثم أخرجتها  
إلى أربعة ميادينَ فيها أنواعُ الرياحين حولَ البيت . فقالا : إنَّ هذا إلَّا  
سحرٌ يُؤثرُ .

ثم دعت لها بمائدة من الجَزَع اليماني قوائمها منها قطعةٌ واحدةٌ ،  
فوضعت وقُدِّمت عليها الألوان الغريبة . فقال المأمون : ما طَعِمْتُ مثلَ هذا  
الطعام قط .

ثم دعت بالطَّشت والإبريق فغسلا أيديهما ، ثم أمرت بشرابٍ فقُدِّمت  
إليها قتاني الزجاج الشامية المرتفعة الصافية ، والبلور ، فيها شراب قد أتت  
عليه الأيام والأعوام ، فهي تحكي الهواء لرقَّتْها والباقوتَ لحرمتها والزنجبيلَ  
لحدَّتْها ، ووُضعت بين أيديهما مع أقداح وأنطال<sup>١</sup> تشاكل ذلك . فقال  
المأمون : والله ! ما رأيتُ مثلَ هذا قط .

ثم أخرجت جاريتين عليهما جِبابُ الوشي الكوفي المنسوج بالذهب ،  
وعلى رأسيهما مَقانِعُ رشيديَّة<sup>٢</sup> وتيجان من الذهب مكلَّلة بالجواهر ، فجلستا

---

١ الأنطال : كيزان يُكال بها الحمر .

٢ المَقانِع ، الواحدة مقنعة : ما تغطي المرأة بها رأسها . الرشيديَّة : المنسوبة إلى بلاد  
الرشد في مصر .

وفي حجرهما العبدان المبسوطة الموزونة . فحركتا الأوتار وغننا بصوت  
شجي مليح . من أنواع الأغاني وغرائب الأصوات . فقال المأمون : هذه  
الجنة مما نرى فيها من غرائب الطيب والجوهر .

فقال يحيى : وقد بقي لنا يا أمير المؤمنين . شرط آخر .

فقال : وما هو يا يحيى ؟

قال : الصيد . يا أمير المؤمنين .

قال : صدقت يا يحيى . ثم قال : يا حمئة . ما فعل الصيد ؟

فقلت : قوما إليه .

فقام المأمون ويحيى حتى دخلا بستاناً لم يُر مثله . وقد كانت زينت  
البستان بأحسن ما تقدر عليه . واتخذت فيه ألوان الطيور من الفاختر  
والقمرى والهزار والطاويس . فكانت الأطيّار تغني من رؤوس الأشجار .  
وتغرد بالسرّ والإجهار . وقد كانت زينت مائة جارية نواهد أبكار بطّور  
وشعور وخدود ومباسم ساطعات الأنوار . ترى كل واحدة منهن أبهى من  
صاحبها وأحسن . وعليهن من ألوان الثياب ما يعجز عنه الوصف . وفي  
وسطهن مناطق الذهب الأحمر . وتقدّمت إليهن وقالت لهن : إذا رأيتم  
المأمون ويحيى ، تعاذين ما بين الأشجار . فلما دخل المأمون ويحيى البستان ،  
فعلن ما كانت أمرتهن ، فتضاعف السرور على المأمون . وأعجب بذلك  
عجباً شديداً ، ثم قال ليحيى : هذا الصيد .

فقال : يا أمير المؤمنين ! رأيك ؟

فقال المأمون : لو كان لنا كلب لاصطدنا هؤلاء .

---

١ الفاختر : نوع من الحمام البري . القمرى : نوع من الحمام حسن الصوت .  
الهزار : طائر حسن التغريد .

فقال يحيى : أنا كلُّك . يا أمير المؤمنين .

فعدا المأمون ويحيى فاصطادا منهنَّ صبيّةً . فقالت حمّة : سأثُك بحقِّ أجدادك إلّا ما خُلِّيتَ عن الجوّاري لا لبخلٍ أبخلُ بهنَّ عليك . وقد فهمتَ المعنى فيه .

وقد كانت حمّة تغارُ على المأمون فعُخِّلِي عن الجوّاري . وقال ليحيى : دونك والصيّد إذن أنت مُحلّ .

فقال يحيى : لو كان لي كلب لاصطدت من هؤلاء .

فقال المأمون : أنا كلُّك .

فضحك يحيى وضرب بقلنسوته الأرض ، وعدا خلفهنَّ ، فأخذ منهنَّ خمسةً فقالت حمّة : يا يحيى لك الخمسةُ ولا غيرةَ لي عليك . وإنما أغارُ على المأمون لحاجتي إليه .

فقال يحيى : والله يا أمير المؤمنين ، لقد رأيتُ الهوى الغالب في حماليق عينيها ، ولا تتمُّ لنا النعمة إلّا بتزويجك إياها إن رأيتَ ذلك .

فقال المأمون : أنا بريء من رسول الله ﷺ ومُشتَفٍ من جدِّي العباس إن ذهب من البستان ولم أتزوَّجها . ثم قال : يا يحيى اخطُبْ خُطبةَ النِّكاح .

فخطب يحيى وأمهَرها المأمونُ ألفَ ألفِ دينار ، وأقطعها مائة من مُستَخبات الضبّاع ، فحمّدت حمّة الله سروراً بما ظفرت من تزويج المأمون إياها ، وأمرت ليحيى بعشرةِ آلاف دينار ، ورجع المأمون إلى منزله . ورُفِّت إليه في تلك الليلة ، فواقعها فحملت بالعباس ابنه ، أتتهى .

## جِيلُ الْجَوَارِي

حكى أن المأمون كان مشغولاً بحبِّ جارية يقال لها نسيم ، وكانت ذاتَ عقلٍ وأدبٍ وفضلٍ وكمالٍ ، وكان لا يفارقها في الحضر ولا في السفر ، ثم بعد ذلك مال إلى جارية أخرى أحسنَ منها ، وأعرضَ عنها ، فاغتمت ولم تجد حيلة في استعطافه ، وكانت لها جارية رومية أحسنَ منها في العقل والأدب ، وكتمت أمرها عن المأمون ، فاتفق أن المأمون حصل له بعض ضعف ، فقُصِدَ ، فحصل له الشفاء ، فجعل الناس يدخلون إليه بأصناف التحف والهدايا ، فأهدت إليه نسيمُ الجارية المذكورة ، ومعها جامٌ بلّور ، وغطته بمنديلٍ ديبقي مكتوب عليه بالذهب هذه الأبيات :

فصدتَ عِرْقاً تبتغي صحّةً      ألبسك الله به العافية  
فاشربْ بهذا الجامِ يا سيدي      مستمتعاً بهذه الجارية  
واجعل لمن أهداكها زورةً      تحظى بها في الليلة الثانية

فأعجب المأمون ما رأى من الجام والجارية . ثم بعث لها يقول :  
نعم ، وفي هذه الليلة . ثم رضي على نسيم وواصلها بعد ذلك .

## المأمون وزبيدة أم الأمين

حكى أن المأمون مرَّ يوماً على زبيدة أم الأمين . فراها تحرك شفتيها بشيء لا يفهمه . فقال لها : يا أماه . أتدعين عليّ لكوني قتلْتُ ابنتك وسلبتُ مملكته ؟

قالت : لا والله يا أمير المؤمنين .

قال : فما الذي قلته ؟

قالت : يعفني أمير المؤمنين .

فألح عليها وقال : لا بد أن تقوليهِ ؟

قالت له : قلت . قُبِحَ الله اللّجاجة .

قال : وكيف ذلك ؟

قالت : لأني لعبت يوماً مع أمير المؤمنين الرشيد بالشطرنج على الحكم والرضا . فغلبي . فأمرني أن أتجرد من أثوابي وأطوف القصر غريانة . فاستعفيته . وبذلت له أموالاً لا تُحصى . فلم يعف عني . فتجردت من أثوابي وطفقت القصرَ غريانة . وأنا حاقدة عليه . ثم عاودنا اللعب فغلته فأمرته أن يذهب إلى المطبخ . فبطاً أقبحَ جارية وأشوهها خلقة فاستعفاني عن ذلك فلم أعفه . فنزل لي عن خراج مصر والعراق . فأبيت وقلت : والله لتطأنها . فألححت عليه وأخذت بيده وجئت به إلى المطبخ . فلم أرَ جارية أقبح ولا أقدر ولا أشوه خلقة من أمك مراجل . فأمرته أن يطأها فوطئها فعلقت منه بك . فكنت سبباً لقتل ولدي وسلبه ملكه .

فولّى المأمون وهو يقول : قاتل الله اللجاجة ، أي التي لجّ بها عليها حتى أخبرته بهذا الخبر ، انتهى .

### المأمون والشاعر

وأنتي شاعر المأمون فقال : لقد قلت فيك شعراً .

فقال : أنشدنيه . فقال :

حَيَّاكَ رَبُّ النَّاسِ حَيَّاكَ      إِذْ يَجْمَلُ الْوَجْهَ رَقًّا كَا  
بَغْدَادُ مِنْ نَوْرِكَ قَدْ أَشْرَقَتْ      وَأُورِقُ الْعُودِ بَجْدِوَكَ كَا

قال : فأطرق المأمون ساعة . وقال : يا أعرابي . وأنا قد قلت فيك شعراً . وأنشد يقول :

حَيَّاكَ رَبُّ النَّاسِ حَيَّاكَ      إِنْ الَّذِي أُمَلَّتْ أخطاءُ كَا  
أَتَيْتَ شَخْصاً قَدْ خَلَا كَيْسُهُ      وَلَوْ حَوَى شَيْئاً لَأَعْطَا كَا

فقال . يا أمير المؤمنين . الشعر بالشعر حرام . فاجعل بينها شيئاً يُستطاب .

فضحك المأمون وأمر له بمال . انتهى .

### إبراهيم بن المهدي وصاحبة المعصم

وروى ابن عامر الفهري عن أستاذه قال : أمر المأمون أن يُحمل إليه من أهل البصرة عشرة رجال كانوا قد رُموا عنده بالزندقة . فحُمِلوا إليه ، فمر بهم طفيلي . فرآهم مجتمعين . فظنّ خيراً ومضى معهم إلى الساحل وقال : ما اجتمع هؤلاء إلا لوليمة . فانسَلَّ ودخل الزورق وقال : لا شك إنما نزهة . فلم يكن إلا يسيراً ، وقد قيدَ القوم ، وقيدَ معهم . فعلم أنه وقع فيما لا طاقة له به . ورام الخلاص . فلم يقدر . وساروا إلى أن وصلوا بغداد وأدخلوا على المأمون . فاستدعى بهم بأسمائهم واحداً بعد واحد . وجعل يُذكره بفعله وبقوله ويضرب عنقه . حتى لم يبقَ إلا الطفيلي . وفرغت العشرة . فقال المأمون للموكل : من هذا ؟

فقال : لا أعلم يا أمير المؤمنين ، غير أننا رأيناه معهم . فجئنا به .



فقال : يا أمير المؤمنين . امرأته طائفةٌ إن كان يعرف من أحوالهم شيئاً . ولا يعرف غير لا إلهَ إلا الله ومحمد رسول الله . وإنما رأيتهم مجتمعين . فظننت أنها وليمةٌ يُدْعَوْنَ إليها . فلحقْتُ بهم .

فضحك المأمون وقال : أوقد بلغ من شؤم التطفل أن يُحِلَّ بصاحبه هذا المحل ؟ لقد سلم هذا الجاهل من القتل . ولكن يُؤدَّب . حتى لا يعود إلى مثلها .

وكان إبراهيم بن المهدي حاضراً . فقال : يا أمير المؤمنين . هبْ لي . وأنا أحدثُك عن نفسي . فيما وقع لي في التطفل من العجب .  
فقال : وهبْته لك . هات حديثك .

فقال : يا أمير المؤمنين خرجتُ متنكراً يوماً أنظر إلى سكك بغداد . فاستهوى بي الطربُ والتفرُّج فاتَّهَى بي المسيرُ إلى موضعٍ شمتُ فيه رائحةَ طعامٍ وأبازيرَ قد فاحت . وهفت نفسي إليها ووقفت . يا أمير المؤمنين . لا أقدر على المشي . فرفعت بصري . وإذا بشبَّاك خلفه كَفُّ بِمِعْصَمٍ ما رأيتُ أحسنَ منه . فبقيتُ حائرةً . ونسيتُ رائحةَ الطعام . بذلك الكفُّ . فأخذت في عمل الحيلة إلى الوصول إليها . فإذا بجانب المكان خياطٌ . فسلمت عليه فردَّ عليَّ السلام . فقلت : يا سيدي ! لمن هذه الدار ؟

فقال : لرجل من البرَّازين .

فقلت : ما اسمه ؟

فقال : فلان .

قلت : هو ممن يشرب الخمر ؟

قال : نعم ، وأظن أن عنده اليوم أصحابه . تجارٌ مثله .

فبينما نحن في الكلام إذ أقبل رجلان فقال لي : هذان نادمَاؤه .

فقلت له : ما اسمُها وما كُنيها ؟

فقال لي : فلان الفلاني وفلان الفلاني .

فحرّكت وراءهما رجلي . فلحقتهما فقلت : جُعِلَ فداءكما ، استبطأكما  
فلان! أعزّه الله . ولم أزل معها . حتى أتيتُ البيت . فدخلت ودخلا .  
فلما رأيَ صاحبُ البيتَ بينهما لم يشكّ في أنّي معها فرحّب بي وأجلسني في  
أفضل الأماكن ثمّ جيء بالمائدة ونُقِلَ إليها الألوان . فقلت في نفسي :  
هذه ألوان قد مرّ الله عليّ ببلوغ الغرض منها . بقي الكفّ والمعصم ، ثمّ  
جيء بالماء فغسلنا أيدينا ثمّ نُقِلنا إلى مجلس المتادمة ، فإذا شكل مليح ما  
رأيت أحسن منه ولا أظرف . ورأيت صاحبَ المكان يتلطف بي ويُقبل  
عليّ لظنّه أنّي ضيف لأضيافه . وهم على الحالة هذه إلى أن شربنا فخرجت  
علينا جارية كأنها غصن بانّ في غاية الظرف وحسن الهيئة . فسلمت من  
غير خجل ولا احتشام . وجلست وأُتي بعود فجمسته أحسن جسّ . وإذا  
هي حاذقة في الصناعة وغتّت تقول :

نوقمها فكري . فأصبح خدّها وفيه مكان الوهم من نظري أثر  
وصافحها كفيّ ، قالم كفّها فن ضمّ كني في أناملها عقر

فهيجت يا أمير المؤمنين بلبالي ، فطربت لحسن شعرها وحذقها ثمّ  
غتّت تقول :

أشرتُ إليها : هل عرفت مودتي فردّت بطرف العين أنّي على العهد  
فجادت عن الإظهار عمداً بسرّها وحادت عن الإظهار أيضاً على عمد

فحسدتها يا أمير المؤمنين على حذاقتها وإصابتها معنى الشعر ،  
فضحكت لما أصابني من الطرب الذي لم أملك نفسي معه ثمّ غتّت تقول :

أليس عجيباً أنّ بيتاً يضمّنا وإياك لا نلهم ولا نتكلّم

سوى أعينٍ تُبدي سرائرِ أنفسٍ      وتقطع أنفاس على النار تُضرمُ  
إشارةً أفواهٍ وغمزٌ حواجبٍ      وتكسيرُ أجفانٍ وكفٌ تُسلمُ

فزاد حسدي لها يا أمير المؤمنين على حذاقتها وإصابتها معنى الشعر لأنها  
لم تخرج عن المعنى . وقلت : بقي عليك با جارية شيء . فرمت العودَ من  
يدها . وقالت : متى كُنتم تُحصرون الغناء مثل هذا ؟ فندمت على ما كان  
مَنِي ورأيت القومَ كأنهم قد أنكروا عليّ . فقلت في نفسي : فاتي جميع  
ما أملت ، وأحييت أن أتلافى قصيتي فقلت : أئتم عودٌ غيرُ هذا ؟

قالوا : نعم . فأحضروا عوداً . فأصلحت ما أردتُ إصلاحه ثم  
قلت :

ما للمنازل لا تُجيب حزيناً      أصمَّمتُ أم قد بالبلاء يُلينا

فما أنتمت شعري حتى وثبت الجارية إليّ ، وانكبت على يدي تقبلها  
وتقول : المعذرة إليك يا سيدي ، والله ما علمت مكانك ، ولا سمعت  
بهذه الصناعة من أحد ، ثم زادوا إكرامي وطربوا غايةً الطرب ، فشررت  
عدّةً أقداح ، ثم غنيتهم أبياتاً فرأيت من طربهم شيئاً عظيماً حتى قلت إن  
أرواحهم ، فارقت أبدانهم فسكتُ عنهم ساعة ، حتى تراجعوا إلى عقولهم  
فغنيتهم وقلت :

هذا محبُّك مطوياً على كميده      وجداً ، وأدمعه تجري على جسده  
له يدٌ تسأل الرحمنَ راحته      ممّا به واليدُ الأخرى على كبده  
يا من رأى كلفاً في حبه ذنباً      كانت مبيته في عينه ويده

قال : فجعلت الجارية تصيح وتقول : هذا واقع الغناء والذي كنت فيه  
ليس بشيء ، وشرب القوم ، فلما جاءهم البسط ، وأخذ المجلس منتهاه أمر

صاحب البيت عبيدٍ له أن يحفظا النديمين إلى منزلها . وخلوت معه .  
فقال : والله يا سيدي ذهب ما مضى من عمري باطلاً حيث لم أعرفك  
قبلَ يومي هنا فبالله يا مولاي من أنت ؟

فجعلت أرددَ عليه . وهو يقول ويُقسم عليّ حتى أعلمته من أنا على  
الحقيقة . فلما سمع ذلك قام على قدميه وقال : ما عجبت أن تكونَ هذه  
المكارم إلا لمثلك . وقد أصابني من الدهر نَعَمٌ لا أقوم بشكرها ، ثم  
قال : أترى هذا يقظة أم مناماً ، أقسمت أني لا أزال هذه الليلة قائماً إلى  
أن تأذن لي ، فإني أحقر من أن أجالس الملوك .

فأقسمت عليه بأن يجلس ثم أخذ في الكلام وجعل يعرض عليّ  
السببَ الذي أوجب حضوره عنده بالطف تعريضٍ فأخبرته بأمرى على  
الحقيقة ولم أخف شيئاً . ثم قلت له : الطعام قد نلت منه بغيتي . وبقي  
الأمر الآخر . فوثب إلى باب القاعة ، وقال : كلُّ منكن تلبس أفرّ ثيابها  
وتخرج علينا من المُخدع ، ثم استدعى بهنّ وجعل يقول : يا فلانة ، وهنّ  
يخرجن واحدة بعد واحدة . وأنا لا أرى صاحبة الكفّ والمعصم إلى أن  
أنت أربعون امرأة .

فقال : والله ما بقي إلا أختي ، وها أنا مخرجُها إليك .

فقلت : افعل .

فقال : حباً وكرامة . ثم استدعاها فترلت فرأيتُ يدها ومعصمها ،  
فلذا هي التي رأيتها ، قلت : هذه الحاجةُ ، فأمر غلامه لوقته أن يأتيها  
بعشرة شعورٍ ، ثم قام وأخرج عشرين ألف درهم وألفاً أخرى ، فلما  
حضرُوا قال لهم : هذا سيدي إبراهيم بن المهدي يُخطبُ أختي فلانة ،  
وأشهدكم أني قد زوّجتها له وأمهرتها عنه عشرين ألف درهم .

فقلت : قبلتُ الزواج .

ثم دفع الألف التي كان أخرجها لهم . فشكروا له ودعوا وانصرفوا .  
ثم قال : يا سيدي أمهد لك بعض البيوت ، تنام مع أهلك .

فأعجبني ما كان من كرمه واستحييت أن أدخل بها في داره . فقلت  
له : بل اجعلها في عمارة واحملها إلى منزلي . فوحدك يا أمير المؤمنين لقد  
حمل معها من الفرش والأثاث ما ضاقت به بيوتنا . فأولدتها هذا الغلام  
القائم بين يديك . يا أمير المؤمنين .

فتعجب المؤمنون من كرم الرجل وقال : لله درّه ما أكرمه . والله ما  
سمعتُ بمثله قط ، ثم أطلق الطفيلي وأمر بإحضار الرجل واستنطقه ،  
فأعجبه حسن منطقته وعقله وأدبه فصّره من جملة خواصّه ومناذميه ، والله  
أعلم .

## ذكر خلافة إبراهيم المعتصم بن هارون الرشيد

هو ثامن خلفاء بني العباس . وكان شديد القوة . ما كان في بني العباس مثله في القوة والشجاعة والإقدام . قيل : إنه أصبح ذات يوم . وكان برده شديداً وثلجه عتيداً . فلم يقدر أحد على إخراج يده . ولا إمساك قوسه ، فأوتر المعتصم في ذلك اليوم أربعة آلاف قوس ، وكان يدعى المُمَنَّن . وأنشد أبو تمام حبيب بن أوس الطائي يمتدح المعتصم بن هارون الرشيد يقول :

إن جسَّ عوداً رأيت الخيل راقصةً كأنها من سماعٍ هزَّها نَعَمُ  
أو حركت يده اليمنى له وترأ على أعاديه غنىَّ البومِ والرحمُ

كان يقول بخلق القرآن . وضرب على ذلك أحمد بن حنبل على أن يقول ذلك فلم يقل رضي الله عنه ، وله معه كلام طويل ، فانظره في حياة الحيوان .

## المعتصم وبَيم بن جميل من لطائف الحكايات

ما رُوي عن أحمد بن أبي دؤاد القاضي إنه قال : جيء ببَيم بن جميل إلى المعتصم أسيراً . وكان قد خرج عليه فما رأيت رجلاً عُرِضَ عليه الموت فلم يكثر به سواه . ثم دعا بالسيف والنطع ، فلما مثل بين يديه نظر

إليه . فأعجبه حسنه وقده ومشيئه إلى الموت غير مكتر . فأطاع الفكر فيه ثم كئسه لينظر أين عقله ونسائه من جهاله . فقال : يا نعيم ! إن كان لك عذرٌ فأت به .

فقال : أمّا إذا اذن أمير المؤمنين في الكلام فإني أقول :

الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه . وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . يا أمير المؤمنين ! خير الله بك صدع الدين ولم يك شعث المسلمين . وأحمد بك ناز الباطل وأثار بك سبل الحق . إن الذنوب تُخرس الألسنة وتصدع القلوب . وآيم الله لقد عظمت الجريمة . وانقطعت الحجة وساء الظن إلا فيك . وهو أشبه بك وألبق ثم أنشد يقول :

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً	يلاحظني من حيث ما أتلفت
وأكبر ظمّي أنك اليوم قاتلي	وأني أمرى مما قضى الله بقلتُ
ومن ذا الذي يُدلي بعذر وحجة	وسيف المنايا بين عينيه مُصلت
يعرّ على الأوس بن تغلب موقف	يسلّ عليه السيف فيه ويسكتُ
وما جرّعي من أن أموت وإني	لأعلم أن الموت شيء مؤقتُ
ولكن خلني صبيّة قد تركتهم	وأكبّاهم من حسرة تنفتتُ
كأنّي أراهم حين أنعى إليهمُ	وقد لطموا حمر الوجوه وصوّثوا
فإن عشتُ عاشوا في سرور ونعمة	أزود الردى عنهم . وإن متُ موثوا
فكم قاتلي : لا أبعد الله داره	وآخر جدلانٍ يسرّ ويسمتُ

قال : فبكى المعتصم ثم قال : إن من البيان لسحراً . كما قال النبي ﷺ : يا نعيم . كاد والله أن يسبق السيف العذل . قد غفرت لك المفوة ووهبتك للصبيّة .

ثم عقد له ولاية على عمله ، وأعطاه خمسين ألف دينار ، انتهى .  
من زهر الكمام في قصة يوسف عليه السلام .

### مخارق المغني والجارية الحسنة

وذكر صاحب تاريخ بغداد عن مخارق المغني قال : تطفلت تطفيلةً  
قامت على أمير المؤمنين المعتصم بتسعين ألف درهم .

قيل له : كيف ذلك ؟

قال : شريت معه ليلةً إلى الصبح . فلما أصبحنا قلت له : يا أمير  
المؤمنين ، إن رأيتَ أن أخرج إلى الرصافة ، فأتسّم إلى وقت انتباه أمير  
المؤمنين .

قال : نعم ، فأمر البوّابين أن يتركوني ، فخرجت أتمشّي في  
الرصافة ، وإذا بجارية كأنّ الشمس تُشرق من جبينها ، فتبعتها ورأيت معها  
زنبيلاً فوقفت على فاكهاني ، واشترت سفرجلة بدرهم . وانصرفت  
فتبعتها ، فالتفتت فرأيتي فقالت : يا ابن الفاعلة إلى أين ؟

قلت : خلقتك يا سيدي ؟

فقالت : ارجع يا ابن الزانية لئلا يراك أحد فيقتلك ؟

فتأخرت ومشيت وتمشّت أمامي ثم التفتت فرأيتي ، فستمتني شتماً  
قيحاً ثم جاءت إلى دار كبيرة ، فدخلت فيها ، وجلست أنا عند الباب ،  
وقد ذهب عقلي ونزلت عليّ الشمس ، وكان يوماً حاراً ، فلم ألبث أن  
جاء فتيان كأنهما بدران على حمارين ، فلما وصلا إلى الباب أذنَ لهما ، فدخلتا  
ودخلتُ معها . فظننا أنّ صاحب المنزل قد دعاني ، وجيء بالطعام .  
فأكلنا وغسلنا أيدينا ، فقال لنا صاحب المنزل : هل لكم في فلانة ؟



فقالوا : إن تفضّلت .

قال : فاستدعى بتلك الجارية . فخرجت فإذا هي صاحبتى ووراءها وصيفةٌ تحمل عودها . فوضعت في حجرها فعمّت وشربوا وطربوا . وهي تلحظني وتشتك فيّ . فقالوا : لمن هذا الصوت ؟

فقلت : لسيدي مخارق .

فلم أثبت أن قلت : يا جارية شدي يدك . فشددت أوتارها وخرجت عن إيقاعها الذي تقول عليه . قال : فاستدعيت بمُدوّرة وقضيب وغنّيت الصوت الذي قالته الجارية . فقاموا إليّ وقبلوا رأسي .

قال : وكان مخارق من أحسن الناس صوتاً وكان يوقع بالقضيب توقيعاً عجيباً .

قال : ثم غنّيت النصوص الثاني والثالث . فكادت عقولهم تطير فقالوا : بالله من أنت يا سيدي ؟

فقلت : مخارق .

فقالوا : وما سبب مجيئك ؟

قلت : طفيلي أصلح الله شأنكم . وأخبرتكم بخبري

فقال صاحب البيت لصديقيه : أما تعلمان أني أعطيت في هذه الجارية ثلاثين ألف درهم فامتنعت عن بيعها ؟

قالا : نعم .

قال : هي له .

فقال صديقه : علينا عشرون ألف درهم وعليك عشرة آلاف درهم .

قال مخارق : فلنكوني الجارية . وجلست عندهم إلى العصر وانصرفت

بها وكلمها مررت بالمواضع التي شتمتني فيها أقول : يا مولائي ، أعبيدي  
كلامك فتستحي مني . فأحلف عليها لتعيده . فتعيده حتى وصلت إلى  
أمير المؤمنين فقيل لي أنه انتبه فطلبك في منازل أبناء القواد فلم يجدك ،  
وتعبط غيظاً شديداً . فدخلت عليه وبدي في يدها . فلما رأي سبني  
وشتمني . فقلت : يا أمير المؤمنين لا تعجل ! وحدثته الحديث فضحك ،  
وقال : ها نحن نكافهم عنك . فأحضرهم وأمر لكل واحد منهم بثلاثين  
ألف درهم . والله أعلم . انتهى .

## حكاية غريبة

قال الأصمعي : دعاني بعض العرب الكرام إلى قِرى الطعام ، فخرجت معه إلى البرية ، فأتوا بباطية بأذنين وعليها السمن غارقٌ ، فجلسنا للأكل ، وإذا بأعرابي يَنْسِفُ الأرضَ نفساً حتى جلس من غيرِ نداء ، فجعل يأكلَ والسمن يسيل على كِراعِهِ فقلت : لأضحِكَنَّ الحاضرين عليه فقلت :

كَأَنَّكَ أَثْلَةٌ فِي أَرْضِ هَشٍّ أَتَاهَا وَابِلٌ مِنْ بَعْدِ رَشٍّ

فالتفت إليّ بعين مبحلة وقال لي : الكلام أنثى والجواب ذكر وأنت :

كَأَنَّكَ بَعْرَةٌ فِي بَسْتِ كَبَشٍ مَدْلَاةٌ ، وَذَاكَ الْكَبَشُ يَمْشِي

فقلت له : هل تعرف شيئاً من الشعر أو تزويه ؟

فقال : كيف لا أقول الشعر . وأنا أمّه وأبوه ؟

فقلت له : إن عندي قافية تحتاج إلى غطاء ؟

فقال : هات ما عندك .

---

١ الأثلة : ضرب من الشجر عظيم . صلب الخشب تُصنع منه القصاع والجفان .  
الهشي : الرخو اللين . الوابل : المطر الغزير .

فقطست في بحور الأشعار ، فما وجدت قافية أصعبَ من الواو  
المحزومة فقلت :

قومٌ بنجدٍ قد عهدناهم سقامهم الله من التَّو

قلت : أتدري التَّو ماذا ؟ فقال :

تَوْ تلالا في دُجى ليلَةٍ حالكةٍ مظلمةٍ لو

فقلت له : لو ماذا ؟ فقال :

لو سار فيها فارس لاثنى على بساط الأرض منطو

فقلت له : منطوٌ ماذا ؟ فقال :

منطوي الكشح هضيم الحشا كالباز ينقضُ من الجَو

فقلت له : الجَوُّ ماذا ؟ فقال :

جَوُّ السما والريحُ تعلو به أشتُمُ ريحَ الأرضِ فاعلَو

فقلت : فاعلو ماذا ؟ فقال :

فاعلَو لما قد عيل من صبره فصار نجوى القوم ينعو

فقلت : ينعو ماذا ؟ فقال :

ينعو رجالاً للقنا شرُعت كُفيتُ ما لاقوا وما يلقوا

قال : فعلمت أنه لا شيء بعد الفناء . ولكن أردت أن أثقل عليه

فقلت له : ويلقوا ماذا ؟

فقال :

إن كنت ما تفهم ما قلته فأنت عندي رجل بُؤ

فقلت له : البو ماذا؟ فقال :

البؤ سلخ قد حشي جلده يا ألفَ قرنانٍ ، تقومُ أو

فقلت له : أو ماذا؟ فقال :

أو أضرب الرأس بصوَّانةٍ تقول في ضربتها قو

فخفت أن أقول له : قو ماذا؟ فيضربني ويكمل البيت . فقلت له :

أنت ضيني الليلة .

فقال : لا يَأْسِي الكرامةَ إِلَّا لثِيْمٌ .

فقلت لزوجتي : اصنعي لنا دَجاجة ، ففعلت فأتيته بها وجسته أنا وزوجتي وابنائي وابنتاي وقلت له : فَرِّقْ يا بدوي .

فقال : الرأس للرأس ، وأعطاني الرأس ، وقال : الولدان جناحان ، لهما الجناحان ، والبنتان لهما الرجلان ، والمرأة لها العَجْزُ ، وأنا زائر لي الزَّور ، وأكل الدجاجة ونحن ننظر إليه وبتنا نتحدَّث .

فلما أصبحنا قلت لزوجتي : اصنعي لنا خمس دجاجات ففعلت وأتيته بالدجاج وقلت له : أقسم يا بدوي .

فقال : تريد شفْعاً أو وترأ .

فقلت : إن الله وترٌ يحبُّ الوترَ .

فقال : كأنك تريد بالفرد .

فقلت : نعم .

فقال : أنت وزوجك ودجاجةٌ ، وابناك ودجاجةٌ ، وابنتاك

ودجاجة ، وأنا ودجاجة .

فقلت : لا أرضى بهذه القسمة .

فقال : كأنك تريد شفعا .

فقلت : نعم .

فقال : أنت وولدك ودجاجة ، وزوجتك وبتاتها ودجاجة ، وأنا  
وثلاث دجاجات ، والله لا أحولُ عن هذه القسمة .

قال الأصمعي : فغلبي مرّتين مرّةً في الشعر ومرّةً في الدجاج ثم  
انصرف ، انتهى .

## خلافة أمير المؤمنين الواصل بالله تعالى

قال ابنه محمد الذي يقال له المهدي بالله . كان أبي الواصل بالله إذا أراد أن يقتل رجلاً أحضرنا في ذلك المجلس . فبينما نحن عنده ذات يوم إذ أتني بشيخ مقيد فقال : ائذنوا لأبي عبد الله . يعني ابن أبي دؤاد وأصحابه . وأدخل الشيخ مقيداً فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . فقال : لا سلم الله عليك .

فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين بسم الله المؤدب . قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها﴾ . وأنت والله ما حييتني بها ولا بأحسن منها .

فقال ابن أبي دؤاد : يا أمير المؤمنين . الرجل متكلم . فقال الواصل : كلمه .

فقال للشيخ : ما تقول في القرآن ؟

فقال الشيخ : لم تسألني ولي السؤال أسأله ؟

فقال الأمير : سلمه .

فقال الشيخ لابن أبي دؤاد : ما تقول في القرآن ؟

فقال ابن أبي ذؤاد : مخلوق . فقال الشيخ : هذا شيء علمه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين والخلفاء الراشدون أم شيء ؟ لا يعلمونه ؟

فقال : شيء لا يعلمونه .

فقال : سبحان الله ! شيء لا يعلمه النبي ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا الصحابة ولا الخلفاء الراشدون وعلمته أنت .

قال : فحجل ، وقال : أقلني .

فقال : قد فعلت ، والمسألة بحالها .

قال : نعم .

قال : ما تقول في القرآن ؟

فقال : مخلوق .

قال : هذا شيء علمه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم والخلفاء الراشدون أم لم يعلموه .

قال : علموه ولم يدعوا الناس إليه .

قال : أفلا وسعك ما وسعهم ؟

قال : ثم قام أبي فدخل مجلس الخلوة واستلقى على قفاه ووضع إحدى رجليه على الأخرى وهو يقول : هذا شيء لم يعلمه النبي ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا الخلفاء الراشدون وعلمته أنت . سبحان الله . انتهى .

» . . .

وذكر الحافظ أبو نعيم في حليته . قال الحافظ أبو بكر الآجري بلغني عن المهدي رحمه الله . أنه قال : ما قطع أبي . يعني التواتر . إلا شيخ



جاء به من المصيبة ، فمكث في السجن مدة ثم إن أبي ذكره يوماً فقال : عليّ بالشيخ ، فأُتي به مقيداً ، فلما وقف بين يديه سلم عليه ، فلم يردّ عليه السلام . فقال : يا أمير المؤمنين . ما سلكت بي أدب الله ولا أدب رسول الله ﷺ قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها ﴾ . وأمر النبي ﷺ بردّ السلام .

قال أبي . وعليك السلام . ثم قال لابن أبي دؤاد : سلّه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا محبوس مقيد أصلي في الحبس بتيمم مُنعتُ الماء . فَرَرْتُ بقيودي تُحلّ ، ومرّ بماء أتوضأ وأصلي . ثم سلني .

فأمر به فحلّت قيوده وأمر له بماء فتوضأ وصلى . ثم قال لابن أبي دؤاد : سلّه .

فقال الشيخ : المسألة لي ، فَرّه أن يُجيبني .

فقال : سلّ . فأقبل الشيخ على ابن أبي دؤاد فقال له : أخبرني عن هذا الأمر الذي تدعو الناس إليه شيء ؟ دعا إليه النبي ﷺ ؟

قال : لا . قال : أفشيء دعا إليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعده ؟

قال : لا . قال : أفشيء دعا إليه عمر بن الخطاب بعدهما ؟

قال : لا . قال : أفشيء دعا إليه عثمان بن عفان بعدهم ؟

قال : لا . قال : أفشيء دعا إليه علي بن أبي طالب بعدهم ؟

قال : لا . قال الشيخ : أفشيء لم يدعُ إليه الرسول ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا عليّ تدعو أنت الناس إليه ليس يخلو أن تقول علموه أو جهلوه . فإن قلتَ علموه وسكتوا عنه توسعاً . وسعنا وإياك من

السكوت . ما وسع القوم ، وإن قلت جهلوه وعلمته أنت ، فيا لكُم ابنَ  
لكُم<sup>١</sup> . شيء يجهله النبي ﷺ والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم . وتعلمه  
أنت وأصحابك .

قال المهتدي : فرأيت أبي وثب قائماً ودخل الحجرة . فجعل ثوبه  
في ذ. وجعل يضحك ثم جعل يقول : صدق الشيخ ، إلى آخر ما تقدّم .  
وقال المهتدي : ما زلت أقول القرآن مخلوقٌ صدرأ من خلافة الوائى حتى  
أقدم علينا أحمدُ بن دؤاد شيخاً من أهل الشام . فأدخل الشيخ على الوائى  
مقيداً وهو جميل الوجه تامُ القامة ، حسنُ الشيبة ، فرأيت الوائى قد  
استحيا منه ورق له فما زال يدنيه ويقربه حتى قرب منه ، فسلم عليه  
الشيخُ فأحسن السلام ودعا فأبلغ وأوجز فقال له الوائى : اجلس ، ثم  
قال : يا شيخ ناظر ابن أبي دؤاد على ما يناظرك .

فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ابن أبي دؤاد يقلّ ويصغر ، ويضعف  
عن المناظرة .

فغضب الوائى وأعاد مكان الرقة له غضباً ، وقال : أبو عبد الله بن  
أبي دؤاد يقلّ ويصغر ويضعف عن مناظرتك أنت .  
قال الشيخ : هوّن عليك يا أمير المؤمنين ، ما بك ، واثذن لي في  
مناظرته .

فقال الوائى : ما دعوتك إلّا للمناظرة .

فقال الشيخ : يا أحمد يا ابن أبي دؤاد إلآم دعوت الناس ودعوتي  
إليه ؟

فقال : أن تقول : القرآن مخلوقٌ لأن كل شيء دون الله مخلوقٌ .

---

١ التلّكح : التلميم .

فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ، إن رأيت أن تحفظ عليّ وعليه ما نقول .

فقال : أفلُ . فقال الشيخ : يا أحمدُ ، أخبرني عن مقالتك هذه أواجبةً داخلَةً في عقد الدين . فلا يكون الدين كاملاً حتى يقال فيه ما قلت ؟

قال : نعم . فقال الشيخ : أخبرني عن رسول الله ﷺ حين بعثه الله عزّ وجلّ إلى عباده ، هل سترَ شيئاً ممّا أمره الله به في دينه ؟

فقال : لا . قال الشيخ : أفدعا رسول الله ﷺ إلى مقالتك هذه ؟ فسكت ابن أبي ذؤاد فقال الشيخ : تكلم ، فسكت . فالتفت الشيخ إلى الواصل فقال : يا أمير المؤمنين قل : واحدة . فقال الواصل : واحدة .

فقال الشيخ : يا أحمد أخبرني عن الله عزّ وجلّ حين أنزل آخر القرآن على رسول الله ﷺ فقال - اليوم أكملتُ لكم دينكم وأنمّمتُ عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً - أكان الله صادقاً في إكماله أم أنت الصادق في نقصانه ، فلا يكون كاملاً حتى يقال فيه بمقالتك هذه ، فيكون كاملاً .

فسكت ابن أبي ذؤاد فقال الشيخ : أجب . يا أحمد ، فلم يجبه ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ، قل : اثنان .

فقال : اثنان . فقال الشيخ : يا أحمد أخبرني عن مقالتك هذه أعلمها رسول الله ﷺ أم جهلها ؟

فقال ابن أبي ذؤاد : علمها . فقال : أفدعا الناس إليها ؟

فسكت ابن أبي ذؤاد . فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين قل : ثلاثة .

فقال الوراق : ثلاثة . فقال الشيخ : يا أحمد ، أفأتسمع لرسول الله ﷺ كما زعمت ، ولم يطالب أمته بها ؟

قال : نعم . قال الشيخ : وأتسمع لأبي بكر الصديق . وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان . وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم ؟

فقال ابن أبي دؤاد : نعم . فأعرض الشيخ عنه وأقبل على الوراق . فقال : يا أمير المؤمنين ، قد قدمتُ أن أحمد بقلّ ويصغر ويضعف عن المناظرة . يا أمير المؤمنين ، ألم يتسع لك من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم . فلا وسّع الله على من لم يتسع له مثلاً ما اتسع لهم من ذلك .

فقال الوراق : نعم إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم . فلا وسّع الله علينا ، ثم قال : اقطعوا قيدَ الشيخ . فلما قطع ضربَ الشيخ بيده فأخذ القيد فوضعه في كفه . فقال الوراق : لِمَ فعلت هذا ؟

فقال الشيخ : لأنني نويت أن أقدمَ إلى من أوصي إليه إذا مُتُّ . أن يجعله بيني وبين كفي ، حتى أخاصمَ به هذا الظالمَ عند الله عزّ وجلّ يوم القيامة ، وأقول : يا رب سلّ عبدك هذا لِمَ قيدني ورَوّعَ أهلي وولدي وإخواني بلا حقٍّ أوجب ذلك عليّ .

وبكى الشيخ وبكى الوراق وبكىنا ، ثم سأله الوراق أن يجعله في حلّ وسعة مما نأه به . فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين لقد جعلتُك في حلّ وسعة من أول يوم أكراماً لرسول الله ﷺ ، إذ أنت رجلٌ من أهله .

فقال الوراق : لي إليك حاجة .

فقال الشيخ : إن كانت ممكنةً فعلت .

فقال الواصل : نقيم عندنا يتنفع بك قتياننا ؟

فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ، إن ردك إياي إلى الموضع الذي أخرجني منه هذا الظالم أنفع لك من مقامي عندك ، فقال : ولم ذلك ؟ فقال : لأسير إلى أهلي وولدي فأكف دُعاءهم عنك . فقد خلقتهم على ذلك .

فقال الواصل : أفتقبل منا صلة تستعين بها على دهرك ؟

فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين . أنا غني وذو ثروة .

قال : أفتسألنا حاجة .

قال : أوتفضيها ؟

قال : نعم .

قال : تحلي سبيلي إلى السفر الساعة وتأذن لي .

قال : أذنت لك

فسلم عليه الشيخ وخرج .

قال : صالح : فقال المهدي بالله ، فرجعت عن هذه المقالة من

ذلك اليوم ، والله أعلم .

### الضبط الناطق فائدة

روى الدارقطني وشيخه والحاكم وابن عدي عن عمر : « أن النبي ﷺ كان في محفل من أصحابه ، إذ جاء أعرابي من بني سليم قد اصطاد ضباً وجعله في كُمه ليذهب به إلى رحله ، فرأى جماعة محتفلين بالنبي

ﷺ . فقال : على مَنْ مِنْ هؤلاء ؟

قالوا : على هذا الذي يزعم أنه نبي .

فأتاه فقال : يا أحمدُ . ما اشتملت الناس على ذي لهجة أكذب منك . ولولا أن تسميني العربُ عجولاً لقتلتك ، فسررت لقتلك الناس أجمعين .

فقال عمر : يا رسول الله دعني أقتله ؟

فقال رسول الله ﷺ : أما علمت أن الحلیم كاد أن يكون نبياً .

ثم أقبل الأعرابي على رسول الله ﷺ ، فقال : واللّاتِ والعزى لا آمنُ بك حتى يؤمن بك هذا الضُّبُّ ؟ وأخرج الضُّبُّ من كفه وطرحه بين يدي رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : يا ضُبُّ ، فتكلّم الضُّبُّ بلسان فصيح عربي صريح يفهمه القوم جميعاً فقال : لبيك وسعديك يا رسول ربّ العالمين .

فقال رسول الله ﷺ : من تعبد ؟

قال : الذي في السماء عرشه ، وفي الأرض سلطانه ، وفي البحر سبيله ، وفي الجنة رحمته ، وفي النار عذابه .

قال : فمن أنا يا ضُبُّ ؟

قال : أنت رسول ربّ العالمين وخاتم النبيين ، قد أفلح من صدّقت وخاب من كذبت .

فقال الأعرابي : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله حقاً ، والله لقد أتيتك وما على وجه الأرض أحد أبغض إليّ منك ، والله لأنت الساعة

---

١ اللّات والعزى : من آلهة الجاهليين الكاذبة .

أحبَّ إليَّ من نفسي ومن ولدي . فقد آمن بك شعري وبشري وداخلي  
وخارجي وسري وعلايتي .

فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا  
نعلمه ولا يُعلم إلا الله تعالى إلا بصلاة ولا يقبل الصلاة إلا  
بقراءة .

قال : فعلمني . فعلمه النبي ﷺ : الحمد لله . وقل هو الله أحد .  
فقال : يا رسول الله ما سمعت في البسيط ولا في الرجز أحسن من هذا .  
فقال رسول الله ﷺ : إن هذا كلام رب العالمين . وليس بشعر .  
إذا قرأت قل : هو الله أحد ثلاثاً . أو قال : ثلاث مرات . فكأنما قرأت  
القرآن كله .

فقال الأعرجي : إن إلها يقبل اليسير ويُعطي الكثير . انتهى باختصار  
من حياة الحيوان الكبرى .

## ابن آدم

ووقف رجل على الواثق فقال : يا أمير المؤمنين . صل رحمك وارحم  
أقاربك وارحم رجلاً من أهلك .

فقال الواثق : من أنت . فأني لا أعرفك قبل اليوم ؟

قال : ابنُ جدك آدم .

فقال : يا غلام . أعطه درهماً ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، وما أصنع بالدرهم ؟

قال : أرأيتَ لو قسمتَ المالَ بينَ إخوتك أولادِ جدِّي أكانَ ينوبك  
منه حبة .

فقال : لله درك ما أذكى فهمك .  
فأمر له بعتاء وانصرف مكرماً .



## خلافة المتوكل على الله تعالى

حكى عنه أنه قال ذات يوم لأبي العيناء : ما أشدَّ ما مرَّ عليك في  
ذهاب عينيك ؟

فقال : فقدُ رؤيتك يا أمير المؤمنين .

فاستحسن منه هذا الجواب وأمر له بجائزة نفيسة .

ومما حكاه أبو القاسم علي بن محمد الذهبي عن أبي عبد الله  
النحوي . قال : لما حجَّ محمد بن عبد الله بن طاهر رأى في الطواف جاريةً  
في نهاية الحسن فسأل عنها . فقيل : إنها لرجل من الأدباء قد رَوَّاهَا  
الأشعارُ والأخبار والنحو والعروض . وقد أَحَسَّتْ ضربَ العود وطريقَ  
الغناء ، فاشتراها بمائة ألف درهم . فلما قدم بها مدينة دار السلام شُغِفَ  
بها شغفاً شديداً وأُخْفِيَ أمرها . وما يجده منها تحوّفاً من أمير المؤمنين  
المتوكل . وكان من شدة وجده بها يحتبسُ عندها أياماً لا يظهرُ للناس .  
فيظنون أنه زَمِنَ وأمره معها مستور . فقطن به سويد بن أبي العالية  
صاحبُ البريد . وكان بينه وبين محمد منافرةً . فلم يجد ما يكيد به إلا أن  
كتب إلى المتوكل وهو نازل على أربعة فراسخ من بغداد . كتاباً نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد يا أمير المؤمنين . فإن محمد بن  
عبد الله اشترى جاريةً بمائة ألف درهم . فهو يصطبح معها ويفتيق زمانه  
كلَّه معها . وقد اشتغل بها عن النظر في أمور المسلمين وعن التوقيع في  
قصص المظلومين . ولا يأمن أمير المؤمنين أن تخرب عليه بغداد مع كثرة ما

فيها من القَوَّاء فيتعب أمير المؤمنين في إصلاحها . وقد أنهى ذلك المملوك  
إلى أمير المؤمنين . أيدّه الله . وهو أعلى رأياً والسلام عليه ورحمة الله  
وبركاته .

قال : فلما قرأ المتوكّل الكتاب رفع رأسه إلى نرجس الخادم وقال له :  
امض الساعة إلى محمد بن عبد الله بن طاهر وادخل عليه داره بغتة من غير  
إذن وانظر إلى ما يصنع ؟ ثم خذ منه جاريته فلانة واثت بها من غير تأخير .  
فضى نرجس من ساعته . وكان محمد قد اصطبح معها في ذلك  
اليوم . فدخل عليها نرجس من غير استئذان . فلم يشعر محمد إلا وهو  
واقف عليه . فتغيّر وجهه وانتفج لونه . وفاضت عيناه وارتعدت فرائضه  
لعلمه أن نرجساً ما دخل عليه من غير إذن إلا وقد أضمر له السوء . فقال  
له : يا نرجس ما الذي أقدمك !

قال : أمير المؤمنين أمرني أن آخذ جاريثك هذه .

قال : يا نرجس هذا يومٌ قد حضر شره وغاب خيره . وقد ترى ما  
نحن فيه . وأنا لا أخالف ما أمر به أمير المؤمنين .

ثم أمر للخادم بكرسي فجلس عليه بعد أن امتنع ساعة وقال : إن  
مثلي لا يجلس مع مثلك . ثم إن محمداً نظر إلى الجارية وبكى بكاءً  
شديداً . وقال لها : غني لأزود منك .

فأخذت العودَ وغتّت بصوت حزين تقول :

لله من لِمُعَذِّبِينَ	رماهما	بشمانة العذال	والחסاد
أما الرحيلُ	فحين جدّ	تحملت	مهجُ النفوس به من الأجساد
من لم يبت	والبينُ	يصدع شمله	لم يدر كيف نفثت الأكباد

ثم إنهما أعلنا بالبكاء والنحيب والشهيق . فرحمهما الخادم ورقّ لها

حينَ عاينَ ما حلَّ بها . فقال : أيها الأمير . إن رأيتَ أن أمضيَ وأدعكما على ما أنتما عليه وأتعلَّلَ عنكما لأمرِ المؤمنين ففعلت .

فقال : يا نرجس . من خلفه مثل أبي سويد كيف يُمكنه التعلُّل . ولكن ارفق بنا .

فقالَت الجارية : والله يا سيدي لا مَلَكِي غَيْرُكَ أَبَدًا . ولئن دفعني إليه لأقتلنَ نفسي .

فقال لها محمد : لو كان غيرُ أمير المؤمنين لكان في ذلك أوسعُ حيلة . ولقد وددتُ أن يأخذَ مني أميرُ المؤمنين جميعَ ما أملك ويغرلني عن عملي ويُقيكِ عليَّ . ولكن هذا قضاء الله وقدره . ثم التفت إلى نرجس وقال : لقد شاهدتُ مِنِّي ومن هذه الجارية ما شهد قلبك علينا بالمحبة والمودة والألفة ، وليس يُخفى عن علمِك أن صنائع المعروف تقي مصارع السوء . ومثلك من يصنع المعروف مع مثلي فخذها وامضي بها إلى أمير المؤمنين . وقل ما شئتَ مما يَلِيقُ بِمُروءتك . ثم التفت إليها وقبَّلها وبكى وبكت وبكى نرجس . ثم أخذها وخرج وهي تبكي وتُحَمِّشُ خَدَّها ووجهها . قالت : ثم حملني نرجس على بغلة أمير المؤمنين وسار حتى دخل على المتوكِّل . فلما رآه قال : ما وراءك يا نرجس ؟

قال : وراي يا أمير المؤمنين كل بليَّة . ثم إنه جلس بين يديه وقصَّ عليه حالها ولم يُخفِ شيئاً .

فقال المتوكِّل : وكل هذا الوجد يجده محمد من هذه الجارية ؟

فقال : يا أمير المؤمنين والذي خفي أكثر مما ظهر وما أظنَّه يعيش بعدها . فرقَّ عليه قلبُ المتوكِّل وقال : يا نرجس ارجع بها إليه الساعة من وقتك . هذا وأدركه قبل أن ترهقَ روحه ، وقد أمرت له بمائة ألف

درهم . ولها مع ذلك مثله . وجعلتُ أمر أبي سويد إليه يصنع به ما يشاء .

ثم كتب له توقيعاً بذلك ودفعه إلى نرجس . فرجع الخادم بالجارية والتوقيع ولم يتمهل حتى دخل عليه فوجده عرباناً يتقلب على حُصْر سامان من شدة الكرب والوجد . وقد أحدثت به الجواري يروحته بالمراوح . فقال : أبشر يا محمد ، إن أمير المؤمنين قد ردَّ جاريته عليك من غير أن يُوقعَ نظره عليها . وقد حكمتك في أبي سويد .

ثم ناوله التوقيع بذلك . ودخلت الجارية عليه . فوثب إليها وعانقها وقبلها ساعة . ثم خرج فجلس على باب داره وبعث إلى أبي سويد ، فلما حضر دفع إليه التوقيع . فلما قرأه قال : أعوذ برضاك من سُخطك وبعقوك من عقوبتك . وأن تهدم مني ركناً أنت شيدته . وأن تُضيّع صنيعةً اصطنعتها إلى مثلي . فتثلي من هفا ومثلك من عفا .

ثم قام وقبل البساط فقال له محمد : لا أبدلُ نعمة الله كفوفاً ثم أمر له بخمسين ألف درهم فقالت الجارية : وأنا أيضاً أهبُّ له خمسين ألف درهم مما وهبه لي أمير المؤمنين ، شكراً لله تعالى على ذلك .

ثم أقره على ما كان عليه . وأمر أن يُحمل المالك بين يديه إلى منزله ، ورجع محمد والجارية إلى ما كانا عليه في أطيب عيش وأحسن حالٍ متظاهراً بذلك غير مستترٍ ولا خائف . انتهى .

### يعفو عن الرأس والذنب

وَأَتَمَّ الْمُتَوَكَّلُ بِمُحَمَّدِ بْنِ الثُّصَيْبِ وَوَزِيرِهِ ابْنِ الدَّبْرَوَانِيِّ وَكَانَ مُحَمَّدٌ هَذَا قَدْ خَرَجَ عَلَى الْمُتَوَكَّلِ وَاسْتَوْزَرَ ابْنَ الدَّبْرَوَانِي . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْ الْمُتَوَكَّلِ

قال له : ما حملك على ما فعلت يا محمد ؟

قال : الشقوة وحسن الظن بعفوك يا أمير المؤمنين ، وأنشد يقول :

أبى الناسُ إلا أنك اليومَ قاتلي      إمامَ الهدى ، والعفو بالحرِّ أجملُ  
تضائل ذنبي عند عفوك قلّة      فجُدّ لي بعفومك ، فالعفو أفضلُ

فقال الملك : خلّوا سبيله . ثم قدّم ابن الديرواني فقال : اضربوا عنقه ، فقال : سبحان الله ، يا أمير المؤمنين ، تعفو عن الرأس وتقطع الذنب ؟ فضحك المتوكّل وعفا عنه ، انتهى .

### صوت من السجن

كتب محمد بن عبد الملك الزيات وهو في السجن ، وقد اشتدّ به الحال ، رقعة إلى المتوكّل يستعطفه على نفسه من شدّة ما قاسى من الأهوال والعذاب في السجن يقول فيها هذين البيتين :

هي السبيل : فمن يوم إلى يوم      كفرحة النائم الفرحان بالنوم  
لا تعجلنّ ، رويداً ، إنها دولٌ      دنيا تُنْقَلُ من قوم إلى قوم

قال : فلما قرأها المتوكّل . رقّ له وبكى وأمر بإطلاقه ، فذهبوا إلى السجن فوجدوه ميتاً . رحمة الله عليه .

## خلافة أمير المؤمنين المعتصم بالله أحمد

كان يسمّى السفّاح الثاني لأنه جدد ملك بني العباس بعد أن أخلقته الأتراك وأذلّته ، وفي ذلك يقول علي بن العباس الرومي :

كما بأبي العباس أنشيء ملككم كذا بأبي العباس أيضاً يُجَدِّدُ

ولقد اتفق في أيامه ، على ما حُكي ، أمرٌ فظيع كشفه الله له بهيته في نفوس الناس ، فإنه كان لا يتجرأ أحد منهم أن يكتّم ما في نفسه مخافةً صولته لأنه كان ، لشدة جذقه ، يتخيّل لهم أنه يعلم ما في نفس الإنسان من الضمير . فاتفق أن أحد وزرائه وأكبر قوّاده بنى بناءً عاليًا مشرفاً على منازل جيرانه ، فلم يعارضه أحد فيه من جيرانه لمكانته من سلطانه وعزّه . وكان يجلس كثيراً في ذلك البناء . فرأى يوماً من الأيام في دار من دور جيرانه جاريةً بارعةً الجمال ، فولع بها . فسأل عنها . فأخبر أنها بنت أحد التجّار . فأرسل إلى والدها خاطباً ، فقال له أبوها ، وكان من أهل البسار : لست أزوّجها إلّا من تاجر مثلي ، فإنه إن تزوّجها من هو مثلي لم يظلمها . وإن ظلّمها قدرتُ على النصفه منه . وأنت إن ظلّمتها لم أقدر لها على النصفه منك ، ولا على الحيلة لنصرتها .

فلم يزل يرومه في ذلك بكل أمر وتوسط إليه بالأكابر والأماثل من الناس ، وهو مع ذلك يمتنع ، فلما يش منه أن يجيبه ، شكّا إلى أحد خواصّه فقال له : ألف مثقال يقيم لك هذا .

فقال : كيف ذلك ؟ والله لو علمت أني أنفق عليها ماتي ألف مثقال  
أو أكثر وتأتيني بها لفعلت .

قال له : عليك أن تحضر لي ألف دينار .

فأمر بإحضارها ففشى بها ذلك الرجل إلى عشرة رجال كانوا عُدولاً  
عند القاضي في شهادتهم ، وذكر لهم الأمر ، وقال : هذا أمر ليس عليكم  
من الله فيه تَبَعَة ، فإنه يُصَدِّقُهَا كذا وكذا ألفاً ، وأغلى لهم المهر ، وإنكم  
تُحيون نفساً أشرفت على الهلاك ، ويكون لكم عنده مع هذا من الجاه ما  
ترغبون ، وأبوها إنما هو عاضلٌ لها عن الزواج ، وإلا فما يَمْنَعُهُ من ذلك ،  
وقد خطبها مثلُ فلان في جلالة قدره ومكانة أمره ، وقد أعطاه صداقاً لا  
يعطى إلا لبنت ملك ثم هو مع هذا يَأْبَى ، هل هذا إلا عَضْلٌ بَيْنٌ ؟  
ولكن لكم ألف مثقال لكل واحد منكم مائة وتشهدون أنه قد زَوَّجَهَا به  
فإنه إذا علم أبوها بأنكم قد شهدتم عليه رجع إلى هذا إذ ليس فيه إلا الخير  
والخيرة .

فأخذ الشهود كل واحد منهم مائة وشهدوا أن أباهَا زَوَّجَهَا على  
صداق مبلغه كذا ، ورفضوا في الصداق إلى غاية ما تُرْفَعُ إليه صداقات  
الملوك ، فلما علم أبوها بذلك زاد نِفَاراً وإباء ، ففشى الوزيرُ وذلك القائد  
إلى القاضي وقال : إني تزَوَّجْتُ فلانةَ بنت فلان على هذا الصداق ،  
وهؤلاء شهدوا عليه ، ثم قد ناكِرني وأنكر الشهود ، وقد أردت أن أدفع  
له حقَّ ابنته وآخذها .

فأمر القاضي بإحضار الشهود فشهدوا عنده وأحضر مال النقد بين  
يَدَيِ القاضي ، والرجلُ على إنكاره متنادٍ . فأمر القاضي بِامضاء الحُكْمِ

عليه ، وأن تؤخذ ابنته منه أحبُّ أو كره ، وأمر بحمل المال إليه ، فلما وصلت الجارية عند الوزير ، لم يزل أبوها يروم الوصول إلى المعتصم . وكان المعتصم غليظَ الحجاب لا يصل إليه أحد من غير الخاصة . فقيل للرجل أنه يحضر كل يوم ساعة من النهار على بُنيانٍ له بقصره ، فإن استطعت أن تكون مع جملة رجال الخدمة تصل إليه وتكلّمه بما أردت . ففعل الرجل ذلك وغير شكّله ، ودخل في جملة رجال الخدمة للبناء ، فلما كان ذلك الوقت الذي كانت عادة أمير المؤمنين المعتصم يقف فيه على ذلك البناء خرج ذلك الرجل فترامى إلى الأرض وجعل يحثو التراب على رأسه ويستغيث ، فسأله عن شأنه فقصَّ عليه القصة ، فأرسل المعتصم في ذلك المقام ، خلف ذلك القائد وأغلظ عليه في القول ، فحملته هيئته له ، وقلة إقدامه على الكذب عليه ، أن وصف له الصورة على ما كانت عليه ، وهو يطمع أن يعمّره في ذلك ، إذ قد جعل لها من الصداق ما هو فوق قيمة قدرها ، وأمر بإحضار الشهود فصنعوا مثل صنيع صاحبهم وذلك كلّ رهبة له وإجلالاً أن يخاطبوه بكذبٍ مع تحيلهم أنه يصفح لهم عن هذه الزلة إذ قد أرادوا إحياء نفس ذلك الوزير ، وأيضاً قد دفع له بين يدي القاضي نقداً لا يكون إلا في صدقات الملوك ، وقد جعل لها من الصداق ما هو فوق قيمة قدرها ، فكانه قد أخذها بحقّها أو بأكثر من حقّها .

فلما تحققت عنده جلية الخبر أمر أن يصلب كل شاهد منهم على باب داره . وأن يوضع ذلك الوزير في جلد ثور طريّ السلخ . ويضرب بالمرازب حتى يختلط عظمه ولحمه ودمه ، ثم أمر به ، لمّا صنع به ذلك . أن يفرغ بين يدي نُمور كانت عنده ، فلما لعت تلك الثُمر ذلك الدم أمر



الرجلَ أبا البنت أن يأخذَ ابنته ويأخذَ كلَّ ما ذكروا لها على ذلك الوزير في صداقها من عقار ودور ومال .

ثم مات المعتصم وولي ابنه المقتدر وكان صبيّاً صغير السن . فعادت الأتراك إلى ما كانت عليه من ذلك . والله تعالى أعلم .

### صاحب المغرب وصاحب طليطلة

ويقربُ من شهامة هذا الملك ما ذكره في حياة الحيوان في ترجمة يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن . صاحب بلاد المغرب . من أنه وقع بينه وبين الأذفونش ، نصرانيّ طليطلة . مكاتباتُ قال : بعث الأذفونش إلى الأمير يعقوب يتوعّده وتهدّده . ويطلب منه بعضَ حصون . وكتب له رسالة من إنشاء وزيره ابن النجار وهي :

باسمك اللهم فاطر السموات والأرض . وصلى الله على السيّد المسيح روح الله وكلمته الفصيح . أما بعد فإنه لا يخفى على ذي ذهن ثاقب ولا ذي عقل لازب<sup>١</sup> أنك أميرُ الملة الحنيفية . كما أني أميرُ الملة النصرانية . وقد علمتُ ما عليه رؤساء الأندلس من التخاذل والنكول والتكاسل . وإهمالهم أمرَ الرعية وإخلادهم إلى الراحة والأمنية . وأنا أسوسهم بحكم القهر وإخلاء الديار وسبي الذراري . وأمثل بالرجال وأذيقهم عذاب الهوان . وشديد التكال . ولا عذرَ لك في التخلّف عن نصرتهم . إذا مكنتك القدرة وساعدك من عساكرك وجنودك كل ذي رأي وخبرة .

١ اللارب : الثالث .

٢ التخاذل : ترك القوم نصرة بعضهم بعضاً . النكول : الخين . التكال : هو أن نصنع بشخص صنيعاً يخدّر غيره إذا رآه .

وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمْ قِتَالَ عَشْرَةٍ مِمَّا بَوَّاحِدٍ مِنْكُمْ .  
وَالْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ . وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا . رَحْمَةً مِنْهُ . وَنَحْنُ الْآنَ  
نُقَاتِلُ عَشْرَةً مِنْكُمْ بَوَّاحِدٍ مِمَّا لَا تَسْتَطِيعُونَ دَفَاعًا . وَلَا تَمْلِكُونَ امْتِنَاعًا ،  
وَأَقْدَمَ حُكْمِي عَلَيْكَ أَنَّكَ أَخَذْتَ فِي الْإِحْتِفَالِ وَأَشْرَفْتَ عَلَى رِبْوَةِ الْقِتَالِ ،  
وَأَمَّا نَفْسُكَ سَنَةً بَعْدَ أُخْرَى تَقْدَمُ رَجُلًا وَتُوَخَّرُ أُخْرَى . فَلَا نَدْرِي أَكَانَ  
لِجَبْنٍ إِطَاؤُكَ أَمْ لَتَكْذِيبٍ بِمَا وَعَدَ رَبُّكَ . ثُمَّ قِيلَ لِي أَنَّكَ لَا تَجِدُ إِلَى  
الْجَوَّازِ سَبِيلًا . وَلَعَلَّهُ لَا يَسُوعُ لَكَ التَّقَحُّمُ فِيهِ مَيْلًا ، وَهَآ أَنَا أَقُولُ لَكَ مَا  
فِيهِ الرَّاحَةُ وَأَعْتَدْتُ عَنْكَ ، وَلَكَ عَلَيَّ أَنْ تَقِيَ بِالْعَهْدِ وَالْمَوَاقِفِ وَالِاسْتِكْثَارِ  
مِنَ الْبِرْهَانِ . وَإِلَّا جِئْتُ بِحِمْلَتِي إِلَيْكَ وَأَقَاتَلُكَ فِي أَعَزِّ الْأَمَاكِنِ عَلَيْكَ ،  
فَإِنْ كَانَتْ النُّصْرَةُ لَكَ كَانَتْ غَنِيمَةٌ كَبِيرَةٌ جَاءَتْ إِلَيْكَ . وَإِنْ كَانَتْ لِي  
كَانَتْ يَدِي الْعَلِيَا عَلَيْكَ . وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لَا رَبَّ غَيْرَهُ ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُهُ .  
قَالَ : فَزَقَ يَعْقُوبُ الْكِتَابَ ، وَكَتَبَ عَلَى قِطْعَةٍ مِنْهُ : « ارْجِعْ إِلَيْهِمْ  
فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ » .  
الْجَوَّابُ مَا تَرَى لَا مَا تَقْرَأُ وَاسْتَشْهَدْ بَيْتَ الْمُتَنَبِّي .

وَلَا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِفِيُّ عِنْدَهُ وَلَا رَسَلَهُ إِلَّا الْخَمِيسُ الْعَرَمَرُمُ

ثُمَّ أَمَرَ بِكُتَابِ الْإِسْتِفْهَارِ وَاسْتِدْعَاءِ الْجِيُوشِ مِنَ الْأَمْصَارِ . وَضَرَبَ  
السُّرَادِقَاتِ مِنْ يَوْمِهِ بَظَاهِرِ الْبِلَدِ ، وَصَارَ إِلَى الْبَحْرِ الْمَعْرُوفِ بِرُقَاقِ سِبْتَةٍ ،  
فَعَبَّرَ فِيهِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَدَخَلَ إِلَى بِلَادِ الْإِفْرَنْجِ . فَكَسَرَهُمْ كَسْرَةً  
شَنِيعَةً . وَعَادَ بَنَائِلَهُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

## الصعيدى والفرنجية

ومن غرائب المنقول وعجائبه عن الأمير بدر الدين أبي المحاسن .  
يوسف المهندار . المعروف بمهندار العرب أنه قال : حَكَى لي الأمير  
عمرُ . شجاع الدين الشيرازي ، متولي القاهرة في أيام الكامل سنة ثلاثين  
وستمائة قال : بنتا عند رجل بالصعيد . فأكرمنا . وكان الرجل شديد  
السُّمرة . وهو شيخ كبير . فحضر له أولاد بيضُ الوجوه . حسانُ  
الأشكال . فقلنا له : هؤلاء أولادك ؟ قال : نعم . ثم قال : كأنكم  
أنكرتم عليّ يياضهم وسوادى ؟

قلنا : نعم . فقال : هؤلاء كانت أمهم إفرنجية أخذتها أيام الملك  
الناصر صلاح الدين . وأنا شاب .

فقلنا : وكيف أخذتها ؟ قال : حدثني فيها عجيب وأمرى غريب .  
فقلنا : اتَّخَضْنَا بِهِ .

فقال : زرعْتُ كَثَانًا في هذه البلدة وقلعته ونفضته . فصرفت عليه  
خمسائة دينار . ثم لم يبلغ الثمن أكثر من ذلك فحملته للقاهرة فلم يصل  
أكثر من ذلك ، فأشير عليّ بحمله إلى الشام . فحملته فلم يزد على تلك  
القيمة شيئاً . فوصلت به إلى عكا فبعتُ بعضه لأجلٍ والبعض تركته .  
واكترتُ حانوناً لأبيع على مهل إلى أن تنقضي المدة . فبينما أنا أبيعُ إذ

مرّت بي امرأة إفرنجية ، ونساء الإفرنج يمشين في الأسواق بلا نقاب فأتت تشتري مني كناناً ، فرأيت من جمالها ما بهرني فبعثتها وساحتها ثم انصرفت وأنت إليّ بعد أيام فبعثتها وساحتها أكثر من المرة الأولى ، فتكرّرت لي وعلمت أنّي أحبّها فقلت للعجوز التي كانت معها : إنني قد تلفتُ بحبّها ، وأريد منك الحيلة .

فقلت لها العجوز ذلك ، فقلت : تروح أرواحنا الثلاثة أنا وأنت وهو ، فأعادت عليّ الجواب فقلت لها : أما أنا فقد سمحت بروحي في حبّها . واتفق الحال على أن أدفع لها خمسين ديناراً ، فوزنتها وسلمتها للعجوز فقلت : نحن الليلة عندك .

قال : فضيت وجهزت ما قدرتُ عليه من مأكول ومشروب وشمع وحلوى فجاءت الإفرنجية فأكلنا وشربنا وجنّ الليل ولم يبقَ غيرُ النوم ، فقلت في نفسي : أما تستحيي من الله وأنت غريبٌ تعصى الله مع نصرانية . اللهمّ إني أشهدك أنّي قد عففتُ عنها في هذه الليلة حياةً منك وخوفاً من عقابك .

ثم نمتُ إلى الصبح ، فقامت من السحر وهي غضبانة ، ومضت ومضيت إلى حانوتي . فجلستُ فيه . فإذا هي قد عبرت عليّ والعجوز وهي مغضبة . وكأنها القمر . فهلّكت وقلت في نفسي : ومن هو أنتَ حتى ترك هذه البارة في حسنّها ؟ ثم لحقت العجوز ، وقلت لها : ارجعي ؟ فقال : وحقّ المسيح ما أرجعُ لك إلا بمائة دينار .

فقلت : نعم ! بسم الله . فضيتُ ووزنت مائة دينار ، فلما حضرت الجارية عندي لحقتني الفكرة الأولى . وعففت عنها وتركته حياةً من الله تعالى ، ثم مضت ومضيت إلى موضعي ، ثم عبرت عليّ بعد ذلك

وقالت : وحقَّ المسيح ما عدتَ تفرحُ بي عندك إلا بخمسمائة دينار ، أو تموت كمداً .

فارتعتُ لذلك وعزمتُ على أن أصرف ثمن الكئان جميعه ، فبينما أنا كذلك والمنادي ينادي ، معاشر المسلمين ! إن الهدنة التي كانت بيننا وبينكم قد انقضت ، وقد أمهلنا من هُنا من المسلمين إلى جمعه ، فانقطعت عني ، وأخذتُ في تحصيل ثمن الكئان الذي لي ، والمصالحة على ما بقي منه ، وأخذتُ معي بضاعة حسنة ، وخرجت من عكا وفي قلبي من الإفرنجية ما فيه . فوصلت إلى دمشق وبعثتُ البضاعة بأوفى ثمن بسبب فراغ الهدنة ، ومنَّ الله عليّ بكسب وافر . وأخذتُ أنجرُ في الجوارِي لعلَّ يذهبُ ما بقلبي من الإفرنجية . ففست ثلاث سنين ، وجرى للملك الناصر ما جرى من وقعة حطين . وأخذ جميع الملوك . وفتح بلاد الساحل ، بإذن الله تعالى . فطلبَ مني جاريةً للملك الناصر . فأحضرتُ له جاريةً حسنة . فاشترأها بمائة دينار . فأوصلوا إليّ تسعين ديناراً ، وبقيت العشرة دنانير عنده . فلم يجدوها في خزانة الملك في ذلك اليوم ، لأنه أنفق جميع الأموال . فلما حضرت الغنيمَةُ جاءوا للملك فشاوروه على ذلك ، فقال : امضوا به إلى الخيمة التي فيها السيُّ من نساء الإفرنج ، فخيروه في واحدةٍ منهن ، يأخذها بالعشرة دنانير التي بقيت له .

فأتيت الخيمةَ فعرفت غريمتي ، فقلت : أعطوني هذه الجارية . فأخذتها ومضيت إلى خيمتي . وخلوت بها ، وقلت لها : أترفيني ؟ قالت : لا . فقلت لها : أنا صاحبك التاجر الذي جرى لي معك ما جرى وأخذت مني الذهب ، وقلت : ما عدتَ تراني عندك إلا بخمسمائة دينار وقد أخذتُك ملكاً بعشرة دنانير .

فقلت : مدَّ يدك أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فأسلمت وحسن إسلامها . فقلت : والله لا وصلت إليها إلا بأمر

القاضي ، فتوجّهت إلى ابن شدّاد وحكيت له ما جرى ، فتعجّب وعقد لي عليها ، وباتت تلك الليلة عندي ، فحملت مِنِّي ثم رحل العسكر ، وأتينا دمشق ، فبعد مدّة يسيرة أرسل الملك يطلب الأسارى والسبايا باتفاق وقع بين الملوك ، فردّوا من كان أسيراً من الرجال والنساء ، ولم يبقَ إلّا التي عندي ، فطلّبت مِنِّي ، فحضرتُ وقد تغيّر لوني فأحضرتها بين يدي الملك الناصر ، والرسول فقلت : هذه أسلمت وصارت امرأتي .

فقال الملك الناصر بحضرة الرسول : أترجعين إلى بلادك أو إلى زوجك . فقد فككتنا أسرك وأسر غيرك .

فقلت : يا مولانا السلطان ! أنا قد أسلمتُ وحملتُ وها بطني كما ترونه ، وليس لي رغبة في الرجوع إلى بلادِي وما رَغَبْتِي إلّا في الإسلام وزوجِي .

فقال لها الرسول : أيّما أحبّ إليك ، هذا المسلم أو زوجُك الإفرنجي ؟

فأعادت عبارتها الأولى ، فقال الرسول لمن معه من الإفرنج : اسمعوا كلامها . ثم قال لي الرسول : خذ زوجتك وتوجّه . فولّيتُ بها فطلّبتُ ثانياً وقال : إن أمّها أرسلت معي كُسوة وقالت : إن ابنتي أسيرة وأشتهي أن تُوصِلَ لها هذه الكسوة .

فأسلمتُ الكسوة ومضيتُ إلى الدار ففتحت القماش ، فإذا هو قماشها بعينه قد صيّرتَه لها أمّها ، ووجدت من داخله الصّرتين ، الذهب الخمسين ديناراً والمائة ديناراً ، كما هي بربطتي لم يتغيّروا ، وهؤلاء الأولاد منها ، وهي التي صنعت لكم هذا الطعام والله أعلم .

## إن من البيان لسحراً

يحكى أن بعض الملوك أرسل رجلاً من بطانته إلى بعض الجهات ليعرف خبر عاملها ، وبطلاله بأخبار الرعية . فلما وصل الرجل فطن له العامل ، فأرسل إليه بمال وتُحَفَ ثم قال : عرفت ما جئت له ، وأنا أرغب إليك في كتاب تكتبه إلى الملك تذكر فيه أنني حسن السيرة ، وسالك طريق العدل ، فإن أنت فعلت ذلك ، فلك مني ما تشتهي رغبتك إليه من الخير والعطاء ، وإن أبيت ذلك أمرت الشرطيين أن ينهوا إليّ من أمرك في المال ما يوجب قتلك إما حذاً وإما سياسة ، فأقتلك بمحض من قاضي البلد ووجوه الناس ، فتذهب كأمس الماضي .

فلما لم يجد الرجل بداً من موافقته ولم يكن ليخون مرسله كتب بحضرته كتاباً إلى الملك .

أما بعد ، أعز الله الملك وأكرمه ، فلاني قدمت إلى مدينة كذا وكذا فوجدت العامل فلاناً آخذاً بالحزم عاملاً بالعزم ، قد ساوى بين رعيته ، وعدل بينهم في أقضيته ، وأرضى بعضهم بعضاً ، وجعل طاعته عليهم فرضاً وأنزلهم منزلة الأولاد ، وأذهب ما بينهم من الأحقاد ، وأراحهم من السعي في الدنيا وقرغهم للعمل في الأخرى ، أغنى القاصد وأرضى الوارد ، فجميع أهل عمله داعون للملك يودّون النظر إلى وجهه الكريم والسلام .

فلما وصل الكتاب منه إلى الملك فكّر فيه وقال لوزيره : إن فلاناً لم يكن عندي بمثلهم ، فإن كتابه هذا يدلّ على ظلم العامل ، فالتمس لي

رجلاً يصلح لعمله ، فإني قد عزلته .

فقال الوزير : أصليح الله الملك . وكيف ذلك ؟

قال : لأن قوله آخذاً بالحزم عاملاً بالعزم أي أنه خائف مني لما اعتمده في الولاية . وأما قوله ساوى بين رعيته وعدل بينهم في أقضيته . فعناه أنه لم يخصّ أحداً بظلمه بل الجميع سواء . وقوله : وأرضى بعضهم بعضاً : أي ذهبت أحقادهم لأن الشدائد تُذهب الأحقاد . وقوله : أنزلهم منزلة الأولاد ، معناه أخذ أموالهم ورأى أنها له أخذاً من قوله **عَلَيْكُمْ** : « أنت ومالك لأبيك » . وقوله : وأراحهم من السعي في الدنيا ، معناه أنه أخذ أموالهم ولم يترك لهم ما يسعون به ولا ما به يتجرون . وقوله : فرغهم للعمل في الأخرى ، معناه أنهم لزموا المساجد والعبادة لفرغهم . وقوله : أغنى القاصد وأرضى الوارد فإنه يعني نفسه ، أي أنه أعطاه مالاً ليكتبَ إليّ بذلك . وأما قوله : فجميع أهل عمله داعون لنا ، معناه أن يبصرنا الله بأمرهم ، ونطلع على ما هم فيه . وقوله : يودّون النظر لوجهنا أي يشكون إلينا ما لقوه منه ويستغيثون بنا .

ثم إن الملك طلب العامل وأحضره إلى بابه وأنصفَ الناس منه وردّ عليهم ما كان العامل ظلّمهم فيه واقتصّ منه فيما عليه فيه القصاص ، وقابله على فعله والله أعلم .



## هذه القصيدة الزينية<sup>١</sup>

صرمت حبالك بعدَ وصلك زينبُ      والدهرُ فيه نصرُمُ ونقلبُ  
نشرت ذوائبها التي تزهو بها      سوداً ورأسك كالثغامةِ أشيبُ<sup>٢</sup>  
واستفرت لما رأتك وظالما      كانت تحنُّ إلى لقاك وترغبُ  
وكذاك وصلُ الغايات . فإنه      آلُ بيلقعة وبرقُ خلْبُ<sup>٣</sup>  
فدع الصبا . فلقد عداك زمانه      وازهد فعمرك مرٌّ منه الأطيبُ  
ذهب الشباب . فإله من عودة      وأنى المشيبُ . فأين منه المهربُ  
دع عنك ما قد كان في زمن الصبا      واذكر ذنوبك . وابكها يا مذبُ  
واذكر مناقشة الحساب . فإنه      لا بُدَّ يُحصى ما جنيت ويكتبُ  
لم ينسهِ الملكان حينَ نسيته      بل أثبتاه . وأنت لأمِ ثلعبُ<sup>٤</sup>  
والروحُ فبك وديةً أودعتها      ستردها بالرغم منك وتُسلبُ  
وغرورُ دنياك التي تسعى لها      دارُ حقيقتها متاعٌ يذهبُ  
والليلُ . فاعلم . والنهارُ كلاهما      أنفاسنا فيها تُعدُّ وتُحسبُ

١ هذه القصيدة لصالح بن عبد القدوس . وهو من حكماء الشعراء كان متهماً بالزندقة . قتله المهدي من أجل ذلك وسُلب على جسر بغداد سنة ٧٨٣ م . وسُميت القصيدة بالزينية نسبة إلى لفظة زينب الواردة في أول بيت منها . وهي لقب الدنيا .

٢ الثغامة : شجرة بيضاء .

٣ الآل : السراب . البلقعة : القفر . البرق الخلب : غير المطر .

٤ الملكان : منكر ونكير قانا القبور .

وجميعُ ما خَلَفْتَهُ وَجَمَعْتَهُ  
 ثِيًّا لِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا  
 فَاسْمَعْ . هُدَيْتَ . نَصِيحَةً أَوْ لَا كُفَّهَا  
 صَحِبَ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ مُسْتَبْصِرًا  
 لَا تَأْمَنُ الدَّهْرَ الْخَثُونَ . فَإِنَّهُ  
 وَعَوَاقِبُ الْأَيَّامِ فِي لَذَاتِهَا  
 فَعَلَيْكَ تَقْوَى اللَّهِ . فَالْزَمْهَا نَفْرًا  
 وَاعْمَلْ بِطَاعَتِهِ تَتَلَّ مِنْهُ الرِّضَا  
 وَاقْنَعْ . فَمِنْ بَعْضِ الْقَنَاعَةِ رَاحَةٌ  
 فَإِذَا طَمَعْتَ كُسِبَتْ ثُوبَ مَذَلَّةٍ  
 وَتَوَقَّ مِنْ غَدْرِ النِّسَاءِ خِيَانَةً  
 لَا تَأْمَنُ الْأُنْثَى حَيَاتَكَ إِنَّهَا  
 لَا تَأْمَنُ الْأُنْثَى زَمَانَكَ كُلَّهُ  
 تُغْرِى بَلِيْنٍ حَدِيثُهَا وَكَلَامُهَا  
 وَابْدَأْ عَدُوَّكَ بِالتَّحِيَّةِ . وَلِتَكُنْ  
 وَاحِدُهُ . إِنْ لَاقَيْتَهُ مُتَبَسِّمًا  
 إِنْ الْعَدُوُّ وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ  
 وَإِذَا الصَّدِيقُ رَأَيْتَهُ مَتَمَلِّقًا  
 لَا خَيْرَ فِي وَدِّ امْرِئٍ مُتَمَلِّقٍ  
 يَلْقَاكَ يَحْلِفُ أَنَّهُ بِكَ وَائِثُّ  
 يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حِلَاوَةً  
 وَصِلِ الْكِرَامَ وَإِنْ جَفَوْكَ بِهَفْوَةٍ  
 وَاخْتَرِ قَرِينَكَ وَاصْطَفِيهِ تَفَاخُرًا  
 إِنْ الْغَنِيِّ مِنَ الرِّجَالِ مَكْرَمٌ

حَتَّى يَقِينَا بَعْدَ مَوْتِكَ يُنْهَبُ  
 وَمَشِيدُهَا عَمَّا قَلِيلٍ يُخْرَبُ  
 بَرٌّ نَصُوحٌ لِلْأَنَامِ مَجْرَبُ  
 وَرَأَى الْأُمُورَ بِمَا تُثُوبُ وَتُعَقِّبُ  
 مَا زَالَ قَدَمًا لِلرِّجَالِ يُؤَدَّبُ  
 عُصَصُ بِذِكِّهَا الْأَعْزُ الْأَنْجَبُ  
 إِنَّ التَّقِيَّ هُوَ الْبَهِيُّ الْأَهْبُ  
 إِنْ الْمُطْمَئِنِّ لَهُ لَدَيْهِ مَقْرَبُ  
 وَالْيَأْسُ عَمَّا فَاتَ . فَهُوَ الْمَطْلَبُ  
 فَلَقَدْ كُسِيَ ثُوبَ الْمَذَلَّةِ أَشْعَبُ  
 فَجَمِيعُهُنَّ مَكَائِدُ لَكَ تَنْصَبُ  
 كَالْأَفْعَوَانِ يُرَاعِ مِنْهُ الْأَنْبِيُّ  
 يَوْمًا . وَلَوْ حَلَفْتَ يَمِينًا تُكَذِّبُ  
 وَإِذَا سَطَتْ فِيهِ الصَّقِيلُ الْأَشْطَبُ  
 مِنْهُ . زَمَانُكَ ، خَائِفًا تَرْقُبُ  
 فَالْلَيْثُ يَبْدُو نَابُهُ إِذَا يَغْضَبُ  
 فَالْحَقْدُ بَاقٍ فِي الصَّدُورِ مُعَيَّبُ  
 فَهُوَ الْعَدُوُّ . وَحَقُّهُ يُتَجَبَّبُ  
 حَلَوُ اللِّسَانِ . رَقْلُهُ يَتَلَهَّبُ  
 وَإِذَا تَوَارَى عَنْكَ فَهُوَ الْعَقْرُبُ  
 وَيَرُوغُ مِنْكَ كَمَا يَرُوغُ الثَّعْلَبُ  
 فَالْصَّفْحُ عَنْهُمْ وَالتَّجَاوُزُ أَصُوبُ  
 إِنْ الْقَرِينَ إِلَى الْمُقَارِنِ يُنْسَبُ  
 وَتَرَاهُ يُرْجَى مَا لَدَيْهِ وَيُرْهَبُ

وَيَشْهُ بِالترَّحِيبِ عِنْدَ قَلْبِهِ  
وَالْفَقْرُ شَيْنٌ لِلرَّجَالِ ، فَإِنَّهُ  
وَاحِفِضُ جَنَاحِكَ لِلْأَقَارِبِ كُلِّهِمْ  
وَذَرِ الْكَذُوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا  
وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ  
وَاحِفَ لِسَانِكَ وَاحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ  
وَالسِّرِّ فَاعْتَمِدْهُ وَلَا تَتَطَيَّقْ بِهِ  
وَكَذَاكَ سِرُّ الْمَرْءِ إِنْ لَمْ يَطْوِهِ  
لَا تَحْرِصَنَّ ، فَالْحِرْصُ لَيْسَ بِزَائِدٍ  
وَيُظَلُّ مَلْهُوفًا بِرُومٍ تَحِيلاً  
كَمْ عَاجَزَ فِي النَّاسِ يَأْتِي رِزْقُهُ  
وَارِعَ الْأَمَانَةَ ، وَالْحَيَانَةَ ، فَاجْتَنِبْ  
وَإِذَا أَصَابَكَ نَكْبَةٌ فَاصْبِرْ لَهَا  
وَإِذَا رُمِيَتْ مِنَ الزَّمَانِ بِرِيَّةٍ  
فَاضْرَعْ لِرَبِّكَ ، إِنَّهُ أَذْنَى لِمَنْ  
كُنْ مَا اسْتَطَعْتَ عَنِ الْأَنَامِ بِمَعَزَلٍ  
وَاحْذَرْ مَصَاحِبَةَ اللَّثِيمِ ، فَإِنَّهُ  
وَاحِلٌ مِنَ الْمَظْلُومِ سَهْمًا صَانِبًا  
وَإِذَا رَأَيْتَ الرِّزْقَ عَزَّ بِبِلْدَةٍ  
فَارْحَلْ فَارْضُ اللَّهَ وَاسْعُهُ الْفَضَا  
وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي

وَيُقَامُ عِنْدَ سَلَامِهِ وَيُقَرَّبُ  
حَقًّا يَهْوَنُ بِهِ الشَّرِيفُ الْأَنْسَبُ  
بِتَذَلُّلٍ ، وَاسْمَحْ لَهُمْ إِنْ أَذْنَبُوا  
إِنَّ الْكَذُوبَ يَشِينُ حَرًّا يَصْحَبُ  
ثَرَارَةً فِي كُلِّ نَادٍ تَخْطُبُ  
فَالْمَرْءُ يَسْلِمُ بِاللِّسَانِ وَيُعْطَبُ  
إِنْ الرُّجَاةُ كَسَرُهَا لَا يُشْعَبُ  
نَشْرَتِهِ أَلْسِنَةً تَزِيدُ وَتُكَذِّبُ  
فِي الرِّزْقِ بَلْ يُشْنِي الْحَرِيصَ وَيَتَعَبُ  
وَالرِّزْقُ لَيْسَ بِحِيلَةٍ يُسْتَجْلَبُ  
رَعْدًا ، وَيُحْرَمُ كَيْسٌ ، وَيُحْيَبُ  
وَاعْدِلْ وَلَا تَظْلِمَ يَطِبُ لَكَ مَكْسَبُ  
مَنْ ذَا رَأَيْتَ مُسْلِمًا لَا يُنْكَبُ  
أَوْ نَالَكَ الْأَمْرُ الْأَشَقُّ الْأَصْعَبُ  
يَدْعُوهُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَأَقْرَبُ  
إِنْ الْكَثِيرَ مِنَ الْوَرَى لَا يُصْحَبُ  
يُعْدِي كَمَا يُعْدِي السَّلِيمَ الْأَجْرَبُ  
وَاعْلَمْ بِأَنْ دَعَاءَهُ لَا يُحْجَبُ  
وَخَشِيتَ فِيهَا أَنْ يَضِيقَ الْمَذْهَبُ  
طَوْلًا وَعَرْضًا ، شَرْقَهَا وَالْمَغْرِبُ  
فَالصُّحُ أَغْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ

وما أحسن قول صالح بن عبد القدوس :

الْمَرْءُ يَجْمَعُ ، وَالزَّمَانُ يُفَرِّقُ وَيُظَلُّ يَرْفَعُ وَالْخُطُوبُ تُمَرِّقُ

ولأن يُعاديَ عاقلاً خيراً له  
 فاربأ بنفسك أن تصادقَ أحمقاً ؛  
 وزن الكلام ، إذا نطقت ، فإنما  
 ومن الرجال إذا استوت أعلامهم  
 حتى يحلُّ بكلِّ وادٍ قلبه  
 لا ألفيئك ثاوياً في غربة  
 ما الناسُ إلا عاملان : فعاملٌ  
 والناسُ في طلب المَعاش ، وإنما  
 لو يُرزقون الناسُ حسبَ عقولهم  
 لكنته فضلُ المليكِ عليهم  
 وإذا الجنازةُ والعروسُ تلاقيا  
 سكتَ الذي تبعَ العروسَ مَبْهُتاً  
 وإذا امرؤُ لَسَعْتَهُ أفعى مرّةً  
 بقي الذئب ، إذا يقولوا يكذبوا ،  
 من أن يكون له صديقٌ أحقُّ  
 إن الصديقَ على الصديقِ مصدقٌ  
 يُبدي عقولَ ذوي العقولِ المنطقُ  
 من يُستشارُ ، إذا استشير ، فُطرقُ  
 فيرى ويعرفُ ما بقولِ وينطقُ  
 إن الغريبَ بكلِّ سهمٍ يُرشقُ  
 قد مات من عطشٍ ، وآخرُ يفرقُ  
 بالجدِّ يُرزقُ منهم من يُرزقُ  
 ألفتَ أكثرَ من ترى يتصدقُ  
 هذا عليه مَوْسَعٌ ومُصْبِقُ  
 ورأيتَ دمعَ نوائعٍ يترقبُ  
 ورأيتَ من تبعَ الجنازةَ ينطقُ  
 تركته حينَ يجرُّ حبلاً يفرقُ  
 ومضى الذين إذا يقولوا يصدقوا

### الخوارج كلاب النار

وذكر ابن الجوزي في الأذكياء وغيره : أن عمران بن حِطَّان ، كان  
 أحدَ الخوارجِ ، وهو القاتل يمدحُ عبدَ الرحمن بنَ مُلْجِم المُرادي لعنهما  
 الله تعالى ، على قتل الإمام علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه وكرّم الله  
 وجهه :

١ قوله : لو يرزقون الناس : جعل الناس بدلاً من الواو نائب فاعل يرزقون ، وهي  
 لغة ضعيفة يُقال لها : لغة أكلوني البراغيث .

يا ضربةً من نقيٍّ ما أراد بها      إلا ليبلغَ من ذي العرشِ رضوانا  
إني لأذكره يوماً فأحسبه      أو في البريةِ عندَ الله ميزانا  
أكرمَ بقومِ بطونِ الأرضِ أقبرهم      لم يُخلطوا دينهم بغيّاً وعُدوانا

فبلغت القاضي أبا الطيب الطبري ، رحمه الله تعالى ، هذه الأبيات  
فقال مجيئاً له :

إني لأبرأ مما أنت قائله      عن ابن مُلجمِ الملعونِ بُهتاناً  
إني لأذكره يوماً فآلعه      ديناً ، وألعنَ عمرانَ بنَ حِطّاناً  
عليك ثم عليه الدهرُ مُصِلاً      لعائنُ اللهِ إسراراً وإعلاناً  
فأنثُموا من كلابِ النارِ جاء لنا      نصُّ الشريعةِ بُرهاناً وتبياناً

أشار أبو الطيب رحمه الله تعالى إلى قوله عن ابن ملجم : « الخوارج كلاب  
النار » ، انتهى من حياة الحيوان .

### سارق الجمل

ومنه ما روي عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال : « جاءوا  
برجل إلى النبي ﷺ ، فشهدوا عليه أنه سرق جملأ لهم ، فأمر به النبي  
ﷺ أن يُقطع ، فولى الرجلُ ، وهو يقول : اللهم صلّ على محمدٍ حتى  
لا يبقى من صلاتك شيء . وبارك على محمدٍ حتى لا يبقى من بركاتك  
شيء ، وسلّم على محمدٍ حتى لا يبقى من سلامك شيء . »

فتكلّم الجملُ وقال : يا محمد ، إنّه بريء من سرقي .

فقال النبي ﷺ : من يأتيني بالرجل ؟ فابتدره سبعون من أهل  
بئر ، فجاءوا به إلى النبي ﷺ فقال : يا هذا ، ما قلت آنفاً ؟

فأخبره بما قال . فقال النبي ﷺ : لذلك نظرت الملائكة يحترقون  
سكك المدينة . حتى كادوا يحولون بيني وبينك .

ثم قال النبي ﷺ : « لَتَرِدَنَّ عَلَى الصِّرَاطِ وَوَجْهُكَ أَضْوَأُ مِنْ الْقَمَرِ  
لَيْلَةَ الْبَدْرِ » .

## هذه القصيدة يقال إنها لأmir المؤمنين الراضي بالله

زيادةُ المرءِ في دنياه نُقصانُ  
 وكلُّ وجدانٍ حظٌّ لا ثباتَ له  
 يا عامراً لحرابِ الدهرِ مُجتهداً  
 ويا حريصاً على الأموالِ يجمعها  
 دِعِ الفؤادَ من الدنيا وزخرفها  
 وأوعِ سَمْعَكَ أمثالاً أَفْصَلُها  
 أحسِنِ إلى الناسِ تستعبد قلوبَهُم  
 وكن على الدهرِ معواناً لذي أَمَلٍ  
 من جادٍ بالمالِ مالِ الناسِ قاطبةً  
 من كانَ للخيرِ متاعاً فليس له  
 لا تَخْدِشَنَّ بِمَظَلٍّ وجهَ عارِفِهِ  
 يا خادِمَ الجِسمِ كم تسعى لخدمته  
 أَقْبِلْ على النفسِ واستكمل فضائلها  
 من يَتَّقِي اللهَ يُحَمَّدُ في عواقِبِهِ  
 حسبُ الفتى عقلُهُ خلاً يعاشِرُهُ  
 لا تستشر غيرَ شخصٍ حازمٍ فَطِينٍ  
 فلتدائِرِ فرساناً إذا ركضوا  
 وللأمورِ مواقفٌ مُقدَّرةٌ  
 من رافقِ الرِّفقِ في كلِّ الحوادثِ لم

وريحُهُ غيرَ محضِ الخيرِ خُسرانُ  
 فإن معناه في التحقيقِ فقدانُ  
 بالله ! هل لحرابِ الدهرِ عُمرانُ  
 أنسيتَ أن سرورَ المالِ أحرانُ  
 فصفوها كدَرُ والوصلُ هجرانُ  
 كما يُفْصَلُ باقوتُ ومَرجانُ  
 فطالما استعبدَ الإنسانُ إحسانُ  
 يرجو نِدالَكَ ، فإن الحرَّ معوانُ  
 إليه ، والمالُ للإنسانِ قَتانُ  
 عندَ الخَلِيقَةِ أخدانُ وإخوانُ  
 فاليرُّ يَخْدِشُهُ مَظَلٌّ وَلَيَّانُ  
 أنْطَلُبُ الرِّيحَ مما فيه خُسرانُ  
 فأنتَ بالنفسِ لا بالجِسمِ إنسانُ  
 ويكفِهِ شَرٌّ مَنْ عَزَّوا وَمَنْ هَانُوا  
 إذا تحاماه إخوانُ وخَلَّانُ  
 قد استوت منه أَسْرارُ وإعلانُ  
 فيها أبْرؤُا كما للحربِ فُرسانُ  
 وكلُّ أمرٍ له حَدٌّ وميزانُ  
 يندَمُ عليه ولم يَدْمُمهُ إنسانُ

ولا تكن عَجَلًا في الأمرِ تَطْلُبُهُ  
وذو القناعة راضٍ في معيشته  
كفى من العيش ما قد سَدَّ من رَمَقٍ  
هما رضيعا لبانٍ حكمةً وثَقَى  
من مدَّ طرفاً بفِرط الجَهْلِ نحو هوى  
من استشار صروفَ الدهرِ قام له  
من عاشرَ الناسَ لاقى منهم نصباً  
ومن يفتش عن الإخوانِ مجتهداً  
من يزرع الشرَّ يحصد في عواقبه  
من استنمَّ إلى الأشرارِ نامَ وفي  
من سالمَ الناسَ يسلمُ من غوائلهم  
من كان للعقل سلطانٌ عليه غدا  
وإن أساءَ مَسِيءٌ فليكن لك في  
إذا نبا بكريمٍ موطنٌ ، فله  
لا تحسبنُ سروراً دائماً أبداً  
يا ظالماً فَرِحاً بالعزِّ ساعده  
يا أيها العالمُ المُرضي سِيرته  
ويا أخا الجَهْلِ لو أصبحت في لُججِ  
دع التكاثرَ في الخيراتِ تطلُّبها  
صُنْ حُرَّ وجهك لا تهتكْ غلالته

فليس يُحمدُ قبلَ التَّضجِ بحرانُ  
وصاحبُ الحرصِ إن أثرى فغضبانُ  
ففيه للحرِّ إن حَقَّقْتَ غُيانُ  
وساكنًا وطنٍ مالٌ وطُغيانُ  
أغضى عن الحقِّ يوماً وهو خزيانُ  
على حقيقة طبعِ الدهرِ بُرهانُ  
لأن طبعهمو بنيٌّ وعدوانُ  
فجُلُّ إخوانِ هذا الدهرِ خَوَّانُ  
ندامةٌ ، ولتحصِدِ الزرعَ إِيَّانُ  
قبضه منهمو صلٌّ وتُعبانُ  
وعاش وهو قريُّ العينِ جَذَلانُ  
وما على نفسه للحرصِ سلطانُ  
عروضِ زلَّته صفحٌ وغُفرانُ  
وراءه في بسِطِ الأرضِ أوطانُ  
من سرُّه زمنٌ ساءتْه أزمانُ  
إن كنت في سنةٍ فالدهرُ يَقْطانُ  
أبشر . فأنت بغيرِ الماءِ رَيَّانُ  
فأنت ما بينها لا شك ظَمَّانُ  
فليس يَسْعُدُ بالخيراتِ كَسَلانُ  
فكلُّ حُرٍّ لحرِّ الوجهِ ضَوَّانُ

١ قوله : قبل التضج بحران : البحران : التغير الذي يحدث دفعة في الأمراض الحادة . وهذه اللفظة لا تؤدي هنا معنى مفيداً ولعلها محرقة .

٢ السنة : فتور النوم .

٣ حرَّ الوجه : ما بدا من الوجهة .



لا تحسب الناس طبعاً واحداً فلهم  
 ما كلُّ ماؤه كصداء لوارده  
 من استعان بغير الله في طلب  
 واشدَّ يدبك بحبل الله مُتصماً  
 لا ظلَّ للمرء يُغني عن ثَقَى ورضا  
 سُحبان من غير مالٍ باقلٍ حَصْرُ  
 والناسُ إخوان من وآلته دولته  
 يارافلاً في الشباب الرحب مُتشيأ  
 لا تفتِر بشبابٍ ناعمٍ خُضيلٍ  
 ويأخا الشيب لو ناصحت نفسك لم  
 هب الشيبة بُدي عُذرٍ صاحبها  
 كلُّ الذنوب فإن الله يغفرها  
 وكلُّ كسرٍ فإن الله يُجيرُهُ  
 أحسن إذا كان إمكانٌ ومقدرة  
 فالروضُ يزدانُ بالأَنوارِ فاغمة  
 خُذها سرائرُ أمثالٍ مهذبة  
 ما ضُرَّ حُسَّانها والطبعُ صائغها

غرائرُ لست تُحصيها وألوانُ  
 نعم ولا كلُّ نبتٍ فهو سَعْدانُ  
 فإن ناصره عَجَزُ وخِذلانُ  
 فإنه الركن إن خانتك أركانُ  
 وإن أظَلَّته أوراقُ وأفانُ  
 وباقلُ في ثَراءِ المالِ سُحبانُ  
 وهم عليه إذ عادته أعوانُ  
 من كاسِهِ هل أصاب الرُشدُ نَشوانُ  
 فكم تقدَّم قبلَ الشيبِ شُبَّانُ  
 يكن للمثلِّك في الإسرافِ إمعانُ  
 ما بالُ شيبك يستهويه شيطانُ  
 إن شيعَ المرءَ إخلاصٌ وإيمانُ  
 وما لكسرٍ قناقَ الدين جيرانُ  
 فلا بدومٌ على الإنسان إمكانُ  
 والحرُّ بالعدل والإحسان يزدانُ  
 فيها لمن يبتغي التَّبيانَ تبيانُ  
 إن لم يَصْغها قريعُ الشعرِ حَسَّانُ

- ١ صداء : عين عذبة الماء في بلاد العرب . وفي المثل : ماء ولا كصداء .
- السعدان : نبت من أطيب مراعي الإبل ، وفي المثل : مرعى ولا كالسعدان .
- ٢ سُحبان بن وال : أحد خطباء العرب المشهورين . باقل : رجل اشتهر بغية .
- ٣ الأنوار : الواحد نور : الزهر الأبيض . الفاغمة : من فعم الطيب فلاناً : ملاً خياشيمه .
- ٤ حسان : هو حسان بن ثابت الأصاري المعروف بشاعر النبي .

وذيل عليها بعضهم فقال :

وكن لسنّة خير الخلق متّبعا	فإنها لنجاة العبد عنوان
فهو الذي شملت للخلق أنعمه	وعمّهم منه في الدارين إحسان
جيشه قرّ قد زانه خفر	ونغره دُرّ عرّ ومرجان
والبدر ينجّل من أنوار طلعه	والشمس من حُسنه الوضاح تزدان
ومذ أنى أبصرت عمي القلوب به	سُبل الهدى ووَعَت للحقّ آذان
به توسّلنا في محو زلّتنا	لربّنا ، إنه ذو الجود مثان
ياربّ صلّ عليه ما همى مطر	فأنبعت منه أوراق وأغصان
وابعث إليه سلاماً زاكياً عطراً	والآل والصحب لا تقنيه أزمان

### جارتان برواية شعر

وعن حمّاد الراوية قال : كنت محبّاً للوليد بن عبد الملك ، فلما ولي أخوه يزيد الخِلافة هربتُ إلى الكوفة ، فبينما أنا في المسجد الأعظم ، إذ أتاني رسولُ محمد بن يوسف الثَّقفي ، وقال : أجب الأمير ، فدخلت عليه ، فقال : ورد كتابُ أمير المؤمنين عليّ بحمّلك إليه ، وبالباب نجيبان ، فاركب أحدهما ، ودفع إليّ كيساً فيه ألف دينار ، وقال : هذه نفقةٌ لمتركك ، فدخلتُ دمشق في اليوم الثامن واستأذن لي الرسولُ فدخلت عليه ، فإذا هو جالسٌ في دارٍ مبْلطةٍ بالرخام الأحمر ، وفيها سُرّادقُ خزٍّ أحمرٍ في وسطٍ فيه حمراء من خزٍّ ، وفرشها وكلُّ ما فيها أحمرٌ ، وعلى رأسه جارتان عليها ثيابٌ حمراءٌ بيّدةٌ واحدةٌ منها إبريقٌ ، وفي إحدى يدي الأخرى نبيذٌ أحمرٌ ، وفي اليد الأخرى نبيذٌ أبيضٌ ، فلما واجهته سلّمتُ عليه بالخِلافة فردّ عليّ السلام ، وقال : ادنُ يا حمّاد : أتدري فيم بعثت إليك ؟

قلت : لا يا أمير المؤمنين .

قال : في بيت شعرٍ ذهب عني أوله .

قلت : من أيّ عروضٍ أو قافية ؟

قال : لا أدري إلا أنه بيتٌ فيه إبريق .

فقلت في نفسي : إن لم تغنّ الرواية يوماً ، فالآن . ففكرتُ في نفسي ساعة . ثم قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، لعله قولُ التَّعِ اليماني ، أو عديّ بن زيدٍ العبادي :

بكر العاذلون في وضح الصُّب	ح يقولون لي : أما نَسْتَفِيحُ
ويلومون فيك يا ابنة عبدِ الله	والقَلْب عندكم موثوق
لست أدري إذ العذل فيها	أعدوْ يلومني أم صديقُ
ودعوا بالصُّبوح يوماً فجاءت	قَبَّةٌ في يَمِينِها إبريقُ

فصاح يزيد وقال : هو والله الشعرُ بعينه وشرب وقال : يا جارية اسقيه ، فسقتني كأساً أذهبت ثلث عقلي ، ثم استعاد الشعرَ وشرب وقال : اسقيه ، فسقتني ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ذهب ثلثا عقلي .

فقال : سلّ حاجتك قبل أن يذهب الثلثُ الآخر .

فقلت : إحدى هاتين الجاريتين .

فقال : هما لك بما لها وما عليها ، ومائة ألف تُحسين بها سيرك . ثم ناولتني الجارية كأساً فشربتها وانصرفت ونهضت ، وقد ذهب عقلي ، فعُدِلَ بي إلى دار الضيافة فانتبهت آخر الليل ، وإذا بشمع يوقد والجاريتان يرضّان الأمتعة ، والبغال تحملُ ما لها من أثاثٍ وغيره ، وأصبحت قبضتُ المال وانصرفت ، وأما أبسرُ أهل الكوفة ، انتهى .

ولما وقف الشيخ تي الدين بن حجة رحمه الله . على هذه الحكاية . قال : انظر أيها المتأدبُ إلى نفاقِ سوقِ الأدبِ في ذلك الأرب . وبشهادة الله أن البيت الذي طُلبَ حمّادُ الراوية بسببه من العراق إلى دمشق ، وأجيز عليه بالجازيتين والمائة ألف تأنف نفسي أني أنظّمه في سلك قصيدة من قصائدي . وهو هذا البيت :

ودعوا بالصُّبوحِ يوماً فجاءت قَيْنَةٌ في يَمِينِها إِيرِقُ

وكنْتُ أريدُ أن أكونَ في ذلك العصرِ ويسمَعُ يزيدُ بنَ عبد الملك من نظمي في هذا البابِ قولي :

في ليلَةٍ رَقَمَ البدرُ المنيرُ لها	طاراً له بعضا الجوزاء نَقَرَتْ <sup>١</sup>
وبان لي من لَمَها حينَ تَسِيمُ لي	فوق اللَّثَا واللّمي دُرٌّ وعُقَبَاتُ <sup>٢</sup>
والراحُ دَبَّتْ على فهمي فَصَوَّرَها	لكن لها ضاع في الكاسات نَفَحَاتُ
كانت علاماتُ تحقيقي . فقال في :	هي المنازلُ لي فيها علاماتُ
مذ أنشأتنا سجعنا في محاسنها	مفردين ، وللإنشاء سَجَعَاتُ
هذا وأفواه كاساني قد ابتسمت	لما حَبَّتْها نغورُ لَوْلُوبَاتُ
ومن يقلُ حركاتُ الزهر ما سكَّنت	فللحجابِ على التسكينِ جِزَمَاتُ <sup>٣</sup>

١ الطائر : آله من آلات الطرب تنفر كالذف .

٢ اللثا : الواحد لثة : ما حول الاسنان من اللحم . اللمي : سمرة أو سواد في باطن الشفة يستحسن . العقبات : أثر الجمل وهيبة . الواحدة عُقَّة .

٣ الحجاب : الفقايع التي تملو وجه الماء والحر ، جعلها كأنها علامات جزم على الأزهار ، سكَّنت .

## جارية ثمن إعراب بيت

وأطف من ذلك ما حكاه محمد بن يزيد المبرد . قال : كان أبو عثمان المازني جاء إليه يهودي وسأله أن يُقرئه كتابَ سيبويه . وبذل له مائة دينار . فامتنع أبو عثمان من ذلك ، فقلت له سُبْحَانَ اللَّهِ : تردّ مائة دينار مع فاقتك وحاجتك إلى درهم واحد ؟

فقال : نعم يا أبا العباس : اعلم أن كتابَ سيبويه يشتمل على ثلاثمائة آية من كتاب الله ، ولا أرى أن أمكّن منها كافراً .

فسكتُ . ولم يتكلّم . قال المبرد : فما مضت إلّا أيام حتى جلس الواصل يوماً للشرب وحضر ندماءه فغئت جارية في المجلس هذا الشعر :

أظلوهم إن مُصائبكم رجلاً أهدى السلام تحيةً ظلّم

فنصبت رجلاً ، فلحّتها بعضُ الحاضرين من الندماء ، وقال : الصوابُ الرفعُ لأنه خيرُ إن . فقالت الجارية : ما حفظته من معلّمي إلّا هكذا .

ثم وقع النزاع بين الجماعة ، فمن قائل الصوابُ معه ، ومن قائل الصوابُ معها ، فقال الواصل : من بالعراق من أهل العربية ممن يُرجع إليه ؟

فقالوا : بالبصرة أبو عثمان المازني . وهو اليوم واحد عصره في هذا العلم .

فقال الواصل : اكتبوا إلى والينا بالبصرة يسّره إلينا معظماً مُبجلاً .

فما كان إلا أيام حتى وصل الكتابُ إلى البصرة ، فأمر الوالي أبا عثمان بالتوجه وسيره على بغال البريد ، فلما وصل دخلَ على الواق ، فرفع مجلسه وزاد في إكرامه وعَرَّض عليه البيت ، فقال : الصواب مع الجارية ، ولا يجوز في رجل غير النصب لأن مصابَ مصدر بمعنى الإصابة ورجلاً منصوب به . والمعنى أن إصابتكم رجلاً أهدى السلام تحيةً ظلمٌ ، فظلمُ خبر إن ؛ وما يتم الكلام إلا به .

ففهم الواقُّ كلامَ أبي عثمان . وعلم أن الحقَّ ما قالته وأعجب به ، وانقطع الرجل الذي أنكر على الجارية . ثم أمر الواقُّ لأبي عثمان المازني بألف دينار ، وأتخفه بتحفٍ وهدايا كثيرةٍ لأهله ، ووهِبَتْ له الجاريةُ جملةً أخرى . ثم سيره إلى بلده مكرماً ، فلما وصل جاء المبرّد فقال له أبو عثمان : كيف رأيت يا أبا العباس ، تركت لله مائةً فبِعُوضني ألفاً .

فقال المبرّد : من ترك شيئاً لله عُوضَه خيراً منه ، انتهى .

### الاسم الأعظم

عن أنسٍ رضيَ الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « سألت الله الاسمَ الأعظمَ فجاءني جبريلُ به مختوماً ، وهو اللهمَّ إني أسألك بالاسم المخزون المكنون الطاهر الطاهر المطهر المقدس المبارك الحَيُّ القيوم .

قالت عائشة : بأبي وأمي علمنيه .

فقال : يا عائشة نُهِينا عن تعليمه النساء والصبيان والسفهاء ، انتهى .

## فائدة

كان أبو محمد عبد الله بن يحيى الضبي من أصحاب الشافعي وكان إماماً صالحاً عالماً من أهل اليمن من أقران صاحب البيان من تصنيفه : [ احترازا للمهذب والتعريف في الفقه ] . روى أن ناساً ضربوه بالسيوف فلم تقطع سيوفهم فيه فسئل عن ذلك . فقال : كنت أقرأ : ﴿ وَلَا يُؤْذِهِ حِفْظُهَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾<sup>١</sup> ، فآله خير حافظاً . وهو أرحم الراحمين - له معقبات من بين يديه ومن خلقه يحفظونه من أمر الله - إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ - وحفظناها من كل شيطان رجيم - وحفظاً من كل شيطان مارد - وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم إن كل نفس لما عليها حافظ - إِنَّا بَطَشْنَا رَبَّنَا لِشَدِيدٍ - إلى آخر السورة . وينبغي أن يزداد فيها - إِنَّا رَبَّنَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ - . ثم قال : كنت خرجت يوماً مع جماعة فرأيت ذئباً يلعب شاةً عجفاء ، ولا يضرُّها بشيء . فلما دنونا منه نفر منها الذئب ، فوجدنا في عنق الشاة كتاباً مربوطاً فيه هذه الآيات المتقدمة ، انتهى .

## فائدة

قال معاذ بن جبل : احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح ، حتى كدنا تراهي عين الشمس ، فخرج سريعاً فتؤب

١ سورة البقرة ٢٥٥ .

بالصلاة فصلّى ونجّوز في صلاته . فلما سلّم دعا بصوته . فقال لنا : على مصافكم كما أنتم . ثم انفتل إلينا ، فقال : أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة ! إني قتُ من الليل فتوشأتُ وصليتُ ما قدّر لي ، فنعمتُ في صلاتي حتى استقلتُ . فإذا أنا بربي تعالى في أحسن صورة . فقال : يا محمدُ ، قلت : لبيك يا ربّ . قال : فيمَ يختصم الملائةُ الأعلى ؟ قلت : ربّي لا أدري . قال تعالى : « في الكفّارات والدرجات » . وفي رواية : « قلت : في الكفّارات والدرجات » . قال : فما هنّ ؟ قلت : مشي الأقدام إلى الجماعات ، والجلوس في المساجد بعد الصلوات . وإسباغ الوضوء على المكرهات . قال : ثم فيمَ ؟ قلت : إطعام الطعام . ولين الكلام . والصلاة بالليل والناس نيام . قال : سل . قلت : اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحبّ المساكين . وأن تغفر لي وترحمني . وإذا أردت بعبادك فتنةً فاقبضني إليك غير مفتون . أسألك حبك وحباً من يُحبك وحب كل عمل يقربني إلى حبك

فقال رسول الله ﷺ : « إنها حقّ فادرسوها ثم تعلّموها » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . انتهى من حياة الحيوان في حرف النون .

وقال : « ذكر لرسول الله ﷺ . الشريك . فقال : هو أخفى فيكم من ديب التمل ، وسأدلك على شيء إذا فعلته ، أذهب الله عنك صفار الشرك وكباره . تقول : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً ، وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم إنك أنت علام الغيوب . تقولها ثلاث مرّات » . انتهى .



### فائدة

إذا غُلِّقَت عَيْنُ الْهُدْهُدِ عَلَى صَاحِبِ النِّسْيَانِ ذَكَرَ مَا نَسِيَهُ . وَدُمُهُ إِذَا قَطُرَ فِي الْبَيَاضِ الْعَارِضِ فِي الْعَيْنِ أَذْهَبَهُ .

وروى أحمد والبرّار . ورجال أحمد ثقات . من حديث أبي هريرة : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَجُلًا يَشْرَبُ قَائِمًا . فَقَالَ لَهُ : أَيْسَرُكَ أَنْ يَشْرَبَ مَعَكَ الْهَرَّ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَقَدْ شَرِبَ مَعَكَ الشَّيْطَانُ » .

وفي تاريخ ابن النجار في ترجمة محمد بن عمر الحنبلي عن أنس بن مالك قال : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا . أَبْشَرَهَا بِالْبَرَاءَةِ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَقَدْ هَجَرَنِي الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ حَتَّى هَجَرْتَنِي الْهَرَّةَ . وَمَا عُرِضَ عَلَيَّ طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ . فَكُنْتُ أَرْقُدُ وَأَنَا جَائِعَةٌ ، فَرَأَيْتُ فِي مَنَامِي فَتًى . فَقَالَ : مَا لَكَ حَزِينَةٌ؟

فقلت : مَا ذَكَرَ النَّاسُ .

فقال : ادْعِي بِهِذَا يَفْرَجَ اللَّهُ عَنْكَ .

فقلت : وَمَا هِيَ؟

قال : قُولِي دَعَاءَ الْفَرَجِ : يَا سَابِغَ النِّعَمِ ، وَيَا دَافِعَ الْبِقَمِ ، وَيَا فَارِجَ الثُّمَمِ . وَيَا كَاشِفَ الظُّلَمِ . وَيَا أَعْدِلَ مِنْ حَكَمٍ . وَيَا حَسِيبَ مَنْ ظَلَمَ . وَيَا وَلِيَّ مَنْ ظَلِمَ . وَيَا أَوَّلَ بِلَا بَدَايَةِ . وَيَا آخِرَ بِلَا نِهَايَةِ ، وَيَا مَنْ لَهُ اسْمٌ بِلَا كُنْيَةٍ . اجْعَلْ لِي مِنْ أَمْرِي فَرْجًا وَمَخْرَجًا .

قالت : فانتبهت وأنا ريانة شبعانة . وقد أنزل الله براءتي وجاءني  
الفرج . انتهى من حياة الحيوان .

وهذا الدعاء روى الطبراني بإسناد صحيح قطعة منه عن أنس : أن  
النبي ﷺ مرّ بأعرابي ، وهو يدعو في صلاته يقول : يا من لا تراه  
العيون . ولا تحاطه الظنون . ولا يصفه الواصفون ، ولا تغيّره  
الحوادث . ولا يخشى الدوائر . يعلم مثاقيل الجبال . ومكايل البحار ،  
وعدد قطر الأمطار . وعدد ورق الأشجار ، وعدد ما أظلم عليه الليل  
وأشرق عليه النهار ، ولا توارى منه سماء سماء ولا أرض أرضاً ولا بحرٌ إلّا  
ويعلم ما في قعره ولا جبل إلّا يعلم ما في وعره . اجعل اللهم خيرَ عمري  
آخره . وخيرَ عملي خواتيمه وخيرَ أيامي يومَ لقائك .

فوكّل النبي ﷺ بالأعرابي رجلاً فقال : إذا صلّى فاتني به ، فلما  
صلّى أتاه به وقد كان أهدي للنبي ﷺ ، ذهب من بعض المعادن . فلما  
أتى الأعرابي وهب له الذهب ، وقال : ممن أنت أيها الأعرابي ؟  
قال : من بني عامر بن صعصعة .

فقال ﷺ : هل تدري لِمَ وهبتُ لك هذا الذهب ؟

قال : للرحم التي بيننا وبينك يا رسول الله .

قال ﷺ : إن للرحم حقاً . ولكم . هبت لك الذهب لحُسن.  
ثنائك على الله عزّ وجلّ . انتهى من حرف الطاء .

### بهرام جور والرماية

وفي كتاب ثمار القلوب للثعالبي في الباب الثالث عشر منه . أن الملك  
بهرام جور لم يكن في العجم أرمى منه . ومن غريب ما اتفق له أنّه خرج

يوماً يتصَبَّد على جمل . وقد أَرَدَفَ جارية يعشقها فعرضت له ظباء .  
فقال للجارية : في أي موضع تريدان أن أضع هذا السهم من هذه الظباء ؟  
قالت : أريد أن تشبه دُكرَئُها بإناثها . وإناثها بدُكرَئِها .

فرمى ظبياً ذكراً بنشابة ذات شِعبتين فاقتلعَ قَرْنِه . ورمى ظبيةً  
بنشابتين . أثبتهما في موضع القرنين .

ثم سأله أن يجمع ظلف الظبي وأذنه نشابة واحدة .

فرمى أَذْنَ الظبي ببندقية . فلما أهوى بيده إلى أذنه ليحكُ رماه بنشابة  
فوصل أذنه بظلفه . ثم أهوى إلى الجازية مع هواء بها فرمى بها إلى الأرض  
وأوطأها الجمل بسبب ما اشترطت عليه وقال : ما أردت إلا إظهار  
عجزِي ، فلم تلبث إلا يسيراً وماتت . انتهى .

### حكاية في القطا

يقال نزل عمرو بن أمارة على قوم من مُراد . فطرقوهم ليلاً فأثاروا  
القطا من أماكنها . فرأتها امرأة يقال لها حَذَام ، فلما رأت القَطَا طَارَ ليلاً  
نَهَتْ زوجها مع رجالٍ من قومها فقالت لهم : « ولو بُرِكَ القَطَا ليلاً  
لَنَامَا » . فلم يلتفتوا إلى قولها وأخلدوا إلى مضاجعهم فقام رجل منهم وقال :

إذا قالت حَذَامُ فصدُّوْهَا      فإن القول ما قالت حَذَامُ

فغفر القوم والتجئوا إلى وادٍ قريبٍ منهم . واعتصموا به حتى أصبحوا  
وامتنعوا من عدوهم ، فضرب به المثل . انتهى بتقديم وتأخير .

## يا جامع الناس

وعن أبي جعفر الخالدي قال : ودعت أبا الحسن الصغير المدني فقلت له : زودني شيئاً ؟

فقال : إذا ضاع منك شيء وأردت أن يجمعَ الله بينك وبين ذلك الشيء أو ذلك الإنسان . فقل : يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه . إن الله لا يُخلفُ الميعادَ اجمعُ بيني وبين كذا وكذا . فإن الله يجمعُ بينك وبين ذلك الشيء أو ذلك الإنسان . انتهى من حرف الألف .

## الملك والمرأة العفيفة

وهذه أبيات :

لصَبْدُ اللَّخْمِ فِي الْبَحْرِ وَصَبْدُ الْأَسَدِ فِي الْبَرِّ وَقَضْمُ النَّلْجِ فِي الْقُرِّ  
وَنَقْلُ الصَّخْرِ فِي الْحَرِّ وَإِقْدَامٌ عَلَى مَوْتٍ وَتَحْوِيلٌ إِلَى الْقَبْرِ  
لَأَشْهَى مِنْ طِلَابِ الْمَرْءِ فِي نَحْوِ عَاشٍ فِي الْفَقْرِ

قوله : اللَّخْمُ . بضم اللام وإسكان الحاء المنجمة . ضرب من السمك ضخم يقال له : الكوسج وهو القيرش . انتهى من حياة الحيوان في حرف اللام .

## الملك والمرأة العفيفة

وذكر بعض أهل التواريخ أن ملكاً من الملوك خرج يدور في ملكه . فوصل إلى قرية عظيمة ، فدخلها منفرداً ، فأخذه العطش . فوقف بباب دار من دور القرية وطلب ماء ، فخرجت إليه امرأة جميلة بكوز ماء وناولته إياه ، فلما نظر لها افتتن بها ، فراودها عن نفسها ، وكانت المرأة عارفةً به . فعلمت أنها لا تقدر على الامتناع منه . فدخلت وأخرجت له كتاباً ، وقالت له : انظر في هذا الكتاب حتى أصلح من أمري ما تُحب وأعود . فأخذ الملك الكتاب ونظر فيه ، وإذا فيه الزجر عن الزنا وما أعد الله تعالى لفاعله من العذاب الأليم ، فاقشعرَّ جلده ونوى التوبة ، وصاح بالمرأة ، وأعطاه الكتاب ومرَّ ذاهباً .

وكان زوج المرأة غائباً . فلما حضر أخبرته الخبر ، فتحير في نفسه وخاف أن يكون قد وقع غرضُ الملك فيها ، فلم يتجاسر على وطئها بعد ذلك ، ومكث على ذلك مدة . فأعلت المرأة أقاربها بحالها مع زوجها . فرفعوه إلى الملك ، فلما مثل بين يدي الملك قال أقارب المرأة : أعزَّ الله مولانا الملك ، إن هذا الرجل قد استأجر منا أرضاً للزراعة . فزرعها مدة ، ثم عطَّلها فلا هو يزرعها ، ولا هو يتركها لتؤجرها لمن هو يزرعها . وقد حصل الضرر للأرض ، ونحاف فسادها بسبب التعطيل لأن الأرض إذا لم تُزرع ، فسدت .

فقال الملك لزوج المرأة : ما يَمْنَعُكَ من زرع أرضك ؟

فقال : أعزَّ الله مولانا الملك ، إنه قد بلغني أن الأسد قد دخل

أرضي ، وقد رهبته ولم أقدر على الدنو منه لعلمي أنه لا طاقة لي بالأسد .  
 ففهم الملك القصة فقال : يا هذا إن أرضك طيبة صالحة للزراعة ،  
 فازرعها بارك الله لك فيها ، فإن الأسد لن يعودَ إليها ، ثم أمر له ولزوجته  
 بصلة حسنة وصرفها . انتهى من حرف الألف .

### فائدة

الفرزدقُ اسمه هَمَامُ بن غالب ، والفرزدق لقب غلب عليه :  
 والفرزدق قطع المعجين الواحدة فرزدقة ، ولَقَّبَ به لغلظه وقصره ، انتهى .

### فائدة عظيمة

قال الأطباء : إذا أردت أن تعرف أن المرأة عقيم أو لا ، فرها أن  
 تتحمل بثومة في قطنة ، وتُمكث سبع ساعات ، فإن فاح من فيها رائحة  
 الثوم ، فعالجها بالأدوية ، فإنها تحمل بإذن الله تعالى وإلا فلا ، وهي  
 مجرّبة ، والله أعلم .

### فائدة

قال شيخ الإسلام محيي الدين النووي في أذكاره في باب أذكار المسافر  
 عند إرادته الخروج من بيته : يُستحبّ له عند إرادة الخروج أن يصلّي  
 ركعتين لحديث المُطعم بن المقداد الصحابي رضي الله عنه ، أن رسول الله  
 ﷺ قال : ما خَلَّفَ أحد عند أهله أفضلَ من ركعتين يركعهما عندهم حين  
 يريد السفر . رواه الطبراني وقال : في تَمَّةٍ أخرى . قال الشيخ قطب  
 الدين القسطلاني : مما حفظت من والدتي أم محمد آمنة ، وكانت وفاتها في

صفر سنة ست وخمسين وستمائة : اللهم بتلألؤ نور بهاء حجب عرشك .  
 من أعدائي احتجبتُ . وبسطوة الجبروت ممن يكيدني استترت . وبطول  
 حول حجب عرشك من أعدائي احتميت . وبشديد قوتك من كل سلطان  
 تحصنت وبديموم قيوم دوام أبديتك من كل شيطان استعدت وبمكون  
 السر من سرسرك من كل همّ وغمّ تخلّصت . يا حامل العرش عن حملة  
 العرش . يا شديد البطش . يا حابس الطير والوحش احبس عني من  
 ظلمي واغلب من غلبي . كتب الله لأغلبنا أنا ورسلي إن الله قوي عزيز ،  
 انتهى .

### فائدة

إذا عُسر على المرأة ولادتها فليكتب لها : بسم الله الرحمن الرحيم لا  
 إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب  
 العالمين . كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ . فهل  
 يهلك إلا القومُ الفاسقون .

### فائدة

تكتب هؤلاء الكلمات وتعمل في أنبوية وتدفن في الزرع والكرم فانه لا  
 يؤذيه. الجراد يأذن الله تعالى وهي : بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صلّ على  
 سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم اللهم أهلك صغارهم واقتل كبارهم  
 وأفسد بيضهم وخذ بأفواههم عن معاشنا وأرزاقنا إنك سميع الدعاء . إني  
 توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على

صراط مستقيم اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه واستجب منا يا  
أرحم الراحمين .

### دعاء

وقال الشيخ قطب الدين ، ومما حفظته من دعاء والدي من الأدعية  
التي تنفع في الحجب عن الأعداء : اللهم بسر الذات وبذات السر وهو أنت  
أنت ، هو لا إله إلا أنت . احتجبتُ بنور الله وبنور عرش الله وبكل اسم  
الله من عدوي وعدوّ الله بألف ألف لا حول ولا قوّة إلا بالله . ختمت على  
نفسي وديني وأهلي ومالي وولدي وجميع ما أعطاني ربّي بخاتم الله القدّوس  
المنيع الذي ختم به أقطار السموات والأرض . حسبنا الله ونعم الوكيل .  
حسبنا الله ونعم الوكيل . حسبنا الله ونعم الوكيل .

### سك النقود في الإسلام

وقال الكسائي : دخلت على الوليد ذات يوم وهو في إيوانه وبين يديه  
مال كثير قد أمر بفرقة على خدمه الخاصة ويده درهم تلوح كتابته وهو  
يتأمّله وكان كثيراً ما يحدثني فقال : هل علمت أوّل من سنّ هذه الكتابة في  
الذهب والفضة ؟

قلت : هو يا سيدي عبد الملك بن مروان .

قال : فما كان السبب في ذلك ؟

قلت : لا أعلم غير أنه أوّل من أحدث هذه الكتابة .

قال : سأخبرك . كانت القراطيس للروم وكان أكثر من بمصر نصرانيّ



على دين ملك الروم . وكانت تُطَرَّز بالرومية وكان طرازها أبا وابناً وزوجة وبتاً . فلم يزل كذلك صدر الإسلام كله بمضي على ما كان عليه إلى أن ملك عبد الملك . فتنبه وكان فطناً . فبينما هو ذات يوم جالس إذ مرَّ به قرطاسٌ فنظر إلى طرازه فأمر أن يترجم بالعربية ففعل ذلك فأنكره . وقال : ما أغلظ هذا في دين الإسلام أن يكون طرازُ القراطيس هكذا وهي تعمل في الأواني والثياب . وهما يُعملان بمِصر وغير ذلك ممَّا يطرَّز من ستور وغيرها من عمل هذا البلد . فأمر بالكتاب إلى عبد العزيز بن مروان . وكان عامله بمِصر . بإبطال ذلك الطراز الذي يعمل على الثياب والقراطيس والستور وغير ذلك . وأن تعملَ صنَّاعُ القراطيس سورةَ التوحيد . وشهد أن لا إله إلا هو . وهذا طراز القراطيس خاصة إلى هذا الوقت . ولم ينقص ولم يزد ولم يتغير . وكتب إلى عمَّال الآفاق جميعاً بإبطال ما في أعمالهم من القراطيس المطرَّزة بطراز الروم . ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهي شيء منه بالضرب الوجيع والحبس الطويل بعدما أثبت القراطيس بالطراز المحدث بالتوحيد . وحمل إلى بلاد الروم منها وانتشر خبرها ووصل إلى ملكهم فترجم له ذلك الطراز . فأنكره وعظم عليه . واستشاط غيظاً فكتب إلى عبد الملك : إني أعمل القراطيس بمِصر وسائر ما يطرز هناك للروم . ولم تزل تطرَّز بطراز الروم إلى أن أبطلته . فإن كان من تقدّمك من الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت . وإن كنت قد أصبت فقد أخطأوا . فاختر من هاتين الخليتين أيهما شئت وأحببت . وقد بعث إليك بهدية تليق بمحلّك . وأحببت أن تردّ طراز تلك القراطيس إلى ما كان عليه . وجميع ما كان يطرز أولاً لأشكرك عليه وتأمر بقبض الهدية . وكانت عظيمة القدر .

فلما قرأ عبد الملك كتابه ، ردّ الرسول وأعلمه أنه لا جواب له وردّ الهدية ، فانصرف بها إلى صاحبه .

فلما وافاه أضعف الهدية . ورد الرسول إلى عبد الملك وقال : إني ظننت أنك استقلت الهدية . فلم تقبلها ولم تحبني إلى كتابي فأضعفت الهدية . وأنا أربع إليك مثل ما رغبت فيه أولاً من ردّ الطراز إلى ما كان عليه .

نقرأ عبد الملك الكتاب ولم يجبه وردّ الهدية . فكتب إليه ملك الروم كتاباً يقتضي أجوبة كبه ويقول : إنك قد استخففت بحوالي وهديتي ولم تسعفني بحاجتي فتوهّمت أنك استقلت الهدية فأضعفتها . فحجرت على سبيلك الأول . وقد أضعفتها لك ثالثاً . وأنا أحلف بالمسيح لتأمرن بردّ الطراز إلى ما كان عليه أو لتأمرن بنقش الدراهم والدنانير . فإنك تعلم أنه لا ينقش شيء منها إلا ما ينقش في بلادي . ولم أر الدراهم والدنانير نقشت في بلاد الإسلام فننقش عليها شتم نبيك . فإذا قرأته ارفض جبينك عرقاً . فأحب أن تقبل هديتي . وترد الطراز إلى ما كان عليه أول الأمر . وكانت هدية بررتي بها ويبقى الأمر بيني وبينك .

فلما قرأ عبد الملك الكتاب صعب عليه . وعظم . وضافت به الأرض وقال : أحسبني أشأم مولود ولد في الإسلام لأنني جنيت على رسول الله ﷺ من شتم هذا الكافر ما يبقى إلى أبد الدهور . ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب . إذ كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم . فجمع أهل الإسلام واستشارهم . فلم يجد عندهم رأياً يعمل به . فقال له روح بن زنباع : إنك لتعلم المخرج من هذا الأمر ولكنك تتعمد تركه .

فقال : ويحك بم؟ قال : عليك بالباقر من آل بيت النبي ﷺ .

قال : صدقت . ويُمكنه يا روح الرأي فيه . قال : نعم .

فكتب إلى عامله بالمدينة أن أرسل محمد بن علي بن الحسين مكرماً

ومتمعه بمائة ألف درهم لجهازه وثلاثمائة درهم لنفقته ، وأرج عليه في جهازه وجهاز من يخرج معه من أصحابه . وحبس الرسول قبله إلى موافاة محمد بن عليّ . فلما وافاه أخبره الخبر فقال له محمد رضي الله عنه : لا يعظم هذا عليك ، فإنه ليس بشيء من جهتين : إحداهما أن الله عز وجل لم يكن ليطلق ما تهدّد به صاحب الروم في رسول الله ﷺ ، والثانية تدعو في هذا الوقت بضائع يضربون سككاً للدراهم والدنانير وتجعل النقش عليها سورة التوحيد . وذكر رسول الله ﷺ إحداهما في وجه الدرهم والدينار والأخرى في الوجه الثاني وتجعل في مدار الدرهم أو الدينار ، ذكر البلد الذي يضرب فيه والسنة التي تضرب فيها تلك الدراهم والدنانير ، وتعمد إلى وزن ثلاثين درهماً عدداً من الثلاثة أصناف التي ، العشرة منها وزن عشرة مثاقيل ، وعشرة منها وزن ستة مثاقيل ، وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل ، فتكون أوزانها جميعاً أحداً وعشرين مثقالاً فيجزئها من الثلاثين ، فتصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل وتصبّ صنجاة من قوارير لا تستحيل إلى زيادة ولا نقصان ، فتضرب الدراهم على وزن عشرة والدنانير على وزن سبعة مثاقيل .

وكانت الدراهم في ذلك الوقت إنما هي الكسروية التي يقال لها اليوم البغليّة لأن رأس البغل ضربها لعمر بن الخطاب رضي الله عنه بسكّة كسروية في الإسلام . مكتوب عليها صورة الملك ، وتحت الكرسي مكتوب بالفارسية « نوش خور » . أي كل هنيئاً ، وكان وزن الدرهم منها قبل الإسلام مثقالاً والدراهم التي كان وزن العشرة منها وزن ستة مثاقيل

١ صنجاة : لم نجد هذه اللفظة في المعاجم ، ولعلّها مأخوذة من لفظة صنج . وهو صنبعة مدبّرة من النحاس . القوارير : آنية يجعل فيها الشراب .

والعشرة وزن خمسة مثاقيل هي السامرية الخفاف ، والثقال ونقشها نقش فارس ، ففعل ذلك عبد الملك وأمره محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنه أن يكتب السكة في جميع بلدان الإسلام وأن يتقدم إلى الناس في التعامل بها وأن يتهدد بقتل من يتعامل بغير هذه السكة من الدراهم والدينارين وغيره ، وأن تبطل وترد إلى مواضع العمل حتى تعاد إلى السكة الإسلامية .

ففعل عبد الملك ذلك ورد رسول ملك الروم إليه بذلك ويقول : إن الله عز وجل مانعك مما قد أردت أن تفعله ، وقد تقدمت إلى عمالي في أقطار البلاد بكذا وكذا وبإبطال السكك والطرارز الرومية .

فقبل لملك الروم : أفضل ما كنت تهددت به ملك العرب ؟

فقال : إنما أردت أن أغيظه بما كتبت إليه لأنني كنت قادراً عليه بالمال وغيره برسوم الرسوم ، فأما الآن فلا أفعل لأن ذلك لا يتعامل به أهل الإسلام وامتنع من الذي قال وثبت ما أشار به محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم إلى اليوم .

ثم رمى يعني الوليد بالدرهم إلى بعض الخدم .

### منام صادق

وقال نصر الله بن مجلي ، وكان من الثقات وأهل السنة : رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! تفتحون مكة ، وتقولون : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ثم يتم على ولدك الحسين ما تم .

فقال : أما سمعت أبيات ابن الصفي في هذا ؟ قلت : لا .

قال : اسمعها منه . ثم انتبهت فبادرت إلى دار حيص بيصَ فذكرتُ  
له الرؤيا فشهوq وبكى وحلف بالله أنها لم تخرج من فيه أو خطه لأحد وما  
نظمها إلّا في ليلته ، ثم أنشدني :

مَلِكُنَا فَكَانَ الْعَفْوُ مَتَا سَجِيَّةً      فَلَمَّا مَلِكْتُمْ سَأَلَ بِالْدمِ أَبْطَحُ  
وَحَلَلْتُمُو قَتْلَ الْأَسَارَى وَطَالَمَا      غَدَوْنَا عَنِ الْأَسْرَى نَفْلُكُ وَنَصَفَحُ

واسم حيص بيص سعيد بن محمد أبو الفوارس التميمي الشاعر  
المعروف ، ويعرف بابن الصنفي ، ولقب بحيص بيص لأنه رأى الناس  
يوماً في حركة مُزعجة وأمرٍ شديد فقال : ما للناس في حيص بيص فبقي  
هذا اللقب عليه ، ومن محاسن شعره :

يَا طَالِبَ الرِّزْقِ فِي الْأَفَاقِ مَجْتَهِدًا      أَقْصِرْ عَنَّاكَ ، فَإِنَّ الرِّزْقَ مَقْسُومُ  
الرِّزْقُ يَأْتِي إِلَى مَنْ لَيْسَ يَطْلُبُهُ      وَطَالِبُ الرِّزْقِ يَسْعَى وَهُوَ مَحْرُومُ  
وله أيضاً :

يَا طَالِبَ الطِّبِّ مَنْ دَاءٌ أَصِيبَ بِهِ      إِنَّ الطِّيبَ الَّذِي أَهْلَاكَ بِالدَّاءِ  
هُوَ الطِّيبُ الَّذِي يُرْجَى لِعَافِيَةٍ      لَا مِنْ يُذِيبُ لَكَ التَّرْيَاقَ فِي الْمَاءِ  
وله أيضاً :

إِلَهَ عَمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ      أَيُّهَا الْقَلْبُ ودِعْ عَنْكَ الْحَرْقُ  
فَقَضَاءُ اللَّهِ لَا يَدْفَعُهُ      حَوْلُ مُحْتَالٍ ، إِذَا الْأَمْرُ سَبَقُ  
وله أيضاً :

أَنْفِقْ وَلَا تَخْشَ إِقْلَالًا ، فَقَدْ قُسِمَتْ      عَلَى الْعِبَادِ مِنَ الرَّحْمَنِ أَرْزَاقُ  
لَا يَنْفَعُ الْبَخْلُ مِنْ دُنْيَا مَوْلِيَةٍ      وَلَا يَضُرُّ مَعَ الْإِقْبَالِ إِنْفَاقُ

## الذكاء والفهم

ومما جاء في الذكاء والفهم ما حُكي عن المأمون أنه غضب على عبدالله بن طاهر ، وشاور أصحابه في الإيقاع به ، وكان قد حضر في ذلك المجلس صديق له فكتب إليه كتاباً فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، يا موسى . فلما فضّه ووجد ذلك تعجّب وجعل يُطيل النظر إليه ولا يفهم معناه ، وكانت له جارية واقفةً على رأسه فقالت له : يا سيدي ، إني أفهم معنى هذا . فقال : وما هو ؟

قالت : إنه أراد قوله تعالى : يا موسى إن الملائكة يأترون بك ليقتلوك .

وكان قد عزم على الحضور إلى المأمون ، فثنى العزم عن ذلك واعتذر للمأمون في عدم الحضور فكان سبب سلامته .

• • •

وأحسن من ذلك ما ذكره ابن خلكان قال : إن بعض الملوك غضب على بعض عماله فأمر وزيره أن يكتب له كتاباً يُشخصه به ، وكان للوزير بالعامل عنايةً ، فكتب إليه كتاباً وكتب في آخره ، إن شاء الله تعالى . وجعل في صدر النون شدة . فغضب العامل كيف وقعت هذه الحركة من الوزير إذ من عادة الكتاب أن لا يُشكّلوا كتبهم ، ففكر في ذلك فظهر له أنه أراد : إن الملائكة يأترون بك ليقتلوك . فكشط الشدة وجعل مكانها ألفاً وختم الكتاب وأعادها . فلما وقف عليه الوزير سرّ بذلك وفهم أنه أراد : إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها .

## أبو حنيفة وجاره الإسكافي

وفي تاريخ بغداد ووفيات الأعيان : أن أبا حنيفة رضي الله عنه ، كان له جار إسكافي يعمل نهاره ، فإذا رجع إلى منزله ليلاً تعشى ثم شرب ، فإذا دبَّ الشراب فيه غنى وقال :

أضاعوني ، وأيَّ فتى أضاعوا ليوم كرمته وسداد ثغري

ولا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم ، وأبو حنيفة يسمعُ صوته كلَّ ليلة .

وكان أبو حنيفة يصلي الليل كله ، ففقد أبو حنيفة صوته فسأله عنه فقيل : أخذه العسس منذ ليلٍ ، فصلَّى أبو حنيفة الفجر من غده ، ثم ركب بغلته وأتى إلى دار الأمير : فاستأذن عليه ، فقال : ائذنوا له ، وأقبلوا به راكباً ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط . ففعل به ذلك ، فوسع له الأمير من مجلسه وقال له : ما حاجتك ؟ قال : أشفع في جاري .

فقال الأمير : أطلقوه وكلَّ من أخذ في تلك الليلة .

فخلوهم أيضاً وذهبوا وركب أبو حنيفة بغلته وخرج والإسكافي يمشي وراءه فقال له أبو حنيفة : يا فتى ! هل أضعتك ؟ فقال : بل حفظت ورعيت فجزاك الله خيراً عن حرمة الجوار . ثم تاب الرجل ولم يعد إلى ما كان يفعل .

وقال الشافعي : قلت لمالك ، هل رأيت أبا حنيفة ؟

قال : نعم ، رأيت رجلاً لو كُلِّمَكَ في هذه السارية أن يجعلها ذهباً  
لقام بمجته .

### دواء للصداق

قال الحافظ ابن عساكر ، أيضاً : ويكتب للصداق .

بسم الله الرحمن الرحيم كهيمص ذكرُ رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى  
ربه نداه خفياً ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظلّ ولو شاء لجعله ساكناً كهيمص  
حمص كم لله من نعمة على عبد شاكر وغير شاكر ، وكم لله من نعمة في  
قلب خاشع وغير خاشع ، وكم لله من نعمة في كل عرق ساكن وغير  
ساكن ، اذهب أيها الصداق بعزّ عزّ الله بنور وجه الله ، وله ما سكن في  
الليل والنهار وهو السميع العليم ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .  
وصلّى الله على سيّدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين ، فإنه  
نافع .

وعن أبي الدرداء قال : صلّى بنا رسول الله ﷺ فمرّ بنا كلب فما  
بلغت رجله يده حتى مات ، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال : من الداعي  
على هذا الكلب ؟ فقال رجل من القوم : أنا يا رسول الله قال : فما  
قلت ؟ قال :

قلت : اللهم ، إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الخنان  
المثان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام اكفنا هذا الكلب بما  
شئت .

فقال ﷺ : لقد دعا الله بالاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب  
وإذا سئل به أعطى .



وهذا الحديث في السنن الأربعة ومُسند أحمد وكتابي الحاكم وابن حبان .

قيل : وكانت صلاة العصر يوم الجمعة وأن الرجل الداعي سعد بن أبي وقاص . انتهى .

### فائدة

قال القرافي : اتفق الناس على تكفير إبليس بقضيته مع آدم عليه الصلاة والسلام . وليس الكفر فيها لامتناعه من السجود . وإلا لكان كل من أمر بالسجود وامتنع منه كافراً . وليس كفره بكونه حسداً آدم عليه الصلاة والسلام على منزلته من الله تعالى ، وإلا لكان كلُّ حاسدٍ كافراً ، وليس كفره بعصيانهِ وفسوقهِ . وإلا لكان كل عاصٍ وفاسقٍ كافراً . وقد أُشْكِلَ ذلك على جماعة من الفقهاء وينبغي أنه إنما كفر بنسبة الحق جلّ جلاله إلى الجور والتصرف الذي ليس بِمَرْضِيٍّ . ويظهر ذلك من فحوى قوله : أنا خير منه خاتمتي من نار وخلقته من طين . ومراده أن الزام العظيم الجليل بالسجود للحقير من الجور والظلم . وهذا وجه كفره لعنه الله تعالى . وقد أجمع المسلمون على أن من نسب الله تعالى لذلك فهو كافراً . انتهى .  
ومنه أيضاً قول الشاعر :

خليلي إن قالت بشينة : ما له أنا بلا وعدٍ . فقولا لها : لها  
أنى وهو مشغول بعظم الذي به ومن بات طول الليل يرعى السُّهاسها<sup>١</sup>

١ لها . من اللهو : اللعب .

٢ السُّها : كوكب خفي من بنات نعلن الصغرى . سها : غفل

بشينةٌ تُرري بالفرالة في الصُّحى      إذا برزت لم يبق يوماً بها بها<sup>١</sup>  
 لها مقلّةٌ كحلاً وخدٌّ مؤرَّدٌ      كأنَّ أباهما الطَّيبي أو أمَّها مَهَا<sup>٢</sup>  
 دهنتي بودٌ قاتل ، وهو مُتلني      وكم قتلت بالمَرْجِ من ودَّها دُها

هي من مزج النَّعْف بنون وغين معجمتين مفتوحتين ثم فاء ، دود  
 يكون في أنف الإبل والغنم الواحدة نغفة ، انتهى عن الأصمعي .

وقال أبو عبيدة : هو الدود الأبيض يكون في النوى ، وما سوى  
 ذلك الدود ليس بنغف .

وروى مسلم عن التَّوَّاس بن سَمْعَانَ في حديثه الذي رواه في الدجال :  
 « ويبعث الله يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ فيرسل عليهم النغف في رقابهم فيصبحون  
 فَرَسَى كَمُوتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ » . ومعنى قوله : فَرَسَى ، قَتَلَى . وقيل  
 للواحدة : فرس من فرس الذئب الشاة وافترسها .

• • •

١ البهاء : الحسن .

٢ المهمل . الواحدة مهة : البقرة الوحشية

## حكاية الهامة

روى أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود قال : كنت عند كعب الأحبار ، وهو عند عمر بن الخطاب ، فقال كعب الأحبار : يا أمير المؤمنين ، ألا أخبرك بأغرب شيء رأيته في كتب الأنبياء ؟ إن هامة جاءت إلى سليمان بن داود عليها السلام فقالت : السلام عليك يا نبي الله .

فقال : وعليك السلام يا هامة ، أخبرني كيف لا تأكلين من الزرع ؟ قالت : يا نبي الله ، إن آدم أُخرج من الجنة بسببه .

قال : فكيف لا تشربين الماء ؟

قالت : لأنه غرق فيه قوم نوح ، فمن أجل ذلك لا أشربه .

فقال لها : كيف تركت العمران وسكنت الخراب ؟

قالت : لأن الخراب ميراثُ الله تعالى ، فأنا أسكن ميراثَ الله تعالى . قال الله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فُتِلَتْ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ . فالدنيا ميراثُ الله كلها .

قال سليمان : فما تقولين إذا جلست فوق خربة ؟

قالت : أقول أين الذين كانوا يتنعمون فيها .

قال سليمان : فما صياحُك في الدور إذا مررت عليها ؟

قالت : أقول ويلٌ لبني آدم كيف ينأمون وأمامهم الشدائد ؟

قال سليمان عليه السلام : فما لك لا تخرجين بالنهار ؟

قالت : من ظلم بني آدم لأنفسهم .

قال : فأخبريني ما تقولين في صباحك ؟

قالت : أقول تزودوا يا غافلون وتبشّوا لسفركم . سبحان خالقِ

النور .

فقال سليمان : ليس في الطيور طيرٌ أنصحُ لابن آدم ولا أشفقُ عليه

من الهامة ، وما في قلوب الجاهل أبغضُ منها . والهامة بتخفيف الميم . على

المشهور طير الماء . انتهى .

### قائلة

اليحمور : حمار الوحش . وفي كتاب العرائس لأبي الفرج الجوزي :

أن بعض طلبة العلم خرج من بلاده فرافقه شخص في الطريق ، فلما كان

قريباً من المدينة التي قصدها قال له ذلك الشخص : قد صار لي عليك

حقٌ وذمةٌ . وأنا رجلٌ من الجان ولي إليك حاجة .

قال : وما هي ؟ قال : إذا أنيت محان كذا وكذا فلنك تجد فيه

دجاجاتٍ بيننٍ ديكٌ أبيض فاسأل عن صاحبه واشتره منه ، واذهب .

فهذه حاجتي إليك .

قال ، فقلت له : يا أخي وأنا أيضاً أسألك حاجة ؟ قال : وما هي ؟

قلت : فإذا كان للإنسان ماردٌ لا تعمل فيه الغرائم وألح بالآدمي مثلاً

ما دواؤه .

قال : يؤخذ له وتر قدر شبر من جلد اليمحور ويشد به إبهام المصّاب من يده شدّاً وثيقاً ، ثم يؤخذ له من دهن السذاب البري ويُقطر في أنفه الأيمن أربعاً وفي الأيسر ثلاثاً فإن الماسك به يموت ولا يعود إلى أحد بعده .

قال : فلما دخلت المدينة أتيت إلى ذلك المكان فوجدت الديك لعجوز ، فسألها بيعه ، فأبت ، فاشتريته منها بأضعاف ثمنه ، فلما اشتريته وملكته تمثّل لي من بعيد وقال بالإشارة : اذبحه ، فذبحته فخرج عليّ عند ذلك رجالٌ ونساء ، فجعلوا يضربونني ويقولون : يا ساحر . فقلت : لستُ بساحر . فقالوا : إنك منذ ذبحت الديك أُصيبت شابةً عندنا بجحّي ، وإنه منذ مسكها لم يفارقها .

فطلبت منهم وترّاً قدر شبر من جلد يمحور وشيئاً من دهن السذاب البري ، فاتوا بها فشددت إبهامي يدي الشابة شدّاً وثيقاً ، فلما فعلتُ بها ذلك صاح قائلاً : وأنا علّمتك على نفسي ، ثم قطرت من الدهن في أنفها الأيمن أربعاً وفي الأيسر ثلاثاً فخرّ من وقته ميتاً ، وشفى الله تلك الشابة ولم يعاودها بعدها شيطان .

### الحاكم بأمر الله وصاحب البستان

وحكى القاضي شهاب الدين فضل الله في كتابه [مسالك الأنصار في ممالك الأمصار] ، في ترجمة الحاكم بأمر الله أبي علي منصور ، قال : بينا هو في موكبه قبليّ بركة الحبش ، إذ مرّ برجل على بستان له وحوله عبيده ، فاستسقاء ماء فسقاه . ثم قال : يا أمير المؤمنين ، قد أطمعني في

---

١ السذاب : نبات ورقة كالصنوبر ورائحته كريهة .

السؤال . فإن رأى أمير المؤمنين أن يكرمني بنزوله لأحظى بتمام السعد ؟  
فأجابه لذلك ونزل بجيشه ، فأخرج الرجل مائة بساط ومائة نَظْع  
ومائة وسادة ومائة طبق فاكهة ومائة جام حلوى ومائة زبدية سكرية ،  
فبُهِتَ الحاكمُ وقال : أيها الرجل ، خبرك عجيب ، هل علمت بنا  
فأعددت هذا ؟

قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، وإنما أنا تاجرٌ من رعيّتك لي مائة  
محظية ، فلما أكرمتني بالنزول عندي أخذت من كل واحدة شيئاً من فرشها  
وزائدٍ أكلها وشربها ، فإن لكلّ واحدة في كل يوم طبقٌ طعام وطبقٌ فاكهة  
وجامٌ حلوى وزبدية شراب .

فسجد أمير المؤمنين شكراً لله تعالى وقال : الحمد لله الذي جعل في  
رعايانا من يسعُ حاله هذا ، ثم أمر له بما في بيت المال من الدراهم  
المضروبة في تلك السنة ، فكانت ثلاثة آلاف ألف وسبعمائة ألف ، ولم  
يركب حتى أحضرها وأعطاها للرجل وقال له : استعن بهذا على حالك  
ومروءتك ، ثم ركب وانصرف .

### سخاء البرامكة

حكى أبو إسحاق إبراهيم الموصلي قال : دعاني يحيى ابن خالد ،  
فدخلت عليه ، فوجدت الفضل وجعفرأ ولديه جالسين بين يديه فقال لي :  
يا أبا إسحاق أصبحت اليوم مهموماً فأردت الصُّبوحَ لأنسلي فغنّ لي صوتاً  
لعلّي أرتاحُ له فغنيته :

إذا نزلوا بطحاء مكةَ أشرقت      يحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر  
فما خلقت إلا لجودِ أكفهم      وما خلّقوا إلا لأعوادٍ منيرٍ

فَسَرَّ وارتاح وأمر لي بمائة ألف ، وأمر لي كل واحد من ولديه بمائة ألف فحَمِلَ المالُ جميعه بين يدي فأخذته وانصرفت .

وحكي عن مخارق قال : أصبحت السماء مَغِيمةً وأصبح الرشيدُ مع حريمه وأمرنا بالانصراف ، وأذن لنا أن نقيمَ في منازلنا ثلاثة أيام . فضى الجُلُساءُ أجمعون إلى منازلهم فقلت : والله لأذهبنَّ إلى أستاذي إبراهيم الموصلي ، فأعرفَ خبره ، ثم أعودُ وأمرت من عندي أن يهينوا لي مجلساً إلى وقت رجوعي ، فجئت إلى دار إبراهيم ، وقلت للبوَّاب : أخبر أستاذك فأخبره ، فقال : ادخل ، فدخلت ، فإذا هو جالس في رواق وبين يديه قِدْرٌ تُغْرِغُ وأباريقُ تَزْهُرُ وستارة منصوبةٌ والجواري خلفها . فقلت : ما بال الستارة لا أسمع من ورائها صوتاً ؟

فقال : اقمي ويحك أصبحت على ما ترى ، فأتاني خبرٌ ضيعه بيعت بجواري . وقد كنت طلبتها زماناً ، وَتَمَنَّيْتُهَا فلم أملكها . وقد أُعْطِيَ فيها لآن مائة ألف .

فقلت : وما يمنعك منها . وقد أعطاك الله أضعاف هذا المال ؟

قال : صدقت ، ولكن نفسي غير طيبة بإخراج هذا المال . وقال : خذ هذا القُضيب ، وَنَفَرْ بقُضيبٍ في يده على المدوَّرةِ وألقى عليّ :

نَامَ الخَلِيلُونَ مِنْ وَهْمٍ وَمِنْ سَقَمٍ      وَبَتْ مِنْ كَثْرَةِ الْأَحْزَانِ لَمْ أَنَّمِ  
يَا طَالِبَ الْجُودِ وَالْمَعْرُوفِ مَجْتَهِداً      أَعْمِدْ لِيحْيَى حَلِيفَ الْجُودِ وَالْكَرَمِ

قال : فأخذته وأحكمته ثم قال : امضي الساعة إلى باب الوزير يحيى بن خالد . وادخل عليه وحدثه بما رأيت . واذكر الضيعةَ وعرفه أني صنعتُ له هذا الصوت ، فأعجبني . ولم أجد من يستحقُّه إلا جاريته دنانير ، وإني ألقينته عليك لتلقيه عليها . واثني بما يكون من الخير .

قال : فجئت إلى الباب واستأذنتُ وأعلمته ، فأمر بنصب الستارة .  
وألقيتُ الصوت على الجارية مراراً حتى أحكمته ، فقال لي : تقيم عندنا أو  
تنصرف ؟

قلت : أنصرف أ طال الله بقاء مولانا الوزير .

فقال : يا غلام ، احمل معه عشرة آلاف ، واحمل إلى إبراهيم مائة  
ألف .

فحملت مالي وأتيت إلى منزلي فنثرت على من عندي من الجواري  
دراهم من تلك البدر . وأكلت وشربت بقية يومي ، فلما أصبحت قلت :  
والله لأذهبن إلى أستاذي وأعرفن خبره ، فأتيتُ ودخلت فوجدته على مثل  
ما كان عليه بالأمس . فقلت له : ما الخبر ، ألم يأتك المال ؟

قال : نعم . غير أنه لما دخل منزلي بخلت نفسي بإخراجه ، وألقى  
عليه صوتاً آخر أتيتُ به الفضل بن يحيى وحدثته بما كان من أبيه  
بالأمس . فأمر أن يحمل معي عشرون ألفاً ، ولإبراهيم مائتا ألف ، وفعلت  
مثل ما فعلت بالأمس ، وغدوت إليه لما أصبحت . فوجدته على مثل حاله  
بمثل عذره . وألقى عليّ صوتاً غيره . وأتيت به جعفر بن يحيى ،  
وأخبرته بما كان من أبيه وأخيه ، فأمر أن يحمل معي ثلاثون ألفاً وإلى  
إبراهيم ثلاثمائة ألف . فحملته معي إليه ، فبكى إبراهيم وقال : وصلت إليّ  
ستائة ألف وأنا جالس في مجلسي لم أبرح منه ، فعلى مثل هؤلاء يُبكي  
فرحم الله أرواحهم أجمعين .



## إسحاق الموصلي يتطفل

قال إسحاق : غدوتُ يوماً وأنا منحصر من ملازمة أمير المؤمنين ،  
فعرضت نفسي على أن أطوفَ في الصحراء وأتفرّج . وقلت لغلمائي : إذا  
جاء رسول الخليفة أو غيره فلا تعرفوه مكاني ، فطفتُ وعدتُ وقد حمى  
النهار ، فوقفت في فضاء أسترعج ، فلم ألبث أن جاء خادمٌ يقود حماراً  
فارهاً . وعليه جارية راكبة عليها فاخر الشاب . ورأيت لها قواماً حسناً  
وظرفاً فائقاً ، فحدثت نفسي أنها مغتبة . ثم أدخلت الدارَ التي أنا واقف  
عليها ثم لم ألبث أن جاء شابان جميلان واستأذنا فأذنَ لها فدخلا . ودخلت  
معهما فظننا أن صاحب الدار دعاني ، وظنُّ صاحب البيت أنني معها .

وجلسنا ، فأتي بالطعام . فأكلنا وبالشراب فوضع ، ودخلت الجارية  
في يدها عودٌ ففتت وشربتنا . فسألها صاحبُ المنزل عني فأخبراه أنها لا  
يعرفاني فقالوا : هذا طفيليّ لكنه ظريف ، فأجملوا عشرتي فشربتنا ودارَ  
الكأس . ففتت الجارية تقول :

ذكرتك إذ مرّت بنا أمّ شادن      أمام المطايا تشربُ وتُسحُ  
من المؤلفاتِ الرملِ أدماءَ حرّة      شعاع الضحى من وجهها يتوضّعُ

فأذّته أداءَ حسناً . ثم غتت صوتاً من القديم والحديث تقول :

قل لمن صدّ عاتياً      ونأى عني جانباً  
قد بلغت الذي أردت      وإن كنت لأعيا

فاستعدّته منها لأصحّحه عليها فأقبل عليّ أحد الرجلين يعفني ويقول :

ما رأينا طفلياً أصفقَ وجهاً منك لم ترض بالتطفل حتى اقترحت ، وهذا غاية المثل : طفيليّ ويقترح .

فأطرت وجعل صاحبه يكفّه وهو لا يلتفت ، ثم قاموا إلى الصلاة وتأخّرت بعدهم قليلاً ، وأخذت عودَ الجارية وشدّدت طبقته وأصلحته إصلاحاً محكماً ، وعدت إلى موضعي وعادوا ، وأخذ ذلك الرجل في عرْبده عليّ وأنا صامت ، وأخذت الجارية العود وجسّته ، فأنكرت حاله ، وقالت : من جسّ عودي ؟ قالوا : ما جسّه أحد .

قالت : بلى والله لقد جسّه حاذق متقدّم وشدّ طبقته ، وأصلحه إصلاحاً متمكّن من الصناعة . قلت لها : أنا .

فقلت : بالله خذ واضرب .

فأخذته وضربت ضرباً عجباً فيه نقرات محرّكة ، فابقي منهم أحد إلا وثب وجلس بين يديّ ، وقال صاحب المجلس : أقسم بالله أن لك في هذه الصناعة أصواتاً غريبة ، فبالله عليك ألاّ عرفت بنفسك ؟

قلت : أنا إسحاق الموصلي ، والله إني لأتبه على الخليفة إذا طليبتُ وأنتم ترون صاحبكم هذا يسمعي ما أكرهه لكوني تأدبتُ معكم ، ودخلتُ عندهم ، والله لا نطقُ بحرف . ولا جلستُ حتى تخرجوا هذا الملقوت .

فقال له صاحبه : من مثل هذا خفتُ عليك .

وأخذوا بيده وسحبوه وأخرجوه وعادوا فبادرت وغيّتُ الأصوات التي غنّتها الجارية من صنعتي . فقال لي الرجل : هل لك في خصلة ؟

قلت : ما هي ؟

قال : تقيم عندنا أسبوعا والمكافأة الجارية والجهاز لك . قلت : نعم أفعل .

وأقمت عنده أسبوعاً لا يعرف أحد أين أنا ، والمأمون يطلبني في كل حين وكل موضع ، ولم يقع أحد على خبري ، فلما انقضت الأيام تسلمت الجارية والجهاز والخادم ، وجئت بذلك إلى منزلي ، وركبت من وقتي إلى المأمون فلما رأي قال : يا أبا إسحاق ويحك . أين كنت ؟

فأخبرته الخبر فقال : عليّ بالرجل الساعة . فدللتهم على موضعه . فأحضره وسأله المأمون فأخبره بالقصة ، فقال : أنت ذو مروءة . وسبيلك أن تُعان عليها وأمر له بمائة ألف ، وقال له : لا تعاشر ذلك النذل المعريد .

### يزيد والأحوص بن جعفر

ومن كلام الأحوص في حضرة يزيد ، غنّته جارية بين يديه :

إذا رمتُ عنها سلوةً قالَ شافعُ من الحب مبعأهُ السلوُ المقابرُ  
ستبقى لها في مضمرة القلب والحشا سريرةٌ ودُّ . يوم تبلى السرائرُ

فطرب يزيد وقال : لمن الشعر ؟

قالت : لا أدري .

قال : ابعثوا إلى الزهري . وكان قد ذهب من الليل شطره فأتى به فلما صعد إليه قال : لا بأس عليك . إن ندعوك إلا لحير . فجلس وسأله عن قائل هذا الشعر ؟ فقال الأحوص .

قال : ما فعلته ؟ قال : قد طُلّ حسنه . فامرّ تحلبه سبله . وأن يدفع له أربعائة دينار ، ثم قدم عليه بعد ذلك فأجازه وأحسن إليه إحساناً جزيلاً ، وكانت المغنية جاريةً يزيد بن عبد الملك .

### الرشيد في منزل إبراهيم الموصلي

وحكى مسرور الخادم أن الرشيد قصد الركوب في غير عادته . فقلت له : أين تريد يا أمير المؤمنين في هذا الوقت ؟ قال : إلى منزل إبراهيم الموصلي .

قال : فضى حتى انتهى إلى منزل إبراهيم الموصلي ، فخرج وتلقاه وقبل حافرَ حماره . وقال : يا أمير المؤمنين في مثل هذه الساعة تظهر ؟ قال : نعم ، شوق طرق بي إليك . ثم نزل وجلس في طرف الإيوان وأجلس إبراهيم ، فقال له إبراهيم : يا سيدي استنبطنا شيئاً نأكله قبل الشراب .

قال : نعم . فجاء بمطعموم كأنما كان معداً له ، فأصاب منه يسيراً ، ثم دعا بشراب حُمِلَ معه ، فقال له الموصلي : يا سيدي أغثبك أم تغنيك إماؤك ؟

قال : بل الجواري .

فخرجت براري إبراهيم فأخذن صدر الإيوان وجانيه ، فقال إبراهيم : أضربن كلهنّ أم واحدة واحدة ؟ فقال : بل يضربن اثنتان اثنتان . وواحدة واحدة تغني .

قال : فضربن اثنتان وغثت واحدة منهنّ . فقالت :

إذا دعا باسمها داعٍ يحدثني      كادت لها مهجتي من حرّها تقع  
لو أن لي صبرها أو عندها جزعي      لكنت أعقل ما آتي وما أدع  
لا أحمل اللوم فيها ، والغرام بها      ما كلف الله نفساً غير ما تسع

ثم غتت أخرى . فقالت :

طرتك زائرةٌ فحيّ خيالها      بيضاء تخلطُ بالجمال دلالها  
هل يطمسون من السماء نجومها      بأكفهم أو يطمسون هلالها  
شهدت من الأنفال آخر آية      فاردتموها بمحالكم إبطالها

ثم غتت أخرى ، فقالت :

شطت سعادُ وأضحى البين قد أبدا      وأورثتك سقاماً يصدعُ الكبد  
فا احتبائك في جدّ الرحيل بهم      وخلفوك غداةً البين ، مُنفردا  
لا أستطيع لهم صبراً ولا جلداً      ولا تزال أحاديثي بهم جُردا

قال : فقام حتى وصل إلى صدر الإيوان ، وأخذ بجانيبه والرشيده يسمع  
ولا ينصت لشيء من غنائهم ، إلى أن غتته صبيّةٌ من صدر الإيوان من  
حاشية الصّفّة هذين البيتين لأبي نواس :

يا موري الزند قد أعيت قوادحه      أقبس بما شئت من قلبي بيقباس  
ما أقبح الناس في عيني وأسَمَجهم      إذا نظرتُ فلم أنظرُك في الناس

فطرب الرشيد لغنائها واستعاد الصوت مراراً وشرب أرطالا ، وسأل  
الجارية عن صانعها ، فأمسكت فاستدناها ، فتقاعست ، فأمر بها ، فأقبلت  
بين يديه ، فأخبرته بشيء أسرته إليه ، فدعا بحماره فركبه ، ثم التفت إلى  
إبراهيم الموصلي ، فقال له : ما ضرّك أن تكون خليفة .

فكادت روحه تخرج حتى دعاه بعد ذلك وأدناه . قال : وكان الذي

أخبرته به سرّاً أن الصُّنعة في الصوت لأخته عُلَيَّة بنت المهدي ، وكانت الجارية لها ، فوجهتها إلى إبراهيم الموصلي بطارحها . ومن قول أبي نواس :

دع عنك لومي فإن اللومَ إغراء	وداوني بالتي كانت هي الداء
صفراء لا تَنزِلُ الأحزانُ ساحتها	لو مسّها حجر مسّته سرّاء
من كف ذات حر في زي ذي ذكر	لها محبّان لواط وزنّاء
قامت بإبريقها ، والليل معتكّر	فلاح من وجهها في البيت لألاء
فأرسلت من فم الإبريق صافية	كأنما أخذها بالعين إغفاء
رقت عن الماء حتى ما يلائمها	لطافة وجفا عن شكلها الماء
فلو مزجت بها نوراً لمازجها	حتى تولد أنوار وأضواء
دارت على فتية دان الزمان لهم	فما يُصيبهم إلّا بما شاؤوا
فقل لمن يدّعي في العلم فلسفة	حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

وقال الشاعر :

كمصفورة في كف طفل يهينها	تذوق مُرّ الموت ، والطفل يلعبُ
فلا الطفل ذو عقل يرقّ لحالها	ولا الطيرُ مطلق الجناحين يهربُ

### الفخ والعصفور

وروى البيهقي في الشعب عن مالك بن دينار . قال : « مثل قرّاء هذا الزمان مثل رجلٍ نصب فخاً ، فجاء عصفورٌ ، فدنا إلى الفخ وقال : ما لك متغيّباً في التراب ؟

فقال : للتواضع ، فقال : فمّ انحنت ؟

قال : من طول العبادة .

قال : فما هذه الحبة التي في فيك ؟

قال : أعددتها للصائمين .

فلما تناول الحبة أمسك الفخ عنقه . فقال العصفور : إن كان العبادُ يخفون خنقك فلا خير في هذه العبادة اليوم . انتهى .

### إحدى النصائح

قال الشافعي رضي الله عنه : أربعة أشياء تزيد في الجماع : أكل العصافير ، وأكل الإطربفل ، وأكل الفستق . وأكل الجرجير . وأربعة أشياء تزيد في العقل : ترك الفضول من الكلام . والسواك . ومجالسة الصالحين . والعمل بالعلم . وأربعة تقوي البدن : أكل اللحم . وشم الطيب . وكثرة الغسل من غير جماع . ولبس الكتان . وأربعة توهم البدن : كثرة الجماع ، وكثرة الهَم ، وكثرة شرب الماء على الريق . وكثرة أكل الحموضة ، انتهى من حرف العين .

### ابن الحياط والمهدي

ودخل ابن الحياط المكي على المهدي ومدحه فأمر له بخمسين ألف درهم . فسأله أن يأذن له في تقبيل يده ، فأذن له فقبلها وخرج . فما انتهى إلى الباب حتى قرعها جميعاً فعوتب في ذلك ، فأنشد يقول :

لمستُ بكفي كفه أبتغي الغنى      ولم أدر أن الجود من كفه يُعدي  
فلا أنا منه ما أفاد ذوي الغنى      أفدتُ وأعداني فأتلفتُ ما عندي<sup>١</sup>

١ هذان البيتان لشار بن برد قالهما في خالده البرمكي . لا لابن الحياط ولعل هذا تمثل بهما .

فَغْنِي بِهَا الْمَهْدِي . فَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . انْتَهَى .

وَلِبَعْضِهِمْ تَغْزَلًا فِي مَلِيحٍ :

أَقُولُ لِمَقْلَتِيهِ حِينَ نَامَا      وَسَحَرُ النُّومِ فِي الْأَجْفَانِ سَارِ  
تَبَارَكَ مِنْ تَوْفَاقِكُمْ بَلِيلِ      وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ



## الإمام أحمد بن حنبل ومناقبه رضي الله تعالى عنه

مات سنة مائتين وإحدى وأربعين . وحرّر من حضر في جنازته : فكانوا ثمانمائة ألف . ومن النساء ستين ألفاً . وأسلم يوم موته رضي الله عنه : عشرون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس . انتهى .

وقال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات : إن المتوكل أمر أن يقاس الموضع الذي وقف الناس فيه للصلاة على الإمام أحمد . فبلغ مقام ألفي ألف وخمسمائة . وقد حزن عليه رضي الله تعالى عنه المسلمون واليهود والنصارى والمجوس . وقال محمد بن خزيمة : لما بلغني موت الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه . اغتممت غمّاً شديداً ، فرأيت في المنام وهو يتبختر في مشيته . فقلت : يا أبا عبد الله ما هذه المشية ؟

فقال : مشية الخدام في دار السلام .

فقلت : ما فعل الله بك ؟

قال : غفر لي وتوجني وألبسني نعلين من ذهب .

وقال : يا أحمد هذا بقولك : القرآن كلامي غير مخلوق . ثم قال الله تعالى : يا أحمد ادعني بتلك الدعوات التي بلغتك عن سفیان التي كنت تدعو بهم في دار الدنيا .

فقلت : يا رب أسألك بقدرتك على كل شيء أن لا تسألني عن شيء واغفر لي كل شيء .

فقال جلّ وعلا : يا أحمد هذه الجنة . فادخل فيها . وأنشد بعضهم  
في تاريخ موت الأئمة الأربعة ومولدهم : الإمام أبي حنيفة والإمام  
مالك . والإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين :

تاريخ نعمان يكن سيف سطا      ومالك في قطع جوف ضبطا  
والشافعي صين بيرند      وأحمد يسبق أمر جعد  
فخذ على ترتيب نظم الشعر      ميلادهم فوتهم فالعمر

وكذا في تاريخ الأئمة الخمسة المحدثين . الإمام الترمذي وأبو داود  
والإمام مسلم والنسائي والإمام البخاري . وقد جمع ذلك بعضهم في بيت  
واحد فقال :

إذا رمت الحديث فلذ بخمس      تكن مثل المشافه في الحياة  
تطرّ درعه ما رصّ نسج      بنور للمحدث للوفا

بيان ذلك . التاء إشارة للترمذي . والدال إشارة لأبي داود . والميم  
إشارة للإمام مسلم . والنون للنسائي . والباء للبخاري والله أعلم .

### السكران والجلّاد

ويحكى أنه أتى برجل مدني سكران إلى بعض الولاة فأمر بإقامة الحدّ  
عليه ، وكان الرجل طويلاً والجلّاد قصيراً . فلم يتمكّن من ضربه . فقال  
الجلّاد للمدني : تقاصر لينالك الضرب .

---

١ هذا البيت . والآيات الثلاثة التي قبلها هي من نوع الألفاظ . دع ما فيها من  
سخافة النظم .

فقال : ويليكَ إلى أكل الفالودج تدعوني ، والله لوددتُ أن أكون  
أطولَ من عُوج بن عُثْق ، وأنت أقصرَ من يأجوج ومأجوج ، فاستظرفه  
الأميرُ وخلقى سبيله ، انتهى من حلية الكيت .

ومن قوله ابن المعتز :

وجاءني في قبص الليل مستتراً	يستعجلُ الخطو من خوفٍ ومن حذرٍ
ولاحَ ضوءه صباحٍ كاد يفضحنا	مثلُ القلّامة قد قُذت من الظُّفرِ
وكان ما كان ممّا لست أذكره	فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبرِ

ولبعضهم عفا الله عنه :

جبري دمعي من الحال الذي بي	كجري الماء في أولِ أيّيب <sup>١</sup>
ومع هذا ظم أقطع رجالي	لأن الله ألطف من أبي بي

---

١ الأول : الرجع . والأيب : التبوّ . والمعنى غامض إلا إذا كان ثمة لها معنى لا  
يوجد في المعاجم التي بين أيدينا .

## من كلام الشافعي رضي الله عنه

لم يدرِ طعم الفقر من هو في غنى      ومصححُ الأعضاء ليس كمبتلي  
كم فاقةٍ مستورةٍ برُوءةٍ      وضرورةٍ قد عُطيتَ بتجملِ  
وتيسرٍ من تحته قلبٌ شجٍ      قد صادفته غمةٌ لا تنجلي  
والناسُ جمعاً عند كل كفوهِ      والهمّ مفترقٌ وما أحدٌ خلي  
لو سودَ الهمُّ الملابسَ لم تجد      بيضَ الثيابِ على أمرىءٍ في محفلِ  
وإذا أرادَ المرءُ يجلو همَّهُ      عن نفسه من نفسه لا ينجلي

## رياض نجد

من كلام العارف بالله تعالى الشيخ عبد الرحيم البُرعي رحمه الله تعالى  
في أرض اليمن :

رياضُ نجدٍ بكم جنانُ      فضيةٌ نورُها حسانُ  
وتربُ واديكُم بنجدٍ      مسكٌ وحصاؤها جمانُ  
والروضُ من شعبكم عبيرُ      والزهرُ وردٌ وزعفرانُ  
والجارُ في ربعمكم عزيزُ      والحُرُ في أرضيكم يُصانُ  
فكم سفكتمُ دمي ودمعي      أما على القاتلِ الضمانُ  
ورمتُ أخني الهوى ودمعي      من شدةِ الوجدِ ترجانُ

يا لاثمون اقصروا ملامي  
لا تذكروا الظاعنين عندي  
قالوا : هواهم عليك حثم  
قالوا : فكم تكتم التصابي  
قالوا : فقد فارقوك ربعا  
قالوا : فدعهم فقلت : كلا  
ليت الصبا الحاجري يُنبئ  
هل عهدهم عهدهم بنجد  
يا محسنا بالزمان ظنا  
لا تتبع النفس في هواها  
واخجلتي من عتاب ربي  
إلى متى أنت في الملاهي  
لو خوفتك الجحيم بطشي  
عندي لك الصفح وهو بري  
ما تستحي كاتباً كريماً  
ونستحي شيبه تراها  
أنت شجاع على المعاصي  
لم ينهك الشيب عن حدودي  
ترضى بأن تنقضي الليالي  
أي أوان تتوب فيه  
آثرت غيري علي لكن  
يا سيدي : هذه عيوي  
يا من له في العصاة شأن  
يا من ملا برّه النواحي

رقفاً بمن قلبه ملان  
فلي وللظاعنير شأن  
فقلت : عهدي الهوى يُصان  
قلت : المَعْنَى بهم مُعان  
قلت : هم الناس حيث كانوا  
لعلّ دهرأ قسا يُلان  
عن جيرة البان يوم بانوا  
باقٍ أم استؤمنوا فخانوا  
هل تدري ما يفعل الزمان  
إن اتّباع الهوى هوان  
إن قبل أسرفت يا فلان  
تصير مُرخى لك العنان  
وشوقت قلبك الجنان  
وعندك السيف والسيان  
يُحصى به الفعل واللسان  
في النار مسحوبة تُهان  
وأنت عن طاعتي جبان  
ولا رسولي ولا القرآن  
وما انقضى حربك العوان  
هل بعد قطع الرجا أوان  
كما يدين الفنى يدان  
وأنت في الخطب مستعان  
البرّ والعطف والحنان  
لم يخل من برّه مكان

عفواً فلاني رهينُ ذنبٍ      حاشاك أن يفلق الرهانُ  
 فاغفر لعبدٍ الرحيم والطف      بخائفٍ ما له أمانُ  
 وسامح الكلَّ من ذنوبٍ      غدا بها يشهد البنانُ  
 وصلِّ يا ذا العلا وسلِّم      على مَنْ أخلاقه حسانُ

### دار الحبيب

هذه قصيدة الإمام الولي العارف بالله تعالى أبي محمد بن أبي عمران  
 اليشكري نفعنا الله به .

قال العلامة بدر الدين بن فرحون أحد أصحاب ناظمها أن بعض  
 الصالحين رأى النبي ﷺ في المنام . قال البدر : وأشك هل كان هو الشيخ  
 أو غيره . وأنشد هذه القصيدة فلما بلغ آخرها قال النبي ﷺ : رضيناها  
 رضيناها وهي هذه :

دار الحبيب أحقُّ أن تهواها      ونحنُ من طرب إلى ذكرها  
 وعلى الجفونِ إذا هممت بزورةٍ      يا ابن الكرام عليك أن تغشاها  
 فلأنت أنتَ إذا حلتَ بطيبةٍ      وظللت ترتع في ظلال رُباها<sup>١</sup>  
 معنى الجمالِ من الخواطرِ والتي      سلبت قلوبَ العاشقين حِلاها  
 لا تحسب المسك الذكيَّ كثرتها      هيات أين المسك من رِياها  
 طابت فإن تبغي لطيبٍ يا فتى      فأدِم على الساعات لثَمَ ثراها

١ يقال : **فلق** الرهن في يد المرتين : حال ملكه إذا عجز الرهن عن اخصاكه في  
 الوقت المشروط .

٢ طيبة : من اسم المدينة .

وابشر في الخبر الصحيح تقرأ  
واختصها بالطيبين لطيبها  
لا كالمدينة منزل وكفى بها  
خُصَّت بهجرة خير من وطئ الثرى  
كلُّ البلاد إذا ذُكرن كأحرف  
حاشا مسمى القدس فهي قريبة  
لا فرق إلا أن ثم لطيفة  
جزم الجميع بأن خير الأرض ما  
ونهم لقد صدقوا بساكنها علت  
وبهذه ظهرت مزية طيبة  
حتى لقد خُصَّت بهجرة حبه  
ما بين قبر للنبي ومبَر  
هذي محاسنها فهل من عاشق  
إني لأرهب من توقع بينها  
ولقلما أبصرتُ حال مُودِعٍ  
فلكم أراكم قافلين جماعة  
قسماً لقد أكسى فؤادي بينكم  
إن كان يزعمكم طلابُ فضيلة  
أو خفتمو ضرأها فتأملوا  
أفأ لمن ينهي الكثير لشهوة  
فالعيش ما يكني وليس هو الذي  
يا رب أسأل منك فضل قناعة  
ورضاك عني دائماً ولزومها  
فأنا الذي أعطيت نفسي سؤها

إن الإله بضيّة سماءها  
واختارها ودعا إلى سكناها  
شرفاً حلول محمد بفناها  
وأجلهم قدراً وأعظم جاها  
في اسم المدينة لا خلا معناها  
منها ومكة إنها إياها  
مها بدت يجلو الظلام سناها  
قد حاز ذات المصطفى وحوها  
كالنفس حين زكت زكا مأواها  
فعدت وكلُّ الفضل في معناها  
الله شرفها به وحبها  
حيا الإله رسوله وسقاها  
كلف شجي ناحل بنواها  
فيظل قلبي مُوجعاً أوأها  
إلا رثت نفسي له وشجها  
في إثر أخرى طالين سواها  
جزعاً وفجر مُقلتي مياها  
فالخير أجمعه لدى مثواها  
بركات بقعتها فما أزكاها  
ورفاة لم يهر ما عَقباها  
يطغي النفوس إلى خسيس مُناها  
بيسيرها وتحصناً بنحماها  
حتى توافي مهجتي أخراها  
فقبلت دعواها فبا بُشراها

وأعز من بالقرب منه يباهي  
داوى القلوب من العمى فشفاهي  
تدعى الوسيلة خير من يعطاها  
يسر وأكسير المحامد طاهي  
لو أن لي عدد الورى أفواها  
فغدّت وما ثلثي لها أشباهي  
فعلمت أن علاه ليس يضاهي  
وفضائل المختار لا تنهاى  
قال الإله له وحسبك جاها  
هم من يقال يبايعون الله  
واها لنشأتها الكريمة واها  
تهدى النفوس لرُشدها وغناها  
وعليه من بركاته أنماها  
أكرم بعثرته ومن والاها  
وعلى صحابته التي زكاها  
فتة التقى ومن اهتدى بهُداها  
نجزت وظني أنه يرضاهي

بحوار أو في العالمين بذمة  
من جاء بالآيات والنور الذي  
أولى الأنام بخطه الشرف التي  
إنسان عين الكون شرف جوده  
حسبي فليست أفي ببعض صفاته  
كثرت محاسنه فأعجز حصرتها  
إني اهتديت من الكتاب بآية  
ورأيت فضل العالمين محمداً  
كيف السبيل إلى تقضي مدح من  
إن الذين يبايعونك إنما  
هذا الفخار فهل سمعت بيثله  
صلوا عليه وسلموا فبذلکم  
صلّى عليه الله غير مقيد  
وعلى الأكابر آله سرج الهدى  
وكذا السلام عليه ثم عليهم  
أعني الكرام أولي الثمى أصحابه  
والحمد لله الكريم وهذه

وهذا آخرها والحمد لله وحده .

ولبعضهم :

تجري المقادير على نقشه  
واحذر على نفسك من نهشه  
تُزَلُّ السلطان عن عرشه  
أدرج رأس الكيش في كرشه  
لا بد أن يُنكب في فرشِه

الله في ملكه خاتم  
لا تبشّن الشرّ ثبلى به  
مصارع الدهر لها سطوة  
إذا طفى الكيش بلحم الكلا  
إذا بنى المرء على جنسه



## أنت ومالك لأبيك

قوله ﷺ : « أنت ومالك لأبيك » . ذكر العلامة الشمس العلقمي في حاشيته على الجامع الصغير عن جابر قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إن أبي أخذ مالي ؟

فقال النبي ﷺ للرجل : اذهب فأنتي بأبيك . فترج جبريل على النبي ﷺ فقال : إن الله عز وجل يقرئك السلام . ويقول لك : إذا جاء الشيخ فاسأله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه . فلما جاء الشيخ قال له النبي ﷺ : ما بال ابنك يشكوك . أتريد أن تأخذ ماله ؟ فقال : يا رسول الله هل أنفقه إلا على إحدى عماته أو خالاته أو على نفسي ؟

فقال عليه الصلاة والسلام : أيها الشيخ دعنا من هذا . أخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته أذناك .

فقال الشيخ : والله يا رسول الله ما يزال الله عز وجل يزيدنا بك يقيناً ، لقد قلت في نفسي شيئاً ما سمعته أذناي فقال له : قل فأنا أسمع . فقال :

غذبتك مولوداً وعُلتك يافعاً	تُعَلُّ بما أسدي إليك وتُنهلُ
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت	لِسُقْمِكَ إِلَّا ساهراً أنمَلَمَلُ
كأنني أنا المطروقُ دونك بالذي	طُرِقْتَ به دوني وعيناي تهمَلُ
تخافُ الردى نفسي عليك وإنها	لتعلمُ أن الموت شيء مسجلُ

فلما بلغت السنَّ والغايةَ التي لها مدةٌ قد كنتُ فيك أؤملُ  
 جعلتُ جزائي غلظةً وقَظاظَةً كأنك أنت المنعمُ المتفَضِّلُ  
 فليتك إذ لم تَرَ حقَّ أبوتي فعلتَ كما الجارُ المجاورُ يفعلُ

قال : فحينئذ أخذ رسول الله ﷺ بجلباب ابنه وقال له : « أنت  
 ومالك لأبيك » ، انتهى .

### الأصمعي في بلدة خراب

حكى الأصمعي قال : خرجت في طلب الأعاجيب من الأحاديث ،  
 فلاحت لي بلدة بيضاء كأنها الغمامة ، فدخلتها فإذا هي خراب وليس فيها  
 ديارٌ ولا أنيس ، فبينما أنا أدور في نواحيها إذ سمعت كلاماً فطار قلبي ،  
 فأنصتُ ، فإذا به كلامٌ موحشٌ ، فسلت سيني ودخلت ذلك المكان ،  
 فإذا أنا برجل جالس ، وبين يديه صنم وفي يده قضيب . وهو يبكي  
 وينكت به الأرض ويقول :

أما ومسيح الله لو كنتُ عاشقاً لمْتُكُمَا ماتت . وقد ضمَّني لحدي  
 وكم أتسلى بالحديث وبالْمُنَى وبالْعَبْرَاتِ السَّائِلَاتِ على خدي  
 وإني وإن لم يأتني الموتُ سرعةً لأُسي على جُهدٍ وأُضحى على جُهدٍ

قال : فلما سمعت ذلك منه هجمت عليه . فلم يشعر بي إلا أن قلت  
 له : السلام عليك . فرفع رأسه وقال : وعليك السلام ، من أين أنت  
 ومن جاء بك إلى هذا المكان ؟

فقلت : الله جاء بي .

قال : صدقت وهو الذي أفردني في هذا المكان .

فقلت له : ما بالك تشير إلى هذا الصنم الذي بين يديك .

فقال لي : إن حديثي عجيب وأمري غريب .

فقلت له : حدثني به ولا تخف منه شيئاً .

فقال لي : اعلم أننا كنّا قوماً من بني تميم وكنا على دين المسيح وكان دعاؤنا مستجاباً ، وكانت هذه الصنمة ابنة عمّي وكنت أنا وإياها . فلما كبرت حجبت عمّي عني ، فكنت أحبها سرّاً . فبينما أنا ذات ليلة وأنا عندها إذ سمعت عمي يرق الباب ، فأدخلتني سرداباً وقامت هي ففتحت الباب ودخل عمّي فقال لها : أين عبد المسيح ؟

فقلت : إني لم أره .

فقال لها : إني سمعت كلامه عندك .

فقلت : لم تسمع شيئاً وإنما خيّل لك .

فقال لها : والله إن لم تصدقيني ، وإلا دعوت عليك إن كنت كاذبة فيمسحك الله حجراً .

فقلت له : إذا كنت كاذبة .

فرفع طرفه إلى السماء وقال : اللهم يا ربّ الأولين والآخرين إن كنت تعلم أن ابنتي هذه كاذبة في قولها فامسحها حجراً ، فمسحها الله حجراً ، ولي أربعون سنة في هذا المكان ، وأنا أتقوت من نبات الأرض وأشرب من هذه الأنهار وأتسلّى بالنظر إلى هذه الصنمة إلى أن يحكم الله بالموت ثم بكى وأنشد يقول :

وحقّ الذي أبكى وأضحك والذي	أما وأحبّ والذي خلق الخلقا
لئن قلتُ إن الحبّ قد يقتل الفنى	وإن الفنى بعد التفرّق لا يبقى
لقد قلتُ حقّاً وأسأل العبرة التي	تسيلُ وسيلُ الدمع منّي لا يرقا

قال الأصمعي : ثم قام ذلك الشاب وتوارى عني يجدار من تلك الجدر ، ونزع المسوح التي كانت عليه ولم يبقَ عليه إلا ما يوارى سوائه فتأملتُه ، فإذا عيناه تلور في أم رأسه فقلت في نفسي : هذا أراد أن يطلعني على نحول جسده ثم أقبل عليّ ، وهو عريان وقال لي : يا فتى إني قائل اث آيات . وكان مني ما كان ، فإذا أنا مت فكفّني أنا وإياها في هذه الجبّة وادفنا في هذا الجون وضمتنا بالتراب واكتب على قبرنا هذه الأبيات :

من لم يكن بحسب أن الهوى يقتل . فلينظر إلى مضجعي  
لم يبق لي حول ولا قوة إلا خيال الشمس في موضعي  
أشكو إلى الرحمن جهد البلا إشارة بالطرف والإصبع

قال الأصمعي : هذا وأنا أنظر إليه وأسمع شعره وأتعجب منه ومن أمر الصنمة . وإذا به وقع على الأرض مستلقياً على قفاه وشهق شهقةً فارقت روحه جسده .

قال الأصمعي : فكففتها ودفنتها في ذلك الجون . وكنيت على قبرهما تلك الأبيات وتركتهما وانصرفت وأنا متعجب غاية العجب ، انتهى .

### عدل ابن طولون

لما عزم أحمد بن طولون على بناء الجامع المعروف به في مصر القاهرة أنفق عليه مائة ألف دينار ، ورغب فيه للعلماء والقراء وأرباب الشعائر والبيوت في كل شهر عشرة آلاف دينار ، وللصدقة في كل يوم مائة دينار ، وكان مشتتلاً على خصال حميدة منها : أن فقيراً كان يجواره وله امرأة وبنت ، وكانا يغزلان الصوف لتجهيز البنت ، وإن البنت لم تفارق البيت

وما نظرت إلى السوق قط ولا خرجت . فسألت أمها وأباها أن تخرج معها إلى السوق ، فوعدها بذلك . فلما قصدا بيع الغزل خرجت معها إلى السوق فمروا بباب الأمير المسمى بالفيل ، وتمادى الأب والأم ، وتركاهما ولم يشعرا بوقوفها فبقيت البنت حائرة لا تدري أين تذهب ، وكانت ذات جمال عظيم ، فخرج الأمير المسمى بالفيل ، فلما رآها افتتن بها ، فأمسكها ودخل بها ثم أمر الجوّاري أن يغسلنها ، وينظفنها ويلبسنها أحسن الملابس . ويطيبنها بأنواع الطيب ، ويحلينها له . ففعل ذلك فدخل عليها وأزال بكارتها . هذا وأبوها قد حزنا عليها ولم يزالا يطوفان عليها جميع الأماكن . فلم يقعا لها على خبر ، فلم يزالا ييكيان . فلما جنّ الليل ، وإذا بشخص يطرق الباب ، فخرج أبوها وفتح الباب فقال الرجل لأبيها أن الأمير المسمى بالفيل أخذ ابنتك وأزال بكارتها . فلما سمع ذلك كاد يُجنّ . وكان لأحمد بن طولون مؤذن وكان قد عاهده على أنه إذا حدث فاحشة من الفواحش يؤذن في غير الوقت ليحضره ويستفهم منه الواقعة ، وكان المؤذن بينه وبين أبي البنت صداقة . فجاء إليه وأخبره بخبره ، فصعد وأذن فسمعه أحمد بن طولون ، فأرسل خلفه ، فأخبره بالقضية فاستدعى بأبوي البنت وخبأهما في خزانة وكان وقت مجيء الفيل للخدمة ، فلما دخل على عادته ، قال له : نهيتك بالعروس الجديدة .

فقال : ومن أين لي عروسٌ جديدة ؟

قال : أتتكر وهذا أبو الجارية وأمها ؟

فلما رآهما نكس رأسه خجلاً من الأمراء الحاضرين ، فقال له أحمد ابن طولون : ارفع رأسك ثم قال لأبيها : تزوّج ابنتك مملوكي هذا على صداق قدره ألف دينار مقدّمة وخمسمائة دينار مؤجلة .

فقال : نعم . فأمر بإحضار الشهود وعقد العقد بينهما ووضعوا

خطوطهم ثم بعد انصراف الشهود أمر السيّاف بضرب عتق الفيل ، فرماه بين يديه ، وقطع رأسه . وقال أحمد بن طولون لأبي الجارية : ابتك وزنت زوجها وقد مكّتها مما بقي من تركته ، فامضوا مع السلامة .

فانصرفوا شاكرين لآلئعامه داعين له على أفعاله . فانظر إلى هذا العدل العظيم ، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم .

ومما نقل عن بعضهم :

توقّ رعاكَ اللهُ تسعاً من البشر	فصحبتهُم تُفضي إلى البؤسِ والضررِ
وهم أحولُ مع أعرجٍ ثم أحدبٍ	كذا كوسج يتلو نشاطاً مع الكليزِ
وإياك والأنف الطويلَ وأصفرأ	فإنها بيتُ الحيانةِ والخطرِ
كذا غائرُ الصدغين خارجَ جبهة	كذا أزرقُ العينين فالحنزُ الحنزُ
توقاهمو تحيا سليماً من الردى	وباعدهمو ، يا ذا القراة والنظرِ

تمّ الكتاب .



## فهرس الأعلام

١

- الأحنف بن قيس ٤١ . ٢٣٨ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٨ .  
الأحوص بن جعفر ٩٥ - ٤٢٢ . ٣٣١ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤٣ .  
الأخطل ٩٥ . إبراهيم بن ميمون ٢٩٤ .  
الإسحاقى ١٤١ . ابن أبي نليل = قاضي ١٢٣ .  
الأصمى ٥ - ٤٧ - ٥١ - ١١٨ - ١١٩ - ابن بليان ١٢٠ .  
١٢٠ - ١٥٢ - ١٥٤ - ١٥٥ - ابن الجوزي ١٠٨ - ٣٨٣ .  
١٦٧ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٣٥٠ - ابن حبان ٤١٢ .  
٣٥٣ - ٤١٣ - ٤٣٧ - ٤٣٩ . ابن خلدون ٦ .  
الأمويين ٥ . ابن خلكان ٨٣ - ٤٠٩ .  
إبراهيم بن إسحاق الموصلى ١٤٤ - ٢١٤ - ابن الحياط المكي ٤٢٦ .  
٢٣٩ - ٢٤١ - ٢٤٤ - ٣٢٩ - ٤١٧ - ابن الديرواني ٣٦٧ - ٣٦٨ .  
٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٤٢٥ . ابن أوطاة ٤٢ .  
إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك ١١٢ - ابن الزبير ٧٢ .  
١١٣ . ابن شداد ٣٧٧ .  
إبراهيم بن عبد الملك ٢٣٨ - ٢٣٩ . ابن عامر الفهري ٣٣٩ .  
إبراهيم بن علية ٨١ . ابن عدي ٣٦٠ .  
إبراهيم بن محمد بن طلحة ٦٣ - ٦٤ . ابن المعتز ٤٣٠ .  
إبراهيم بن محرم الكندي ١١٤ - ١١٥ . ابن عمر ٣٨٤ .  
إبراهيم المعنم بن هارون الرشيد ٣٤٥ . ابن فاطمة ١٠٣ .  
إبراهيم بن المهدي = ابن شكلة ٢٣٧ - ابن مارية ٢٠ .



- ابن مسعود ٤١٤ .  
 ابن النجّار ٣٧٢ - ٣٩٦ .  
 ابن هرمة ١٣٠ .  
 أبو إسحاق إبراهيم الموصلي ٤١٧ - ٤٢٢ .  
 أبو بكر الصديق ١١٥ - ٣٥٥ - ٣٥٦ .  
 أبو عبد الله السفّاح ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠ .  
 أبو عبد الله السفّاح ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ .  
 أبو عبد الله السفّاح ١٠٨ .  
 أبو عبد الله النحوي ٣٦٤ .  
 أبو عبيدة ٤١٣ .  
 أبو عثمان المازني ٣٩٢ - ٣٩٣ .  
 أبو علي منصور ٤١٦ .  
 أبو عيسى ٣٩٥ .  
 أبو العيّن ٣٦٤ .  
 أبو الفرج الجوزي ٤١٥ .  
 أبو الفرج الأصمّاني ٩٨ - ٥ .  
 أبو القاسم عبد الملك بن يدرون ٢٣٧ .  
 أبو القاسم علي بن محمد النهدي ٣٦٤ .  
 أبو محمد بن أبي عمران اليشكري ٤٣٣ .  
 أبو محمد الحاجّ بن يوسف الثقفي ٦٣ -  
 ٦٤ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ -  
 ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ -  
 ٧٩ - ٨٠ - ٨٢ - ٢٩٧ .  
 أبو محمد عبّاد بن يحيى الصبيعي ٣٩٤ .  
 أبو مصعب ١٤٩ .  
 أبو نعيم ٤١٤ .  
 أبو نواس ٦ - ١٣٧ - ١٤٨ - ١٤٩ .  
 ١٥٠ - ١٥١ - ١٨٣ - ١٨٤ .  
 ١٨٥ - ١٨٦ - ٢٧١ - ٢٧٣ .  
 ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٣٢٢ - ٤٢٤ .  
 أبو الحسن التنوخي ١٨٦ .  
 أبو الحسن الخليلي الدمشقي ٢١٨ - ٢١٩ -  
 ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٧ - ٢٢٨ -  
 ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ -  
 ٢٣٣ - ٢٣٥ - ٢٣٦ .  
 أبو الحسن الصغير المدني ٣٩٩ .  
 أبو حنيفة ٢١٤ - ٤١٠ - ٤٢٩ .  
 أبو داود ٤٢٩ .  
 أبو الدرداء ٤١١ .  
 أبو دلامة ١١١ .  
 أبو ذر القفاري ١٢ - ١٣ - ١٤١ .  
 أبو زيد الأسدي ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ .  
 أبو سلمة الخلال ٢٣٧ .  
 أبو سويد ٨٣ .  
 أبو طوق ١٨٥ - ١٨٦ .  
 أبو الطيّب الطبري ٣٨٤ - ٣٩٧ - ٤٠١ .

- ٤٢٥ . أسماء بنت المهدي ١٣٧ .  
 أبو هريرة ٣٩٦ .  
 أبو يوسف القاضي ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢٤٧ - ٢٤٨ .  
 آل جفلة ٢٠ .  
 إبليس - أبو مرة ٦ - ١٥٧ - ١٦٠ - أم جعفر ٢٤٨ .  
 ١٧٩ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥ - أم سلمة ١٠٩ - ١١١ .  
 ٤١٢ . أم عبدالله ٩٧ .  
 أحمد ٢٩٣ . أم الفضل ٢٦٩ .  
 أحمد = الراوية ٣٩٦ . امرئ القيس بن حجر الكلبي ٤٠ .  
 أحمد بن أبي خالد ٣٣٠ . آمنة - أم محمد ٤٠١ .  
 أحمد بن أبي دؤاد ٣٤٥ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - أنس بن مالك ٣٩٣ - ٣٩٧ - ٤١٠ .  
 ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ . ٤٢٩ .  
 أحمد بن حنبل ٩٣ - ٣٤٥ - ٤٢٨ - أوس بن تغلب ٣٤٦ .  
 ٤٢٩ .  
 أحمد بن طولون ٤٣٩ - ٤٤٠ - ٤٤١ .  
 أحمد بن محمد الحريري ٣٣٢ .  
 أحمد بن موسى ١٣٠ .  
 آدم ١٨٣ - ١٨٤ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٣٦٢ - نادية بن سعيد ٤٧ .  
 ٤١٢ - ٤١٤ - ٤١٥ . بنو(الست) ٢١٥ - ٢٢١ - ٢٢٣ -  
 ٢٢٤ - ٢٢٧ - ٢٢٩ - ٢٣٠ .  
 الأذفونش ٣٧٢ . ٢٣٣ - ٢٣٥ - ٢٣٦ .  
 أرجوان ٢٤٩ - ٢٥١ . تيبة ٤١٢ - ٤١٣ .  
 إسحاق بن إبراهيم الموصلي ٦ - ١٥٧ - البخاري ٤٢٩ .  
 ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٧٩ - البدر ٢٣٨ .  
 ١٨١ - ٢٦١ - ٣٠٢ - ٢٩٥ - بدر الدين أبي المحاسن يوسف المهندار ٣٧٤ .  
 ٣٠٢ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - بدر الدين بن فرحون ٤٣٣ .  
 ٣٠٧ - ٤٢٠ - ٤٢١ - ٤٢٢ . البرامكة ٥ - ٢٣٧ - ٢٣٩ - ٢٤٤ -  
 ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٨ - ٢٤٩ .  
 ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - إسماعيل بن صالح ١٦٠ - ١٦١ .  
 إسماعيل بن علي الهاشمي ١٢٧ - ١٢٩ .

٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - بوران زنبيل ٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ .  
 ٢٦٥ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٣ - البيهقي ٤٢٥ .  
 ٢٩٤ .

## ت

الترار = الراوية ٣٩٦ .  
 بشار ١٥٠ .  
 بكر ٢٧ .  
 بلقيس ٤٠ - ٢٢٧ .  
 بني تميم ٣١ - ٤٣٨ .  
 بني الحارث بن كعب ١١٤ .  
 بني لؤس ٨٧ .  
 بني إسرائيل ١١١ .  
 بني أمية ٣٠ - ١٢١ - ١٢٧ - ١٣٠ .  
 ١٣١ - ١٨٦ .  
 بني سعد ١١٢ .  
 بني سليم ٥٩ - ٦٠ - ٣٦٠ .  
 بني سلول ٣٢٧ .  
 جابر ٤٣٦ .  
 جبريل = ملك ٣٢٢ - ٣٩٣ - ٤٣٦ .  
 جيلة بن الأيهم ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ -  
 ٢١ .  
 جليل ٣٦٩ - ٣٤٥ - ٣٦٩ .  
 جليل ١٧٦ .  
 جليل ٣٠٩ .  
 جليل ٧١ .  
 جليل ١٠٨ .  
 جليل ٣٥ - ٣٦ - ٧١ - ٢٣٨ - ١٤٤ - ١٤٥ - ٢٤٦ -  
 ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ .  
 جليل ١٩٧ - ١٩٥ - ١٩٤ - ١٩٣ - ١٩٢ - ١٩١ - ١٩٠ - ١٨٩ - ١٨٨ - ١٨٧ - ١٨٦ - ١٨٥ - ١٨٤ - ١٨٣ - ١٨٢ - ١٨١ - ١٨٠ - ١٧٩ - ١٧٨ - ١٧٧ - ١٧٦ - ١٧٥ - ١٧٤ - ١٧٣ - ١٧٢ - ١٧١ - ١٧٠ - ١٦٩ - ١٦٨ - ١٦٧ - ١٦٦ - ١٦٥ - ١٦٤ - ١٦٣ - ١٦٢ - ١٦١ - ١٦٠ - ١٥٩ - ١٥٨ - ١٥٧ - ١٥٦ - ١٥٥ - ١٥٤ - ١٥٣ - ١٥٢ - ١٥١ - ١٥٠ - ١٤٩ - ١٤٨ - ١٤٧ - ١٤٦ - ١٤٥ - ١٤٤ - ١٤٣ - ١٤٢ - ١٤١ - ١٤٠ - ١٣٩ - ١٣٨ - ١٣٧ - ١٣٦ - ١٣٥ - ١٣٤ - ١٣٣ - ١٣٢ - ١٣١ - ١٣٠ - ١٢٩ - ١٢٨ - ١٢٧ - ١٢٦ - ١٢٥ - ١٢٤ - ١٢٣ - ١٢٢ - ١٢١ - ١٢٠ - ١١٩ - ١١٨ - ١١٧ - ١١٦ - ١١٥ - ١١٤ - ١١٣ - ١١٢ - ١١١ - ١١٠ - ١٠٩ - ١٠٨ - ١٠٧ - ١٠٦ - ١٠٥ - ١٠٤ - ١٠٣ - ١٠٢ - ١٠١ - ١٠٠ - ٩٩ - ٩٨ - ٩٧ - ٩٦ - ٩٥ - ٩٤ - ٩٣ - ٩٢ - ٩١ - ٩٠ - ٨٩ - ٨٨ - ٨٧ - ٨٦ - ٨٥ - ٨٤ - ٨٣ - ٨٢ - ٨١ - ٨٠ - ٧٩ - ٧٨ - ٧٧ - ٧٦ - ٧٥ - ٧٤ - ٧٣ - ٧٢ - ٧١ - ٧٠ - ٦٩ - ٦٨ - ٦٧ - ٦٦ - ٦٥ - ٦٤ - ٦٣ - ٦٢ - ٦١ - ٦٠ - ٥٩ - ٥٨ - ٥٧ - ٥٦ - ٥٥ - ٥٤ - ٥٣ - ٥٢ - ٥١ - ٥٠ - ٤٩ - ٤٨ - ٤٧ - ٤٦ - ٤٥ - ٤٤ - ٤٣ - ٤٢ - ٤١ - ٤٠ - ٣٩ - ٣٨ - ٣٧ - ٣٦ - ٣٥ - ٣٤ - ٣٣ - ٣٢ - ٣١ - ٣٠ - ٢٩ - ٢٨ - ٢٧ - ٢٦ - ٢٥ - ٢٤ - ٢٣ - ٢٢ - ٢١ - ٢٠ - ١٩ - ١٨ - ١٧ - ١٦ - ١٥ - ١٤ - ١٣ - ١٢ - ١١ - ١٠ - ٩ - ٨ - ٧ - ٦ - ٥ - ٤ - ٣ - ٢ - ١ - ٠ .

## ث

## ج

٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢٣٦ - الحسين ٤١ - ٢٥٦ - ٤٠٧ .  
 ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤١ - ٢٤٤ - حسين الخليل ١٦٧ .  
 ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - حماد - الراوية ٥١ - ٣٨٩ - ٣٩١  
 ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - حمزة ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٥ - ٣٣٦  
 ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٧ - ٢٥٩ - حنظلة بن أبي عامر الأنصاري = عسيل  
 ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٧٦ - ٢٩٠ - الملائكة ١١٤ .  
 ٤١٧ - ٤١٩ .  
 الحوراء ١٦٩ .

جعفر بن يحيى الهاشمي ٢٤٥ .

حفنة ٢٠ .

حميل بن معمر ٩٦ .

حميل بن معمر ١٧٢ - ١٧٥ - ١٧٦ -  
 خالد البرمكي ٢٣٧ - ٢٦٨ .  
 خالد بن صفوان بن إبراهيم التميمي ١٠٨ -  
 ١٠٩ - ١١٠ - ١١١ - ١١٤ .

## ح

١١٥ - ١١٧ .  
 خالد بن عبد الله القسري ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ -  
 ٥٠ .  
 خالد بن عرفطة ٦٦ - ٦٧ - ٦٩ - ٧٠ .  
 خالد بن الوليد = سيف الله ١١٥ .  
 خزاعة بن بشر ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ -  
 ٩١ - ٩٢ .  
 الخطيب ١٥٠ .  
 الحنساء ٤٢ .  
 الحيزان ١٥٠ .  
 الحافظ ١١٢ .  
 الحافظ أبو بكر الآجري ٣٥٥ .  
 الحافظ ابن عساكر ٨١ - ٤١١ .  
 الحافظ أبو نعيم ٣٥٥ .  
 الحافظ السيوطي ٢٦٢ .  
 الحجاج بن يوسف ٥٣ .  
 حذام ٣٩٨ .  
 الحرث بن سعد ٢٣ - ٢٦ - ٢٧ .  
 الحرث بن كندة ٦٥ .  
 حمزة بن عبد المطلب = أسد الله

## د

١١٥ .  
 حسان بن ثابت ٢٠ - ٢١ .  
 الحسن بن اخمين ١١٢ .  
 الحسن بن علي ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ .  
 الداوقني ٣٦٠ .  
 داود بن رشيد ١٣٣ .

دنيا . (الست) ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٧ -  
٢١٠ - ٢١١ .

س

السجستاني ١٦٧ .

دينار ٢٩٠ .

سعد بن أبي وقاص ٢١ - ٤١٢ .

سعد بن عبد الملك ٨٤ .

ذ

سعید بن جبیر = شقيّ بن كسير ٧٥ - ٧٦ -

ذلفاء ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ .

٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ .

الذميري ٥ .

سعید بن عبد الرحمن ١٣٣ - ١٣٤ -

١٣٥ - ١٣٦ .

ر

سعید بن محمد أبو الفوارس البجلي = ابن

الراضي بالله ٣٨٦ .

الصفي ٤٠٧ - ٤٠٨ .

سليمان بن داود ٤٠ - ٢٨٠ - ٤١٤ -

الزبداء ١٧١ .

٤١٥ .

رجاء بن حيوة ٩٣ .

سليمان بن عبد الملك بن مروان ٨١ - ٨٢ -

الرقاشي ١٤٩ .

٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٩ -

روح بن زباع ٤٠٥ .

٩١ - ٩٢ .

ريّا بنت الغطريف السلمي ٥٨ - ٥٩ .

سليمان الوراق ٣١١ .

ربيع ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٣ - ١٣٤ .

سنان ٨٥ - ٨٦ .

ز

سويد بن أبي العالية ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ -

٣٦٧ .

زبيدة (الست) ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢١١ -

سودة بنت عمار بن الأسد ٤١ .

٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥٦ .

سبيويه ٣٩٢ .

٣٣٧ .

ش

زكريا ٤١١٠ .

الزهري ٤٢٢ .

الشافعي ٣٩٤ - ٤١٠ - ٤٢٦ - ٤٢٩ -

زئب ٣٨٠ .

٤٣١ .

زين الدين عمر بن الوردی ١٨٥ .

شدّاد بن عاد ٢٨٠ .

شرف الدين حسين بن ريان ١١ .

الشعبي ٤١ . العباس بن مرداس السلمي ٩٤ .

شمس الدين التاجي ٥ . عبدالله ٩٦ .

الشمس العلقمي ٤٣٦ . عبدالله البلتاجي ١٢٣ .

شهاب الدين فضل الله ٤١٦ . عبدالله بن رواحة ٢٩ .

شيراز ١٦٩ . عبدالله المارستاني ٢٤٤ .

عبدالله بن طاهر ٧٤ - ٤٠٩ .

عبدالله بن مروان بن محمد ١٢٧ .

عبدالله بن مسعود ١٠ .

عبدالله بن معمر القيسي ٥٦ - ٥٧ - ٦٠ .

عبدالله الثميري ٣٠٩ .

عبد الحق ١٤٢ .

عبد الرحمن بن مسلم = أبو مسلم الخراساني

١٠٨ .

عبد الرحمن بن ملجم المرادي ٣٨٣ -

٣٨٤ .

عبد الرحمن الهاشمي ٣٣٢ .

عبد الرحيم البرعي ٤٣١ .

عبد العزيز بن مروان ٤٠٤ .

عبد المجيد بن عبدون ٢٣٧ .

عبد المسيح ٤٣٨ .

عبد الملك بن بدرون ١٧ .

عبد الملك بن صالح الهاشمي ١٦٠ - ١٦١ -

٢٣٨ - ٢٣٩ .

عبد الملك القهرماني ٢٣٧ .

عبد الملك بن مروان ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ -

٥٦ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٦ - ٧٤ - ٧٥ -

٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٧ .

عتابة ٢٦٣ .

٤١ .

شمس الدين التاجي ٥ .

الشمس العلقمي ٤٣٦ .

شهاب الدين فضل الله ٤١٦ .

شيراز ١٦٩ .

## ص

صالح بن عبد القدوس ٣٨٢ .

صخر ٤٢ .

صلاح الدين = الملك الناصر ٢٤٢ - ٢٤٣ -

٣٧٤ - ٣٧٦ - ٣٧٧ .

## ض

ضمرة بن المغيرة = أبي السخاء ١٧٠ -

١٧١ - ١٧٢ .

## ط

الطرماع بن الحكم ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ .

## ع

عاصم بن عمر بن الخطّاب ٩٣ .

عائشة ٢٣٨ - ٢٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٦ .

العبّاس ٢٠١ - ٢٩٣ - ٢٩٦ - ٢٩٩ -

٣٠٠ - ٣٠١ - ٣١٠ - ٣٣٠ -

٣٣١ - ٣٣٦ .

العبّاسيّة ٦ - ١٠٨ .

٢٨ - ٣٠ - ٣١ - ٣٣ - ١١٥ - ٣٥٥ -

٣٥٦ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٤٠٦ -

٤١٤ .

عمر بن عبد العزيز ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٩٣ -

١٦١ .

عمرو بن أمية ٣٩٨ .

عمرو بن جبير الشيباني ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٤ -

٢٢٥ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣١ -

٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ .

عمرو بن العاص ٣٥ - ٣٦ .

عمرو بن معديكرب الزبيدي ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ -

٢٥ - ٢٧ - ٤٠ .

عمرو بن مسعدة ٢٩٣ .

عنتر ٢٢٢ .

عوج بن عنق ٤٣٠ .

عون بن أبي شذاد العبدي ٧٥ .

غ

غادر ١٤٢ .

غالية ١٦١ .

الغزالي ١٢٠ .

الفسانة ٢٠ .

الغطريف ٥٩ .

ف

الفارسية ٢٥٩ .

فاطمة الزهراء ٣٨ - ٢٥٨ .

عنه بن أبي سميان ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ .

عتبة بن الحباب بن المنذر بن الحموح

الأنصاري ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ .

عثمان بن عفان ٢١ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٥٥

٣٥٦ - ٣٥٩ .

عدي بن أرطاة ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ .

عدي بن زين العبادي ٣٩٠ .

عروة بن أذينة ١٠٧ .

عكرمة الفياض الرعي ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ -

٩١ - ٩٢ .

علي بن أبي طالب ١٠ - ٣٦ - ٤٠ - ٤١ -

٤٢ - ٤٣ - ٩٣ - ١١٥ - ٣٥٥ - ٣٥٦ -

٣٥٩ - ٣٨٣ - ٤٠٧ .

علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (زين

العابدين) ١٠٢ - ١٠٤ .

علي بن العباس الرومي ٣٦٩ .

علي العجمي ٢٧٦ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ .

علي بن محمد ٢٩٠ .

علي بن محمد الجوهري = نور الدين ٢٠٢ - ٢٠٣ -

٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ .

٢١٠ .

علي بن عيسى بن ماهان ٢٥٥ .

عليّة بنت المهدي ٤٢٥ .

عمران بن حطّان ٣٨٣ - ٣٨٤ .

عمر بن أبي ربيعة ٩٤ .

عمر بن الخطّاب ٧ - ٩ - ١٠ - ١١ - ١٢ -

١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨ -

١٩ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٥ - ٢٧ -

- ٣٠٧ - ٣٠٦ - ٣٠٥ - ٣٠٤ - ٣٠٢ . الفارعة بنت همام ٦٥ .  
 ٣١٤ - ٣١١ - ٣١٠ - ٣٠٩ - ٣٠٨ . فرعون ٧٣ .  
 - ٣١٩ - ٣١٨ - ٣١٧ - ٣١٦ - ٣١٥ . الفزاري ١٧ .  
 - ٣٢٤ - ٣٢٣ - ٣٢٢ - ٣٢١ - ٣٢٠ . الفضل بن مروان ٢٩٤ - ٢٩٥ .  
 - ٣٣٢ - ٣٣١ - ٣٣٠ - ٣٢٩ - ٣٢٥ . الفضل بن يحيى ١٦٠ - ١٦١ - ٢٥٥ - ٢٥٦ -  
 - ٣٣٧ - ٣٣٦ - ٣٣٥ - ٣٣٤ - ٣٣٣ . ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ .  
 - ٣٤٤ - ٣٤٠ - ٣٣٩ - ٣٣٨ . ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٤١٧ - ٤١٩ .  
 - ٤٠٩ - ٤٢٢ .

## ق

- . المبرد ٢٤٤ .  
 . التلمس بن الأخوص ٧٥ - ٧٧ .  
 - ٣٦٨ - ٣٦٧ - ٣٦٦ - ٣٦٥ - ٣٦٤ . المتوكل ٤٢٨ .  
 . غارق المخني ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٤١٨ .  
 . مراجل ٣٣٨ .  
 . مراد ٣٩٨ .

## ك

- . كاعب ١٣٧ .  
 . الكامل ٣٧٤ .  
 . الكسائي ٤٠٣ .  
 . كسرى ١٩٧ - ٢٢٢ - ٢٨٠ .  
 . كتب الأخبار ٤١٤ .  
 . الكبت ٣٣ .  
 . كنعان بن شقاد ٢٧٨ .

## م

- . المسيح ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٤٠٥ - ٤٣٧ - ٤٣٨ .  
 . المظم بن المقداد ٤٠١ .  
 . معاذ بن جبل ٣٩٤ .  
 . مدوية بن أبي سفيان ٢١ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ .  
 - ٣٨ - ٣٧ - ٣٦ - ٣٥ - ٣٤ - ٣٣ . مالك بن دينار ٤٢٥ .  
 - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ . مأجوج ٤٣٠ .  
 - ٢٩٣ - ٢٩٠ - ١٩٣ - ١٨٦ - ١٤٥ . المأمون ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٣٠٠ - ٣٠١ .



٢٢٧ - ٢٣٦ .	٤٠٧ - ٤٢٨ .
محمد بن سيرين ٨٣ .	المتنصم ١٨٦ ٣١٤ - ٣١٥ ٣١٨ - ٣١٦
محمد بن عبد الله بن طاهر ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ .	٣٣٠ - ٣٣١ ٣٤٥ - ٣٤٦ ٣٤٧ .
٣٦٧ .	المتنصم بالله أحمد = السفاح الثاني ٣٦٩ ٣٧١ -
محمد بن عبد الله النخعي ٣٣٢ .	٣٧٢ .
محمد بن عبد الملك الزيات ٣٦٨ .	معن بن زائدة الشيباني ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ -
محمد بن علي بن الحسين - الباقر ٤٠٥ - ٤٠٦ -	٢٨٤ ٢٨٥ - ٢٨٦ ٢٨٧ - ٢٨٩ .
٤٠٧ .	المغيرة بن شعبة = أكور ثقيب ٢١ - ٣٥ - ٣٦ -
محمد بن عمر الحنبلي ٣٩٦ .	٣٧ .
محمد بن غسان ٢٦٢ .	المقتدر ٣٧٢ .
محمد بن المنصور ١٣٣ .	مكثوم ٥٥ .
محمد بن نافع ٢٧٥ - ٣٨٤ .	مسارة ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ .
محمد بن النصب ٣٦٧ - ٣٦٨ .	١٩٢ .
محمد بن واسع ٢٣٨ .	المنذر بن المغيرة ٢٩١ .
محمد بن يحيى البرمكي ٢٦١ - ٢٦٢ .	المهدي ١٣٣ ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ -
محمد بن يزيد الميرد ٣٩٢ - ٣٩٣ .	١٧٩ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٤٢٦ - ٤٢٧ .
محمد بن يوسف الثقفي ٣٨٩ .	موسى ٧٣ ٩٦ - ٢٣٤ .
محمد دياب الأتليدي ٥ .	موسى بن يحيى ٢٩٢ .
محمد شجاع الدين الشيرازي ٣٧٤ .	موسى الرضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن
محمد المهدي بالله ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٧ - ٣٦٠ .	الحسين بن علي بن أبي طالب ١٦٦
محمد النبي ٧ - ١٥ - ١٩ - ٢٠ - ٢٩ - ٣٦ -	موسى الهادي بن محمد ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ -
٣٧ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٨ - ٥٦ -	١٤٤ .
٥٩ - ٦٣ - ٦٤ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ -	الموكل ٣٣٩ .
٨٠ - ٩٤ - ١٠٦ - ١١٠ - ١١٥ -	ميسون بنت بحدل ٤٤ .
١٢٢ - ١٢٧ - ٢٢٤ - ٢٥٠ - ٢٥٥ -	ميمونة ٦ ٢٤٤ - ٢٥٠ - ٢٥٥ .
٣٣٦ - ٣٤٠ - ٣٤٦ - ٣٥٥ - ٣٥٦ -	محمد الأمين ١٨٦ - ١٩٣ .
٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ -	محمد بن حزيمة ٤٢٨ .
٣٦٢ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٩٣ - ٣٩٤ -	محمد بن سليمان الزبيني ١٦٧ - ١٧١ - ٢١٩ -

٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥٢ - ٢٥٤  
 ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٦٠ - ٢٦٢ - ٢٦٣  
 ٢٦٤ - ٢٦٧ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤  
 ٢٧٦ - ٢٩٣ - ٣٠٨ - ٣١٢ - ٣١٣  
 ٣٣٨ - ٣٤٥ - ٤١٨ - ٤٢٣ - ٤٢٤

هرقل ١٧ - ١٨ - ٢١ .

الهرمزان ١٥ .

هشام بن عبد الملك بن مروان ٩٨ - ١٠٢ -  
 ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ .

هشام بن غالب = الفرزدق ٩٥ - ١٠٢ - ١٠٤ -  
 ٤٠١ .

هند ٣٨ - ٤١ .

هند بنت النعمان ٧٣ - ٧٤ .

هيثم بن عديّ ١١٤ .

هيثم بن عليّ ١٣٣

٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٤٠١ - ٤٠٢ -  
 ٤٠٣ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤١١ - ٤٣٣ -  
 ٤٣٤ - ٤٣٦ - ٤٣٧ .

محبّي الدين النووي ٤٠١ - ٤٢٨ .

ن

النجاشي ٣٦ .

نرجس ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٧ .

النسائي ٤٢٩ .

نسيم ٣٣٧ .

نصر الله بن مجليّ ٤٠٧ .

نصر بن ذبيان ٣٣ .

نصر بن مقبل ٢٧٢ .

نوح ٤١٤ .

هـ

و

الهاشمية ٣٥ .

هارون الرشيد ٦ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ -

وائل ٢٦ .

١٤٥ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ -

الواثق بالله ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٧ - ٣٥٨ -

١٥٢ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٦٠ -

٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦٢ - ٣٩٢ - ٣٩٣ -

١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٦ -

الواقدي ٣٢٤ .

١٦٧ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٩ - ١٨٣ -

الوليد بن عبد الملك بن مروان ٨١ - ٣٨٩ -

١٨٥ - ١٨٦ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ -

٤٠٣ - ٤٠٧ .

١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٧ - ٢٠٠ -

الوليد بن عقبة ابن أبي معيط ٣٥ - ٣٧ -

٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٥ -

الوليد بن هشام ٩٨ - ١٠٠

٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٩ - ٢٣٧ - ٢٣٨ -

الوليد بن يزيد ١٦١ .

٢٣٩ - ٢٤١ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٧ -

يحيى بن سلام الأبرش ٢٦٣ .

يزيد بن عبد الملك ٣٨٩ ٣٩١ - ٤٢٢ -

٤٢٣ .

يعرب بن قحطان ٣٩ .

يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ٣٧٢ - ٣٧٣ .

يوسف الثقي ٦٥ ٢٣٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ -

٣٤٧ .

يونس الكاتب ٩٨ ١٠٠ ١٠١

بأحوج ٤٣٠ .

يحيى بن أكرم ٢٤٤ ٣١٠ ٣١١ - ٣١١

٣١٢ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٣٣

٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦

يحيى بن خالد البرمكي ٢٠٤ ٢١٠ - ٢٥٥ -

٢٥٦ ٢٥٩ - ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ -

٢٦٣ - ٢٦٨ - ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ -

## فهرس الأماكن

### أ

٣٤٠ - ٣٣٩ - ٣١٩ - ٣١٧

٤١٠ - ٣٦٤ - ٣٤٧

بلخ ٢٣٧ - ٢٨٠ .

الأندلس ٣٧٣ .

أذربيجان ٩٢

أرمينية ٩٢ .

أسوان ٢٨٠ .

أصبهان ٢٨٠ .

### ج

جلق ٢٠ .

الجهان ٢٠ .

### ب

### ح

بلر ٣٦ .

بركة الحبش ٤١٦ .

البصرة ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥١ - ١٣٨ - الحجاز ٦١ - ٦٣ - ٦٤ - ١٠٧ - ٢٤١ .

١٥٢ - ١٦٧ - ١٦٩ - ١٧٠ - الحرمين الشريفين ٦٣ - ٦٤ .

٢١٩ - ٢٢٧ - ٢٣٠ - ٢٧٨ - حطّين ٣٧٦ .

٢٨١ - ٣٣٩ - ٣٦٧ - ٣٩٣ . الحيرة ١١٢ .

### خ

بغداد ١٣٨ - ١٤٩ - ١٩٢ - ١٩٦ .

١٩٧ - ٢١٧ - ٢١٩ - ٢٢١ .

٢٢٧ - ١٣٦ - ٢٥٥ - ٢٧٧ .

٢٧٨ - ٢٨٥ - ٢٩١ - ٢٩٦ - خراسان ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٢ - ٢٥٣ .

٢٩٨ - ٣٠٠ - ٣٠٢ - ٣١٤ - ٢٥٥ - ٢٨٠ .

د

ش

الدحلة ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - الشام ٩ - ١٧ - ٤٤ - ٦٣ - ٧٥ - ٨١ -  
٢٠٨ - ٢١٦ - ٢١٩ - ٢٤٦ - ٩٨ - ١٠٢ - ١٠٧ - ١٢٩ - ٢٨٧  
٢٥١ - ٢٨٠ .  
٣٥٧ - ٣٧٤ .

ص

دمشق ٢٠ - ٣٠ - ٨١ - ٩٩ - ١٨٦ -  
١٨٧ - ١٨٩ - ٢٩١ - ٢٩٦ -  
٢٩٧ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١ -  
٣٠٢ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٨٩ - الصين ١٢١ .  
٣٩١ .

ط

الطائف ١٠٨ .  
طلبطة ٣٧٢ .

دمياط ٢٨٠ .  
دير العاقول ١٣٨ .

ر

ع

الرقة ١٥٥ - ١٦٠ - ٢٧٢ .  
الرملة ٩١ .  
الريّ ٣٢٤ .  
العراق ٦٤ - ٦٥ - ٧٢ - ٧٣ - ٢٦٥ -  
٣٣٨ - ٣٩١ - ٣٩٢ .

ز

عسفلان ٢٨٠ .  
عكّا ٣٧٤ - ٣٧٦ .  
عسّان ١٦٩ .

رمزم ١١٥ .

س

غ

الساوة ٥٨ - ٥٩ .  
السودان ٢٥٤ - ٢٨٠ .  
عزة ٢٨٠ .  
العوطة ٨٥ - ١٨٩ .

## ف

مصر ٥ - ١٦١ - ٢٣٩ - ٣٢٨ - ٤٠٣ -

. ٤٣٩ ٤٠٤

انصبة ٣٥٦ .

مصر ٤٠ - ١١٤ - ٣٠٩ - ٣١٠ .

معان ٢٠ .

المرة ٧٣ ٧٤ .

المغرب ٣٧٢ .

مكة ١٦٢ - ٤٠٧ - ٤١٧ - ٤٣٤ .

النية ٥ - ٦ .

فارس ٦ ١٦

الفرات ٢٨٠ .

قزارة ١٩ .

فلسطين ٨٩ .

## ق

القاهرة ٥ - ٣٧٤ - ٤٣٩ .

القدس ٤٣٤ .

قريش ٣٦ - ٣٨ - ١٠٢ - ١٠٧ - ١١٠ - نهر بردى ٢٠ .

. ١٤٤

النهروان ٢٤٨ - ٢٥٢ .

نهر البريص ٢٠ .

القسطنطينية ١٧ - ٢١ .

قضاة ٢٦٤ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٨٢ .

## ك

الهند ٦ - ٢٨٠ .

كنانة ٣١٠ .

## ي

الكوفة ٢١ - ١١٢ - ١٢٤ - ١٨٦ - ١٩٠ -

٢٦٢ - ٢٨٠ - ٢٨٥ - ٣٠٩ .

اليرموك ٢٠ .

٣١٣ - ٣١٧ - ٣٨٩ - ٣٩٠ .

الجماعة ٢٣ - ١٠٩ .

البحر ٣٨ - ٤٠ - ١١٤ - ٢٨٦ - ٣٩٤

## م

٤٣١

المدينة ٩ - ١٠٨

المريد ١٦٧ - ١٧٠ - ١٧١ .

## فهرس الموضوعات

الصفحة

٥	المقدمة . . . . .
٧	مقدمة المؤلف
٩	عمر والعجوز المدينة . . . . .
١١	عمر والشاب القتال وأبو ذر . . . . .
١٥	عمر والمهرمان . . . . .
١٧	خير جيلة بن الأيهم لما هرب من عمر إلى هرقل وتنصر
١٧	جيلة بن الأيهم وتنصره
٢١	التقوي الفاجر . . . . .
٢٢	أجين وأجيل وأشجع من ثي
٢٨	يقتلع ذنب البعير
٢٩	عبد الله بن رواحة وجاريته
٣٠	أول دولة بني أمية . . . . .
٣٠	معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه
٣٥	الأحوية الهاشمية
٣٧	معاوية والحسن . . . . .
٣٨	معاوية والطرماح بن الحكم
٤١	معاوية والأحنف بن قيس . . . . .
٤١	معاوية وسودة الأسدية
٤٤	معاوية وميسون الكلبيّة
٤٤	ملك فارس واليوم النوعظ له
٤٧	العاشق ذو المروءة . . . . .
٥١	جعفر بن سليمان والعاشقان . . . . .
٥٣	في أيام دولة عبد الملك بن مروان . . . . .

٥٦	شجرة العروسين .
٦١	العاشق الكئوم .
٦٣	نولية الحجاج للعراق .
٦٥	كيف ولد الحجاج . . . . .
٦٦	الحجاج والأعرابي . . . . .
٦٦	الحجاج والفتى المحدث
٧٠	الأعرابي وحلوى الحجاج . . . . .
٧١	علموا أولادكم الأدب . . . . .
٧٢	الحجاج والأسرى . . . . .
٧٢	الحجاج والمرأة الحورية
٧٣	الحجاج وهند بنت النعمان
٧٥	الحجاج وقتله لسعيد بن جبير . . . . .
٨١	خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان . . . . .
٨٢	خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان
٨٢	صفات سليمان بن عبد الملك
٨٣	سليمان والذئفاء . . . . .
٨٧	جابر عثرات الكرام . . . . .
٩٣	خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه . . . . .
٩٣	عمر والشعراء . . . . .
٩٨	خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان . . . . .
٩٨	الوليد بن هشام ويونس الكاتب والحارية
١٠٢	هشام وزين العابدين والفرزدق . . . . .
١٠٤	هشام والغلام الفصيح . . . . .
١٠٧	عروة بن أذينة وهشام بن عبد الملك . . . . .
١٠٨	ابتداء الدولة العباسية . . . . .
١١١	أبو دلامة والسفاح . . . . .
١١٢	راعي الذئم . . . . .



١١٤	مفخرة اليمن ومُضر . . . . .
١١٨	خلافة أبي جعفر المنصور
١٢٠	حاج يعظ المنصور . . .
١٢٣	القاضي ابن أبي ليلى والمنصور
١٢٧	الأمير الأموي وملك الثوبة
١٢٩	بليتان ، المنصور والطاعون
١٣٠	ابن هرمة والخمر
١٣٠	الرجل الثبت الجنان
١٣٣	خلافة المهدي
١٣٣	الرؤيا الصالحة
١٣٦	المهدي والأعرابي . . . . .
١٣٧	أبو نواس وجارية بنت المهدي
١٣٨	الشاعر المجنون
١٤١	خلافة موسى الهادي بن محمد
١٤١	الهادي والخارجي
١٤٢	الهادي وجه لغادة
١٤٤	خلافة هارون الرشيد بن محمد المهدي
١٤٤	هارون والأعرابي
١٤٥	ليلة عظيمة
١٤٥	الرشيد والمستقيمة
١٤٨	الضيف الطارق . . . . .
١٤٩	هارون والجارية السكرى .
١٥٠	الرشيد وجارية الخيزران
١٥٢	أجود أخبار النساء . . .
١٥٩	الأصمعي والجارية
١٥٧	إبراهيم الموصلي وإبليس
١٦٠	الرشيد وإسماعيل بن صالح .

١٦٢	أعراني يزاحم الرشيد . . . . .
١٦٧	الحسين الخليج والجارية العاشقة . . . . .
١٧٢	جميل والفتى العنري وحببته
١٧٩	إسحاق الموصلي وإبليس . . . . .
١٨٣	إبليس يزور أبا نواس . . . . .
١٨٤	إبليس والشعراء . . . . .
١٨٥	الرشيد وأبو نواس وأبو طوق
١٨٦	الرشيد والرجل الأموي . . . . .
١٩٢	الرشيد والخليفة الثاني الكاذب . . . . .
٢١١	الرشيد وجارية جعفر . . . . .
٢١٤	هجرتك وزرثك . . . . .
٢١٤	المجنون العاقل
٢١٥	الست بدور والأمير عمرو . . . . .
٢٣٧	من هم البرامكة ؟ . . . . .
٢٣٧	منزلة جعفر عند الرشيد
٢٣٩	الفتى العاشق وجعفر
٢٤٢	الوزير أبو عامر والملك الناصر والغلام . . . . .
٢٤٤	سبب قتل البرامكة وما وقع لهم مع الرشيد
٢٥٩	أحسن ما رأى جعفر . . . . .
٢٥٩	أعظم ما مرَّ به . . . . .
٢٦٠	موت يحيى البرمكي
٢٦١	مدح البرامكة
٢٦١	رأي الموصلي بالبرامكة . . . . .
٢٦٢	منتهى الكرم للبرامكة
٢٦٢	فقر البرامكة وذللهم . . . . .
٢٦٣	من أقوال البرامكة . . . . .
٢٦٣	الرشيد يبيكي على البرامكة

٢٧١	الرشيذ وذقن أبي نواس
٢٧٢	يضرب الشاة الحد . . . . .
٢٧٣	الرشيذ يأمر بقتل أبي نواس . . . . .
٢٧٥	تغفر ذنوبه بأبيات . . . . .
٢٧٦	حكايبة العجمي والكروذي وما جرى بينهما على يد القاضي بسبب الجراب .
٢٨٠	معن بن زائدة الشيباني . . . . .
٢٩٠	علائقة المأمون بن هارون الرشيد واسمه عبدالله . . . . .
٢٩٤	المأمون والورد . . . . .
٢٩٦	من يفعل الخير لا يعدم جوازيه . . . . .
٣٠٢	المأمون وزنبيل بوران
٣٠٨	المأمون وجارية أبيه . . . . .
٣٠٩	المأمون والفتاة العربية
٣١٠	أخلاق المأمون
٣١١	حلم المأمون . . . . .
٣١٣	الطفيلي الأديب والمأمون
٣١٩	رقة قلب المأمون
٣٢٠	المأمون ونذير الشؤم
٣٢١	المأمون ومدعى النوة . . . . .
٣٢٢	أبو نواس والغلام الجميل والقاضي . . . . .
٣٢٣	المأمون ويحيى بن أكرم . . . . .
٣٢٣	سليب العقل لا الدين . . . . .
٣٢٤	إبراهيم بن المهدي والمأمون
٣٣٢	صيد الجوارى
٣٣٧	حيل الجوارى . . . . .
٣٣٧	المأمون وزبيدة أم الأمين . . . . .
٣٣٨	المأمون والشاعر . . . . .
٣٣٩	إبراهيم بن المهدي وصاحبة المعصم . . . . .

٣٤٥	ذكر خلافة إبراهيم المعتصم بن هارون الرشيد
٣٤٥	المعتصم بن جميل ، من لطائف الحكايات
٣٤٧	مخارق المغني والحجازية الحسنة .
٣٥٠	حكاية غريبة . . . . .
٣٥٤	خلافة أمير المؤمنين الواثق بالله تعالى
٣٦٠	الضبّ الناطق
٣٦٢	ابن آدم . . . . .
٣٦٤	خلافة المتوكل على الله تعالى . . . . .
٣٦٧	يعفو عن الرأس والذنب . . . . .
٣٦٨	صوت من السجن . . . . .
٣٦٩	خلافة أمير المؤمنين المعتصم بالله أحمد . . . . .
٣٧٢	صاحب المغرب وصاحب طليطلة
٣٧٤	الصعيدي والفرنجية . . . . .
٣٧٨	إن من البيان لسحراً
٣٨٠	هذه القصيدة الزينية . . . . .
٣٨٣	الخوارج كلاب النار
٣٨٤	سارق الحمل . . . . .
٣٨٦	قصيدة لأمير المؤمنين الرازي بالله
٣٨٩	جارتان برواية شعر . . . . .
٣٩٢	جارية ثمن إعراب بيت
٣٩٣	الاسم الأعظم
٣٩٤	فائدة . . . . .
٣٩٦	فائدة . . . . .
٣٩٧	بهرام جور والرماية . . . . .
٣٩٨	حكاية في القطا . . . . .
٣٩٩	يا جامع الناس . . . . .
٤٠٠	الملك والمرأة العفيفة

الصفحة	
٤٠١	فائدة
٤٠٢	فائدة
٤٠٣	دعاء . . . . .
٤٠٣	سك النقود في الإسلام
٤٠٧	منام صادق . . . . .
٤٠٩	الذكاء والفهم . . . . .
٤١٠	أبو حنيفة وجاره الإسكافي
٤١١	دواء للصداع
٤١٢	فائدة . . . . .
٤١٤	حكاية الهامة . . . . .
٤١٥	فائدة . . . . .
٤١٦	الحاكم بأمر الله وصاحب البستان . . . . .
٤١٧	سخاء البرامكة . . . . .
٤٢٠	إسحاق الموصلي يتطفل
٤٢٢	يزيد والأحوص بن جعفر . . . . .
٤٢٣	الرشيد في منزل إبراهيم الموصلي . . . . .
٤٢٥	الفتح والعصفور . . . . .
٤٢٦	إحدى النصائح . . . . .
٤٢٦	ابن الحياط والمهدي
٤٢٨	الإمام أحمد بن حنبل ومناقبه رضي الله تعالى عنه . . . . .
٤٢٩	السكران والجلاد
٤٣١	من كلام الشافعي رضي الله عنه
٤٣١	رياض نجد
٤٣٣	دار الحبيب . . . . .
٤٣٦	أنت ومالك لأبيك . . . . .
٤٣٧	الأصمعي في بلدة خراب . . . . .
٤٣٩	عدل ابن طولون